ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/371672498

المشروع التربوي الثقافي للعلامة أبو القاسم سعد الله – دراسة سوسيولوجية عن طريق تحليل محتوى التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله

Thesis · June 2023

CITATIONS
0

READS
7

1 author:

Chabira Messaoud
Ziane Achour University of Djelfa
6 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

All content following this page was uploaded by Chabira Messaoud on 18 June 2023.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبـــــية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

المشروع التربوي الثقافي

للعلامة أبو القاسم سعد الله

(دراسة سيوسيولوجية عن طريق تحليل محتوى التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع

تخصص علم الاجتماع التربوي

إعداد الطالب :

* شبيرة مسعود

إشراف أستاذ التعليم العالي :

* سحوان عطاء الله

السنة الجامعية: 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبـــــية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

المشروع التربوي الثقافي

للعلامة أبو القاسم سعد الله

(دراسة سيوسيولوجية عن طريق تحليل محتوى التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع

تخصص علم الاجتماع التربوي

إعداد الطالب :

* شيرة مسعود

إشراف أستاذ التعليم العالي :

* سحوان عطاء الله

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول ابو القاسم سعد الله

في مقدمة كتابه قضايا شائكة:

وقد انتهى عهد الدعوة الى الوعي ، وعهد الدعوة الى الإصلاح انتهى في نظري وعهد الدعوة الى التحرر من النير الأجنبي ، وجاء عهد جديد

في نظري أيضا ،هو عهد الثورة على النفس و غسل خطايا الماضي والحاضر المترسبة في نفوسنا.

شكر وعرفان

قالى تعالى : " وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان"

الحمد لله الذي وفقني في إنجاز و إتمام هذا العمل .

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذ التعليم العالي :سحوان عطاء الله جزاه الله خيرا فقد حرص حرصا شديدا على انجاح العمل برغم مشاغله المتنوعة كما أنه لم يبخل علينا طوال هذه الفترة بالمساعدة والمساندة بذل في ذلك جهدا كبيرا من كل النواحي كما أتقدم بالشكر للأستاذ التعليم العالي جلود رشيد والدكتور بن سالم عبد الله على جهودهما الطيبة لإتمام هذا البحث

ولا يفوتني أن أرفع إمتناني الخالص لأعضاء اللجنة المناقشة على تحملهم عناء قرءة هذه الأطروحة وكذلك أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد وهم كثر

وهنا ادعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق أماني و أهداف و مشاريع جمعية العلماء المسلمين وأمنية مالك بن نبي والعلامة سعد الله بأن تكون الجزائر في قمة الحضارة وذلك يكون بالتمسك بأسباب التقدم العلمي والحضاري

شبيرة المسعود

إهداء

لقد كان المؤلفون في القديم يهدون كتبهم إلى الملوك والأمراء و الوزراء ،وإن كان أبو القاسم سعد الله أهدى موسوعة التاريخ الجزائري الثقافي إلى جيل ما بعد الثورة ،فنحن بدورنا لا نستطيع إلا ان نقدم ثمرة هذه الأطروحة إلى روح العلامة أبو القاسم سعد الله و أبطال الثورة و المجاهدين الذين أدوا عليهم ، عليهم حين ضحوا بكل ما يملكون من أجل أن تعيش في حرية و أن تبقى الجزائر وفية لدينها وتراثها

إلى كل المربين من الأباء والأمهات الذين يريدون السعادة لأبناءهم في الدنيا والآخرة

إلى كل العاملين في حقل التربية والتعليم

إلى شهداء الدعوة الإسلامية والفتح الإسلامي

إلى روح الوالدين الكريمين رحمهما الله تعالى

و إلى الزوجة الكريمة والأبناء (سليمان،محمد)

وإلى كل طالب علم..... وطالب حق

وإلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي أهدي هذا العمل

شبيرة المسعود

المختصرات باللغة العربية

العنوان	الرمز
تاريخ الجزائر الثقافي سلسلة الأولى	ت ج ث س 1
تاريخ الجزائر الثقافي	ت ج ث
جمعية علماء المسلمين	ج ع م
حركة الوطنية الجزائرية	ح و ج
بحوث في تاريخ العربي الإسلامي	ب ت ع س
أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر	أ أ ت ح
طبعة خاصة	ط خ
مجموعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله	م أ د أ س

فهرس المحتويات

المواضيع **الصفحة**

فهرس المحتويات

مقدمة أ

الباب الأول:

الجانــب النظري للدراسة

الفصل الأول : الإطار المنهجي و المفهومي للدارسة

1- أسباب اختيار الموضوع 11

2- أهداف الدراسة 12

3- أهمية الدراسة 13

4- الإشكالية 14

5- الفرضيات 20

6- تحديد مفاهيم الدراسة 21

7- الدراسات السابقة 56

8- المقاربة السيوسيولوجية 67

9- الصعوبات 69

الفصل الثاني : حياة العلامة أبو القاسم سعد الله

1- سيرة حياة العلامة أبو القاسم سعد الله. وأهم المحطات التي مرّ بها 80

2- العوامل المؤثرة في تكوينه الفكري. 95

3- سعد الله وجمعية علماء المسلمين. 108

4- مؤلفاته وأهم الاختصاصات التي اهتم بها. 122

الفصل الثالث : التربية عند العلامة أبو القاسم سعد الله

1/ التربية التقليدية والحديثة ومقومات مشروع سعد الله التربوي 142

2/ التربية والتعليم في العهد العثماني و الاستعماري 156
3/ المؤسسات التربوية ودورها التعليمي 169
4/ نماذج المشاكل التربوية في الجزائر وحلولها 196
الفصل الرابع : الثقافة عند العلامة أبو القاسم سعد الله
1/تاريخ وماهية الثقافة عند العلامة أبو القاسم سعد الله 218
2/ المؤسسات الثقافية ودورها الفكري 241
3/ الجامعة ودورها العلمي 251
4/ نماذج مشاكل الثقافة في الجزائر وحلولها 263
الفصل الخامس : الحضارة عند العلامة أبو القاسم سعد الله
1/ الحضارة وخصوصيتها في الجزائر عند العلامة سعد الله 281
2/ البعد السياسي الوحدة والقومية 310
3/ دولة الأمير عبد القادر 324
4/ رؤية سعد الله للحضارة ومعالجة مشاكلها 332
الباب الثاني:
الجانــب الميدانــي للدراسة
الفصل السادس : الأسس المنهجية للدارسة
1 أهمية الدراسة الاستطلاعية 366
2- فوائد الدراسة الاستطلاعية 366
3- أدوات الدراسة الاستطلاعية 366
4- عرض نتيجة الدراسة الاستطلاعية 366
5- إجراءات الدراسة الأساسية 367
6- صدق إطار تحليل المحتوى 371
متغيرات الدراسة 378

خصائص العينة 389

الفصـــل السابـــــع : تحليل ومناقشة جداول الفرضية الأول

1 – عرض وتحليل جداول الفرضية الأولى 431

2 – نتائج الفرضية الأولى 492

الفصـــل الثامن : تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثانية

1 – عرض وتحليل جداول الفرضية الثانية 495

2– نتائج الفرضية الثانية 551

الفصـــل التاسع : تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثالثة

1– عرض وتحليل جداول الفرضية الثالثة 555

2 – نتائج الفرضية الثالثة 587

الإستنتاج العام 589

إقتراحات وتوصيات 594

قائمة الجداول

قائمة المراجع

الملاحق

الملخص بالعربية

الملخص بالإنجليزية

مقدمة

مقدمة:

شكلت فكرة التربية محور إهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدار حديث المؤرخين والمفكريين والمصلحين، وكان أول رئيس للجمعية عبد الحميد بن باديس قد شغلته قضية الجهل المتفشي في البلاد فكرس حياته للقضاء عليه لذلك إعتبر ابن باديس أن العمل التربوي هو كل عمل إصلاحي ومنطلق كل التغيير إجتماعي وثقافي، ومن ثم نهوض في التنمية شاملة فكرية والحضارية .

لقد كان تأثير جمعية علماء المسلمين على العلامة أبو القاسم سعد الله كبيرا حتى عند توليه مسؤولية الشؤون الثقافية في الرابطة ثم إتحاد الطلبة بالقاهرة من سنة 1959، حيث إرتبط إسم سعد الله بالثقافة دائما كما يذكر فلهذا نجده هو من يقوم بالنشاطات الثقافية وبذلك يسمح له هذا الموقع من مخالطة والإلتقاء بالمفكرين والمصلحين سواء في العالم الإسلامي أو العربي خصوصا الجزائريين منهم، لأنه يقوم مقام جبهة التحرير الوطني وتعريف بها في المشرق العربي.

فتعرف على المفكرين منهم مالك بن نبي، وتعرف على كثير من رفقاء النضال جبهة التحرير الوطني، وكذلك علماء الجمعية مثل البشير الإبراهيمي والعربي التبسي، وأدى هذا إلى وضوح الإتجاهات وتبادل الأفكار مع باقي المفكرين والمصلحين وينتج عنه دراية كبيرة بالوضع فنتج عنه وضوح المسائل والأفكار وإثراء المعارف عند العلامة أبو القاسم سعد الله.

فلقد كان هذا إبان شبابه فمن هنا نعرف لماذا كان يلقب بالشيخ الصغير خاصة عندما كان يدرس في مدرسة التهذيب ومدرسة الثبات بالعاصمة في الجزائر في سنة 1955م، فلهذا نجد أنه يعتبر نفسه من طبقة المثقفة في الجزائر وله واجبات إتجاه وطنه وشعبه، فكثير ما يكتب عن الثقافة، ومنها كتابه الشهير" التاريخ الجزائر الثقافي" فمن هنا نجد

أن العلاقة بين التربية والثقافة في فكر أبو القاسم سعد الله مترابطة كما أن العلوم عموما هي كذلك.

إن النسق الفكري عنده ينطلق من أن الفرد لابد أن يتربى على الثقافة التي هي تكون تنمية ونهضة حضارية في إطار مبادئ جمعية علماء المسلمين، فالمحافظة على الهوية التي هي عصارة ما تركه لنا أجدادنا .

فالثورة الثقافية قادرة على خلق حيوية للمجتمع ومن خلال الإعتماد على المناهج العلمية سيتم حل مشكلات الإنسان والمجتمع الجزائري ومنها إلى الحضارة.

فأصبحت كلمة تنمية الحضارية اليوم في عالمنا العربي صعبة وخصوصا مع تلك الإنتكاسات الإجتماعية والتاريخية والسياسية، فهذه الكلمة تحمل أكثر من مدلول فهي مرتبطة بإرادة الإنسان والمجتمع نفسه ولابد من إشراك الجميع في إستنهاض القدرات والوحدات البنيوية الكامنة في طبيعة الفرد من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى ومن أجل إيجاد هذا يمكن لنا من خلال عرض رؤية العلامة أبو القاسم سعد الله من خلال مؤلفاته وتراثه الكبير فمن أجل إيجاد مشروع ناجح من لحظة المراجعة إلى لحظة الفعل والانطلاق ومن إدراكنا سعة إطلاع العلامة للوضع الجزائري سواء تاريخيا أو ثقافيا أو تربويا يجعلنا نثق في أهم خطوات ذلك المشروع.

من الغايات الرئيسة للتعليم الديني في الجزائر تنمية ثقافة المواطنة بين أبناء المجتمع وهي أيضا غاية التعليم المدرسي الذي يسعى إلى التربية من أجل المواطنة ، التي تكسب المتعلم قاعدة عريضة من المهارة والميول والاتجاه والفضائل التي ترتبط ارتباطا وثيقاً بتحقيق المبادئ الأساسية التي بنيت عليها السياسة التربوية في الجزائر، ومن أهمها " البعد الوطني" ، إذ أن الإسلام والعروبة والأمازيغية هي المكونات الأساسية لهوية الأمة الجزائرية التي تكرس أصالتها.

ويتعين على المنظومة التربوية أن تعمل على ترسيخها والنهوض بها لضمان الوحدة الوطنية ، والمحافظة على الشخصية الجزائرية .

كما يتعين عليها – وهي تتطلع نحو المستقبل– أن تعمل على إحكام التلاحم العضوي بين هذه القيمة الأصيلة ، وتوقان الأمة إلى التقدم والرقي .

وتؤهل المتعلم إلى بناء الوطن في سياق التوجهات الوطنية ، ومستلزمات العصر وتوطيد الهوية الوطنية بترسيخ روح الانتماء للوطن ، والدفاع عن وحدته وسلامته وترقية ثقافة وطنية تنبع من مقومات الأمة وحضارتها ، ومتفتحة على الثقافة العالمية .1

فمطلب الجزائريين اليوم أكثر من أي وقت مضى سواء من خلال الحراك أو مطلب الإصلاح في كل المجالات إذ نقف أمام هذا المشهد الحضاري والثقافي والتربوي داخليا وخارجيا لنقرر ما إذا كان بمقدورنا أن نغربل تجاربنا وأن نبني نهضة حقيقية تزيد من التلاحم العربي الإسلامي، وتعزز ذلك الإنتماء فإذا توفرت مجموعة من العوامل النفسية، والسياسية والاجتماعية لإنقاذنا.

لقد قدم للنهضة العربية بدائل متعددة ذات بعد ثقافي هذا ما قدمه العلامة أبو القاسم سعد الله.

فنحن قلقون دائما من كون تلك المشاريع المقدمة كعلماء ومفكرين الجزائريين لم نجد من يقوم بتطبيقها في الميدان مثل مالك بن نبي، ابن باديس وغيرهم....

وتكمن أهمية دراسة هذا المشروع الثقافي التربوي في كونه واحد من أهم ما أنجبته الجزائر في تاريخها خاصة إذا تطرقنا إلى الاختصاصات التي عرف بها العلامة أبو القاسم سعد الله.

---

[1]- هيئة التأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية ، وحدة النظام التربوي ، سند تكويني لفائدة مديري مؤسسات التعليم الثانوي والإكمالي ، الجزائر : وزارة التربية الوطنية ، 2003 ، ص 09.

ما يميز مشروع أبو القاسم سعد الله التربوي انه ينطلق من الخصوصية الجزائرية أي ما له علاقة بتاريخها ويعتمد في تحليله على المتغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري عبر تاريخه .

وقد قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثمانية فصول لإجابة عن تساؤلات الدراسة : قد تناول الفصل الأول الإطار المنهجي للدارسة حيث تطرقنا إلى مشكل البحث المدروسة ثم تساؤلات الدراسة ، والتي تمحورت حول السؤال العام ثم بررنا أسباب اختيار الموضوع من ناحية الذاتية الشخصية ومن الناحية الموضوعية ثم الأهمية العلمية والعملية للموضوع وأهدافه، متنقلين إلى المنهج الذي سلكته هذه الدراسة ،فحدود الدراسة ممثلا في التربية والثقافة والحضارة ثم المفاهيم العامة ثم قدمنا في هذا الفصل الدراسات السابقة .

أما الفصل الثاني فتطرقنا إلى العوامل التربوية والاجتماعية والثقافية المؤثرة في تكوين فكر أبو القاسم سعد الله وتم الحديث عن اهم المحطات التي مر بها في حياته ، وتكلمنا أيضا عن شيوخه ورحلاته ومؤلفاته.

أما الفصل الثالث جاء الحديث فيه على أهم النظريات التربوية التي نعتقد أنها قريب من مشروعه التربوي وتكلمنا فيها على أهم جوانب التربية وأنواعها التي أسهب فيها سعد الله وكيف نظر سعد الله إلى التربية من عدة زوايا مختلفة متأثرا بالتربية الإسلامية في جانب والتربية الحديثة في جانب الآخر.

أما الفصل الرابع تناولنا فيه الحديث عن الثقافة وتاريخها ودور المؤسسات التربوية الثقافية في إعداد الفرد المتكامل ، كما تم الحديث عن مشاكل الثقافة وخاصة الإرث الثقافي الذي خلفه الإستعمار الفرنسي وكذلك المستجد منها العولمة ، كل ذلك في إطار ما ذكره سعد الله في مؤلفاته.

أما في الفصل الخامس فقد تطرقنا إلى الحضارة كمفهوم وتكلمنا على الحضارة الإسلامية والغربية وتم فيها الحديث أيضا عن دولة الأمير عبد القادر نموذجا إصلاحيا تجديديا ونظرة سعد الله إلى ما يتوجب على الجزائريين فعله وتقديمه للعالم كنموذج ثوري ذو بعد قومي في إطار الحضارة الإسلامية .

أما الفصل السادس والسابع والثامن جاء في إطار الجانب التطبيقي للدراسة ومحاولة الإجابة عن الأسئلة الفرضية الأولى والثانية والثالثة على التوالي .

وفي نهاية الدراسة قمنا بتقديم خاتمة ونتائج التي توصلت إليها الدراسة .

الباب الأول:

الجانــب النظري

الفصل الأول : الإطار المنهجي و المفهومي للدارسة

المحتويات :

1- أسباب اختيار الموضوع
2- أهداف الدراسة
3- أهمية الدراسة
4- الإشكالية
5- الفرضيات
6- تحديد مفاهيم الدراسة
7- الدراسات السابقة
8- المقاربة السيوسيولوجية
9- الصعوبات

تمهيد

تشكل هده الدراسة محاولة كشف القناع عن بعض جوانب تراث سعد الله الفكري انطلاقا من تراثه المعرفي التي لم يكشف عنها ونقصد الجانب التربوي مع تركيز على أفكاره وأراءه ذات العلاقة بوطنه الجزائر من زاوية ثقافية ، وتنظيم الأفكار على شكل مشروع متكامل يمكن أن يستخدم لإعادة تربية الإنسان المسلم وخاصة الجزائري من أجل تأهيله لاستئناف دورة حضارية جديدة مبدعة .

01-01- أسباب اختيار الموضوع:

01 - أسباب ذاتية:

- الأهمية التاريخية لبلد مثل الجزائر ومدى تأثيرها على الوسط التربوي الثقافي حيث كان تأثير الحركة الاستعمارية الفرنسية بارزا و مميزا فيها.

- تجدد النقاش حول ميدان التربية واختلاف مناهج التربوية الجزائرية وتخبط المدرسة بين أصالة المدرسة الجزائرية وفرض أجندة تربوية على المنظومة التربوية.

- إعجابنا بدكتور أبو القاسم سعد الله كمفكر موسوعي، ومثقف إلى أن يشارك في تنوير رأي العام الجزائري بالوضع التربوي والوضع الثقافي في الجزائر، وحيث يقول أن الكتابة في الجزائر أشبه بالمعجزة.

- يحمل مشروعه الكثير من البدائل والأسس القابلة لتطبيق في الجزائر والعالم العربي والإسلامي في مجال التربية والتعليم والثقافة.

02 - أسباب موضوعية:

- سد الثغرة في مجال علم الاجتماع التربوي، في اطار بحوث تتناول قضايا التربية والثقافة تخص الجزائر وذلك من أجل توعية الجيل الجديد بأهمية تاريخية من جانب وترسيخ ثوابت الأمة ثانيا.

- قلة الدراسات في مجال علم الاجتماع عموما للعلامة أبو القاسم سعد الله، وطغيان المواضيع ذات الصلة بالثقافة والأدب والتاريخ خاصة.

- طرح مواضيع التربية انطلاقا من تاريخ الجزائر الثقافي، ودراسة النسق التربوي من جانب نظرة متكاملة وشاملة ومنسجمة، مما يؤدي إلى بناء صرح منظومة واحدة موحدة للجزائريين.

- تسليط الضوء على أحد عمالقة الفكر والثقافة في الجزائر مع إبراز الخلفية الفكرية والتربوية له.

– محاولة تجسيد ومقترحات وأراء ليس فقط في المؤسسات أو التنظيمات بل هو مشروع كبير يخص الدولة والمجتمع والفرد فهو يتحدث بصراحة عن تربية وثقافة وحضارة ومؤسسات متنوعة.

– تزداد أهمية تراث المعرفي لأبو القاسم سعد لله يوما بعد يوم، انقص التراث الثقافي الجزائري الذي عمل فيه المستعر الفرنسي من أجل إخفائه وسلخ الهوية الجزائرية، جعل المنظومة التربوية تتخبط هنا وهناك.

01-02- أهداف الدارسة :

أهداف علمية :

- توظيف الإرث الثقافي لدكتور أبو القاسم سعد الله في المجال التربوي وأيضا الثقافي بشكل علمي ممنهج .
- إثراء المعرفة العلمية في مجال العلاقة بين التربية والثقافة في ظل الخصوصية الجزائرية من عوامل التاريخية والثورية .
- استنطاق بعض المقاربات النظرية الحديثة (المعاصرة) في مجال التربية من خلال كتب عملاق المؤرخين الجزائريين وأعمدة المثقفين الجزائريين وربطها بالواقع الاجتماعي والثقافي .

أهداف عملية :

- نشر الوعي التربوي والثقافي ، ومحاولة إبراز تلك المكانة الحقيقية لهذا الدور داخل المؤسسات التربوية التعليمية والتربوية الثقافية .
- الخروج بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات العلمية والعملية التي من شأنها أن تساعد في بناء مناهج دراسية قادرة على تأكيد روح الهوية الوطنية وغرس شخصية وطنية وتعزيز الوحدة الوطنية في أفراد المؤسسات الثقافية .

- الاستفادة من تجارب علماء ونخبة المثقفين الجزائريين والاعتماد عليها و إبرازها حتى يكونوا قدوة لشباب من جهة والعمل على تحرير روح المبادرة والإبداع في كل المجالات العلمية والفكرية والاقتصادية والتربوية .

01-03 -أهمية الدراسة :

برغم تنبيه كثير من الباحثين على أهمية ودراسة أداء وأفكار العلامة أبو القاسم سعد الله إلا أن الدراسات التي أجريت في هذا الموضوع نادرة أقصد الجانب التربوي والتعليمي في فكره.

أما الجانب التاريخي ولغوي فهو متوفر، برغم من تعدد ومواهب وإبداعات سعد الله المختلفة.

ومما يزيد من أهمية هذا البحث لتتبع أفكار ومبادئ مشروع سعد الله التربوي الثقافي إذ انه اشتغل مهنة التدريس لفترة كبيرة حتى وفاته وهو أستاذ بجامعة الجزائر ورفض كل المغريات والمسؤوليات في سبيل البحث عن التراث الثقافي وخاصة الفكري منه والتعليمي في تاريخ الجزائر .

والأمر الذي يعطي لأفكاره التربوية بعدا وعمقا في معالجة تلك المواضيع من جهة ، ويجعلها معبرة عن الواقع السوسيو ثقافي والإقتصادي الذي عاش فيه .

واستنادا لما سبق يمكن القول ان الدكتور أبو القاسم سعد الله يحتل مكان الصدارة بين المفكرين والمثقفين الجزائريين الذين أثرو في الفكر التربوي الثقافي بالعديد من الأراء والأفكار بل أصبحت كتبه خاصة مصدراً وموردا هاما للمعرفة الثقافية عامة والتاريخية مثل الموسوعة – تاريخ الجزائر الثقافي – وهي مساهمة عظيمة منه في كثير من المجالات الثقافة التعليم والتربية والفنون والإعلام وغيرها .

و تكمن أهمية الدراسة من خلال المبررات التالية :

1-نأمل ان تحقق هذه الدراسة إضافة حقيقة على المستوى العلمي في معالجة المشاكل التربوية والثقافية التي تتخبط فيها الجزائر وخاصة منها الهوية وغرس ترسيخ المواطنة

عن طريق تاريخ الجزائر الثقافي مروراً بالحركة الوطنية الجزائرية و بجمعية علماء المسلمين والثورة الجزائرية .

2-قد تفيد المسؤولين القائمين على التربية والثقافة والإعلام في الجزائر من أجل توحيد الصفوف ولم الشمل وتوحيد العمل حتى لا تذهب تضحيات الشهداء والعلماء منهم مالك بن نبي وأبو القاسم سعد الله وابن باديس وغيرهم بدون مراجعة وتمحيص وإحياء.

3-إن عملية تعزيز مكانة الثقافة في الوسط التربوي والثقافي لسيت هينة ، فهذا قد يساعد المسؤولين في وزارة التربية الوطنية في عملية الإصلاح والتطوير للمناهج ، ودعم وإبراز تضحيات العلماء العاملين من أجل الجزائر .

4-قد تشير هذه الدراسة ونتائجها بعض الباحثين والمربين والمثقفين على زيارة الاستبصار بالإرث التاريخي والحضاري الذي يعتبر مفقود نسبيا في الجزائر بسبب خصوصية المستعمر ، فتفتح أفاق جديدة للبحث ويرجع الفضل فيها للعلامة المبدع (أبو القاسم سعد الله).

5- تجسيد وتوضيح الإمتداد العميق لمشروع سعد الله التربوي لإبن باديس ومالك ابن نبي والإتجاه العروبي الإسلامي عموما بين الإعتدال والتوسط في فكره.

01-04 -إشكالية

ولقد اهتمت المجتمعات الحديثة بالتربية ومشاريع التربية وأخذت تستحوذ على عناية المفكرين والعاملين في الحقل التربوي وخاصة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الذي اتسم باختلال القيم وقواعد السلوك ، وتنامي العنف وتفكك العلاقات وتشابك المصالح

وبعد احادث 11 سبتمبر 2001 طرحت بشدة مسألة الإصلاحات التربوية وحتى الدينية والذي كان المتهم الرئيسي فيها هو المدارس الدينية بتهمة الإرهاب ودعت المنظمات إلى إصلاحات تربوية او غلق تلك المدراس التي تدعوا إلى الإرهاب والعنف.

ومن أجل سعي إلى استقرار المجتمع أصبح الإصلاح ضرورة حتمية ، مع تحديد الأهداف بصورة واضحة ويبدو ان السلطة الجزائرية استعانت كغيرها من الدول بالنظام التربوي وحتى

الثقافي من دول الأخرى وخاصة الفرنسية منها من أجل المساعدة وتطوير علاقات النظام التربوي الذي هو اهم النظم الاجتماعية – من أجل تكوين مواطن صالح –منتجا ومساهما ومسؤولا ومهتما بشؤون مجتمعه وقضاياه وحاجاته وهمومه وأولوياته ، ومحافظ على نسيجه ويصون هويته ويبرزها ،وتهيئته لمواجهة المستقبل ،وكذلك المحافظة على القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع ناتجة من الإرث الثقافي والحضاري كما انها تستجيب لطموحات والتطلعات الوطنية .

أما فيما يخص العالم الإسلامي فينظر العلامة أبو القاسم سعد الله على أن المشكل والوباء الذي أصاب الأمة أول ما أصابها في وحدتها ومن ثم تسلل داء إلى الثقافة وإلى الهوية وإلى اللغة وإلى العصبية والإقليمية والقطرية.

وفي كتابه بحوث في التاريخ العربي الإسلامي وفي مقدمته يذكر أن سبب استفزاز القلم والكتابة يرجع إلى محاولة فهم ما كان عليه العرب والمسمون من متعة وقوة وتأثير وما هم فيه اليوم من استباحة وضعف وخذلان، رغم ما لديهم من إمكانات وطاقات بشرية وطبيعية مادية، تجعل منهم لو أرادوا قوة يحترمها الصديق ويخشاها العدو.

ومن هنا نجد أن الحضارة مربوطة بواقع المجتمع والدولة فهي في حالة تغيير وأن الفكر التربوي في طبيعته هو أداة الحضارة ووسيلتها في تخليد ذاتها وبقائها وضمان استمراريتها فمن هنا يجب دائما وبفضل المجهودات التربوية والتفاعل من أجل إنجاح التجربة والمشروع وذلك بتعديل المسار وتغيير الاجتهادات واستنباط أفضلها وإذا لم يتم تغيير إلى الأحسن في واقعنا العربي الإسلامي وأن نتحد يعني أن الحضارة أبعد منا بكثير، ويجب نتحد مع من هم أقرب منا دول وجماعات.

فأين نحن الذين تجمعنا الأرض والتاريخ واللغة والدين والمصالح المشتركة، من هذه التجارب الحية والباهرة ؟

من الأكيد أن الذي لا يتقدم يتأخر بالمفهوم الحضاري الجدلي، وسوف نحتاج إذا لم نغير ما بأنفسنا إلى نوع آخر من الاستعمار ربما أشد عنفا ورعبا، ليقهرنا باسم الصداقة والتعاون تارة وباسم العولمة والتبعية تارة أخرى.

في الجزائر كما هو معلوم تعرضت لاستعمار بغيض حاول أن يقضي على الهوية والتراث الجزائري وثقافته أيضا حتى ظهرت ما يعرف بالحركة الوطنية والثورة الجزائرية التي أرادت أن ترجع البلاد إلى هويتها الأصيلة فالدين واللغة والوطن لا يمكن تهاون فيهما فبداية الأمر منذ انطلاق الثورة كانت الكفة لصالح التيار الاستقلالي بالتحالف مع التيار التقليدي ولكن تطورات الثورة فيما بعد ولا سيما بعد 1956 جعلت الكفة تميل نحو التيار العلماني المتحالف مع النخبة السياسية الوسيطة إذا فإن قيادتنا متورطة في إفشال المشروع الحضاري الذي كانت الحركة الوطنية والثورة تعملان على تجسيده بعد الاستقلال، فقد تخلت بالتدريج عن مطالب الحركة الوطنية في استعادة الهوية المعتدي عليها، واكتفت بظواهر الاستقلال ورموز السيادة من علم ونشيد وعملة.

فعندما أراد المستعمر أن يحتفل بذكرى المئوية للاحتلال فإذ بجمعية العلماء المسلمين تنتفض بعد ما كان كثير من المثقفين بدأوا يبحثون عن هوية هنا أو هناك بين الإدماج وبين التجنس فتارة الافتخار وتارة يرونها مظهر التقدم والتطور.

فإذا بالعلامة عبد الحميد بن باديس يعلنها صراحة مدوية لا لبس فيها:

شعب الجزائر مسلم *** وإلى العروبة ينتسب

فكان دور الجمعية ليس فقط إعادة المسار الهوية الوطنية أو تصحيحه بل ذهبت إلى دور أخر هو محاربة البدع وتربية الشباب خاصة في مدارسها المنتشرة في ربوع الوطن، احتضنها الشعب الجزائري، فمعظم الذين فجروا الثورة تكونوا ونشؤوا في الجمعية.

بالرغم من محاصر الاستعمار لهذه الجمعية، فقلد تمكنت من تشيد أكثر من 150 مدرسة وعدد كبير من نوادي الثقافية والمساجد الحرة في كامل أنحاء الجزائر.

لقد كان واضح مدى تأثر أبو القاسم سعد الله بثورة الجزائرية وجمعية علماء المسلمين وإيجابيات الحضارة الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والمذهب البراجماتي وساعدته خبرته الكبيرة في معاشرة كثير من العلماء والمفكرين منهم في مصر وتونس وفي الجزائر البشير الإبراهيمي وأيضا فرحات عباس. يوسف بن خدة. كريم بلقاسم. بلعيد عبد السلام. الأستاذ مالك بن نبي. توفيق المدني. عبد الحميد مهري. بن بلة. الشيخ العربي التبسي،

مع العلم أنه كان عضو فعال في لجنة إصلاح التعليم العالي في الجزائر سنة 2007 ومن أقواله :

" فأكبر فشل شهدته المنظومة التربوية عندنا أنها لم توحد المتعلمين الجزائريين فإذا كان الاستعمار قد وحدنا بالجهل فإن المنظومة التربوية قد فرقتنا بالعلم، فنحن شعب واحد ولكن فكره شتات ... ومن مظاهر الفشل عدم البت والالتزام باللغة الوطنية، فنحن تارة نحاربها باللهجات وتارة نحاربها بالفرنسية وتارة نحاربها بالعولمة... والنتيجة أننا أخرجنا جيلا (هجينا) لا يتقن أي لغة ولا يحصل على علم متقدم."[1]

ومن مؤلفاته التي هي امتداد لفكر المصلحين ومن قبله نجد هذا المشروع في ثنايا كتبه ومؤلفاته فهو لم يقدم نفسه على أنه تكلم عن هذا فنجده يعالج كل القضايا بصفته مثقفا تارة وبصفته مؤرخا تارة أخرى.

والعالم الموسوعي أبو القاسم سعد الله وبما أتاه الله من ملكات متعددة عالج هذا الموضوع في كثير من كتبه مثل هموم حضارية، قضايا شائكة، وكتاب فن الجدل الثقافي وأهمها على الإطلاق موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، تكلم فيها عن الحضارات المتعاقبة في التاريخ الجزائر من بداية الفتح الإسلامي.

إضافة إلى إطلاعه على ما قدمه المصلحين من قبله مثل جمال الدين الأفغاني، محمد عبدو، محمد عبد الوهاب، حسن البنا، ومالك بن نبي والعلامة عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي وغيرهم....

1- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 166.

هذا أدى إلى أنه اكتسب نظرة أقرب إلى الواقعية والموسوعية الشاملة في نظرته إلى عمق الأزمة الثقافية في الجزائر، ومما زادها سوءا الاستعمار الذي حاول أن يخرب العقول قبل البلاد فأصاب الهوية الوطنية في صميم وذلك بعمل مبرمج مخطط له، وبمراحل متواصلة مستمرة.

هناك مشاكل مثلا في ميدان التعليم نذكر منها

1- تراجع عن التعريب بعد ما استعادت اللغة العربية أملها وأحست بدبيب الحياة فيها.

2- الكيد للمعلمين والأساتذة العرب خاصة في الفترة الأولى من الاستقلال وتسويد سمعتهم.

3- عرقلة بعض الوزراء والمسؤولين المصممين على التعريب واتهامهم بالمساس بالمنظومة التربوية الناجحة (الفرنسية) إلى أن يستقيلوا أو يقالوا وترويج والادعاء بأن اللغة العربية عاجزة عن ترجمة العلوم الحديثة.

4- الربط بين التعريب والأصولية التي نشرت في نظرهم الإرهاب والقول بأن التعريب هو حاضنته (الحركة الإسلامية) .

هذا مجمل ما ذكره أبو القاسم سعد الله في كتابه حصاد الخريف صفحة 224 وأيضا في صفحة 227.

يذكر "ولعل أبرز المشكلات التي تواجهها الجزائر اليوم هو كثرة الطلاب وقلة المرافق وضآلة الأساتذة المؤهلين، في جميع مستويات التعليم، مما انعكس سلبا على النتائج التربوية، ولعل ما نخشاه هو أن يأتي وقت تطغى فيه المدارس الخاصة (وقد أخذت تنتشر) والجامعات الخاصة التي تستعمل اللغة الفرنسية في برامجها ومناهجها، فتفقد فيه شهادات التعليم المعرب مكانتها ومعادلتها"[1] .

وإذا نظرنا إلى الظواهر السلبية في المجتمع الجزائري فإنها تمثل أزمة اجتماعية ، يخيّل للبعض أن أهم أسبابها سببين هما: عجز المنظومة التربوية في الجزائر على التربية المواطن الصالح المثقف ، وأن المدرسة الجزائرية كونت كثيرا من المواطنين يجهلون مساحات واسعة

1- أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، ، عالم المعرفة،ط1 ، الجزائر، 2011، ص 227.

من ثقافة المواطنة وكذلك البعض يعتقد أن المدرسة الجزائرية هي التي غرست فكر التطرف والإرهاب في عقول التلاميذ .

ومن هنا جاءت الإصلاحات المنظومة التربوية ولا يزال تعديل المناهج مستمرا كل عام دارسي لإثرائها وتحسينها .

فالثقافة هي الأساس المحوري الذي قامت عليه أفكار ومشروع أبو القاسم سعد الله، ومن ثم نجد فيها معينا وموردا ومصدرا خصبا في بناء منظومة علمية عملية على أساس خبراته تعليمية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة بين ما خلفه التاريخ الإسلامي العربي وما أنتجته النظريات الغربية وخاصة الأمريكية منها في بناء حضارة تقوم على أساس التنمية الحضارية وتعمل في توافق وانسجام وتكامل وتعاون.

وانطلاقا من خصوصية الثقافة الجزائرية نظرا لما تعرضت له في سابق في تاريخها من كثرة الحروب وعدم الاستقرار من جهة ومن جهة ثانية الهجمة الاستعمارية والتي استهدفت هوية والثقافة الشعب الجزائري، ومن هنا كانت النتيجة الحتمية.

" إذا كان الوضع الثقافي لأي مجتمع يعتبر انعكاسا لواقعة السياسي وبنائه الاقتصادي، وتركيبه الاجتماعي، فلا شك أن حالة الجزائر من الناحية الثقافية تعتبر سيئة للغاية نظرا للضغوط العنيفة التي تعرض لها الشعب الجزائري خلال قرن وثلث من الاحتلال"[1]

ومن هنا نجد الحاجة إلى مشروع أكثر خصوصية بالجزائر حتى ينجح ويعطي ثماره، وفي ضوء ما تقدم نسعى من خلال هذه الدراسة التي نحن بصدد القيام بها والمعنونة (**المشروع التربوي عند العلامة سعد الله دراسة سوسيولوجية عن طريق تحليل محتوى للتراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله**) .

ومن هذا المنطلق يتبلور في ذهننا السؤال الرئيسي لهذه الدراسة وهو كيف يتهيكل المشروع التربوي للعلامة أبو القاسم سعد الله وفق التراث المعرفي له ؟

وقد تفرع من التساؤل العام تساؤلات فرعية :

1- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط1 ،الجزائر 1981، ص 93.

1-ماهي مجالات التربية التي إهتم بها العلامة أبو القاسم سعد الله في مشروعه التربوي الثقافي ؟

2-ماهو دور المؤسسات الثقافية في التنمية الحضارية عند العلامة أبو القاسم سعد الله ؟

3-ماهي أبعاد المشروع التربوي الثقافي للعلامة أبو القاسم سعد الله ؟

01-05- الفرضيات

من خلال التساؤلات التي صغناها سابقا نحاول أن نفترض الاتي :

الفرضية الأساسية : يتهيكل المشروع التربوي للعلامة أبو القاسم سعد الله وفق التراث المعرفي له على أساس مبادئ جمعية علماء المسلمين (العروبة – الإسلام –الوطن) والتجديد والإبداع .

الفرضية الأولى : المجالات التي اهتم بها المشروع التربوي للعلامة أبو القاسم سعد الله هي : 1- المجال الديني 2- المجال الاجتماعي 3- المجال العلمي 4- المجال الوجداني

الفرضية الثانية : دور المؤسسات الثقافية في التنمية الحضارية عند العلامة أبو القاسم سعد الله :1- فكري 2- علمي 3- تاريخي .4- دور العلماء والمثقفين .

الفرضية الثالثة : أبعاد المشروع التربوي الثقافي للعلامة أبو القاسم سعد الله

1-ثوري 2 – سياسي 3- جمالي (حضاري).

01-06- تحديد مفاهيم الدراسة :

يسمح تحديد المفاهيم بحصر الخصائص التي تميز الواقع الاجتماعي، وتبيين زاوية التي يتم من خلالها تناول الموضوع، " فالمفهوم ليس الحقيقة نفسها، لكنه بنية ذهنية تشمل بعض المميزات الثابتة لهذه الحقيقة، ومعرفة هذه المميزات تسمح لنا بمعرفة الظاهرة محل الدراسة، ومن ثم تمييزها عن الظواهر الأخرى، فتحديد المفهوم يساعد على تدريب الفهم والاتصال بين الباحثين "[1] .

والمفاهيم تستعين بتعريف إجرائي يتلاءم والمقاربة المعتمدة في تناول البحث.

ويشكل كل من: مفهوم التربية ، مفهوم الدور، ومفهوم الثقافة ، ومفهوم التنمية، و مفهوم القيم ، المفاهيم الرئيسة للدراسة.

وعليه يمكن تحديد المفهوم المحوري لكل منها كما يأتي:

مفهوم الدور:

يعد مفهوم الدور من أكثر المفاهيم التي يتضح فيها التكامل بين المتغيرات الشخصية والجماعية، فهو نمط السلوك المتغير من الشخص الذي يشغل وضعا اجتماعيا معينا، أثناء تفاعله مع الأشخاص الآخرين، الذين يشغلون أوضاعا اجتماعية أخرى داخل النسق .

ويقترب هذا التحديد كثيرا من تفسير الدور من جهة نظر علم الاجتماع، انطلاقا من الربط بين المتغيرات الشخصية والجماعية، حيث يعرف على أنه وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية ومجموعة من ضروب النشاط، التي يعزو القائم بها والمجتمع معا قيمة معينة.

وهناك من يعرف الدور بالتركيز على الجانب الاجتماعي، هذا الأخير الذي يقتضي جملة من الأفعال المكتسبة يؤديها الفرد في مواقف التفاعل، حيث نجد في هذا الإطار تعريف مصطفى سويف، إذ يرى أن الدور: "هو سياق مؤلف من مجموعة من الأفعال المكتسبة يؤديه شخص في موقف تفاعل اجتماعي" [2] .

---

[1] - Benoît, Gauthier, Recherche Sociale: De La Problématique A La Collista Des Données, Sainte-Foy, Québec, Quebec, 1984, P68. Canada :Presses De L'université In

[2] - مصطفى سويف، " الدور"، في إبراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ب ط القاهرة:1975، ص267.

وتتفق جل الآراء على أن " الدور موقف وسلوك له توقعات تدور حول معايير الاجتماعية قائمة "[1] .

غير أنه وفي مجال دور المؤسسة التربوية ، فإنه لا يوجد تعريف محدد لهذا الدور، فالمؤسسة التربوية منوطة بعدة مهام، وموكل لها عدة أدوار، تهدف بالأساس إلى خلق للمواطن الواعي بحقوقه وواجباته، والمدرك للواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ... وهو ما تفق عليه جل الآراء التي تندرج تحت إطار الاتجاه الاجتماعي للتربية، حيث يؤكد هذا الاتجاه على أن الدور الحقيقي للمؤسسة التعليمية يتمثل في: "تنمية الفرد اجتماعيا، ويرتبط ذلك بعدة متغيرات أهمها تهذيب أخلاقه، وبناء اتجاهاته ومهاراته الاجتماعية، التي من شأنها أن تجعل منه عضوا نافعا، ومنتجا متعاونا في تحقيق الأهداف الاجتماعية المشتركة، محبا لوطنه، مضحيا في سبيله، مقدرا لتراث بلده، ومقدرا لمسؤولياته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه، مدركا لحقوقه وواجباته، سديدا في قراراته وأحكامه، حكيما في اختباراته، متكيفا مع مجتمعه، مكتسبا للكفاية المهنية وللمرونة اللازمة للتوافق مع المتغيرات في مجتمعه، كل هذا مع الاهتمام بالنمو الجسمي والعقلي والانفعالي للفرد [2].

التعريف الإجرائي للدور:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن "الدور" هو نمط من الفعل المتوقع، يقوم به الفرد أو مجموعة من الأفراد، أو وكيل اجتماعي المؤسسة التعليمية في إطار محيط اجتماعي.

ويرتكز على جملة من الحقوق والواجبات، ويتضمن سلسلة من الأفعال يعزو القائم بها والمجتمع قيمة معينة، ويقوم ذلك أساسا على أسلوب أو طريقة تمثل الأداء الواقعي للدور .

والمؤسسة التعليمية كمؤسسة اجتماعية تقوم على جملة من الأدوار، التي تشير إلى مجموعة من السلوكات التي يتوقع أن يقوم بها كل فاعل له علاقة بالمؤسسة التعليمية في ظل النظام التربوي لها، والتي تسعى إلى الحفاظ على البناء الاجتماعي، وذلك بتنمية الذات الاجتماعية التي ترتكز أساسا على قيم المواطنة.

---

[1]- محمد عبد الله عبد الرحيم، السلوك الإنساني في المنظمات، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ب ط القاهرة: 1994، ص 23.

[2]- نبيل السمالوطي، التنظيم المدرسي والتحديث التربوي ، دراسة في اجتماعيات التربية الاسلامية ، ط 1 ، المملكة العربية السعودية ، دار الشروق ، 1980 ، ص 161 .

وهو ما يتماشى مع موضوع دراستنا، والذي سيكون جزءا منه محور معالجة المؤسسات التربوية الثقافية عموما.

التربية: لغة بمعنى ربا يربو بمعنى زاد و نما

وهي أيضا بمعنى رَبيَ يربي على وزن خفى يخفى ومعناها نشأ و ترعرع[1]

تعريف التربية عند دور كايم "هو العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تنضج بعد من اجل الحياة الاجتماعية إن هدفها أن تثير لدى الطفل وتنمي عنده طائفة من الأحوال الجسدية والفكرية والخلقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي في جملته وتتطلبها البيئة الخاصة التي يعد لها بوجه خاص "[2]

المسجد: لغة بكسر الجيم اسم لمكان السجود

واصطلاحا: هو مكان عبادة الله تعالى، أي محطة اتصال الإنسان بالله، وقد حث الإسلام على تعمير الأرض بالمساجد، فالعبارة هي السياج الواقي والجدار الحامي للجيل من الانحراف[3].

مفهوم الزاوية:

لغة: هي مشتقة من فعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل"زوى" و"أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل والزاوية في الأصل ركن البناء ولعلها مأخوذة من الانزواء أي العكوف وتلقى العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية [4].

اصطلاحا: تطلق على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي، غير أن هذا المصطلح –الزاوية – ظل في بلاد المغرب أكثر شمولا من ذلك إذ أطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني[1].

---

[1] – عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر ط1، بيروت ، 1991 ، ص12

[2]– العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2014/2013 ، ص 12 .

[3]– سلطان بلغيث، دليل المربين في التعامل مع الناشئين، دار قرطبة، المحمدية ط1، الجزائر، ، 2007، ص121 .

[4]– عبد العزيز الشهيبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ب ط، وهران، 2007ص13

الأصالة: معناها كما ورد في معاجم اللغة العربية ففي لسان العرب تعود إلى أصل، وجمعه أصول، وهو أسفل كلى شيء يقال استأصلت الشجرة، أي نبت أصلها، والنخل بأرضنا لأصيل أي لا يزال ولا يفنى ورجل أصيل أي ثابت الرأي عاقل[2].

وبالمعنى الاصطلاحي: أي الرجوع إلى التراث والأعراف التي كانت في سلف الأمة وخاصة في تضامنها وعاداتها السلمية.

الفكر : يمكن أن نعرف الفكر بأنه : إمعان النظر والتأمل في الأشياء الحسية والمعنوية من أجل الوصول إلى حقيقتها .

أولا : الحسية : مثل أن نمعن النظر لمعرفة أسباب صدأ عنصر الحديد .

ثانيا : مثل أن نمعن النظر لمعرفة أسباب سقوط الدول والإمبراطوريات . ويغلب أن يطلق على عملية إمعان النظر إسم (التفكر) ، وعلى نتاج هذه العملية اسم (الفكر) .[3]

الفكر الإسلامي : هو واحد من المصطلحات الحديثة ، التي لم ترد في كتب السابقين كمصطلح يدل على محدد ، و قد شاع هذا الاصطلاح للدلالة على " كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه و تعالى و العالم و الإنسان ، و الذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة شريعة و سلوكاً.[4]

الفكر التربوي الإسلامي : جملة من المفاهيم و الآراء و التصورات و المبادئ التربوية المستمدة من الكتاب و السنة و الاجتهاد الموافقة لروح الإسلام من خلال إعمال العقل.[5]

---

[1]- نفس المرجع، ص 14 .

[2]– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، ج 11 ، دار صادر لطباعة ب ط بيروت، ، 1956، ص 16

[3]- بسام جرار ، الفكر الإسلامي ، ، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية ، ط 2 البيرة ، فلسطين ، 2006 ، ص 15.

4– محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الإسلامي ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ،بيروت ، لبنان ، 2006 ص .45

[5]- أبو دف محمود خليل ، " معالم الفكر التربوي عند السيد قطب من خلال تفسيره في ضلال القرآن " مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ، مجلة محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، يونيو ، 2003 ، ص 11

الفكر الإسلامي الحديث : هو فكر اعتنى بإشكالية النهوض و التقدم و التنمية في العالم العربي الإسلامي ، وأظهر تقدما في مجال الأفكار و في الرؤى التي عبر عنها في ميادين الاجتماع و السياسة و القانون و الدستور ، و ارتبط بواقع المجتمع و الدولة بصورة وثيقة.[1]

الفكر الإسلامي المعاصر : هو الفكر الذي تمحورت إشكاليته الأساسية حول الهوية و مقتضياتها و أساليب و وسائل حفظها ، وأحاطت به ظروف من الانكماش الانغلاق ، و كان ارتباطه بالواقع هامشيا و يفتقد للقدرة الحقيقية للتأثير عليه . تعامل مع بعض القضايا و الأفكار بصورة جدلية و سجالية.[2]

الفكر التربوي : هو النتاج الرمزي للمعالجة العقلية الذي يقوم بها الفرد عند تحليل قضية نظرية أو ممارسة حقلية أو مشروع إصلاحي أو تقنية تربوية أو طريقة تدريس أو نظام تنفيذي.[3]

و هو : ما أبدعته العقول البشرية من فلاسفة ومفكرين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعلم الإنساني وتنمية الشخصية وشحذ قدراتها ويتضمن النظريات والمفاهيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان .

التربية عند مالك بن نبي (Malik ben Nabi) : التربية عند مالك بن نبي هي " عملية تثقيف متواصلة " ، و تتمثل هذه العملية في : في ذلك المحتوى النفسي الذي يتأسس على تركيب عناصر الثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد . (إنسان ما قبل وما بعد الموحدين).

و تأخذ التربية من خلال تعريفها بعدين أساسيين هما :

أولا : التربية عملية تثقيف : يعطيها معنى (المنهج) الذي تتشكل من خلاله وحدة الثقافة التي تعكس حضارة المجتمع .

---

[1]-- زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي تطوراته و مساراته المعاصرة ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ،، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 22

[2] – زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي تطوراته و مساراته المعاصرة ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ، ، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 22.25.

[3] نخلة وهبة ، رعب السؤال ، أزمة الفكر التربوي " أنا أسأل..إذا .. أنا أفكر ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص119.

ثانيا : التربية عملية متواصلة : و هذا يبعد بها أن تكون ظرفية متعلقة بمرحلة من مراحل الحياة أو حقبة تاريخية معينة ، بل هي عملية ديناميكية (غير استاتيكية) متطورة مع تطور المجتمع آخذة في الاعتبار كل ما ينتج عن هذا التطور من تغير و تحول على كافة و الأصعدة.[1]

تعريف الحضارة لغويا : و في الجانب اللغوي يقول " المعجم الوسيط" (الحضارة) بكسر الحاء و فتحها . تعني الإقامة في الحضر ، و أن مظاهر الرقي العلمي و الفني والأدبي والاجتماعي في الحضر.[2]

و في القاموس المحيط (الحضارة) ضد فعل (غاب)، و الحاضرة و الحضارة (و يفتح) خلاف البادية.[3]

تعريف إبن خلدون : هي" غاية العمران و نهاية لعمره " و يضيف فالحضارة لا تزيد على : " ... التفنن في الترف ، و استجادة أحواله ، و الكلف بالصنائع ، التي تؤنق من أصنافه و سائر فنونه.[4]

تعريف كلايد كلاكهون: (CLYDE CLAKHON) أن الحضارة تعني النتاج التاريخي لتنظيم المعيشة ، وذلك من خلال مشاركة الجماعة .[5]

تعريف مالك بن نبي : وتعني في مفهومه جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع مايوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه .[6]

هذا التعريق طور مفهوم الحضارة بإبراز :

أولا : صفة التداخل : و هو التداخل بين جوانبها المادية والمعنوية في صورة تكاملية لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض .

---

[1]-. محمد بغداد باي ، التربية و الحضارة - بحث في مفهوم التربية و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي . عالم الأفكار، ط 1 الجزائر ، 2006 ، ص ص .215،217 .

[2] – المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص .180

[3]- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ج 2، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة .بيروت ط1.لبنان 1986.، ص .10 .

[4]-ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، الدار التونسية للنشر، (ب ط) تونس 1984، ص448.

[5]-وجدي محمد فريد،دائرة معرف القرن العشرين ، بيروت دار المعارف ، ط3، المجلد الثامن ، لبنان ،ص 440.

[6]-مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،2000، ص50.

ثانيا : كظاهرة اجتماعية : أن الحضارة لا تعنى تقدم و تطور طبقة أو فصيلة اجتماعية معينة كأن تكون الطبقة ثرية أو الطبقة المثقفة أو المتعلمة ، و إنما الحضارة هي ظاهرة اجتماعية شاملة ومستوعبة لكافة الطبقات و الشرائح ينتعش فيها كل فرد و يحيا حياة سعيدة في عدل و أمن و رفاه .[1]

معجم ويبستر (Webster Dictionary) و قد ورد في معجم " ويبستر " الجديد الثالث أن " الثقافة " تتمثل فيما يأتي :

أولا : فن الزراعة أو عملية الزراعة .

ثانيا : عملية التنمية الناتجة عن التعليم و النظام و الخبرة الاجتماعية .

ثالثا : استنارة التذوق و الامتياز اللازمان للممارسة الفكرية و الجمالية المتمثلة في : المضمون الفكري و الفني للمدنية.

تنقية السلوك و التذوق الفكري .

التعرف على الفنون الجميلة و الإنسانيات و المجالات الفسيحة للعلم و تذوقها باعتبارها نوعا من المهارة أو المعرفة الإدارية أو التقنية أو المهنية .

الإطار الجمالي لسلوك البشري و منتجاته المتمثلة في الفكر و الكلام و العمل المعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ، و نقل المعرفة إلى الأجيال المتتالية من خلال استعمال الأدوات و اللغو و نظم التفكير المجردة[2].

تعريف معجم المجمع الفرنسي (Dictionaire du composé français) و قد عرفها و ناقش مفهومها في جلسة خاصة بالمعجم بتاريخ : 29 جوان 1972 بأنها : " تطلق بالمعنى المجرد العام في مقابل كلمة (طبيعة) . فهي العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغية تحرير عطاءاتها و إغنائها و تنميتها.[3]

---

[1]- زكي الميلاد ، مالك بني نبي ومشكلات الحضارة ،ص 74.

[2]- علوي طه الصافي ، تعريف الثقافة ومفهومها، مجلة الفيصل ، العدد143 ،ديسمبر 1988،يناير 1989، ص 8.7.

[3]-جون فريمون ، تلاقي الثقافات و العلاقات الدولية ، بيروت : مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 29 ، 1983 ، ص 85.

الثقافة عند مالك بن نبي : هي مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ، و لتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته " [1].

هذا التعريف طور مفهوم الثقافة بإبراز وظيفتها وفاعليتها وربطها بالتاريخ و التربية :

أولا : معنى الثقافة في التاريخ :

لا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة ، "فالشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتما تاريخه.

فالثقافة تلك الكتلة نفسها ، بما تتضمنه من عادات متجانسة و عبقريات متقاربة و تقاليد متكاملة هي و أذواق متناسبة ، و عواطف متشابهة . و بعبارة أخرى جامعة : هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة " .[2]

ثانيا : معنى الثقافة في التربية :

قبل أن نحدد المعنى التربوي للثقافة ، كان لزاما علينا أن نحدد هدفها وما يتطلبه من وسائل تطبيق .

أو هي الجزء الذي خلقه الإنسان في محيطه ، و هي التي تحدد الأساليب الحياتية ، أو طريقة في التفكير و الشعور و المعتقدات ، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونه في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد و الأدوات

مفهوم التنمية :

التعريف اللغوي :

تعرف التنمية على أنها "النّماء الزيادة نَمى يَنمي نَمْيًا ونَمَاءً زاد وكثر"[3] .

التعريف الاصطلاحي :

تطور مفهوم التنمية ليرتبط بالعديد من الحقول المعرفية ، فأصبح هناك التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان ، وكذلك التنمية الاجتماعية التي

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة ، ترجمة كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ط 4 ، ، سوريا ، 2000 ، 42.

[2]- مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص85.

[3]- ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي لبنان ب ت ن ، ج13،ص65

تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع : الفرد ، الجماعة ، المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، المنظمة الأهلية .

بالإضافة إلى ذلك استحدث مفهوم التنمية البشرية الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته وتحسين أوضاعه في المجتمع .

التعريف الإجرائي للتنمية :

يقصد بالتنمية في هذه الدراسة : عملية ترسيخ وغرس وإكساب قيم تربوية وثقافية للتلميذ ، تؤدي إلى تغيير الواقع الاجتماعي ، والارتقاء به في طريق التقدم ، ومن ثم يكون تغييرا حضاريا أي تمنية حضارية ، وتجديدا لمقومات الحياة ، بما تقوم عليه من قيم وعلاقات ومهارات وأساليب ويكون التغيير في كل جوانب الحياة .

مفهوم القيم :

باعتبار المواطنة تدخل في إطار النسق القيمي للمجتمع ، وهي جملة من القيم المعيارية ،فكان من الضروري تعريف القيم .

ونظرا لتداول مفهوم القيم في مجموعة من العلوم ، في علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفلسفة ،وعلم التربية ، فقد تعددت الاتجاهات في تحديد مدلوله.

وما يهمنا في هذه الدراسة هو استعمال مفهوم القيم في علم الاجتماع ، لإنه يظهر في سلوكيات الأفراد من خلال علاقات وانماط التفاعل داخل المجتمع

ولكثرة التعريفات سنقتصر على الآتي :

1- عبارة عن مقياس أو معيار يمكن من الاختيار بين البدائل أو الغايات المتصلة بالوجود وبين ضروب السلوك المختلفة الموصلة إلى الغاية ، وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء، وتستند إلى مراجع تجريدية أو مبادئ" [1] .

2- تعرف القيمة في علم الاجتماع بأنها :" مستوى او معيار للانتقاء من بين البدائل أو ممكنات متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي "[1].

[1]- عبد المجيد بن مسعود ، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر ، كتاب الأمة ، الصادر عن مركز البحوث والدراسات بوزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر ،السنة 18، العدد67 ،1998،ص38.

أما قيم التربية الإسلامية فتعتمد على مصادر الشريعة الإسلامية ، وما تتضمنها من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي تشكل الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع ، فقيم التربية الإسلامية صفات إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع "[2].

وهي أيضا " أحد المحددات للسلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب، والدين الإسلامي هو المصدر الأساس للقيم والأفكار المختلفة التي تحكم التربية الإسلامية التي تضبط سلوك الأفراد"[3] .

وهذين التعريفين لهما ارتباط بمفهوم القيم عموما ، إلا أن تعريفات قيم التربية الإسلامية تؤكد على الإطار المرجعي للقيم ، كونها تنبثق من مصادر الشريعة الإسلامية .

التعريف الإجرائي للقيم :

يقصد بالقيم في هده الدراسة : مجموعة الاعتقادات والاتجاهات المرغوبة في تلميذ المؤسسة التربوية الثقافية التي يتضمنها تراث سعد الله عموما ، والتي توجه شخصية التلميذ ليكون محققا لسلوكيات الانتماء لوطنه ، وعضوا نافعا لمجتمعه ، ومخلص لدينه ولغته .

مفهوم تعليم الدين الإسلامي في المؤسسة التعليمية:

يعرف تعليم الدين الإسلامي في المناهج الدراسية بأنه: مصطلح ... يسمى في تونس مثلا بمادة التفكير الإسلامي، وفي المغرب والجزائر يسمى بالتربية الإسلامية... وفي لبنان تسمى بالتربية الدينية وفي مصر بالتربية الدينية الإسلامية [4].

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة ، ارتقاء القيم ،: المركز الوطني لتعليم الفنون الأدبية الكويت 1992.ص102

[2]- عصام مصطفى شريفي ،" تقويم قواعد تنظيم السلوك والمواظبة في ضوء قيم التربية الإسلامية "رسالة ماجستير -غير منشورة – قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2007،ص25.

[3]- محمد جمال خياط ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية ،ب ط السعودية 2004،ص34.

[4]- خالد الصمدي، "إصلاح التعليم الديني"، محاضرة ألقيت في المركز اللبناني للأبحاث والدراسات حضارية، 25 من مارس 2006.

ومصطلح التعليم الديني الإسلامي أعم وأشمل من تعليم الدين الإسلامي في المناهج الدراسية لأن الأول مرتبط بالكتاتيب والمدارس القرآنية والمعاهد والجامعات الشرعية، أما الثاني فمقتصر على المدارس العامة النظامية.

التعريف الإجرائي:

يقصد به في هذه الدراسة، تعليم الدين الإسلامي من خلال ما هو مقرر في المساجد والزاويا والجامعات الإسلامية.

الحضارة :Civilisation

يجمع الكثير من الباحثين في مصطلح في علم الاجتماع و الحضارة و التاريخ وغيرها من العلوم ، ان هناك مجموعة من المفاهيم الاكثر حضور و تردد و تردد اثناء معالجة لفظ الحضارة. من بينها المدنية و الثقافة و التي تستعمل بوعي و بغير وعي بمعاني متناقضة او بمعنى وأحد دون تمييز ودون مراعاة لمنطق اللغة و الاستشقاق ، بالإضافة الى ان ذالك المنحنى اللا موضوعي ترفضه الكيانات الحضارية المختلفة لان كل حضارة في حقيقتها تنطوي على قد هائل من عناصر تاريخية و عقدية و اجتماعية بشكل يثير فينا تناول كل حضارة ككيان خاص حيث يكون لها رموزها الخاصة التي تعبر عن نوازعها و طاقاتها وهذه النفس [1]و هذه الرموز هي التي تسيطر و توجه نتاج الحضارة من ادب و فن وفلسفة ومذاهب

تعريف الحضارة :

الحضارة لغة . بفتح الحاء وكسرها .تعني الاقامة في الحضر ، وان مظاهر الرقي العلمي و الفني والأدبي و الاجتماعي في الحضر .[1]

" الحضارة و الحضرة و الحضر هي المدن و القرى و الريف ، سميت بذلك لان اهلها حضروا الامصار و مساكن الديار التي يكون لهم بهاء قرار"[2]

---

[1] المعجم الوسيط... مجمع اللغة العربية ،ص180.عن :محمد عارف ، الثقافة . الحضارة المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، المكتبة الوطنية ط 3، 1993 ص 33.

2 . تاج العروس م3 ،ص 136، محمد عارف . الثقافة . الحضارة.المدنية دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي .الكتبة الوطنية ،ط3،1993، ص33.

3. لمجد الدين الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،ج2 ،مرجع سابق ، ص10.

4.محمد عارف الثقافة .الحضارة.المدنيةدراسة لسيرة المصلح و دلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، المكتبة الوطنية ، ط1993،3،ص33

و الحضارة ضد فعل غاب والحاضرة و الحضارة ويفتح "خلاف البداية.[3]

ويعود اصل كلمة الاوروبية "civilisation" الى الجذر اللاتيني "civites" بمعنى مدينة ، و"civis" بمعنى ساكن المدينة ، او"civilis" بمعنى مدني او ساكن المدينة او "citizen" وهو ما يعرف بالمواطن الروماني المتعالي على البربري . ولم يشتق منها إلا في القرن الثامن عشر مصطلح"civilization" وقد ثبته انه كان للكلمة في البداية ولمدة تقرب من الخمسين سنة بعد ذلك مختلف عن المعاني التي ساعد شبنلجرو ارنلود توينبي وآخرون على منحها لها .

ويستعمل في بعض الاحيان مصطلح "culture"كمرادف لمصطلح الحضارة ، وقد اخذ هذا المصطلح في تشعبات كبيرة على مستوى الاصطلاح و الاشتشقاق اللغوي ، فعلى المستوى اللغوي تعني حرث الارض و زراعتها .وبقيت هذه اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصرين اليوناني و الروماني ، حيث استخدمها "شيشرون" للدلالات نفسها ، وقد اطلق على الفلسفة"mentis culture "اي زراعة العقل و تنميته.

وبقى المصطلح نفسه الى القرون الوسطى ، حيث اطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية cultes وفي عصر النهضة اقتصر مصطلح "culture"على مدلوله الفني و الادبي .

و استمرت الكلمة محافظة على جذرها اللغوي و الدلالات المشتقة منه الى ان جاء (ادوارد تايلور) و وضع تعريفا لهذا المفهوم يعد حتى اليوم من اوفى التعريفات و اشملها بحيث لا يزال يستخدم في معظم الكتابات الأنثروبولوجية و الذي يعرفها بأنها: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة و العقائد و الفن و الاخلاق و القانون و العرف و كل القدرات و العادات الأخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع".[1]

وبعض العلماء يميزون بين لفظا حضارة و مدينة ، فيجعل لفظ الحضارة بالتكوين الثقافي و المعنوي لمجتمع ما ، ولفظ مدينة يعد الجانب المادي في الحضارة.

وقبل الخروج من هذه النقطة هناك ملاحظة يجب تسجيلها وهي ان هناك اضطرابا واضحا في الفكر العربي عند تعامله مع مفهومي "culture"و"civilization"حيث قدم للمفهومين

[1] ريمون بودون وبورويكو ، فرانسوا،المعجم النقدي في علم الاجتماع . ترجمة :سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية ط1،الجزائر ، ، 1986 ص144.

الاوروبيين ثلاثة الفاظ عربية هي الثقافة و الحضارة و المدنية ، فمن ترجم "culture"الى ثقافة فقد ترجم "civilization" الى مدنية و في كل حالة يختلف المفهوم العربي عن الأخر ، ففي الحالة الاولى تكون الثقافة هي الجانب الفكري لحياة الانسان ،وقبل الخروج من هذه النقطة هناك ملاحظة يجب ستجيلها وهي ان هناك اضطرابا واضحا في الفكر العربي عند تعامله مع مفهومي "culture"و"civilization"حيث قدم للمفهومين الاوروبيين ثلاثة الفاظ عربية هي الثقافة و الحضارة و المدنية ، فمن ترجم "culture"الى ثقافة فقد ترجم "civilization" الى مدنية و في كل حالة يختلف المفهوم العربي عن الأخر ، ففي الحالة الاولى تكون الثقافة هي الجانب الفكري لحياة الانسان ،و تكون الحضارة الجانب المادي لها.

و في الحالة الثانية تكون الحضارة هي الجانب ألفكري و تكون المدنية هي الجانب المادي لها..و اصطلاحا : لم يكن لفظ "حضارة" موجودا في التراث الفكري و الادبي عند العرب قديما بنفس الاصطلاح، ونستثني من ذلك " عبد الرحمان بن خلدون "لأنه الأول من عبر عن المعنى في مقدمته بالرغم انه كان يستعمل مصطلح " العمران البشري "كمرادف لمعنى حضارة وسوف نعرض المفهوم في الفكر الغربي و العربي على حد السوء.

1.2 الحضارة في الاصطلاح الغربي :

قد اطلق الكثير من الباحثين كلمة "حضارة" على كل يتعلق بالتقدم و الرقي الانساني في المجالات الحياة المختلفة كاللغة والأدب و الفنون الجميلة و الصناعة و التجارة، وغير ذلك من مظاهر النشاط الانساني الذي يؤدي الى التقدم و الرقي وييسر السبيل الى حياة انسانية كريمة .و الحضارة بذلك وضع مثالي و حقيقي في أن واحد ،انها مجموعة مجموعة الخطط و النظم القمينة بإشاعة النظام و السلام و السعادة و بتطوير البشرية الفكري و الادبي.

في الانثروبولوجية :

الحضارة عند تايلور (Edward Taylor) و عرف الانثروبولوجي و السوسيولوجي الانجليزي ادوارد الحضارة بأنها " درجة من التقدم الثقافي تكون فيها الفنون و العلوم و الحياة السياسية في درجة متقدمة " اي ان التحضر ، في نظر هذا العالم ، مرتبط بهذا التاريخ الثقافي . اذا يتحقق

خصوصا عندما يبلغ تطورا اشكال المعرفة و الثقافة مستوى راقيا من التقدم و التبلور و النضج.

الحضارة عند كلايدكلاكهون و كيلي Clyde Clakhon,et Kell : يريا ان الحضارة هي :"مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين ، اي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها ،او هي الجزء الذي خلقه الانسان في محيطه وهي التي تحدد الاساليب الحياتية ، [1] او هي طريقة في التفكير و الشعور والمعتقدات ،انها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة افرادها او في الكتب او في المواد و الادوات.

في فلسفة التاريخ والحضارة :

الحضارة عند هيجل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel) يرى ان كل عصر او فترة اساسية في تاريخ الحضارة الاجتماعية يمثل وحدة مستقلة ،و ام ملامحه السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية العامة والجمالية و العقلية و الدينية كلها جوانب او نواح للمجموع الحي ،ومنها جميعا يتكون كيان متجانس.وان كل فترة اساسية تنمي فكرتها الرئيسية الى الحد الاقصى ثم تولد اضدادها او نقائضها . ويستمر الصراع دائما فتتحد المبادئ المتناقضة في وحدة عليا هي (الموحد)، وهذا الموحد يندفع مرة ثانية الى الحد الاقصى وينشب صراع جديد فيتولد حينئذ مرة اخرى موحد تقويما هو فعال من كل الفرضية ونقيضها . وبهذا الاسلوب الثلاثي تتقدم الفكرة حتى نصل اخر الامر الى (المطلق)الذي نستطيع ان نبقى نتأمله الى الابد دون ان تتبين فيه اي تناقض . ويرى ان الدولة هي الوجهة الاساسية في دراسة التاريخ ،انها الحرية في صورتها الواقعية ،انها تمثل تموضع الروح او الفكرة الالهية متجسدة على الارض ،ان كل نشاط بشري وكل عمل فكري انما لا يتحقق من خلال الدولة وأنظمتها ،ومن ثم فهي الصورة النهائية التي عندها تشكل موضوع التاريخ .

ويعتقد هيجل ان فكرة الحرية هي المفتاح الحقيقي للتأريخ لان الحرية هي جوهر العقل ،والعقل هو الذي يحكم العالم ، ومسيرة التاريخ في فلسفته لون من التقدم الجدلي الذي يتم فيه الهدم

[1] نصر محمد عارف –الحضارة ،الثقافة ،المدنية ، - المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ب ط ،فرجينيا -1995م-ص21

والبناء الجديد من اجل تحقيق التغيير نحو الافضل ، وعبقرية الامة او روح الامة هي الخالق الحقيقي للحضارات . والتاريخ في فلسفة هيجل هو المسرح الذي تظهر عليه الامم المختلفة للتعبير عن الروح الكلية ، ولكن الابطال والعباقرة وحدهم هم القادرون على ادراك جوهر هذه الروح .[1] ".

الحضارة عند كارل ماكس Karl Marx : يعرف ماركس بفلسفته المادية ،ولكن كثيرا من نظرياته لها اهمية سوسيولجية كبيرة ، وقد اثرت نظرياته . ولا زالت تؤثر . في التفكير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حتى اليوم ،كان يرى اذا كان دور الفلاسفة حتى الان هو تفسير التاريخ ، اما الماركسية فتريد ان تغير العالم .[2]

لقد كرس "ماركس" جهده على دراسة عميقة للاقتصاد وقوانينه من اجله صياغة نظرية متكاملة في تفسير التاريخ وفي الاشتراكية العلمية ، كما اعتبر ماركس ان انتقاد الدين لا يكفي لوضع نهاية للغيبيات ، لان الدين ليس سببا ، ولكن نتيجة غربة الانسان عن ذاته وانه لابد من اقتلاع تلك الاسباب التي قيدت الانسان على هذا النحو ، لقد تجاوز ماركس مجرد ان الدين من صنع الانسان الى بيان كيف ان الدين من نتاج العوامل الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والأنظمة السياسية .

وقد تلخصت نظرية البناء الاجتماعي عند كارل ماركس في ان هناك نوعين من البناء الاجتماعي : البنية التحية و تتكون من العوامل الاقتصادية و المادية ، ثم البنية الفوقية وتشمل الافكار و المبادئ ، وان اي تغير في الاسفل يتبعه تغير في البناء الاعلى ولكنه يضيف الى ذ لك فكرة هامة وهي أن تفاعلا او تأثيرا متبادلا بين كل الاساسين أو البنائين العلوي و السفلي . اذن هناك تفاعل و تساند متبادل بين كل العوامل الفكرية و الاقتصادية المادية في المجتمع . كل ما غي الامر انه حذر فقط من الاستغراق في العوامل الفكرية ، اي دراستها في ذاتها ، و تلك فكرة من الافكار الاساسية التي استند عليها بعض علماء الاجتماع الالمان ، و خاصة فيما يتعلق بعلم اجتماع المعرفة.

[1] عبد الجليل الطاهر مسيرة المجتمع .بحث في نظرية التقدم الاجتماعي .بيروت ط1 لبنان،1966.ص 153
[2] مالك ابن نبي ، من اجل التغيير ،مرجع سابق ،ص11.

الحضارة عند البرت شفيتزر Albert Schweitzer : يؤكد المعنى الاخلاقي للحضارة بقوله : "ان جوهر الحضارة يكمن اساسا في سيادة العقل على نوازع الانسان ، بمعنى احراز التقدم الاخلاقي والروحي " ويضيف : " فالتقدم الاخلاقي اذن هو جوهر الحضارة حقا ،وليس له غير معنى واحد ن اما تقدم المادي فهو اقل جوهرية ،ويمكن ان يكون له اثر طيب او سيء في تطور الحضارة ، والحضارة التامة اذا حددناها من الخارج ، وعلى نحو تجريبي فإنها عبارة عن تحقيق كل تقدم ممكن في الكشف والاختراع ، وفي تنظيمات المجتمع الانساني ،وعن كفالة ان تعمل كلها من اجل التكميل الروحي للأفراد الذي هو الهدف النهائي الحقيقي للحضارة . وتوقير الحياة في موقف يسمح له بإكمال هذا التصور للحضارة وتشييد اسسه على الصميم وجودنا " . [1]

الحضارة عند ارنولد توينبي (Arnold Toynbe) : هو المؤرخ الانجليزي الذي استطاع ان يحقق اشمل صورة تقريبية للتاريخ البشري ، ويرى توينبي في السمة الدنية اهم صفة يمكن ان توصف بها الحضارة ،لذلك نجده يسمى الحضارة باسم الدين الذي نشأت في ظلاله او بالأحرى كانت احدى ثمراته ، وقد اعتبر ان حركة التاريخ تسير على ايقاع التحدي و الاستجابة. وما هذه التحديات الا ظروف طبيعية قاسية او ضغوط بشرية خارجية ،وعلى احدى هذه التحديات توجد استجابة ناجحة تقوم بها الاقلية المبدعة بوصفها الفئة القادرة على عملية الخلق و الابداع و صنع الحضارات . كما اعتقد توينبي ان الحضارة هي الوحدة الحقيقة لدراسة التاريخ ، و يعتبر هذا المبدأ بمثابة حجر الاساس في منهجه التاريخي ،ويعني هذا المبدأ ان الحضارة بأسرها ،هي الوحدة الاساسية للدراسة التاريخية ، ولذلك انتقد توينبي المؤرخين الذين اتخذوا من الامم او الدول القومية مجالا لدراساتهم التاريخية.

[1] البرت شفيتزر، فلسفة الحضارة . ترجمة عبد الرحمان بدوي مطبعة مصر القاهرة ب ط مصر ب ت ص 404

وقد رأى "توينبي " ان مفهوم الحضارة بمعناها الخاص ، مقتصر على وجهة نظر الانسان عن الحياة ، اما بوجه عام ، فالحضارة هي مجموعة الافكار والرؤى و القيم السائدة التي توجه الانسان ، و التي تترك بصماتها و تلقي بظلاله على المنظومة الذهنية و اساليب و طرق التفكير لدى الانسان ، وعلى الدولة و المجتمع ، وهي سمة المجتمع بما يحتويه من افكار ومبادئ و عادات وتراثيات و طبيعة الحياة من الجهة النظرية و الفكرية و العملية الخ ، فالحضارة هي ما يحتويه الانسان من الثقافة ، ويتحدث توينبي عن معنى الحضارة بشكل ادق (انني اعني بالحضارة اصغر وحدة في الدراسة التاريخية يصل المرء اليها عندما يحاول ان يفهم تاريخ وطنه). [1]

الحضارة عند علماء العرب و المسلمين :

اعتنى المفكرون العرب و المسلمون كثيرا بالحضارة كمفهوم و بعد واقع اجتماعي منذ عصور طويلة ، وذلك لارتباطهم الوثيق بها ، و ما حققتها من انجازات معنوية ومادية امتدت في ظروف وجيزة الى مختلف الاصقاع و الامصار ، و سوف نذكر هنا نموذجين كانت اسهاماتها كبيرة ، و هما عبد الرحمان بن خلدون ،و الغزالي .

الحضارة عند عبد الرحمان بن خلدون : يعتبر عبد الرحمان بن خلدون من رواد الفكر الاجتماعي ، وقد استفاد مما قراه عن تاريخ العالم و ما تعلق منه بالتاريخ الاسلامي بصفة خاصة لان هذه الدراسات التاريخية قد اتجهت به الى نتيجة معينة تتمثل في ان ما يحدث في

[1] توينبي ،ارنولد ،الحضارة في الميزان ، ترجمة : امين محمود الشريف ، دار احياء الكتب العربية ، ب ط القاهرة ،1948م ،ص197

العالم ظواهر اجتماعية انما تسير وفق قوانين ثابتة لا تقل عن القوانين التي تخضع لها الظواهر الاخرى.

يعتبر ابن خلدون نقلة نوعية في فلسفة تاريخ ، فانتقلت فكرة التطور التاريخي من التفسير البطولي الى التفسير الحضاري . و قد استخدم في نظريته هذا مصطلح الدولة ،و هو ما راه بن نبي اطار ضيقا كان يمكن التعمق فيه و توسيعه ليشمل ظاهرة الحضارة كلها ، مؤكد ان ابن خلدون قد تمكن " من اكتشاف منطق التاريخ في مجرى احداثه ، فكان بهذا المؤرخ الاول الذي قام بالبحث عن هذا المنطق ، اذ لم نقل انه قد قام بصياغته فعلا ... لولا ان مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتجات الحضارة و نعني به الدولة ، و ليس عند الحضارة نفسها . وهكذا لم نجد عند ابن خلدون غير نظرية عن تطور الدولة .[1]

ويتأسس قضية التفسير التاريخي عند ابن خلدون على قوام ان التطور هو سنة الحياة الاجتماعية للإنسان ،"ذلك ان احوال العالم و الامم و عوائدهم و نحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة و منهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام و الازمنة ، و انتقال من حال الى حال، و كما يكون ذلك في الاشخاص و الاوقات و الامصار ، فكذلك يقع في الافاق و الاقطار و الازمنة و الدول ".[1]

واهم ما يوجه التطور الاجتماعي و العمراني عند ابن خلدون هو نظريته في العصبية، فهي بمثابة المحور الذي يدور حوله معظم المباحث الاجتماعية و التاريخية عنده ، وهو يتخذ من هذه الرابطة موضوعا لدراسة شاملة و عميقة ، فيتكلم عن مصادر العصبية ، ويردها الى

[1] مالك ابن نبي .شروط النهضة ، مرجع سابق ص66.

الطبيعة ،"لان صلة الرحم الطبيعي في البشر الا في الاقل نومن صفتها النعرة على ذوي القربى و اهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة".[2]

ويرى ابن خلدون ان الدولة لها أعمار طبيعية كما الاشخاص ، وعمر كما شخص كما زعم العلماء و المنجمون اربعون سنة ، و الدول في الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال ، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط . فيكون اربعين الذي هو انتهاء النمو و النشوء الى غايته .

الحضارة عند ابو حامد الغزالي : يعد الغزالي واحد من اهم العلماء المسلمين الذين تعرضوا لأصول المجتمع الانساني و تطوره ولم تكن غايته وضع نظرية اجتماعية عن وضع المجتمع و تطوره ، و ان كان هدفه اثبات ان وجود المجتمع و الحياة الاجتماعية و ان كان يمثل ضرورة اجتماعية من حيث تعقد الحياة الاجتماعية نتيجة تطور المجتمعات يؤدي الى صرف الناس بشكل كلي او جزئي عن طلب الحقيقة و عن سعيه وراء معرفة الله .

ويفسر الغزالي نشأة المجتمع الانساني من حيث ضرورة وجود هذا المجتمع تدل عن سدها من الناحية الاخرى ، وخلق الله سبحانه و تعالى في كل انسان رغبة طبيعية في المجتمع من اجل حتمية الوجود الاجتماعي ، وبقول اخر ان الله تعالى فرض حتمية المجتمع في خلقه للطبيعة البشرية .[1]

و تصور الغزالي لطبيعة المجتمع هو جزء هام من تصوره العام عن نظام الكون و يعرض لهذا التصور في كتابه (احياء علوم الدين) حيث يرى ان المجتمع الانساني وحدة متكاملة اذا نظرنا

[1] نبيل السمالوطي ، منهج الاسلامي في دراسة المجتمع .مرجع سابق ص66

اليه ككل ، و المبدأ الاول الذي يجب تفسير و فهم المجتمع الانسان من خلال انه من خلق الله و تصميمه ، وليس في شيء من خلق الانسان ، ويحكم الله المجتمع الانساني عن طريق جنوده الذين هم البشر و اذا كان فهم الفرد لنفسه يحكم درجة حريته في العمل ،فان الفهم الانساني في المجتمع الانساني ايضا هو احد العوامل التي تتحكم في درجة حريته في التطور. و على عالم الاجتماع المسلم الوقوف على حكمة الله سبحانه و تعالى في حياة الجنس البشري ، و معرفة اسلوب في حكم المجتمع الانساني ، و على الباحث معرفة دور العقل الانساني ، وما ينتج عنه من مفاهيم و مبادئ تحكم السلوك البشري ، كما تحكم المؤسسات و النظم البشرية.[1]

في الفكر الاسلامي الحديث :

تتأسس الحضارة على مقومات الروح و العقل معا ولا يمكن لأي مجتمع عن واحدة من ركائزه ، و كل هذا هو مال الحضارة العربية الاسلامية التي تخلت عن روحها و عنت دفعتها القرآنية التي كانت حجر الزاوية و الركن الركين بالنسبة للإنسان الذي ينشد الحضارة و يضعها ضمن اهتماماته ، و قد ظهر الوهن و الضعف في العصر الحديث ، حيث عاش الانسان المسلم تخلفه الحضاري بعد ان تراكمت على اعطافه ثقل التخلف الموروث منذ الانهيارات السياسية و الاخلاقية والاقتصادية ، ولذلك لضعف للتشققات التي حدثت على جدار الروح و الانكسارات النفس .

[1] نبيل السمالوطي ، المرجع السابق ص ص 72.73

1.4.1 : الحضارة جمال الدين الافغاني : هو باعث النهضة في امة متعددة المذاهب و القوميات و اللغات ، و وصف بـ(موقظ الشرق او حكيم الشرق)، و وصفه مالك بن نبي بـ (ضمير العالم الاسلامي) ، ولقد شاءت الاقدار " ان تجعل من هذا الرجل في التاريخ الشاهد الصادق و الحكم الصارم على مجتمع انتهى امره في هدوء الى الانحلال ، بينما اخذ الاستعمار يستقر على أرضه .[1]

وقد عاصر اتجاهين اثنين ظهرا في ذلك الوقت ،فالأول كان ملحا على عدم اهمية هذا الجانب من الحضارة ، اون المهم هو ان تركز الامة اهتمامها على ما لديها من التراث الروحي و المعنوي و الديني ، و ان تصون كل ذلك من الخطر الداهم الذي تمثله الثقافة الغربية الحديثة. بينما الاتجاه الثاني بالقطيعة المعرفية ذاتها في الدعوة الى نبذ التراث كله ، بما في ذلك الدين نفسه ، او تفريغه من الجوهر الايماني ، كشرط اولي للتخلص من حالة التخلف في المجالات المختلفة.

فاختط جمال الدين الافغاني طريقا وسيطا بين الاتجاهين حيث دعما الامة الى الانتباه لواقعها المختلف ، و ان تأخذ بأسباب التطور في مجال التقنية و الطب و الزراعة ، فقد كان يدعوا الى نهوض الامة من خلال رجوعها الى دينها و تمسكها به ، ومن اقواله في الك :" انا معشر المسلمين ، اذا لم يؤسس نهوضا وتمدننا على قواعد ديننا و قرأننا فلا خير لنا فيه ، و لا يمكن التخلص من و صمة انحطاطنا و تأخرنا الا عن هذا الطريق".[2]

[1] مالك بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي ، مرجع سابق ، ص 49

[2] محمد عارف ، المشروع الحضارة ، دار السالم ط 1 ، مصر ، 2008 . ص 22 .

الحضارة محمد قطب : يرى ان الحضارة بأنها " النشاط الذي يقوم به الانسان في شتى مجالات الحياة ليحقق غاية وجوده " ، و غاية وجود الانسان اوضحها الله في كتابه العزيز (و اذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) [1]، وفي شانه اسباب خلق الله سبحانه و تعالى للإنس و الجن ، يقول الله تعالى (وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون) .[2]

وعلى هذا الاساس انطلقت الحركة الحضارية الاسلامية تعمل في ظل العقيدة ، فعملت على تعمير الارض و انشاء المدن و تعبيد الطرق ، وتقدمت الزراعة ، وانشات القناطر و السدود ،وتم تطوير شبكات الري ، وفن البناء ، والمساحة ،و الخرائط ،وازدهرت الصناعة و التجارة ، وفي كل هذا كانت الامة الإسلامية ملتزمة بالمنهج الرباني الذي يحدد الحرام و الحلال ، والمباح و غير المباح ، فهذا هو المقتضى الحضاري لا الاه إلا الله.

و في الوقت الذي كانت فيه اوروبا تبني حضارتها ، كانت الحضارة الاسلامية تنهار بسبب الابتعاد عن المفاهيم الاسلامية الصحيحة ن رغم تأكيد تلك المفاهيم على اهمية التفوق العلمي و الحضاري في جميع الميادين العلمية و الحضارية ، وليس فقط في مجال العلوم الدينية و الشرعية ، الامر الذي اصاب المسلمين بالجمود الفكري ، ومن ثم كان انعكاسات خطيرة على الحضارة الاسلامية .

الحضارة عند مالك بن نبي : اخذ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي عدة ابعاد و منظورات و زوايا بحثية ،الذي يلم بجميع جوانب المشكلة التي هي مشكلة الحضارة في حياة الانسان ، تعني بالدرجة الاولى ناتج انسجام وتكامل الجهود الانسانية مع قوانين الافاق و التطلعات ، و

[1] سورة البقرة الاية 30
[2] سورة الذاريات الاية 56

جملة الشروط النفسية و الاجتماعية و الروحية و الدينية ، من اجل النمو و الازدهار في الجوانب الفكرية و الروحية و السلوكية و الاقتصادية و الاجتماعية و المادية في الواقع المعاش. وكثرت التعريفات المفسرة لمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي فهو يعرفها بتعاريف متغايرة في كتبه المختلفة بحسب الموضوع الذي يبحثه و تموقعاتها المعرفية و الفكرية ، و سياقتها الاجتماعية :

تعريف الحضارة من الناحية الوظيفية : هي مجموعة من الشروط الاخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقدم لكل فرد من افراده ، في كل طور وجوده ، منذ الطفولة الى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور او ذلك من اطوار نموه، فالمدرسة و المعمل و المستشفى و نظام شبكة الموصلات ، و الامن في جميع صورة عبر سائر تراب القطر ، واحترام شخصية الفرد ، تمثل جميعها اشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد و يقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي اليه.[1]

تعريف الحضارة من الناحية البيولوجية : يعرف مالك بن نبي الحضارة من الناحية البيولوجية هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي ألبيولوجي حيث ينشأ و يقوى هيكلها ، وبين المجال الفكري حيث تولد و تنمو روحها ؛ فعندما نشتري منتجاتها فأنها تمنحنا هيكلها و جسدها لا روحها.[2]

تعرف الحضارة من الناحية التحليلية : لمجموع مكوناتها و كأنها معادلة رياضية فيقول" :

حضارة = انسان+ تراب + وقت .

[1] مالك بن نبي .القضايا، مرجع سابق ص 43
[2] مالك بن نبي. شروط النهضة ، مرجع سابق ص 48

وهي نتاج فكرة جوهرية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي يدخل به التاريخ .[1]

وكل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية التالية : ناتج حضاري =انسان + تراب + وقت .

وهذه الصيغة صادقة بالنسبة الى أي ناتج حضاري ن وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب ، فسينتهي حتما الى ثلاثة اعمدة ذات علاقة وظيفية : حضارة = انسان + تراب + وقت . [2]

وتشير الصيغة الى ان مشكلة الحضارة تتحلل الى ثلاثة مشكلات اولية : مشكلة الانسان ، مشكلة التراب ، مشكلة الوقت ، فلكي تقيم بناء حضارة لا يكفي بأن نكرس المنتجات و انما بان نحل هذه المشكلات الثلاث من اساسها".[3]

فهو هنا يجعل أي منتج حضاري بتفاعل هذه العناصر الثلاثة فالذي يقصده مالك من :

~ الانسان: هو بكونه وحدة اجتماعية و ليس انفرادية.

الوقت : فهو مدة زمنية محددة بساعات معينة ينفقها الانسان كوقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل .

التراب : فهو ما يقدم غذاء الانسان في صورة استهلاكية توفي بحاجات المجتمع تبعا لعملية الانتاج .[4]

[1] مالك بن نبي .مشكلة الافكار في العالم الاسلامي . مرجع سابق ص 41
[2] مالك بن نبي .شروط النهضة مرجع سابق ص 49
[3] مالك بن نبي. مرجع سابق ص 50
[4] مالك بن نبي .وجهة العالم الاسلامي ، مرجع سابق ص 32

الحضارة كتركيب رياضي : ان جمع منتجات حضارية هي الحضارة نفسها في صورة غير مركبة . فالحضارة ليست (كومة) من الاشياء و الافكار ، ولكنها بناء يعكس عبقرية البلد و شخصيته .[1] ويكتب مالك بن نبي الصيغة الرياضية التالية :

حضارة = انسان + تراب + وقت

الحضارة كشكل نوعي خاص : الحضارة ليست شكل من اشكال التنظيم الحياة البشرية ، في اي مجتمع كان ، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية ، بحيث يجد هذا الشكل نوعيته في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة ليس المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها ، لا من حيث رغبته ، ولا من حيث قدرته ، او بعبارة اخرى : لا من حيث افكاره ، ولا من حيث وسائله [2].

الحضارة ككل متكامل : الحضارة بناء على تعرفه البسيط ليست (كومة) من الاشياء المتخالفة في النوع ، بل هي (كل) ، اي مجموع منسجم من الاشياء و الافكار ، بصلاتها و منافعها و القابها الخاصة و اماكنها المحددة و مجموع كهذا لا يمكن ان يتصور على انه مجرد (تكديس) بل (بناء) و (هندسة) اي تحقيق فكرة و مثل اعلى.[3]

الحضارة كمجموعة من القيم و كوظيفة : قد عرف مالك بن نبي الحضارة كمجموعة من المبادئ المتداخلة التي تساعد على التطور و النمو ، اذ يقول الحضارة في الواقع هي :" جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما ان يوفر لكل عضو فيه الضامنات الاجتماعية

[1] .مالك بن نبي .من اجل التغيير ، مرجع سابق . ص 57.
[2] .مالك بن نبي .القضايا الكبرى ، مرجع سابق ص 67
[3] .مالك بن نبي .الفكرة الافرواسيوية مرجع سابق ص 79

اللازمة لتطوره "[1] وهي عنده تشمل "مجموع الشروط الاخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقدم لكل فرد من افراده ، في كل طور من اطوار وجوده ، منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له ، في هذا الطور او ذلك من اطوار النمو ".[2]

محورية الانسان في التغيير الحضاري :

ان مسلم اليوم اذا كان فعلا جادا في تبني خيار التجديد الحضاري ، فعليه ان يتلمس العودة لأشغال جذوة الايمان من جديد ، وتقوية تكوينه العقدي و الاخلاقي ، وذلك بنفس معيار الطاقة و الفعالية التي اتسم بها مجتمع التوحيد الاول ، وذلك لان معركة الصراع الحضاري التي تدور رحاها في العالم المعاصر ،وسوف تأتي بنتائجها السيئة على البقية الباقية من الكيان السلامي المتدهور ، والتاريخ الحضاري للبشرية يؤكد لنا بأن كل عملية تقدم لا يمكن أن تتحقق إلى إذا ارتبطت بوجود قوى إجتماعية تصنع هذا التقدم – أو التجديد – وأهم هذه القوى – بل محورها – الإنسان الذي يعد محور الفعالية في حركة الحضارة، وذلك من خلال إمكانات التغيير النفسي التي بمقتضاها يستطيع الإنسان أن يسهم في بناء الحضارة وإفراز التقدم ،والحيوية الحضارية في شروطها الأولى، وعي بقضايا التخلف وإرادة صلبة لتجاوزه، والنهضة الحضارية هي اصطدام بعناصر ذلك التخلف.[3]

من هنا يمكن القول بان التجديد الحضاري ،كما يراه مالك بن نبي ، لم يتحققا في ارض الواقع الا بفعل ديناميكي يحركه ، وتفسير ذلك هو اننا نجد في البداية كل حضارة ثم الفكرة الفاعلة

[1] .مالك بن نبي .مشكلة الافكار مرجع سابق ص 42
[2] .مالك بن نبي .القضايا الكبرى مرجع سابق ص 43.
[3] سليمان الخطيب مرجع سابق ص 432.

القادرة على تغيير ما بالنفس، ومن ثم تغيير ما بالعقل، وذلك من اجل الاقلاع الحضاري نحو التجديد ،انها الفكرة المشحونة بالرؤية الكونية وبالوقود العلوي وبالمسؤولية الانسانية الشاملة ،انها الطريق الشرعي والفطري لصناعة الحضارة الانسانية والتقدم .[1]

وفي التحليل الاخير ،فان ثمة تساؤلا حيويا يفرض نفسه على الباحث ،مفاده : ماذا يمكن للمفكر الاسلامي المعاصر ان يستفيد من مفهوم مالك بن نبي لفلسفة الحضارة ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل ، نقول ان المفهوم الاصلاحي للحضارة وفلسفتها عند مالك يؤكد على ضرورة الاتجاه الى بناء المسلم المعاصر على أسس روحية مستمدة من مفاهيم الفكر الاسلامي الصحيح ، كما يؤكد ايضا على ضرورة الابداع الذاتي في عالم الفكر وعدم الاعتماد على الفكر الغربي كلية ، وذلك لان هذا الفكر وليد بيئته الخاصة ، ووليد روح انسانية لها سمتها الخاصة بها، كما ان هذا الابداع سيساهم بشكل او باخر من سيطرة الغرب علينا .

كما يكمن ان نستفيد من هذا المفهوم في ضرورة استثمار التراب الاسلامي بفعالية ، و ذلك حتى يمكننا الاستفادة منه على اكمل وجه ، وبالتالي لانفرط فيه بسهولة ، وغير خاف على احد بان افضل استثمار لهذا التراب انما يتم عن طريق العمل دائم بتأثير مجموعة من التصورات الفكرية ، التي تصور لنا كيف يتم استثمار هذا التراب لبناء حضارة جديدة ، ولعل اهم عامل لبناء هذه الحضارة المنشودة بجانب التراب ، هو الانسان ولن يكتمل ذلك الا بالعمل على بث روح الادراك الصحيح لأهمية الوقت و دوره في بناء الحضارة – كما سبق ان لمحنا – ولا سيما بعد اعطاء هذا الوقت قيمة عظيمة بدلا من كونه عدما . ان ذلكم هو مفهوم مالك بن

[1] عبد الحليم عويس ،"الوظيفة الحضارية لافكار مالك بن نبي " . مجلة الفيصل ، العدد 96، دار الفيصل الثقافية ، الرياض شوال 1413هـ-ابريل (نيسان)1993مـ ، ص 24.

نبي لفلسفة الحضارة ، ونحن نعتقد جازميين ان محاولته هاذه تحوي الكثير من عناصر الابداع الفكري التي تجعله على قدم المساواة مع مفكريين غربيين في فلسفة التاريخ و الحضارة ، ولذا فإننا نتفق مع البعض الذي يذهب الى القول بان مالك بن بي هو ابن خلدون في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين ميلادي) .[1]

4. الدورة الحضارية عند مالك بن نبي :

يعود الفضل في بلورة وتطوير الاتجاه الحضاري . بعد ابن خلدون الى مالك بن نبي ، و التي تمحورت حول تأسيس هذا الوعي الحضاري ، و بناء على ثقافة التكاملية ، اذا ما كتب للأجيال الجديدة ان تستوعبها و تلقي عليها ، و تلتزم بها في تفكيرها ، وفي مواجهتها لتحديات البناء الحضاري ، ستحدث في حياتها نقلة عميقة و شاملة عن طريق الخروج من الدومات المهلكة ، وتجوز الافعال المعتلة الى الافعال الاصلية و الفعالة و المطردة ، التي تراكم و تطور المكاسب و التجارب و الخبرات على طريق النهوض و التجديد الحضاري المتكامل للأمة .[2]

وقد نالت فكرة الدورة الحضارية عند مالك بن نبي رواجا كبيرا بين جمرة الباحثين في الفكر الاجتماعي و التربوي ، لما لها من وقع على توجهات الثقافية و الفكرية وما حظيت بها لانطلاقتها الانسانية و العقدية ، قد طبق مالك نظريته هذه على التغيرات الاجتماعية التي جرت في مجتمعي الحضارتين المسحية و الاسلامية كما يلي :

[1] احمد محمد سالم البربري : "نحو مفهوم جديد للحضارة عبد مالك بن نبي " ،مجلة الفكر العربي ، العدد السادس والسبعون ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، السنة الخامسة عشر (2)، ربيع 1994م ، ص 118-119 .

[2] الطيب برغوث ، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد عند مالك بن نبي ، مرجع سابق ص 56.

1.4 : مرحلة الروحية : ويرى مالك بن نبي ان هاذه المرحلة قد بدأت منذ ان بعث الله سبحانه وتعالى محمد (صلى الله عليه و سلم) برسالة الإسلامية و استمرت حتى معركة صفين ، التي اصابت الامة بالانفصام الذي سببه صراع حمية الجاهلية مع الروح القرآنية .[1] و هي المرحلة التي يكون فيها المجتمع على حالته البدائية الفطرية ، اي انه الانسان الطبيعي هو الانسان الفطري الذي يمثل المادة الخام المستعدة للتغيير ، حتى اذا ظهرت في افق حياته فكرة روحية او عقيدة دينية ، فأنها ما تلبث ان تضبط غرائزه وتنظم فطرته وفق عملية عقلية نفسية اسماها مالك بن نبي (بالعملية الشرطية) ولا تهتف هذه العملية الى الغاء تلك الغرائز او القضاء عليها ، وانما تعمل على ضبطها وتنظيمها في اطار علاقة وظيفة مع تلك العقيدة الدينية الجدية .[2]

وفي هذه المرحلة منذ البعثة حتى معركة صفين اصبحت حياة الناس بكل تفاصيلها محكومة بقوانين روحية .

وقد رجع مالك الى اكثر من واقعة تاريخية داعما بهار ايه قضية المرأة الغامدية، وقصة بلال . (رضي الله عنه) و يبين مالك بني نبي ان هذه الوقائع تخرج عن معايير الطبيعة ، وان الباعث في الواقعين لم يكن سوى تلك الطاقة الروحية التي بعثها الدين الجديد ، وهي الطاقة فاعلة في الافراد كما هي فاعلة في الجماعات ، ف "دور الدين الاجتماعي منحصر في انه يقوم (بتركيب) يهدف الى تشكيل قيم ، تمر من الحالة الطبيعية الى وضع نفسي زمني ، ينطبق على مرحلة معينة لحضارة ، وهذا التشكيل يجعل من الانسان العضوي وحدة اجتماعية

[1] ـ مالك بن نبي .وجهة العالم الاسلامي مرجع سابق ص ص 28 29 .
[2] ـ مالك بن نبي .شروط النهضة مرجع سابق ص 75.

،ويجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة (بساعات تمر) وقتا اجتماعيا مقدرا (بساعات عمل) . ومن (التراب) الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الانسان في صورة استهلاك بسيط . مجالا مجهزا مكيفا تكييفا فنيا ، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة ،. تبعا لظروف عملية الانتاج . فالدين اذا هو (مركب) القيم الاجتماعية ، وهو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة ،حالة انتشاره وحركته ، عندما يعبر عن فكرة جماعية " . [1]

في هذه المرحلة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في جسده ، ويخضع وجوده الى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه ، بحيث يمارس حياته بناء علاقاته بالأخرين ، من خلال عوالم الاشياء والافكار حسب قانون الروح ،ويرى مالك بن نبي ان المجتمع في هذه المرحلة يكون مشحونا بالفكرة الدينية ، حيث يكتمل بناء شبكة علاقاته الاجتماعية بقدر السيطرة على الغريزة وتنامي الروح . "فالروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية ان تنهض و تتقدم ، فحيث ما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت لان من يفقد القدرة على الصعود لا يملك الا ان يهوي بتأثير جاذبية الارض "[2] ففي هذه المرحلة نجذ ان التغيير ينصب على الانسان ، فهو العنصر الجوهري الذي يتغير بالدين ويغيره بدوره المحيط الاجتماعي ، ويتحول من (فرد) يخضع لغرائزه الى (شخص) يرتبط بالمجتمع بعد ان حولته الشرارة الدينية الى عنصر فعال متحرك ، يشكل مع التراب والوقت عوامل التغيير الاجتماعي .

[1] مالك بن نبي. وجهة العالم الاسلامي مرجع سابق ص 28.
[2] مالك بن نبي .المرجع السابق ص 31.

ويرى مالك بن نبي ان المجتمع الاسلامي مر بهذه المرحلة ، حين بدأت عملية التغيير الاجتماعي و النفسي للمجتمع بنزول الوحي الذي احدثه اثره القوي في انسان ما قبل الحضارة ن وبعث فيه شرارة التغيير ، وحول افراد المجتمع من بسطاء يعيشون حياة راكدة الى دعاة اسلاميين تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الجديدة ، وفترة هذه المرحلة – كما يرى مالك بن نبي – منذ نزول الوحي في غار حراء الى موقعة صفين عام (38هـ) ، (نقطة ب في الرسم البياني) ن وهي مرحلة دينية روحية تركبت في ظلها عناصر التغيير الجوهرية ، و ظلت روح الانسان المؤمن خلالها هي العامل النفسي الرئيسي من ليلة حراء الى ان وصلت الى القمة الروحية للحضارة الاسلامية ن و القمة الروحية عند مالك بن نبي توافق واقعة صفين التي اعتبرها نقطة الاحتراف التي غيرت مجرى التاريخ الاسلامي.[1]

المرحلة العقلية : و هي مرحلة عمل فيها على استعمال الطاقات العقلية مع استبعاد الجانب الروحي .اي المبدأ الاخلاقي . وتصبح فيه التربية ذات طابع اجتهادي ، وبالتالي تتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية ،وتؤدي الى انهيار المجتمع ، وتمثل مرحلة العقل بالنسبة لمالك بن نبي مرحلة تحلل بطيء وجزئي للمجتمع ونقص الفعالية ، مما يؤدي ذلك . بصفة آلية . الى توقفه عن الصعود الحضاري .

ان هذا ما وقع بالضبط حسب ما ذ=هب اليه مالك بن نبي بالنسبة للحضارتين المسيحية والاسلامية مثلا، فالحضارة المسيحية التي ابتدأت مرحلتها الاولى (مرحلة الروح)بعهد " شارلمان" متميزة بالمبدأ الاخلاقي ، تخلت شيئا ما عن هذا المبدأ في المرحلة التالية المتزامنة

[1] ـ مالك بن نبي .شروط النهضة ، مرجع سابق ص59.

مع عهد " النهضة " ،الذي طبع بالطابع "الديكارتي" اي هيمنة العقل ، والشيء نفسه بالنسبة للحضارة الاسلامية حيث تخلت عن المبدأ الذي كان يسود مرحلتها الاولى ، التي تبدا من "غار حراء" الى نهاية عهد الخلافة الراشدة ؛ لتدخل مرحلة جديدة في حياتها ،يسودها العقل، وذلك يبدو جليا مع الحكم المماليك (العصر الاموي والعصر العباسي الاول) فبدل المبدأ اتجه الافراد الى تقديس الاشخاص مهما كان قربهم او بعدهم عن المبدأ مما ينتج عنه بروز مذاهب واتجاهات سياسية وفقهية متصارعة ، اثرت بشكل نسبي على شبكة العلاقات الاجتماعية ،بحيث اعترى التمزق بعض الجوانب من خيوطها لعدم سيادة المبدأ في هذه المرحلة سيادة مطلقة .[1]

ففي هذه المرحلة يكون المجتمع قد دخل مرحلة الاشباع الروحي على كافة المستويات ،ولكن مع هذا التقدم تنشأ مشكلات تواجه هذا المجتمع نتيجة توسعه وانتشاره ، وحتى تستطيع هذه الحضارة تلبية هذه المقاييس المستجدة ،تسلك منعطفا جديدا وهو منعطف العقل ،وحينئذ تبدا الغرائز التي كانت مشروطة بالروح الدينية في التحرر من قيودها المنظمة لوضعها .ذلك ان الروح بدأت تفقد نفوذها على الغرائز المكبوتة تدريجيا ، والعقل لا يملك السيطرة التي للروح على الغرائز ، ولا القدرة على تهذيبها .

كما ان المجتمع بصفته محيطا يعيش فيه الفرد يكف عن ممارسة ضغطه على الفرد، فهناك علاقة طردية بين تحرر الغرائز من قيودها مبينا سلطة الروح ، فكلما ضعفت سلطة الروح انطلقت الغرائز بالقوة نفسها ، وبالتالي تأثر البناء النفسي للفرد والبناء الاخلاقي للمجتمع ،

[1] حسين يوسف ، "واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم في فكر مالك بن نبي " ، مجلة موافقات ، الصادرة بالجزائر عن المعهد الوطني لأصول الدين ،مرجع سابق ص 353 354 .

ويرى مالك بن نبي انه لو استطعنا في هذه المرحلة ان نراقب الظروف النفسية بوسيلة دقيقة بغية تتبع نتائج هذه العلاقة الطردية بين ضعف سلطة الروح وتحرر الغرائز ،فإننا سوف نلاحظ انخفاضا في مستوى اخلاق المجتمع ، ونقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية ، وتستمر الفكرة الدينية في مواصلو نقصان فاعليتها منذ ان دخلت الحضارة منعطف العقل .[1]

واذا اردنا ان نفحص عالم الاشخاص ، وعالم الافكار ، وعالم الاشياء ، في هذه المرحلة ، نجد انها قد وصلت الى مستوى معين يكون فيه عالم الاشخاص في المستوى نفسه لعالم الافكار ، وهذا الاخير ينعكس على مستوى عالم الاشياء ،اي ان المنتوج المادي او الفكري يعكس مستوى الافراد ، وبما ان الافراد قد اكتملت روابطهم الاجتماعية وتحققت ضماناتهم ، فان انتاجهم يعكس هذه المرحلة التي وصلو اليها ، اي ان مرحلة (العقل) تمثل (النهضة)او(الاوج) ، ويعني مالك بن نبي بهذا الازدهار العلوم والفنون في تلك المرحلة . [2]

ووفق المخطط البياني السابق ، يرى نالك بن نبي ان المرحلة العقل في المجتمع الاسلامي (38هـ) ، حين تحطم ذلك المادي والروحي الذي يحقق الطمأنينة في النفس والاستقرار والامن في بناء الاجتماعي ولكن من الناحية اخرى تحقق اكتشاف النظام المئوي ، وتطبيق المنهج التجريبي في الطب ، واستخدام فكرة الزمن الرياضة .[3]

وفيما يخص هذه المرحلة في المجتمع المسيحي ،فأنها تتمثل في عصر "النهضة " ، وازدهار الفلسفة في اوروبا على يد ديكارت ، وقيام الثورة الصناعية ، وازدهار العلوم الانسانية التي

[1] مالك بن نبي .شروط النهضة ص 78.
[2] مالك بن نبي. المرجع السابق ،ص78
[3] مالك بن نبي .وجهة العالم الاسلامي مرجع سابق ص 29.

تعتمد في تناول الواقع ، ودراسة الاجتماع على مثل وقيم استمدتها اساسا من العقل وافرازاته ، كما انه يرى ان الحضارة اوروبا خرجت من مرحلة السمو الروحي الى مرحلة التوسع العقلي عندما بدأت هذه النهضة .[1]

ويرى مالك بن نبي ان هذه المرحلة تفرز امرضا اجتماعية معينة لم تجذب انتباه علماء الاجتماع و المؤرخين بعد لان اثارها المحسوسة لا تزال بعيدة ، ويربط بين اوج الحضارة – اي ازدهار العلوم و الفنون – ، وبين بدا هذه الامراض الاجتماعية المعنية . ذلك ان تحرر الغرائز المكبوتة يكون على حساب القيم الانسانية ، و المعايير الاجتماعية

التي تنظم العلاقات داخل المجتمع ، ويعتبر دخول المجتمع في مرحلة العقل بداية التخلف من وجهة نظر فلاسفة التاريخ ؛ اذ هي بداية الشيخوخة لروح المجتمع و ان كانت من ناحية المادية بداية للازدهار ، فهي تقدم من وجهة نظر الاقتصاديين .[2]

مرحلة الغريزة : ان ما يميز هذه المرحلة هو الانهيار و الانحطاط ، حيث يخرج المجتمع فيها من طوره الحضاريين ذلك انه بخفوت صوت الروح تنطلق الغرائز ، لان الفكرة الدينية فقدت رصيدها داخل الفرد . وفقد المجتمع سلطته على افراده ، وبالتالي فان " العقل سيغيب ويفقد وظيفته الاجتماعية و يدخل المجتمع المرحلة المظلمة في التاريخ وتنتهي دورة الحضارة "، [3] اذا ان النزعة العقلية مهدت لهذا الانحطاط ، عندما اسهمت في اضعاف سلطان الروح على النفس الانسانية ، فتمكنت الغريزة التي كانت مكبوحة الجناح من خلال الفكرة الدينية من مواصلة

[1] ـمالك بن نبي . شروط النهضة ، مرجع سابق ص 68.
[2] ـمالك بن نبي .شروط النهضة مرجع سابق ص 78.
[3] ـ ـمالك بن نبي . المرجع السابق ص 79.

سعيها الى الانطلاق و التحرر ن واستعادة الطبيعة الغرائزية غلبتها على الفرد و على المجتمع شيا فشيا حتى بلغ التحرر تمامه في هذه المرحلة ، ذلك هو منحنى السقوط كما يراه ابن نبي ، في حالة يتقبل توجيهات الروح و العقل المؤدية الى الحضارة ونوها، فان هذه العوامل النفسية تختزن بطريقة ما، فيما وراء الشعور ، و في الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح و العقل ، تنطلق الغرائز الدنيا من عقالها لكي تعود بالإنسان الى مستوى الحياة البدائية .[1]

ويرى مالك بن نبي ان استيقاظ الغرائز من خلال خفوت صوت الروح ، وضعف تأثير الفكرة الدينية ينعكس في ثقافة الافراد ، و بالتالي في واقع الثقافة في المجتمع ، فيبتعد هذا المجتمع تدريجا عن عالمه الثقافي الاصيل المبني على الفكرة الدينية كما كان في المرحلة الاولى " مرحلة الروح ، واذا ابتعد الانسان عن عالم القيم و الفضائل الخلقية التي يعتبرها مالك بن نبي القوة الجوهرية في تكوين الحضارات .[2]

انفتح المجال لسلطان الغرائز ، وهذا يؤذن بفقدان الفاعلية الاجتماعية للأفراد ، و بالتالي فقدان الحضارة لمبررات وجودها بدخولها مرحلة الغريزة حيث يتحلل فيها النشاط الاجتماعي المشترك ن الى نشاط فردي يغلب عليه الاهتمام الذاتي و لا يخدم سوى الحاجات الفردية ، بعد ان كان يخدم الحاجات الجماعية ، و في ظل عدم التوازن بين عوامل الاشخاص و الافكار و الاشياء ، و طغيان الاشخاص على الافكار ، ينهار البناء الاجتماعي و عندما يبلغ ما هذه المرحلة ، وتكف الرياح التي منحته الدفعة الاولى عن تحريكه ، تكون نهاية دورة حضارته ، و هجرة الحضارة الى بقعة اخرى ن تبدأ فيها دورة جديدة طرقا لتركيب عضوي جديد . يطابق مالك بن

[1] ـ مالك بن نبي .المرجع السابق ص 60.
[2] ـمالك بن نبي . وجهة العالم الاسلامي . مرجع سابق ، ص 31.

نبي بين مرحلة الغريزة في الحضارة الاسلامية ، و المرحلة التي مر بها المجتمع الاسلامي بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب ، فنجده يقول عن هذه المرحلة ، " ان المجتمع كان غنيا بما فيه من اشخاص و افكار و اشياء ، لكن نهاية هذا العهد عرفت تمزقا في شبكة العلاقات الاجتماعية " [1] ، ولم يعد المجتمع الاسلامي بعدها مجتمعا ، بل تجمعات لا قوة لها و لا هدف . وفيما يخص الحضارة المسحية ، يرى مالك بن نبي ان هذه المرحلة هي التي اشار اليها اوززالد شبنلجر حول الحضارة المسحية في كتابه (افول الغرب) ، اما كيسرلنج فقد وضح المرحلتين ، الاولى و الثانية في كتابه (البحث التحليلي لأوروبا) .[2]

المفهوم الإجرائي للمشروع التربوي الثقافي:

هو الأخذ من الأفكار والرؤى والملاحظات العلمية والأطروحات الفكرية في مجال التربية والثقافة من خلال التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله مع تنظيمها حسب الأولويات التربية التي قدمها من أجل الاستفادة منها حسب حاجات العصر وحاجات المجتمع الجزائري خاصة لمواجهة التحديات المعاصرة التي تظهر.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج الوصفي التاريخي:

وهو منهج يهتم بوصف وتسجيل ما مضى ومن وقائع وأحداث، ويتم تفسيرها ومع تتبع مراحلها مع تحليلها على أسس علمية واضحة دقيقة والهدف منها هو الوصول إلى الحقيقة ومن ثم إلى تعميمات.

– ولطبيعة الموضوع أردنا تتبع مراحل زمنية معينة للتربية والثقافة أيضا ومسارها التاريخي ،وهو الذي يهتم باستخلاص جوانب المشروع التربوي ومن الكتب التي تحتوي على تلك الأفكار

[1] .- مالك بن نبي . تاملات ، مرجع سابق ص 30 .
[2] - مالك بن نبي . شروط النهضة مرجع سابق ص 64.

والمفاهيم، وخاصة في مجال التربية والثقافة والحضارة وذلك باستنباط الأفكار التربوية وتحليلها ثم الوصول إلى مبادئ ومفاهيم تربوية مفيدة.

فلسفة المشروع : تعرض الكاتب الفرنسي –بيار بوتين – إلى مفهوم المشروع من بابه الواسع إذ عرض فلسفة هذا الأخير إنطلاقا من فلسفة (hegger) مرورا بنظرية (bloch) وصولا على مفهوم(sarires) الفيلسوف الوجودي وهي كلها نظرة شاملة لمعنى الوجودي للمشروع.

وقد وضع هيجر ثلاث أزمنة أساسية يمر من خلاله وبالضرورة كل وجود إنساني ، هي المشروع التخلي الكامل على الأخلاق ، والمشروع يحمل الإمكانية لكن في نظم هذا التناقض إمكانية الفشل على مستوى الفرد .

بينما سارتر فيرى بأن المرء نفسه مشروع تعايش بكل ذاتية فلا شيء بوجود مسبقا لهذا المشروع إذ سيكون المرء هو ما قد رسمه لنفسه في المستقبل ومنه فالمشروع يجعل الفرد في حرب دائمة وكل مشروع مهما كان فرديا فإنه يحمل في طياته قيمة شاملة وعامة .

مفهوم المشروع :

هناك عدة مفاهيم للمشروع وتنطلق من مقاربات متباينة ومختلفة .

إن هذا المفهوم خضع لعملية التحويل حيث تمت إعارته من حقل الهندسة المعمارية والمقاولات التجارية والخدماتية إلى المجال التعليمي التربوي

تعريف المشروع في اللغة العربية :

الاشتقاق اللغوي لهذا الكلمة في اللغة اللاتينية تؤدي معنى إلقاء أورمي موضوع او شيء ما إلى الأمام[1] ، من حيث الدلالة اللغوية العربية لكلمة {المشروع} فالنجد في اللغة والإعلام ذكر ثلاث معاني مختلفة :

المشروع : ما سوغه الشرع من فعل شرع بمعنى سن شريعة

[1] أحمد أوزي.المعجم الموسوعي لعلوم التربية .دار البيضاء .ط1 الجزائر..2006.ص235

المشروع : المسدد من المفعل شرع بمعنى شرعت الرماح أي سددها وصوبها فسددت وتصوبت كما عرف معجم موسوعة التربية والتكوين بأن هو "سلوك استباقي يفترض القدرة على تصور ما ليس متحفظا على تخيل زمان المستقبل من خلال بناء تابع من الأفعال والأحداث الممكنة والمنظمة قبليا". [1]

تحديد المفهموم الإصطلاحي لمشروع التربوي الثقافي :

هو توقع إجرائي لمستقبل المؤسسات التربوية الثقافية ودورها وأبعادها التي يسعى من ورائها المشروع تكوين مواطن صالحاً في وطنه ومحيطه معتزاً بتراثه وهويته قادرا على النهوض بالأمة

المشروع التربوي الثقافي عند سعد الله :

هو عمل يتكون من مجموعة من المؤسسات التربوية والثقافية والتي في وسطها تقام عملية تربية على أساس تفاعل في ضمن مجموعة من الأبعاد النفسية والتربوية والثقافية والاجتماعية لهذا يعتبر هذ المشروع موسوعي ومستمر في إطار تحقيق الاندماج داخل طبقة المثقفين والعلماء ،مع تفهم قدرات الأفراد وتهيئتهم للاكتشاف وتطوير المواهب والتفاعل مع الأخرين في إطار التضامن والحوار والبناء والاحترام المتبادل حتى تتم عملية الإبداع في إطار مرتكزات مبادئ التربية عند جمعية العلماء المسلمين .

-07- الدراسات السابقة :

الدراسات العربية :

الدراسة الأولى : " **الفكر التربوي عند البيحاني (1908 - 1972)**" من إعداد الدكتور : شرف أحمد الشهاري ، رسالة ماجستير ، سنة 1993 م . استخدم الباحث في هذه الدراسة

[1] .أحمد أوزي (معجم التربية والتكوين.1994). الدار البيضاء .ط1.الجزائر.ص802

المنهج الوصفي التحليلي التصنيفي . و قد كانت تساؤلات الدراسة متمحورة حول الأسئلة التالية :

أولا : ماهي العوامل الاجتماعية و الثقافية و التربوية التي أثرت في فكر البيحاني؟

ثانيا : ماهي المنطلقات الفكرية للبيحانى و مدى انعكاسها على فكره التربوي ؟

ثالثا : ما ماهية الفكر التربوي عند البيحاني ؟ ماهى مجالاته ؟

و قد جاءت الدراسة متضمنة لثلاثة عشر فصلا موزعة كالتالي :

الفصل الأول : الإطار العام للدارسة

الفصل الثاني :عصر البيحاني والعوامل المؤثرة في فكره .

الفصل الثالث : حياة البيحاني .

الفصل الرابع : الوضع التعليمي في اليمن في عصر البيحاني .

الفصل الخامس : المنطلقات الفكرية التي استند إليها الفكر التربوي عند البيحاني

الفصل السادس : مبادئ التربية .

الفصل السابع : الأهداف التربوية .

الفصل الثامن : مجالات التربية .

الفصل التاسع : مناهج التربية . موادها .

الفصل العاشر : أساليب التربية .

الفصل الحادي عشر : وسائط التربية .

الفصل الثاني عشر : آداب وصفات المعلم والمتعلم .

الفصل الثالث عشر : المرأة وتعليمها

الدراسة الثانية :" **الأسس التربوية للتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي** ": إعداد الدكتور : "علي حسن القريشي" ماجستير: كلية التربية : جامعة عين شمس : 1403 هـ . 1983 م البحث في تفكيك فكر مالك بن نبي و إعادة بنائه من جديد خلال الكشف عن بعض المفاهيم و القضايا التربوية التي قال بها ، في مجمل كتاباته و إسهاماته الفكرية ، و التي تمحورت عنده في فكرة التغير الاجتماعي . و قد تضمنت هذه الرسالة سبعة فصول:

الفصل الأول :الإطار العام للبحث، و فيه جاءت عناصر الفصل مرتبة على النحو التالي : مقدمة البحث ، و مشكلته ، و مسلماته ، و أهميته ، و أهدافه ، و حدوده ، و منهج البحث خطة الدراسة .

الفصل الثاني : فقد تناول فيه عصر مالك بن نبي من حيث أوضاعه الثقافية و التعليمية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية ، ثم عرف بحياة مالك بن نبي ، و العوامل المؤثرة في فكرة .

الفصل الثالث : تكلم الباحث فيه عن الاتجاهات التغييرية في العالم العربي و أسسها و التربوية .

الفصل الرابع : و جاء عنوانه: التغير الاجتماعي وأسسه التربوية العامة عند مالك بن نبي .

الفصل الخامس : ضمنه الثقافة من الوجهة التربوية و علاقتها بالتغير الاجتماعي عنده .

الفصل السادس : و قد عرض فيه لأهم آراء مالك بن نبي في التربية الاجتماعية و عملية إعادة البناء عنده .

الفصل السابع : و قد كان فصلا تقويميا حيث تضمن تقويما لفكر مالك ، و خاصة من الجانب الاجتماعي .

الدراسة الثالثة:" مالك بن نبي مفكرا اجتماعي و رائد إصلاحي للدكتور محمد العبدة ، ط1 دار القلم دمشق ، 1427 هـ . 2006 م . وهو بحث مقدم في إطار علماء و مفكرون معاصرون ، لمحات عن حياتهم و تعريف بمؤلفاتهم . يستعرض فيه . كما يقول في مقدمة بحثه . مفكرا عميق الغور ، غواص في البحث و التنقيب ، و الحديث عنه متشعب ذو أبعاد و ذلك لغزارة إنتاجه ، و لتعمقه في درس مشكلات العالم الإسلامي ، و في تحليل شخصية المسلم في عصور التخلف الحضاري ؛ و المفكر هو الذي يدرس و يتأمل و يقارن و يحلل المشكلة إلى أجزائها ، ثم ينسق و يركب و يجتهد في إيجاد الحلول ، و الفكر لا يستحق أن يكون فكرا بمعناه الصحيح إلا إذا رسم طريق الإصلاح ، و قد جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى فصلين و كل فصل مقسم إلى مجموعة من المباحث :

الفصل الأول : لمحات من حياته ، و تضمن خمسة مباحث :

المبحث الأول : الجزائر تحت الاحتلال .

المبحث الثاني : مراحل حياته .

المبحث الثالث : شخصية مالك بن نبي و تكوينه الفكري .
المبحث الرابع : مناقشات و ردود .
المبحث الخامس : أهم آرائه و أفكاره في النهوض الحضاري .
الفصل الثاني : تعريف بمؤلفاته ، و فيه استعرض بعض كتب مالك بن نبي و قام بتحليلها (الظاهرة القرآنية ، شروط النهضة ، وجهة العالم الإسلامي ، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، فكرة كومنولث إسلامي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، المسلم في عالم الاقتصاد ، بين الرشاد و التيه) .

الدراسات الجزائرية :

الدراسة الأولى :"مدخل التجديد الحضاري و آفاقه العالمية (دراسة في فكر مالك بن نبي) "
للدكتور: عبد العزيز برغوث ، أستاذ بكلية معارف الوحي الإسلامي العلوم الإنسانية، ط1 دار التجديد للطباعة و النشر و الترجمة ، كوالالمبور ، الجامعة الإسلامية بماليزيا ، 2005 م .
و الكتاب لا يعالج النظريات و المناهج و الأدوات التحليلية المستعملة ضمن نماذج التحليل الاجتماعي المعروفة ، و لكن سيحاول فقط تحديد بعض المداخل و الموضوعات الأساسية التي ينبغي للأمة أن تتوجه إلى معالجتها في إطار محاولاتها المتكررة لتجديد إنسانيتها و ثقافتها و حضارتها المعاصرة . و في هذا الإطار يعتبر مالك بن نبي من القلائل في وقته الذين فهموا نظريات التغيير الاجتماعي ضمن نسق العلوم الإنسانية الغربية الحديثة و وظفوها لتحليل قضايا الأمة و مشكلاتها تحت تسمية (مشكلات الحضارة) . والحقيقة الماثلة أمامنا اليوم هي أن الأستاذ إبن نبي تمكن من وضع يده على الجرح الغائر في نفسية الإنسان المسلم و ثقافته و حضارته و فكره و وعيه ، لقد أظهر حيوية متميزة في مقاربة مشكلات الأمة مستفيدا من الخبرة و المعرفة الغربية الحديثة دون أن يتنازل عن منظوره الحضاري الإسلامي.
و قد جاء هذا البحث متضمنا لخمسة فصول متسلسلة :
– الفصل الأول : الإطار المنهجي العام للدراسة أولويات التجديد الحضاري للأمة .

– الفصل الثاني : مدخل منظور التحليل الحضاري و وحدته الأساسية (من الحضارة إلى الحضارة العالمية) .

–الفصل الثالث : مدخل الحضارة و أساسيات الفعل الحضاري .

– الفصل الرابع : مدخل الثقافة و المضمون التربوي للفعل الحضاري .

–الفصل الخامس : مدخل شبكة العلاقات الاجتماعية وفقه صناعة الحضارة وديناميكياتها.

الدراسة الثانية: (النقد الأدبي في أثار أبي القاسم سعد الله) بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر، من إعداد حفيظة الزين ،قسم الآداب واللغة ، جامعة قسنطينة : 2014ـ 2015 ،استخدمت المنهج التاريخي وقد جاءت تساؤلات الدراسة كآتي:

وقد طرحت الباحثة الإشكالية التالية حول ماهية الخطاب النقدي عند أبي القاسم سعد الله وكان ضمن الأسئلة الفرعية :

من هو أبو القاسم سعد الله؟ متى بدأت التجربة النقدية عنده؟ وماهي مؤثراتها؟ ماهي خصائص الخطاب النقدي عنده؟ ماهي مكانته في الأدب النقدي الجزائري ؟

وقد اعتمدت المنهج التاريخي في دراستها للتمكن من تتبع آثار سعد الله وفي مقدمتها النقدية بالإضافة إلى التاريخية والفكرية، غير أن الرائد في هذا البحث هو جمع النصوص النقدية منها، وتبويبها و تصنيفها وترتيبها زمنيا فيما بينها، من أجل دراستها وتحليلها.

أما عن هيكل الدراسة فقد جاءت في بابين ومدخل تمهيدي ومقدمة؛ أما المدخل فقد عرضت فيه حياة سعد الله وبيئته بمختلف جوانبها ومؤثراتها، و أما الباب الأول فقد احتوى جهوده النظرية في النقد الأدبي، فيما احتوى الباب الثاني جهوده التطبيقية. فكانت خطة البحث كمايلي:

مقدمة

مدخل تحت عنوان: أبو القاسم سعد الله (نشأته ومنطلقات فكره)؛ تتبعنا فيه حياة سعد الله وتلقي خطابه النقدي عند النقاد الجزائريين، ضمّ العناصر الآتية :

1– حياته (المولد والنشأة)

2- ثقافته وتعليمه.

3- رحلاته وأثرها في فكره.

4- نشاطه في التأليف.

5- مكونات ثقافة سعد الله.

6- الخطاب النقدي عند سعد الله بأقلام النقاد

أما الباب الأول فكان تحت عنوان: النقد النظري في فكر أبي القاسم سعد الله، احتوى تمهيدا و فصلين، أما التمهيد فقد انصرف إلى واقع النقد الأدبي الجزائري الحديث، وأما الفصل الأول فقد كان تحت عنوان: الفكر النقدي عند أبي القاسم سعد الله، و يضم العناصر الآتية :

1- تصميم سعد الله للشعر الجزائري الحديث.

2- تتبع سعد الله لتطور جذور حركة الشعر الجزائري من بداية الفترة العثمانية في الجزائر إلى سنة (1962)؛ تاريخ انتهاء الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهي فترة طويلة سادها الغموض والإغفال للتراث الجزائري.

أما الفصل الثاني فقد عنوناه بـ: مفاهيم وقضايا نقدية في فكر أبي القاسم سعد الله وفيه العناصر الآتية.

1-الأدب المكتوب بالفرنسة من قِبل جزائريين .

2- قضية الشعر الحر عند أبي القاسم سعد الله .

3- قضية الأدب الملتزم عند أبي القاسم سعد الله.

أما الباب الثاني فكان عنوانه: النقد التطبيقي في آثار أبي القاسم سعد الله، احتوى على فصلين، الفصل الأول: نقد الشعر عند أبي القاسم سعد الله (متابعات ومراجعات تطبيقية)، وتضمن العناصر الآتية :

1-ديوان (ألحان الفتوة) لمحمد الصالح رمضان .

2-كتاب (محمد العيد آل خليفة – رائد الشعر الجزائري الحديث) .

3- ديوان (ألم وثورة) لمصطفى الغماري.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: النقد الروائي و القصصي والمسرحي عند أبي القاسم سعد الله (متابعات ومراجعات تطبيقية)، وتضمن العناصر الآتية :

1-**في نقد الرواية:** أ – دراسة شخصية البطل في الأدب الجزائري ب – تقديم وتحقيق رواية (حكاية العشاق في الحب والاشتياق).

2-**في نقد القصة** :أ – (الرصيف النائم) لزهور ونيسي ب – (بحيرة الزيتون) لأبي العيد دودو.

3-**في نقد المسرح**

أ – دراسته لمسرحية (بلال) لمحمد العيد آل خليفة

ب – دراسته لمسرحية (حنبعل) لتوفيق المدني .

ج – دراسته لمسرحية (الحاجز الأخير) لمصطفى الأشرف .

د – دراسته لمسرحية (مصرع الطغاة) لعبد الله ركيبي .

هـ – دراسته لمسرحية (امرأة الأب) لأحمد بن ذياب

و – دراسته لمسرحية (التراب) لأبي العيد دودو.

4-دراسة شخصية البطل في الأدب الشعبي.

يعتبر أبو القاسم سعد الله مفكرا وباحثا موسوعيا، فقد افتك هذا اللقب عن جدارة، إذ بدأ حياته الثقافية أديبا لينتهي به الأمر مؤرخا، فاستهل نشاطه الفكري بكتابة الشعر وطبعه بالكتابة النقدية ودراسة الأدب، ووسعه بجهوده في التحقيق وكتابة التاريخ وعمَّقه بأعمال الترجمة وطرح الأفكار الحرة. فهو الشاعر و القاص و الناقد و المحقق و المؤرخ، و الر حالة، كما كتب عن أدب الرحلة.

– إن سعد الله هو مؤسس النقد الأدبي المنهجي في الجزائر من خلال باكورة مؤلفاته النقدية، كتاب (محمد العيد آل خليفة ـ رائد الشعر الجزائري الحديث).

–لقد نجح سعد الله في التأسيس للمنظومة النقدية في الجزائر، بخطوات جريئة تمثلت في قراءاته النقدية لنصوص جزائرية متعددة و متنوعة، وبخاصة في كتابه) دراسات في الأدب الجزائري الحديث).

– ظل أبو القاسم سعد الله محافظا على سمة البحث العلمي كأستاذ، ورافضا المناصب رغم المغريات الكبيرة.

– إن كثرة أعمال سعد الله النقدية في مدة زمنية مبكرة و قصيرة اشتغل فيها بالأدب و النقد قبل أن يتخصص في الدراسات التاريخية، تدل على الحس النقدي الكبير لديه من جهة، وعلى طموحه العلمي الكبير للارتقاء بالأدب والنقد الجزائريين.

– تنوعت التجربة النقدية لسعد الله بين النظري والتطبيقي فلم يكتف بالنقد والتحليل للنصوص بل تجاوزه إلى التأصيل والبحث عن المعلومة الجديدة رغم الفترة الزمنية المبكرة جدا من ناحية ورغم صعوبة البحث التاريخي الأكاديمي ، وبموازاة ذلك شملت جهوده كل الأنواع الأدبيةفكتب في نقد الشعر ونقد الرواية ونقد القصة ونقد المسرح، ومقدمات الكتب وأدب الرحلة.

– ترك سعد االله رصيدا نقديا مهما ومؤسِسا، إلا أنه لم يجمعه في مؤلفات خاصة بالنقد الأدبي بل كان الكثير منه موزعا في ثنايا كتبه على اختلاف موضوعاتها.

– لم ينفصل التأريخ للأدب عند سعد الله عن النقد النصي التحليلي للنصوص الأدبية، فكان يشتغل عليهما بالتوازي في بعض أعماله وخاصة في موسوعته (تاريخ الجزائر الثقافي).

– لقد اصطبغت الكتابة النقدية عند سعد الله في مرحلتها الأولى – على الخصوص – بصبغة النقد الرومنسي العربي المشرقي، متأثرا ببعض نقاد مصر والشام في أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات. كما تأثر لاحقا بالمذاهب الغربية (الرومنسية والواقعية).

– استطاع سعد الله إنتاج خطاب نقدي فعال في إطاره الزماني المبكر بالنسبة لأوضاع الجزائر، حيث لم يقل مستوى كتاباته النقدية عن النقد العربي السائد آنذاك في بلدان عربية مستقلة ومستقرة.

– تميز الخطاب النقدي لسعد الله بالدقة والوضوح والموضوعية، وبخاصة في دراساته النظرية.

– اعتمد سعد الله المنهج التاريخي في معظم دراساته النقدية بصورة واضحة مما جعله من رواد المنهج النقدي التاريخي في الجزائر.

– رغم أن المنهج التاريخي اخذ حصة الأسد في دراسات سعد الله إلا أن بعض دراساته النقدية التطبيقية ظهر فيها المنهج الانطباعي وبخاصة في بداية ممارسته النقد. كما اعتمد أحيانا المنهج الفني، والمنهج النفسي في قراءته لديوان محمد العيد آل خليفة، ومسرحية امرأة الأب لأحمد بن ذياب.

– اعتمد سعد الله المنهج التاريخي والتوثيقي في كتاباته النقدية والتاريخية على حد سواءوتجلى ذلك على وجه الخصوص في تحقيق بعض النصوص مجهولة المؤلف أو مجهولة العنوان، ثم معالجتها في دراسات نقدية.

الدراسة الثالثة : الشيخ أبو القاسم سعد الله مؤرخا(1932–2013) رسالة مذكرة لنيل شهادة مذكرة لنيل شهادة الماستر– 2– إعداد الطلبة حيفظة قطوش ، سارة مبروكي في تاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف الدكتور خير الدين شترة الموسم الجامعي 2015/2014 كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية جامعة المسيلة قسم التاريخ .جامعة المسيلة

وتكمن أهمية البحث هذا في انه يرتكز على حياة سعد الله الذي كثيرا ما نادى بضرورة الاستفادة من عظمة تاريخنا بدون تحيز ، ودعا إلى الاستفادة من علوم الغرب دون انغلاق من أجل الارتقاء وهو قطب ،وضع البذور الأولى لمشتلة المدينة التراثية الجزائرية التي حلم بتأسيسها ورحل عنها وهي في مرحلة المخاض.

إشكالية الموضوع :

كيف ساهم سعد الله في التأسيس للكتابة التاريخية في الجزائر ؟وينضوي تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية يكمن طرحها كما يلي : ماهي العوامل التي أثرت في تشكيل

شخصية أبي القاسم العلمية ؟ وكيف تفاعل مع القضايا الجزائرية والعربية الإسلامية ؟ وماهي دوافع تحوله من الأدب إلى التاريخ ؟ وكيف تعامل مع أطروحات المدرسة الكولونيالية ؟

المنهج العملي المتبع :

اعتمدنا في دراستنا هذه على منهجين علميين هما : المنهج التاريخي بقصد تحديد المفاهيم وتبرير بعض المعطيات ، ذلك أن بعض الجوانب المنهج التاريخي تستخدم في التحليل ، حيث أن الظاهر في كل الأحوال زمانية أي لها زمان معين تقع فيه ، وبهذا فهي لا يمكن ان تنفصل عن حياة المجتمع الماضية ، وعليه يستفاد من الرجوع إلى الماضي لتعقب حدوث الظاهرة منذ بدايتها (مولد ونشأة وتكوين سعد الله)، والوقوف على المتغيرات المؤثرة فيها ، وبالرغم من أن المختص في التاريخ يستخدم هذا المنهج لوصف الأحداث في الماضي ،إلا أنه بالإمكان أن يوظفه لغرض الوصول إلى المبادئ والقوانين التي يمكن عن طريقها تفسير الظاهر ، وبذلك فأن هذا المنهج يمكننا من ربط الحاضر أو الماضي ، ومحاولة فهم العوامل والظروف التي ساهمت في تكوين ظاهرة معينة سوء في الحاضر والماضي ، فالمنهج التاريخي يستند على عرض وتحليل الاتجاهات والوقائع والأحداث السابقة بالنسبة لظاهرة معينة وربطها بالواقع الحالي ، أي الإفادة من الماضي في فهم وتحليل الحاضر ، ومحاولة وصل الحوادث وذلك بربطها في سياق زمني ،ومن ثم استقراء تلك الحقائق ، فقمنا بوصف واستعراض مسيرة هذه الشخصية ، كونه الأنسب لسرد الأحداث وتقصيها وربطها زمانيا ومكانيا، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي ، فحين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها ، والمنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً او تعبيراً كمياً ، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها ، أم التعبير الكمي فيعطيها وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى ، والمنهج الوصفي مرتبط منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية وما زال هذا هو الأكثر استخداماً في الدراسات الإنسانية حتى الآن وذلك نتيجة لصعوبة استخدام الأسلوب التجريبي في المجالات الإنسانية بتراثه .

وأهم ما يميز البحث هو متابعة العمل التعليمي والطلابي لسعد الله ، في الفصل الثاني النشاط العلمي والوطني لأبو القاسم سعد الله ، وتطرق إلى نشاطه ابتداء في الزيتونة وانتهاء في الولايات المتحدة الأمريكية ، ونشاطه العلمي والصحفي ونشاطه التدريسي والتربوي .

نشاطه الطلابي الوطني في الجزائر و مصر وأمريكا ، ونشاط التدريسي بالعاصمة (خلال الفترة الاستعمارية) ، ونشاط التدريسي بمسقط رأسه (خلال الفترة الاستعمارية) ، نشاط التدريسي بأمريكا (خلال مرحلة ما بعد الاستقلال) ، نشاط التدريسي بالجزائر المستقلة ، نشاط التدريسي بالمشرق العربي .

كان اهتمامه بتحقيق التراث التاريخي من أجل الكشف عن الذات الجزائرية وإبراز مساهمتها في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة العربية الإسلامية خاصة ، وفي رأيه أنه من الخطأ ان نحصر التاريخ في قيام الدول وسقوطها وتصادم الجيوش وسير الملوك والعلاقات الدبلوماسية بل ان التاريخ أصبح اليوم يشمل ميادين مختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية بل أن هناك تاريخاً للفنون وآخر للآداب.

ساهم بدراساته التاريخية والفكرية (موسوعته الثقافية) في إبراز المساهمة الحضارية والإنسانية للقطر الجزائري وأصالته خلال الفترات السابقة ، وبهدف تأكيد انتماء الجزائر للأمة العربية الإسلامية فما يميز سعد الله عن بقية الباحثين الجزائريين هو سجله الحافل بالمؤلفات في شتى المجلات الأدب والفكر والتاريخ ، فقد بدأ الكتابة منذ1953م وكانت كتاباته معظمها أدبية ، أما في الستينيات فأخذت منحى جديد يتسم بالطابع الأكاديمي التاريخي ، فكان رتاج شعب يصنع التاريخ ولا يكتبه والأدهى والأمر من ذلك أنه شعب لا يعترف لأي بطل في تاريخه .

سعد الله كان يدعو إلى مدرسة تاريخية وطنية لإعادة كتابة تاريخ الجزائر الوطني بعيداً عن الرؤية الاستعمارية الفرنسية الذاتية الطرح والتي سخرت للتواجد الفرنسي واستمراره، لذا تجده ينادي على اتباع المنهج العلمي القائم على الموضوعية وحرية التعبير ، ونلمس تناول أبا القاسم القضايا بحيادية .

برز توجهه العربي الإسلامي من خلال دعواته إلى الوحدة العربية وعدم الوقوع في شراك المخططات الاستعمارية القديمة والحديثة والتشبث بالهوية والعمل على إصلاح الأوضاع الثقافية والاقتصادية من أجل تدارك التأخر التاريخي .

01-08-المقاربة السوسيولوجية :

تشير المقاربة السوسيولوجية إلى الاتجاه النظري الذي سيدرس في إطاره موضوع البحث فتحديد الاتجاه مهم لأي بحث ، وأساس لفهم معطيات الواقع ، لذا وجب على كل باحث الاعتماد على نظرية يحدد من خلالها طبيعة الموضوع ، بما يتوافق مع موضوع الدراسة بحيث يتبع هذا الاتجاه في التحليل باعتبار النظرية إطارا فكريا يفسر مجموعة من الفروض العلمية ، ويضعها في نسق علمي مرتبط .[1]

وبالنسبة لموضوع هذه الدراسة ، والمتمثلة في دور التعليم الديني في تنمية ثقافة المواطنة لدى التلاميذ ، والذي يمكن معالجته بالاعتماد على اتجاهات نظرية سوسيولوجية متعددة ، إلا أنه بالنظر إلى فرضيات الدراسة ، والأهداف التي تسعى إلى الوصول إليها ، يتعين اختيار مجموعة من التصورات النظرية السوسيولوجية التي تهتم بدراسة التنظيم الاجتماعي باعتباره يتكون من مجموعة من الأنساق التي تتحدد فيما بينها من أجل أداء وظيفة اجتماعية محددة ومنجزة من طرف مجموعة من الأفراد ، من خلال تفاعلهم ، وما يستعملوه في هذا التفاعل من رموز ، وهذا ما يتوفر في كل من النظرية البنائية الوظيفية والنظرية التفاعلية الرمزية ، واللتان تم اعتمادهما كمقاربتين في هذه الدراسة :

النظرية البنائية الوظيفية : ذلك أن النظرية البنائية الوظيفية تعترف بأن لكل مجتمع أو مؤسسة أو منظمة بناء ، والبناء يتحلل إلى أجزاء وعناصر تكوينية ، ولكل جزء أو عنصر وظيفة تساعد على ديمومة المجتمع أو المؤسسة أو المنظمة .

---

[1]-- همام طلعت ، قاموس العلوم النفسية والاجتماعية ، بيروت : مؤسسة الدمام ، ط 01 ،لبنان 1984 ، ص 94 .

لذا يعترف الفكر الوظيفي ببناء الكيانات أو الوحدات الاجتماعية ، ويعترف في الوقت ذاته بالوظائف التي تؤديها الأجزاء والعناصر الأولية للبناء أو المؤسسة ، ووظائف المؤسسة الواحدة لبقية المؤسسات الأخرى التي يتكون منها المجتمع .

ويدل هذا على وجود علاقة متفاعلة بين البناء والوظيفة ، وأن هناك درجة عالية من التكامل بينهما ، إذ لا نستطيع الفصل مطلقا بين البناء والوظيفة .

فالمؤسسة أو النسق الفرعي له بناء يتحلل إلى عناصر بنيوية يطلق عليها الأدوار ، ولكل دور وظيفة ، وهذه الوظائف مكملة بعضها لبعض ، ذلك أن التكامل يكون بين البنى وبين الوظائف كما تعتقد النظرية البنائية الوظيفية.

-**المبادئ التي ترتكز عليها النظرية البنائية الوظيفية :** وتعتقد النظرية البنائية الوظيفية بمبادئ أساسية متكاملة ومن هذه المبادئ نذكر الآتي :

01- المجتمع أو الجماعة أو المؤسسة يمكن تحليلها تحليلا بنيويا وظيفيا إلى أجزاء وعناصر أولية ، أي أن المؤسسة تتكون من أجزاء أو عناصر لكل منها وظائفها الأساسية .

02- الأجزاء التي تحلل إليها المؤسسة أو المجتمع أو الظاهرة الاجتماعية إنما هي أجزاء متكاملة ، فكل جزء يكمل الجزء الآخر ، وأي تغيير يطرأ على أحد الأجزاء لابد أن ينعكس على بقية الأجزاء ، وبالتالي يحدث ما يسمى بعملية التغير الاجتماعي.

من هنا تفسر النظرية البنيوية الوظيفية التغير الاجتماعي بتغير جزئي يطرأ على احد الوحدات أو العناصر التركيبية ، وهذا التغير سرعان ما يؤثر في بقية الأجزاء إذ يغيرها من طور إلى طور آخر

03 - كل جزء من أجزاء المؤسسة أو النسق له وظائف بنيوية نابعة من طبيعة الجزء ، وهذه الوظائف مختلفة نتيجة اختلاف الأجزاء أو الوحدات التركيبية .

وعلى الرغم من اختلاف الوظائف فإن هناك درجة من التكامل بينها ، لذا فوظائف البني المؤسسية مختلفة ، وعلى الرغم من الاختلاف فهداك تكاملا واضحا بينهما ، مثلا وظيفة المدرس أو الأستاذ في المؤسسة التربوية تختلف من وطليقة الطالبية ، لكن وظائف كل منهما تكمل بعضها البعض ، فالأستاذ لا يستطيع أداء وظائفه التعليمية والتربوية دون أن يكون هناك طلبة ، كما أن الطالب لا يستطيع تلقي العلوم والمعرفة والتربية دون أن يكون هناك مدرس لذا فالاختلاف والتفاضل في المراكز هو شيء وخليفي للتماسك والتكافل الاجتماعي في المؤسسة التربوية أو التعليمية .

04 – الوظائف التي تؤديها المؤسسة أو الجماعة قد تكون وظائف ظاهرة أو كاملة أو وظائف بناءة أو وظائف هدامة .

ومن هذه المفاهيم والمبادئ فإن نسق التعليم يتم تحليله من زاوية وظيفته في تحقيق التضامن من الداخل بين مكونات المجتمع ، فالنظام التعليمي يلعب دورا أساسيا في البناء الاجتماعي ككل ، ويؤثر في جميع النظم الاجتماعية الداخلة في تكوينه ، ويسهم في نقل قيم المجتمع من خلال الأدوار التي يشغلها الأفراد داخل المؤسسة التعليمية ، ويحافظ على ثقافة المجتمع ويطورها في إطار دعم ميكانيزمات تحقق ذلك .

ومن هذه الزاوية يمكننا الاستعانة بالنظرية البنائية الوظيفية في فهم علاقة علم الاجتماع بالتعليم ، ودور هذا الأخير بتنمية ثقافة لدى التلميذ .

وتفيدنا في تحليل سوسيولوجية التربية من حيث فهم كيفية غرس الأدوار والوظائف التي تنمي الثقافة والقيم الأخلاقية ، وربطها بوظيفة ودور المتعلم داخل المدرسة وخارجها في تفاعله مع المجتمع .

01-09- الصعوبات : يجد الباحث الجاد في دراسته لأي موضوع نوعا من الصعوبة في بداية الدراسة ، إلا أن كثيرا منها يتذلل بعد ذلك ، بإرشادات المشرف و الإطلاع أكثر على حيثيات الموضوع .

ومن أهم الصعوبات التي واجهناها في هذه الدراسة ، نذكر منها :

– انعدام المراجع في موضوع التربية عند العلامة أبو القاسم سعد الله .

– انعدام المراجع في موضوع فلسفة الإصلاح التربوي في الجزائر ، مع وجود مقالات قليلة جدا لا تفي بالغرض الذي تريده .

– في موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي كانت بعض الأجزاء تتكلم عن التصوف فتطلب منا البحث أكثر عن مفهوم التصوف وتاريخه.

– كم أن اختيار المواضيع تحليل المحتوى وجدنا صعوبة في اختيارها لكون سعد الله يعتمد في كتاباته عن الشتات جزء هنا وجزء هناك

– تشعب مفاهيم موضوع الدراسة في بعض الأحيان يجبرنا على الدخول في تخصصات اجتماعية أخرى منها علم الاجتماع الثقافي التربوي وعلم الاجتماع الحضاري وعلى الاجتماع الديني

الفصل الثاني

حياة العلامة أبو القاسم سعد الله

الفصل الثاني : حياة العلامة أبو القاسم سعد الله

حياة أبو القاسم سعد الله والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري

المحتويات:

- تمهيد

1- سيرة حياة العلامة أبو القاسم سعد الله. وأهم المحطات التي مرّ بها.

2- العوامل المؤثرة في تكوينه الفكري.

3- سعد الله وجمعية علماء المسلمين

4- مؤلفاته وأهم الاختصاصات التي اهتم بها.

- الخلاصة

تمهيد:

إن معرفة سيرة حياة المفكرين والمصلحين وغيرهم مهمة في عملية البحث عن علمهم وفكرهم ومقاصدهم التي كانوا يهدفونها ويصلوا إليها، ومن خلال تتبع مراحل التي مرت بها حياتهم وخاصة العلمية، فمن هنا نجد أن أي دراسة لفكرة أو نظرية معرفية تقتضي الترجمة لصاحبها ومعرفة روافدها التي خلصت منها والمتمثلة في نشأة المفكر وتعلمه وتدرجه في الحياة الاجتماعية والعلمية والإبداعية والفكرية والثقافية، لان هذه السيرة وإن كانت تاريخية فهي تمثل نص قابلا للقراءة والتأويل وفهم أبعاد شخصية(المفكر المنظر المربي المصلح) وذلك الفرد الذي يقدم الحلول والمشاريع على أساس فلسفة ومبادئ معينة نابعة أساسا من معتقدات وخبرات تاريخية وحقائق ميدانية سواء كانت أكاديمية في الجامعات أو من الخبرة دراسية في المدارس والثانويات وغيرها حتى الاجتماعية يمكن الاستفادة منها فهناك ارتباط واضح بين هذه المؤلفات المختلفة والتي شملت عدة اختصاصات منها علم الاجتماع، التاريخ، التربية، الثقافة والسيرة الذاتية للمؤلف ورغم أن كل دراسة أو بحث وضع حول شخصية معينة فإنها لا تخلوا عن كتابة تخص سيرته ذاتية، إلا أننا سنتعرض إلى هذه سيرة في هذا البحث ليس من اجل معرفة تواريخ والمحطات فقط وهي كثيرة وذلك بسبب كثرة تنقله طالبا للعلم وأيضا مدرسا في مختلف الأقطار العربية والغربية.

ومن أجل ضرورة تكامل البحث العلمي والارتباط الفكري بالمفكر، وتأثره بيئته في الجزائر ومعرفته أيضا بالأوضاع العربية في وقت الاستعمار وخاصة نجد أن هذه العوامل لها تأثير كبير وجب دراستها فتلك الظروف هي أكثر من مهمة واهتمام المؤرخ أبو القاسم سعد الله بتاريخ ليس من وحي الصدفة بل على قناعة مما لاحظه هو في حياته خاصة قبل الاستقلال واهتمامه اللامحدود بالحركة الوطنية الجزائرية والتاريخ الثقافي الجزائري دليل على ذلك.

كما أن المنهجية العلمية واستقلالية البحث أيضا تفرضان علينا وضع دراسة متكاملة بين يدي القارئ، بذلك نجد أنفسنا أمام شخصية ملهمة فهو المثقف والمؤرخ والمحاضر والمفكر الهادئ،

الباحث عن الحقيقة وخاصة الحقيقة التاريخية ورجل هو عالم موسوعي في كثير من الاختصاصات منها التربية والتعليم التي قضى فيها معظم وقته بين التعلم والتدريس والقراءة والمطالعة والبحث لهذا جاء المدخل مخصصا لسعد الله وسيرته الذاتية والعوامل المؤثرة في فكره عامة ثم نحاول أن نقدم في هذا الفصل لأهم الكتب التي ألفها طوال حياته العلمية والفكرية، والمقالات والاختصاصات التي بها أثرى المكتبات الجزائرية والعربية والإسلامية والعالمية.

1- سيرة حياة العلامة أبو القاسم سعد الله:

1-1- حياته (المولد والنشأة):

ولد سنة 1930 وفي ذلك الوقت لم تكن النقمة أو النكوة معروفة أو الإسم واللقب وكان اسمه الحقيقي (بلقاسم) وليس (أبو القاسم) كما أشتهر في الساحة العلمية، وكثيرا ما كان يستعمل هو اسم أبو القاسم في أدبياته في المقالات أو المؤلفات القديمة الخاصة به.

ولقد ولد سعد الله ببلدية (قمار) بولاية وادي سوف بمنطقة (البدوع) التي تعود تسميتها إلى (الإبداع) حسب رأي سعد الله والتي منها استلهم شخصية الفرد المبدع الفرد المصلح المحب إلى وطنه.

" أبو القاسم (بلقاسم) بن أحمد علي بن محمد بن سعد بن مبارك بن علي جحيدر ... وينطق أيضا (أجحيدر و شحيدر) أما اللقب (سعد الله) فهو من مستحدثات العهد الفرنسي فقد فرض الفرنسيون على الجزائريين تغيير الحالة المدنية، وطلبوا من كل عائلة أن تختار لقبا جديدا خاصا بها تعرف به بين الناس على طريقة الأوربية فاختار عمي عبد الله الذي كان أكبر إخوته سنا واتصالا بالسلطة والمجتمع لقب (سعد الله)"[1].

كما نشأ سعد الله وهو متأثر بالبيئة المحيطة به جغرافيا وتاريخيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا فكلها أثرت على نشأته وتكوينه وتعليمه، فقد نشأ في عائلة فقيرة تعيش على الفلاحة بوسائل بسيطة ومعاناة كبيرة، وقد تربى في ظروف قاسية ككل الجزائريين أثناء الاستعمار حيث يذكر أنه عندما حلت الحرب العالمية الثانية، كانت هناك خصاصة في المؤونة والمواد الغذائية " أتذكر مثلا أن الناس كانوا يتناولون أوراقا من النباتات الجافة عوض نبتة الشاي... وكنا نأكل في اليوم تمرات معدودات لكل واحد منا خمس حبات حتى لا نموت جوعا... وكنا لا نلبس جديدا، الكبير منا يترك لباسه للأصغر منه... أذكر أيضا أن أول قميص ارتديته لم يكن جديدا

[1] - أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 15.

لأنه لباسا عسكريا من مخلفات الحرب العالمية الثانية، اشتراه لي والدي مكافأة على ختم القرآن الكريم"[1].

3- ثقافته وتعلمه:

إن المنطقة التي ولد بها، كانت مشهورة ولا تزال بالحفاظ على اللغة العربية وحب العلم ربما لقربها لتونس، نشأ سعد الله في عائلة متدينة، فكانت بدايات تعليمه الأولى في جامع القرية مع كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، حيث يعتبر تحفيظ القرآن الكريم للأطفال من التقاليد القديمة في الثقافة العربية الإسلامية.

فأول ما يتعلم عند دخول الولد إلى الجامع هو حفظ ما تيسر من القرآن الكريم أو شيئا يسيرا من السنة النبوية، حتى يغرس فيه حب القرآن وحب اللغة العربية فالقرآن الكريم يساعد على تمكين الطالب واستيعابه اللغة العربية الفصحى.

ومما يلاحظ في طبيعة عائلته أنها لها توجهات دينية كباقي العائلات الجزائرية فيما يخص الطرق الصوفية وقد رحبوا بالطرق الصوفية التي ملأت الفراغ الروحي بعد التدهور الذي أصاب الجانب الدين سواء روحي أو الأخلاقي وفي جانب أخر نجد أن والده وخاله انضموا إلى الحركة الإصلاحية التي ظهرت في المنطقة بزعمائها ومدارسها وفلسفاتها،" وعندما انتشرت الحركة الإصلاحية في قمار على يد شيخ عمار بن الأزعر تأثر بها أهلي ولا سيما والدي الذي كان يحضر دروس المصلحين، ولعل ذلك راجع إلى عدم اقتراب أهلي من أصحاب السلطة لأن الطلاب الوظائف الرسمية هم الذين اضطرهم الحال عادة إلى الانتماء إلى الطرق الصوفية ضمانا لهم وتقية، لأن الصوفية نفسها كانت صلة بالسلطة سواء رضي أو عن حاجة أمنية"[2].

كل هذا دفع بوالد سعد الله أن يدخله إلى الجامع (مكان لتحفيظ القرآن للأطفال في سن مبكرة) منذ سن الخامسة، وذلك برغم من بعد الجامع من مكان إقامته بحوالي نصف كلم وزاد من

[1] - مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، الجزائر، منشورات الحبر، 2008، ص17.
[2] - أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 22.

صعوبة الأمر تغير المؤدب عدة مرات وقام بتكرار الحفظ عدة مرات حتى يرسخ في الذاكرة كما هي العادة ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيخ الزبيري وهو أول من أكتشف موهبة أبو القاسم سعد الله فرعاه واستمر في رعايته.

" أما الشيخ الزبيري الشيخ بلقاسم بن محمد الزبيري فقد اكتشفني وأحاطني برعايته عندما ظهرت له قابليتي للحفظ وأنني مختلف عن التلاميذ الآخرين، وقد استمر في رعايتي والاهتمام بي إلى أن ختمت القرآن العظيم على يديه، ثم أخذت في تكراره عدة مرات لترسيخ الحفظ في الذاكرة كما هي العادة، وفي نهاية الدورة الرابعة صليت التراويح من حفظي طيلة شهر رمضان سنة 1946 وكان الشيخ الزبيري يقف ورائي في الصف لتصحيحي إذا ما أخطأت"[1].

درس سعد الله بجامع الزيتونة بين(1947م) و(1954م) وتحصل على الشهادة الأهلية في (1945م) وشهادة التحصيل سنة (1954م) وفي نوفمبر من نفس السنة ثم عاد إلى الجزائر ليؤمن مصاريف السفر إلى المشرق لإكمال الدراسة، فوالدة كانت تتطلع إلى أن يصبح ابنها مثل أخيها الحفناوي، وكان الحفناوي مضرب المثل في عائلة أخواله وهكذا كانت متأثرة به أملا أن يكون مثله وكانت هناك حركة طلابية بين مدينة القمار وجامع الزيتونة لقرب المسافة وأصبح أبو القاسم سعد الله مثلا في لطالب المجتهد.

" قضيت سنة (1946-1947) إذن في قمار أستعد وأتدارك ما فاتني من حفظ المتون وتكرار القرآن وأطالع ما أمكنني من الكتب، وكنت كثير الخلوة بنفسي عدا أوقات التكرار الجماعي في الجامع أو العمل مع أهلي في الحقل، وكانت البدوع بعيدة عن مواطن تجمعات الشباب والأماكن العامة والسوق الذي لا أذهب إليه في أغلب الأحيان سوى يوم الجمعة بعد إذن الوالد أو بمرافقته"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 59.
[2]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 67.

ومما لاحظه عند ذهابه إلى تونس فإن جالية أهل سوف تشكل أكبر عدد من الجزائريين في تونس فقد توافدوا على تونس في أزمنة مختلفة ولأسباب متعددة أهمها البحث عن العمل لقلة موارد العيش في بلادهم، وقد توزعوا في أماكن متعددة في الحاضرة وما حولها، فكانوا يعملون أعمالا بسيطة ومتواضعة، ومنهم من استوطن هناك ومنهم من قد ترك أهله في الجزائر.

ويظهر أن أهل سوف بحكم أنهم منطقة حدودية وقرب المسافة ولأسباب تاريخية كالاستعمار الفرنسي وما تبعها من أوضاع اقتصادية أثر في هذه البلدة التي كانت ترى في تونس بلد جذاب لراغبين في العلم والعمل.

وسعى أبو القاسم سعد الله لذهاب إلى الزيتونة سنة 1964 ولكن المادة لم تتوفر للوالد فحفظ بعض المتون قبل الالتحاق بالجامع الزيتونة "وقد تحقق هذا سنة 1947 حين سافرت رفقة مجموعة من الطلاب الذين سبقوني وهذا تماشيا وتأثرا بالتيار الإصلاحي و التعليمي الذي ظهر وتغلغل في المنطقة سوف آنذاك، فكنت أنا من المجندين للذهاب إلى الزيتونة، تشجيعا من والدتي، وتشجيعا من شيخ آخر كان صديقا لوالدي، وهو أيضا خريج جامع الزيتونة إنه الشيخ محمد الطاهر التلتلي"[1]

تحصل على شهادة الأهلية برغم الأوضاع السياسية المضطربة في تونس والتي انعكست على الطلاب الجزائريين، والذي كان من نتائج ذلك الاضطراب الدراسي بسبب الإضرابات ومما نتج عنه تأجيل الامتحانات شهادة الأهلية إلى بداية الخريف فكانت فرصة كما يقول للمراجعة والحفظ فيما يتعلق خاصة الشواهد النحوية ومواقعها وإعرابها وتكرار المسائل الفقهية.

جرى امتحان شهادة الأهلية في أوائل الخريف لسنة 1951 وكان الموضوع الإنشائي كان اختيار مابين وصف المولد النبوي الشريف والحديث عن الصدق والأمانة، وكان المطلوب هو كتاب صفحتين أو ثلاث من الحجم المتوسط، واختار الموضوع الأول مع ملاحظة وهو أن هنا

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، الجزائر، منشورات الحبر، 2008، ص 20.

استعمل المطالعة وهو قراءة مجلة الرسالة ثم استعمل الملاحظة وهو ما شاهده في مدينة تونس وقد مزج بين الماضي والحاضر.

من هنا نستنتج أن شيخ أبو القاسم سعد الله لم يكن طالب علم يهتم بالحفظ والملاحظة فقط بل كان يستعمل مخيلته الإبداعية بشكل جيد وذلك برغم من صغر سنه حيث حرص على عرض احتفال المولد بتونس مع الحياة التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما زاد من بروز شخصية أبو القاسم سعد الله الإبداعية في مجالات مختلفة وكان أولها الأدب العربي.

" وقد اخترت الموضوع الأول وأطلقت العنان لقلمي يكتب ما يشاء، رغم أنهم قيدونا بـ(عناصر) أساسية للموضوع، فلم ألتزم بها وإنما رحت أكتب من وحي ما تعلمت وما حفظت من عبارات قرأت في إحدى المجالات وأظنها مجلة (الرسالة) لأحمد حسن الزيات، وما شاهدته من احتفالات المولد في تونس (أما في قمار فلا نعرف للمولد النبوي تقليدا ولا نحي له ذكرى) وقد مزجت في الوصف بين الماضي والحاضر، فتحدثت عن قريش ومكة وظلمات الجهل والعصبية وغياب الأخلاق والدين، ثم انتقلت إلى الحديث عن الأفراح بعيد المولد ورفرفة الأعلام احتفالا به وأطيب المآكل والزيارات وإيقاد الشموع، كلام كثير بأسلوب أدبي وفضفاض، وقد تحصلت على علامة طيبة في هذا الإنشاء ثم أكملت بقية المواد، وبذلك تحصلت على أول شهادة علمية في حياتي وقد أبرقت بالنتيجة إلى والدي فزادت ثقتهم في واعتزازهم بي"[1]

– شهادة التحصيل سنة 1954: لقد تأجل الامتحان النهائي للحصول على شهادة التحصيل (الثانوية العامة) قد تأجل عدة مرات، فقد كان الواجب أن يتم ذلك في شهر جوان 1954 ولكن أيضا الظروف السياسية والتونسية من اضطرابات وأحداث فالطلبة كانوا يلحون على الإصلاح مما أدى إلى تأخير الامتحان إلى الخريف في وضع شبه بما حدث سنة الشهادة الأهلية وكان ذلك مصدر قلق لأبو القاسم سعد الله فكانت فرصة أخرى لحفظ المسائل النحوية والصرفية

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 147.

والفقهية والأدبية ومقررات الشعر، لا يخرج من هذا الطوق إلا أو لقرض الشعر وكتابة القصص التي لا ينتهي منها عادة بل تبقى مبتورة.

أما فيما يخص الامتحان كان يقلقه هو إلقاء درس في المسألة فقهية أو نحوية أمام لجنة من كبار العلماء، عموما لاحظنا أن الموضوع لم يكن فيه ما يستطيع المبدع أن يقوم به مثل التخيل أو التأويل، وهذا كعادة المبدعين يحبون المواضيع ذات صلة بالتخيل أو التأويل والاستدلال (الفهم).

" وكانت المسألة النحوية جافة لا مجال فيها للخيال ولا تأويل، ولكن كان عليّ أن أذكر رأي المتن والشارح والمحشي فيها، وأن أقدم الدرس بطريقة منظمة ومنهجية كما يقدمه الشيوخ الراسخون في العلم، وحين وصلت اللجان الممتحنة إلى الجامع نفسه انتقلت أنا أيضا إليه من المكتبة وجلست قريبا من لجنتي، وأخذ رئيسها ينادي على الطلبة الواحد تلو الأخر، وكنت أنتظر دوري وأنا في حالة اضطراب وتوتر، وكلما انتهى طالب سألناه عما سألته اللجنة وكيف أجاب وكيف قبلت إجابته، وكان ذلك يجعلني أستعد أكثر للإجابة رغم أن الواقع قد يكون غير ذلك"[1]

وظهرت النتائج وكان من الناجحين بدرجة عالية، وأبرق والده ببشرى النجاح وذلك بعد سبع سنوات في الغربة في تونس.

يقول فيما يخص سنتين الأخيرتين عن وجوده في تونس ومقارنة الوضع هناك وبالوضع في الجزائر حيث أن الجزائر ثقافيا أصبحت متأثرة بفرنسا عكس الوضع في تونس حيث يقول :

" لقد اندمجت في تونس خلال السنتين الأخيرتين اندماجا كبيرا سواء في الحركة الأدبية أو في الحياة الاجتماعية والسياسية، وسيكون لذلك أثر على نفسي عندما حللت بعاصمة الجزائر لأول مرة إذا اصطدمت صدمة عنيفة وأحسست بغربة مهولة، فكأنني اقتلعت من بيئة طبيعية

[1] - المرجع نفسه، حياتي، ص 176.

ووضعت في بيئة غير طبيعية فكان عليّ أن أعاني سنة كاملة إلى أن خرجت من العاصمة ملتحقا بالمشرق (مصر)"[1]

– ثورة الجزائرية تنطلق: كانت الثورة قد انتشرت في كثير من بقاع العالم ومنها الدول العربية، فكان الطلبة يتوقعون ذلك في أي وقت برغم من أنه ليس لهم أي علم دقيق بذلك ولاشك أن انطلاق الثورة في الجزائر، شوش أذهان الطلبة في الامتحانات فأصبحوا يفكرون في الامتحان والثورة معا، وأصبح الشيخ أبو القاسم سعد الله يتابع الأخبار يوميا في شوق لا مثيل له.

" وفي أول نوفمبر 1954 كنت أقف أمام فرع ابن عبد الله التابع لجامع الزيتونة لإجراء امتحان كتابي فإذا بالطلبة الجزائريين يتبادلون الجرائد الصباحية، ومنها جريدة (الصباح)، كانت الجرائد تعلن عن اندلاع الثورة في الجزائر بحروف كبيرة، وقد سارعت إلى قراءة الخبر، فارتفعت معنوياتنا نحن الطلبة الجزائريين لأننا كنا نقول لمحدثينا التونسيين بأن الجزائر لن تبقى بدون حراك"[2]

عندما انطلقت الثورة، لم يكن الشيخ من الذين يتعاطون السياسة كثيرا، ومع ذلك كان يختلط مع بعض الطلاب ممن كانوا أعضاء في حزب الشعب الذين كانوا معجبين بشخصية مصالي الحاج، ويبدوا أنه كان هناك استقطاب للطلبة سواء لحزب الشعب أو الجمعية (جمعية علماء المسلمين) كأنه هناك تنافسا مكتوما بين حزب الشعب وجمعية العلماء لاستقطاب الشباب المتعلم، وكان دور الأناشيد واضح في الثورة والحركة السياسية عموما.

" وممن كانوا أعضاء في حزب الشعب مثلا ومعجبين بشخصية مصالي الحاج، حتى كان بعضهم يبالغ فيحلف اليمين بلحيته، وينشدون أناشيد الحركة الوطنية مثل (فداء الجزائر روحي

[1]- المرجع نفسه، حياتي، ص 173.
[2]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، ص 177.

ومالي) وكذلك أناشيد الحركة الإصلاحية مثل (شعب الجزائر مسلم- وإلى العروبة ينتسب) و(اعصفي يا رياح)... أي أنا كنا مندمجين، نأخذ من بعضنا البعض".[1]

- عودته إلى الجزائر: أراد الشيخ أبو القاسم سعد الله أن يكمل دراسته في المشرق وفي تونس قدم طلبا إلى جمعية العلماء في قسنطينة لكي يضمونه إلى بعثاتهم المتوجهة إلى المشرق لمواصلة دراسته، فكان جوابها أن البعثات خاصة بطلبة معهد ابن باديس وأبو القاسم لم يدرس فيها، فبذلك عاد إلى الجزائر ليؤمن مصاريف السفر وذلك عن طريق التدريس كمعلم فعمل بمدرسة الثبات بالحراش ثم بمدرسة التهذيب بالعاصمة سنة 1954، وفي السنة نفسها سافر سعد الله إلى مصر بعد ظروف صعبة عاشها في الجزائر، ويصرح أنه منتميا فكريا إلى الجمعية كما قدم خدمات للبعثة الجمعية وبرغم ذلك لم ينجح في إقناع المسؤولين على الجمعية من أجل إكمال الدراسة وكان طموح أبو القاسم سعد الله كبيرا مما جعله يرفع التحدي مرة أخرى لتوفير المبلغ المالي من أجل السفر وتحقيق هدفه.

" كنت تقدمت وأنا بتونس بطلب إلى جمعية العلماء في قسنطينة لكي يضموني إلى بعثاتهم المتوجهة إلى المشرق لمواصلة دراستي، فكان جوابها أن البعثات الخاصة بطلبة معهد ابن باديس، وأنا لم أدرس فيه وكنت أظن أن خدماتي لبعثة الجمعية في تونس وانتمائي الفكري إليها ستؤهلني لعضوية البعثات الدراسية المتوجهة إلى المشرق، ولكني لم أنجح في إقناع مسؤولي جمعية العلماء بوجهة نظري، ولذلك عزمت على تحقيق حلمي اعتمادا على الله وعلى نفسي، فكان عليَّ أن أتعاطى التعليم في الجزائر لتوفير أجرة السفر إلى المشرق، وكان الطالب في المشرق لا يحتاج إلا إلى أجرة السفر، لقد كان طموح الشباب جعلني لا أفكر كثيرا في العواقب".[2]

- في العاصمة الجزائر: كان وصوله إلى العاصمة في نوفمبر 1954 وقد تقدمت السنة الدراسية وتوزع المعلمون على المدارس، ولم تبق إلا أماكن قليلة شاغرة، وكان ملزم بأن يحضر

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، الجزائر، منشورات الحبر، 2008، ص 23.
[2]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 181.

شهادة التحصيل قبل شروع في التعليم، وقد عرض عليه خاله مكان شاغرا في مدرسة الثبات (بالحراش) بضواحي العاصمة، وهكذا التحق بمدرسة الثبات في الحراش يوم 19 نوفمبر سنة 1954.

– مع الربيع بوشامة في مدرسة الثبات في الحراش: كان مدير المدرسة هو الشاعر الربيع بوشامة الذي بحوالي أنه الخمسينات من عمره، يلبس على الطريقة الأوربية، ويضع على عينه نظارات طبية كثيفة، وكان كما علم أنه على علاقة غير جيدة مع شعبة الجمعية التي تشرف على المدرسة وكان الشيخ ينوي البقاء في العاصمة سنة واحدة ثم ذهاب إلى المشرق للدراسة، هناك بعض المدارس الذي استطاع المستعمر اختراقها مثل مدرسة الشبيبة.

" لأنها مدرسة قديمة ولأنها كانت إسلامية وتعليمها بالعربية، ولكن إرادتها الجديدة قبلت أو فرض عليها تعليم اللغة الفرنسية منذ غادرها الشاعر محمد العيد مع الحرب العالمية الثانية فأصبحت مدرسة الشبيبة رغم دورها التاريخي الوطني، تعمل تحت المظلة الفرنسية أما التعليم في مدرسة الثبات فهو تابع لجمعية العلماء التي تعمل على نشر الإصلاح والوطنية وإحياء تراث العرب والإسلام وشتات بين المدرستين"[1]

– في مدرسة التهذيب: انتقل إلى مدرسة التهذيب إثر عطلة الربيع أي قضى أربع أشهر في الحراش وعندما سماع الشيخ الربيع بوشامة بإنتقالي اغتاظ وحاول أن يثنيني وسأل عن الأسباب ووعد بالتغلب عليها ولكنه وجد من الشيخ تصميما فاستسلم للأمر الواقع ومع ذلك كان يزورهم من وقت إلى أخر، وفي مدرسة التهذيب أي ربيع من سنة 1955.

أما مديرها فهو محمد الحسن فضلاء وكان عصري الفكري والهندام وكان يلبس كالأوربيين وله معرفة بالفرنسية ويتكلم بشيء من الكبرياء والاعتزاز بالنفس.

[1] - أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 190.

فهنا نجد تأثير الشخصية القوية في المدرسة حتى وإن كانت فيه شيء من الكبرياء فتكون المدرسة أكثر انضباطا.

" وقد انعكس ذلك على مظهر وسير المدرسة أيضا، فكانت مدرسة مثالية في التنظيم والنظافة والنشاط والانضباط، فشتان بين مدرسة التهذيب ومدرسة الثبات في الانسجام بين الأساتذة والنشاط الأدبي والفني وكانت مدرسة التهذيب تقيم الحفلات في المناسبات الدينية والفنية بمشاركة المعلمين والتلاميذ والأولياء"[1]

وقد لاحظ أن هناك اهتمام في مدرسة التهذيب بطرق وإعداد الدروس وإشراك التلاميذ وابتكار أساليب الترغيب في التعليم، وهو لم يسبق له أن تعلم مثل هذه الأمور كما أنه جمعية التهذيب كانت أيضا لها مأخذ على المدير من بينها تحرره الزائد في نظرها، وبعد أن سافر إلى مصر بقت له صلة بالمدرسة بعض الوقت، ويراسلهم ويراسلونه.

كان نشاطه خارج المدرسة هو كتابة الشعر والخواطر ومطالعة بعض الكتب، وكانت جريدة البصائر في باب الواد هي من تتولى نشرها في حين أن هيئة تحريرها مكونة من الشيوخ أحمد توفيق المدني، وأحمد سحنون وباعزيز بن عمر فكان الشعر يعرض على الشيخ سحنون والنثر يعرض على الشيخ المدني.

- رحلته إلى مصر:

كان الشيخ العربي التبسي-رحمه الله- من الذين شجعوه على ذلك وذكره بأهمية الدراسة في الأزهر وتضحيات في سبيل العلم، كما أن الشيخ أحمد توفيق مدني ذهب إليه في مكتبه الخاص وبعد جلسة قصيرة شجعه وقال إننا سنراك غدا إن شاء الله علما من أعلام الجزائر ولا تنسى البصائر، وقد وصل إلى القاهرة في أكتوبر 1955 ثم دل على الشيخ الابراهيمي في قلب القاهرة.

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 194.

وشارك في اختبار الدخول إلى كلية دار العلوم وفي شهر ديسمبر 1955 وبرغم تأخر اختبار القبول بكلية دار العلوم وفوات نصيب كبير من الدراسة التي تبدأ عادة في شهر أكتوبر، ولكن سرعان ما ندمج في النظام الدراسي وشاركت في الامتحان الأول (نصف السنة) وربما يرجع ذلك إلى كون مواد الدراسية في السنة الأولى كلها تقريبا قد درستها بعمق في جامع الزيتونة وكان بعض الطلبة الجزائريين قد دخل الكلية دون المرور بشهادة البكالوريا، فتعبوا كثيرا في دراستهم وكرر بعضهم السنوات عدة مرات.

ثم ما لبث أن أصبح طالبا عاديا، يتمتع ببطاقة الطالب ويحصل على منحة الجامعة العربية وعلى الإقامة في مصر وكما قلنا كان لأبي القاسم سعد الله ميولات أدبية في شبابه فدرس بكلية دار العلوم بدل الأزهر ولم تكن دراسته صعبة في سنوات الأولى فأصبح من المتفوقين كعادة الشيخ أبو القاسم سعد الله.

تخرج فيها بشهادة اللسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1955 ثم سجل في الدراسات العليا في تخصص النقد الأدبي فأتم السنة السنة الأولى وأنهى الرسالة في السنة الثانية حول (شعر محمد العيد أل خليفة) لكنه لم يناقشها حيث سافر سنة 1960م إلى أمريكا.

تعتبر مصر دولة مزدهرة ثقافيا وفنيا مقارنة بالدول العربية الكبرى وعهد الراحل جمال عبد الناصر كانت مركزا قوميا مؤثرا وفعالا ومن هنا كان اهتمام أبو القاسم سعد الله بالمجال الثقافي والسياسي أمرا مهم ومفروضا عليه، كما أنه تابع باهتمام أوضاع جمعية العلماء المسلمين وأهم أحداث الثورة التحريرية الكبرى من مصر بالإضافة إلى الكتابة خاصة في ميدان الشعر والقصائد ذات توجه الثوري.

" ولذلك كنت أهتم بالنشاط الخارجي أكثر من اهتمامي بمراجعة وحفظ المواد الدراسة جمع مادة رسالة القاهرة إلى البصائر والشروع في تدوين يومياتي منذ فبراير سنة 1956 والاشتراك في الحركة الطلابية الجزائرية التي كان لها مركز في 6 شارع بنك مصر وكنت كثير التردد على

مركز جمعية العلماء ومكتب تحرير المغرب العربي للقاء أعضاء جبهة التحرير أو سماع أخبار الجزائر أو لمجرد لقاء وجوه جديدة وقراءة بعض الصحف، كما أخذت أتردد على بعض مقرات الصحف والمجلات الأدبية، ونوادي الطلبة العرب"[1]

– **الحياة في أمريكا:** في الواقع أن طموح مواصلة الدراسة في بلاد غير عربية كان في نيته منذ أن كان في تونس وبحصوله على المؤهل العلمي هو الشهادة الجامعية زاد هذا الأمل خاصة بعد حصوله على شهادة الليسانس سنة 1959.

قدم طلب منحة من أجل الدراسة في الخارج سنة 1960 وذكر ثلاث بلدان من إسبانيا وأمريكا وكانت هذه هي الثالثة في الترتيب، ثم التقى بالملحق الثقافي الأمريكي بطلب إجراء مقابلة معي في نطاق التحضير للمنحة وكان ذلك في تونس ومنها إلى القاهرة ثم استدعي إلى تونس مرة أخرى من أجل معرفة مستواه في اللغة الانجليزية في السفارة الأمريكية وكان المقصود من ذلك هو وضعه في أي مستوى في الولايات المتحدة وكانت نقطه متدنية والفحص الطبي جيد ثم ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

– **في جامعة منيسوتا:** كانت جامعة منيسوتا تضم في وقتي أكثر من خمسين ألف طالب لذلك وجدت الحي الجامعي يعج بالطلبة، وهم يغدون ويروحون سراعا في مختلف الاتجاهات، في حين أن الدراسة منظمة في الجامعة فلا تضيع ساعة واحدة ومن وقت الطالب ولا الأستاذ وخلال الأسبوع الأول من كل فصل يمكن للطالب الانسحاب من بعض المواد وإضافة بعضها فكان تسجيله الأولي في تخصص الدراسات الأمريكية ثم غير الاختصاص إلى التاريخ وبالمناسبة كان يلقي بعض المحاضرات التي تخص الجزائر وتاريخها هناك معرفا بقضية الجزائر في الولايات المتحدة الأمريكية وفي عام 1962 جاءه قرار لجنة امتحان الماجستير بالحق في متابعة الدكتورة ثم أنهى الدكتورة في التاريخ الأوربي الحديث المعاصر 1965 تحت

[1] أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 236.

إشراف البروفيسور(هارولد دويتش) بعد إنهاء الدراسة اشتغل أستاذ بجامعة (أوكلير) بين(1965-1967).

- **من جامعة أوكلير (ولاية ويسكنسن):** بعد تدريس فيها عاما كاملا جاءه رئيس الجامعة واقترح عليه تجديد العقد فذلك يعني الكثير بالنسبة للأستاذ الجديد ويضاف ذلك إلى رصيد سيرته ذاتية ومن ضمن صفات نظام العمل الأمريكي في أية مؤسسة، أن ملف الشخص يظل ملازما له أينما ذهب ولا يوظف في جهة جديدة إلا إذا جاء ملفه من المؤسسة القديمة محتويا على رأيها وتقييمها.

بعدما أصبح لديه مكتب واستقرار حالته النفسية، فكر في الزواج ونصحوه بعض الأصدقاء مادام مر عليه خمس سنوات يمكن له طلب الجنسية، ولكن معرفته بالتاريخ وقناعته الشخصية بأن أجداده لو أرادوا الجنسية الفرنسية لفعلوا بداعي التجنيس أو الاندماج ولكنهم رفضوا ذلك حفاظا على هويتهم.

" فكرت وقدرت في الموضوع الأول،(أي الزواج) وهناك من البنات من تقفوا إليهن النفس، ومن المغريات المادية وسهولة الحياة ما يشجع على اقتحام العقبة، ولكن القرار القديم هو الجديد، لا زواج إلا من فتاة جزائرية مسلمة، وكان أمثالي من العرب وغيرهم يسعون بكل ما يملكون للزواج من أمريكية لكي يأخذون بذلك الجنسية ثم يتخلون عنها، وكان ذلك شائعا ومسكوتا عنه ورأيت ذلك غير أخلاقي وغير شرعي، بالإضافة إلى كونه لا يستجيب لرغبتي وقراري المذكورين"[1].

سافرت سنة 1966 إلى الجزائر وكان الوضع فيها فالفساد ونهب الدولة باسم الثورة والحصول على الامتيازات كان على أساس المحسوبية، ولا أحزاب وبدون محاسبة لا لمجلس الثورة ولا يهم نحن في طريق الصواب أو الخطأ.

[1]أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 351.

" الناس منهمكون في نهب خيرات البلاد كل على قدر جهده، الحديث دائما على(القافزين) أي أولئك الذين يمشون على جثث الآخرين لتحقيق رغباتهم في الحصول على السكن أو الأرض أو الامتيازات أو الوظيف بدون مؤهلات وغيرها، النظام السياسي استبدادي بمفهومنا اليوم، هناك (مجلس الثورة) وقائد البلاد وكل شيء أخر ممنوع"[1].

في الجزائر 1967: عند قدومه للجزائر فلم ترحب به، فزاد همه وأسفه حيث لم يجد الظروف التي كان يحلم بها كطالب بعدما نجح في تحصله على الشهادة أن يجد الظروف الملائمة التي تساعده على خدمة بلده ضف إلى ذلك الوضع السياسي الذي شهد انقلابا عسكريا فهو لم يناصر فلان على فلان ولكنه أشفق على الجزائر أن تدخل في انقلابات عسكرية ظلت شائعة في الدول العالم الثالث عموما ومما يؤسف أنها جاءت بعد ثورة رائعة وتضحيات جسام.

" ونزلت في عاصمة بلادي التي لم ترحب بي في جامعتها ولا في مساكنها، فقد كان عليَّ أن أبقى بدون راتب إلى شهر جوان 1968 وبدون سكن إلى نهاية مارس من نفس العام حيث حصلت على شقة فارغة في حي الأسفوديل بابن عكنون من وزارة التربية والتعليم، ولم تكن لي زوجة ولا سيارة، وكل ما أتيت به من الخارج حاوية بالكتب والأوراق يسرق لي منها بالمرسى كل ماهو عن الجزائر باللغة الفرنسية"[2].

وحضر صراع ناتج عن خروج المستعمر في الجامعة بين الأجنحة الفرانكفوني الذي يريد بقاء الجامعة فرنسية ذات مستوى تعليمي قوي وبين أنصار التعريب والذي يظهر حسب زعمهم يقدم مستوى ضعيف، وقد تزوج من الحرة الشريفة حفصة بن سالم من أعيان وأشراف مدينة بوسعادة كان ذلك سنة 1969 وقد قضى الصيف ذاك في أوربا في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

وقد شارك في تلك الفترة أيضا في عدة لجان وكذلك البحث العلمي وبعض الجمعيات مثل الجمعية الوطنية للتعريب، واللجنة الوطنية للإصلاح التعليم، واللجنة الوطنية للمعادلات وغيرها

[1] أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 354.
[2] أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 368.

كما دعته لجنة كانت تابعة للمحافظة السياسية للجيش لوضع برنامج التاريخ الوطني من ناحية الإيديولوجية الفكرية، نجد أن إتحاد الطلبة ممنوع من النشاط وحاول الشيوعيون في الجامعة سيطرة عليه وكان النظام السياسي له نظرة عدائية له لأنهم ينظرون إليه على أنه نظام علماني مستبد وطني، وهم يردونه ديمقراطي بالمفهوم العالمي، وبدأ نشاط طلبة مسجد الجامعة الذي نشأ في عهد مالك بن نبي قد أخذ ينشط ووجد في أفواج الداخلين الجدد إلى الجامعة بالخصوص أنصار الاتجاه العربي الإسلامي وحتى الاتجاه الشيعي.

وفي التغيير الحكومي الذي حصل أوائل السبعينات تولى وزارة التعليم العالي محمد الصديق بن يحي، وهو معروف باتجاهه اليساري الوطني، فقد مارس سياسة منذ نعومة أظافره وكان من مؤسسي إتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في السرية، ومن أعضاء مجلس الثورة أيام حرب التحرير، وكان النظام يهدف إلى ضرب عصفورين:

1/ الإصلاح الذي طال الحديث عنه.

2/ السيطرة على طلاب اليساريين الذين يزعجون النظام فكان نجاحا مؤقتا ولكن ما هو مقصود النظام في ذلك.

" لقد كانت السلطة تلعب بالنار وتأمل أن يتوازن المجتمع الجزائري وسط هذين التيارين المتصارعين عن قناعة وعقيدة، وكانت تشجع الاثنين بشرط عدم تهديد الاستقرار، ولا يهمها المبادئ في حد ذاتها، فقد كانت تعين نوعا من (البرغماتية) تريد من ورائها تحويل المجتمع من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، ومن مجتمع مستهلك إلى مجتمع منتج، ومن مجتمع أمي ومتخلف إلى مجتمع متعلم ومتقدم دون مراعاة لقطع المراحل ونوعية الوسائل وحجم الضحايا"[1].

[1]أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 383.

وأعطت الضوء الأخضر أيضا لمولود قاسم الذي تولى وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، لكي يواصل مؤتمرات الفكر الإسلامي التي بدأها مالك بن نبي وتلاميذه أو بالأحرى الإسلام السياسي المتجدد كما تبناه جمال الدين الأفغاني وحركات الإسلامية التي ظهرت بعده.

فعندما كان أستاذا في الجامعة بقسم التاريخ حتى سنة 1993، ثم رجع إلى أمريكا بعد تحصله على منحة (فولبرايت) ليختلي هناك ثلاث سنوات في البحث وقام بتحرير وكتابة الكتاب الشهير كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) والذي يعتبر جوهرة المكتبة الجزائرية التاريخ وسنة 1996 انتقل إلى الأردن كأستاذ بجامعة (أل البيت) إلى غاية 2002 ثم عاد إلى الجزائر، بالإضافة إلى كونه أستاذ بجامعة الجزائر، كان أستاذا زائرا أيضا في مجموعة من الجامعات العربية والأمريكية منها:

- معهد البحوث والدراسات العربية بمصر سنوات 1970-1975-1989.
- جامعة عين شمس بمصر 1976.
- جامعة دمشق بسوريا سنة 1977.
- جامعة ميشقان 1978-1988.
- جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية سنة 1985.
- جامعة منيسوتا، قسم التاريخ بين 1994-1996.

2-العوامل المؤثرة في تكوينه الفكري:

هناك عدة عوامل أسهمت في تشكيل شخصيته وتكوين فكره من منطلق حياته طويلة المليئة بالأحداث والمتغيرات فالظروف والعوامل المحيطة أثرت فيه فكان من نتيجة كثرة ترحاله وإحاطته بالعلوم الكثيرة إضافة إلى طبيعته الاجتماعية لتعرف على الناس والأشياء أدت إلى صقل تلك الآراء والتجارب المختلفة تربوية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية أدى إلى

نشأة مجموعة من الآراء ومواقف في الإصلاح التربوي والاجتماعي ويمكن تشخيص هذه العوامل كالتالي:

2-1- العوامل التربوية والاجتماعية: إن التنشئة الاجتماعية المختلفة بين عدة مناطق درس وترعرع فيها منها الوضع الجزائري خاصة في منطقة البدوع بالوادي فكان الوضع قاسي وفقر مدقع وحياة صعبة عاشها أبو القاسم سعد الله في ملبسه وأكله أدى به في الأخير الاعتماد على نفسه بدل الاستعانة بعائلته التي كانت تعيش حياة صعبة اقتصاديا وفي مثل هذه الظروف نشأ كباقي أبناء جيله في فترة استعمار تحت ظلم والقوة والقهر والجهل والمرض إنه الاستعمار البغيض.

هناك عامل مهم في تغذية الشيخ أبو القاسم سعد الله بالمبادئ الإسلامية العربية وهو محيطه وبيئته العربية في الواد، ثم دراسته في الزيتونة بتونس وكذلك الأزهر بجمهورية مصر العربية بجانب ذلك نجد تجربة الغربية وتقربه ومعرفته بالمجتمع الأوربي والأمريكي انطلاقا من دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية فهناك اكتسب المنهج الأكاديمي العلمي بطريقة سلمية ومنطقية بعيد عن العواطف وتأثير البيئة فأصبحت له رؤية تمتاز بدقة والوضوح والحكمة والتجربة.

لقد كان للمحيط الأسري الأثر الكبير في نزعة الإصلاحية عند أبو القاسم سعد الله فلقد كان جده يربي أولاده على العمل والاعتماد على الله دون الميل إلى الشيخ أو الاعتماد على العزلة أو الطرق الصوفية التي كانت منتشرة خاصة الطريقة التيجانية والرحمانية وهذا ما أدى إلى انتشار الوعي الإصلاحي في المنطقة خاصة على أيدي خريجي الزيتونة.

" ومهما كان الأمر فقد انتشرت الحركة الإصلاحية في قمار بعد تخرج عدد من الطلاب من جامع الزيتونة ورجوعهم إلى ذويهم وشروعهم في إلقاء الدروس ونشر الوعي وفتح مدرسة (النجاح) بالتنسيق مع حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، ومن هؤلاء الشيخان

الحفناوي هالي بن الأخضر، شقيق والدتي والشيخ محمد الطاهر التليلي عديل والدي فكلاهما كان يزورنا في البدوع بحكم القرابة وكان والدي ملازما لهما، ولا سيما الشيخ التليلي"[1]

فالوضعية الاقتصادية أثرت في تربية أبو القاسم سعد الله فاهتمامهم بالنخيل والحفر ووضع الفسيل في المكان المناسب وتوفير المياه وكل هذا صعب وأتوا به من أماكن بعيدة وحتى علف النخلة وهو بعر الإبل يلتقطونه من مسافات بعيدة شمال قمار أي من الصحراء المجاورة التي تبعد أحيانا أكثر من 50 كيلو متر.

وهكذا هذه الحياة الصعبة الصحراوية نشأ فيها فعلمته الصبر على العمل وتحمل النهوض باكرا كما أن الحياة في الولايات المتحدة أكدت له هذا معنى كما شبهها هو بالحياة الصحراوية، فلا برد ولا حر يمنع الإنسان من العمل وهو يتكلم عن الحياة الصحراوية وكيف يقوم الفرد بالعمل المتواصل.

" وكان الاستيقاظ عادة بين الثانية والثالثة صباحا وبعضهم كان يشرع في العمل قبل ذلك فلا تكاد تطلع الشمس حتى يكون العمل قد أوشك على النهاية، وبرغم الشتاء القارص وحتى الجليد أحيانا الذي يسمع وهو يتكسر تحت الأقدام وحوافر البهائم فإن العامل لا يكاد يلبس أكثر من قندورة صوف وقميص من القماش يسمى المالطي وهو لباس خشن وسميك لحماية الجسم وغطاء من الشاش للرأس وعفان من قطع الصوف البسيط أو المرشوم بخيوط من الشعر أو الوبر للرجل"[2]

بالنسبة للأفراح يختارون الوقت الذي لا يلفت الانتباه سواء الناس أو السلطات الفرنسية ثم بحكم الفقر فهم يمتنعون عن الإسراف لأنه يكلفهم مصاريف لا طاقة لهم بها إضافة الابتعاد عن الأبهة والعظمة والضجيج، أما فيما يخص المهور والصداق وأعباء الزواج المسكن وغيرها

[1] أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص23.
[2] - أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 27.

فكانت بسيطة وفي متناول الأغلبية وذلك كما كان في أغلب مدن الجزائر سابقا في وقت الاحتلال.

" أما الأفراح الجماعية أو الموسمية فهي مرتبطة بموسم الحصاد في الخريف، فقد كان الناس يتغادون الضجيج والهرج وتوجيه الدعوات لأن ذلك يتطلب مصاريف وهم فقراء، ولأنه يثير انتباه السلطة الفرنسية وهم يردون أن يظلوا بعيدين عن أنظارها، وكانت حفلات الزواج بسيطة والمهر يكاد يكون رمزيا، وأذكر أنه عندما تزوج أحد إخوتي الأكبر سنا كانت هدية العرس حملا من الحطب وصندوق فيه ملابس وقماش وزجاجة عطر بالإضافة إلى كمية من القمح والخضر "[1]

فيما يخص الحياة الاجتماعية فكانت متماسكة وأكثر تأثيرا فحتى الأسر كانت كبيرة العدد، وتبقى السيادة فيها للأب أو الجد إن وجد وكان النخل والتمر هو المادة الأساسية كعادة أهل الصحراء والذي له نخلات يعيش منها بنفسه وأولاده لا يعرف الفقر ويظل مستورا بين الناس، والتمر يؤكل رطبا في الخريف ويخزن الناضج منه للعولة في الشتاء.

" رغم زواج الأبناء فإنهم ظلوا تحت إمرة الوالد فالجميع يحترمونه، وإذا غضب فإنه قد يضرب أو ينهر أحد أبنائه حتى أمام زوجته وذريته، وقد ظلت هذه هي حالنا إلى أن تمرد أحد إخوتي فقسم العائلة بخروجه بأهله وولده وسكنه بعيدا عن الدار أبيه وكان ذلك حادثا كبيرا في العائلة، سببه تنازع النساء وتشاجر الأبناء"[2]

فبذلك لعبت الأسرة دورا كبيرا في غرس قيم الأخلاقية في أبو القاسم سعد الله فكان سويا صادقا في كلامه برغم من المعانات لان معظم تلك العادات هي عبارة قيم أخلاقية إسلامية حافظ عليها المجتمع فأثرت على العلامة أبو القاسم سعد الله، وحتى فيم يخص اللغة العربية فكان لسان الأهل عربيا وكانت لهجة أهل السوف عموما أقرب إلى اللغة الفصحى من جميع

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 40.
[2]أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 45.

اللهجات الأخرى، فظلت وادي سوف منطقة صحراوية تحت الحكم العسكري بعيدة عن التأثيرات الفرنسية، ولم يكن التعليم في المدارس الفرنسية إجباريا وكان هناك خوف من العواقب على الدين واللسان والأخلاق والأغلبية تكتفي بإرسال أولادهم لحفظ القرآن الكريم في المساجد والكتاتيب لأهميتها دينيا ولغويا وكسب الأخلاق الحسنة.

بالنسبة لطبيعة الصحراء فهي تختلف في المعيشة ونوع الأرض فمثلا فأهل سوف عموما يعيشون في واحات ممتدة، كانت أصلا مجرى لواد كبير غمرته الآن الرمال ولم يبقى من أثاره سوى يسميه السكان (الأرض الحرة) أي غير صخرية والأرض غير الحرة يعنون بها الأرض الصلبة ذات الحجارة المتصلة.

وفي مفهوم الحضارة والتمدن فأهل الصحراء يختلفون حتى في المعاش بين التحضر والتمدن فتعتبر واحات سوف من المناطق الحضارية في مفهوم العرب قديما حتى عندما يتكلمون عن سكان الخارجيين عن المدينة بمصطلح البدوا أو الأعراب.

" وسكان واحات سوف يعتبرون بالمفهوم المعاشي حضريين، فهم يقطنون المنازل ذات القباب والأقواس الواسعة والأحواش والغرف التي تؤوي كل منها عائلة كبيرة بأكملها، ولذلك فهم يسمون القاطنين خارج الواحات بدوا وأعرابا، كما يسمون المنطقة الواقعة على مسافة قد لا تتجاوز العشرة كلم(صحراء) وهم لذلك يستعملون في أحاديثهم وإشاراتهم تعبيرا يدل على هذا المعنى فيقولون ذهب فلان إلى الصحراء، أو جاء من الصحراء إذا خرج من الواحات وقطع تلك المسافة من أجل جلب الحطب أو الجلة أو الحلفاء"[1]

ومن ضمن الذين قاموا بتربية الشيخ أبو القسم سعد الله وهو من اكتشفه المؤدب المرحوم الشيخ بلقاسم بن محمد الزبيري وعرف فيه سعة حفظه وله القدرة على المتابعة بواسطة التكرار يتم حفظ ذلك في الذاكرة فأصبح تلميذ مميز عنده ووضع فيه الثقة ومن ثم صلى بالناس في التراويح من سنة 1946، ومما يتسم به أبو القاسم سعد الله صفة الحياء جعله يحضر حزبين

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 55.

كل ليلة وهذا يأخذ وقت طويلا من التدريب ويدل مدى تخلق أبو القاسم سعد الله وهو في صغر.

" أما الشيخ الزبيري فقد اكتشفني وأحاطني برعايته عندما ظهرت له قابليتي للحفظ وأنني مختلف عن التلاميذ الآخرين، وقد استمر في رعايتي والاهتمام بي إلى أن ختمت القرآن العظيم على يديه ثم أخذت في تكراره عدة مرات لترسيخ الحفظ في الذاكرة، كما هي العادة وفي نهاية الدورة الرابعة صليت التراويح من حفظي طيلة شهر رمضان سنة 1946 وكان الشيخ الزبيري يقف ورائي في الصف لتصحيحي إذا ما أخطأت، وكانت الصلاة بالناس تجربة فريدة من نوعها بالنسبة لي"[1]

كما أن الوالدة (العبيدية ابنة الأخضر بن مبارك بن سالم) الأثر الأكبر في تشجيعه والدعاء له خاصة بالقرآن الكريم أي العلم الشريف وكانت تقول في دعائها اللهم لا أسألك شيئا غير العلم الشريف لأولادي وفعلا نجحوا أولادها وقبل الله سبحانه دعائها في ليلة القدر وبشرها برؤية التي سنذكرها بلسانه حتى أنه يقول وبغموض داخلي كنت أصدق حكايات والدتي وأزداد تعلقا بالحفظ والنجاح حتى أحسن كأن (القدر) فعلا سخرني للدراسة وأن هناك يدا خفية تدفعني للمستقبل.

" أما الوالدة فلها أسلوبها في تشجيعي على المضي في القرآن فقد كانت توفر لي الوقت للقراءة إذ تقوم هي بما يجب أن أقوم به أنا من عمل وكانت دائما تروي لي قصة عاشتها بشأني، وهي أنها رأت (القدر) ليلة السابع والعشرين من رمضان (ليلة القدر) وهذه هي روايتها بلغتها البسيطة فقد رأت في عمق الليل أضواء باهرة تغطي حوشنا وتمتد حيث يمتد البصر، فأسرعت وهي مندهشة طامعة لتتضرع إلى الله أن يفتح على ابنها (بالعلم الشريف) أي (القرآن العظيم)

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 59.

وكانت تقول في دعائها: اللهم لا أسألك شيئا غير العلم الشريف لأولادي، ثم قرأت سورة الإخلاص وعادت إلى فراشها بعد انحسار الضوء وعودة الظلام"[1]

رحلاته وأثرها في فكره:

يعتبر الترحال من أهم الأعراف والتقاليد القديمة في التراث الحضاري للأمم سواء الفكري أو الأدبي أو الإسلامي حتى أن كتب السيرة تروي عن رسول (صلى الله عليه وسلم) سافر مرتين خارج مكة، أولاهما مع عمه حين كان عمره اثنتي عشر سنة، وثانيتها حين كان عمره خمسا وعشرين سنة متاجرا لخديجة، وكانت كلتا الرحلتين إلى مدينة (البصرى) في الشام، وفي كلتيهما كان يسمع من التجار أحاديثهم، ويشاهد آثار البلاد التي مرّ بها، والعادات التي كان عليها سكانها.

فرؤية المجتمعات والحضارات المختلفة وملاحظة الفوارق والعادات والتقاليد والأديان كلها توقض في الإنسان حب الاكتشاف والمعرفة والعرب بدورهم اشتغلوا بالرحلة عبر تاريخهم طويل بداية بالبحث عن العلاء والماء ثم التجارة وهذا ما سقته قبل قليل في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أخيرا في العلم والتعلم والتبليغ ونشر الدعوة بعد مجيء الإسلام ثم اختلفت الأغراض حسب تطور حضارة المسلمين وأصبحت الرحلة أيضا لأغراض علمية أدبية مثل رحلات الجغرافية فعندما نجد أن تعريف رحلة الأدبية و" هي مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد، ومن بين المهتمين بأدب الرحلة في الجزائر (أبو القاسم سعد الله) التي تعددت جهود في هذا المجال، فهو من الرحالة الذين ارتحلوا كثيرا، وقد مارس فن الكتابة عن رحلاته وعن رحلات غيره"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 60

[2]- حفيظة الزين رسالة دكتوراه (النقد الأدبي في أثار أبو القاسم سعد الله) قسم الأداب واللغة جامعة قسنطينة 2014/2015 ص 18.

فكتابات الأدبية عن الأخلاق والمجتمع والعلوم والسلطة والسياسة والتربية تفيد المختصين في علوم أخرى وهكذا فنجد أن أبو القاسم سعد الله كان محبا لرحلات ومحبا لكتابتها بل شغوف بها كما نلاحظ ذلك في سلسلة مسار قلم الذي يحوي 07 أجزاء وهي عبارة عن مذكرات يومية يكتبها عن حياته إضافة إلى كتاب تجارب في الأدب والرحلة هو عبارة عن مجموعة من التجارب في الأدب والنقد والقصة والشعر وأراء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي والوطن العربي وأخبار رحلته إلى المغرب وإلى الجزيرة العربية.

فيذكر مثلا زيارته لسعودية في هذا الكتاب نجد كلاما عجيبا عن أهمية الرحلة والرحلات وتأثيرها على حياته بل كيف تفاجأ بصحة ما كتبه الأولون عن اللقاء ورؤية قبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

" وبعد أن اغتسلنا وغيرّنا ملابسنا توجهنا فورا إلى الحرم فأدينا حق المسجد وحق قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أصف المشاعر التي غمرتني وأنا أشاهد المسجد من بعيد ثم وأنا أدخله من قريب، وكذلك عندما كنت أقف عند الضريح الطاهر، ومهما كان الأمر فقد كنت أتعجب وأنا أقرأ تاريخ الرحلات القديمة إلى الحجاز ووصف العلماء والرحالة لمشاهداتهم إزاء هذا المكان، ولكن عندما وقفت نفس الموقف، عذرتهم في تأثرهم بل استغربت كيف لم يتأثروا أكثر من ذلك"[1]

وكتابه الأخر وهو رحلة ابن حمادوش الجزائري أنجز هذا الكتاب حوالي سنة 1982 واستغرق 10 سنوات من أجل تحقيق فقد استنفد طاقة هائلة منه ومن أناس آخرين كالنسخ والتصوير والرقن (آلة راقنة) فيذكر قيمة الرحلة.

" أقدمنا على تحقيق رحلة ابن حمادوش لأنها في نظرنا:

1: جزء من التراث الجزائر العربي الإسلامي، كتب في عهد طالما رمى بالجمود والتخلف.

[1]- أبو القاسم سعد الله، تجارب الأدب والرحلة، عالم المعرفة ط 1الجزائر 2010 ص 259.

2: تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا وفكريا واجتماعيا وعن معاصريه، أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم.

3: مصدر هاما لحياة المؤلف نفسه، بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره، رغم أنها غير كاملة.

4: تضم وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والديني.

5: نادرة في نوعها، وهو فن الرحلة إذ لم يبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني."[1]

فككل المصلحين والعلماء والباحثين كان للرحلة نصيب في تكوين فكرهم وكذلك فكر سعد الله، حتى تبلورت شخصيته وثقافته، ولقد أرغمته الظروف خاصة في وقت الاستعمار إلى السفر والترحال مبكرا في حياته من أجل العلم والتمدرس، فطيلة حياته وكثرة ترحاله كانت من أجل العلم والتعلم حتى عندما كان صغيرا خرج مع الوالد في رحلة إلى الصحراء ومع أبناء عمه في الرحلة دامت ستة أيام منها يومان للسفر ويومان للإقامة ويومان للرجوع وكان الموسم ربيعيا والصحراء خضراء والأشجار والنباتات المعروفة موجودة، وحتى الحيوانات فبرغم صغر سنه الخامسة تقريبا إلا أنه تذكر أحداث الرحلة بدقة متناهية.

" وكذلك الحيوانات فهناك الغزلان والأرانب والفنك واليربوع، وغيرها من مخلوقات الصحراء ولكن ذلك كله لم يكن هو همنا من الرحلة، فقد خرجنا لجلب الجلة أو علف النخيل من السماد، وكان علينا أن نقصد أماكن الرعي حيث تفلى الأبل وتترك أبعرها، ولا سيما إذا باتت وبنفس المكان فإنها تترك ماشاء الله من الجلة وبذلك لا نتعب في تعقب الإبل السارحة هنا وهناك فنتعب كثيرا"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، رحلة إبن حمادوش ،(م،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 24.
[2]- أبو القاسم سعد ، حياتي ، مرجع سابق ،ص 57.

فمعظم رحلاته كانت للعلم والمعرفة سواء إلى تونس والمشرق أو أمريكا وأوروبا باستثناء رحلتيه إلى المغرب وشبه الجزيرة العربية كانتا بإرادته، إلا أنهما لم تخرجا عن هدفه القديم الجديد وهو طلب العلم في إطار البحث والاكتشاف والتأليف والتدريس، فالرحالة يسجل كل الانطباعات كل حسب بيئته ومحيطه وأصوله سواء ذات طابع ديني أو الأدبي والرحلة تسمح بملاقاة الشيوخ ومباشرة الرجال ومخالطتهم وهو يتكلم عن أهم رواد الرحلات في الجزائر الماضية لا يمكنه الاستغناء عن رحلات التمغروتي والعبدري والبلوي والعياشي والغساني والزياني والجامعي وابن زاكور وغيرهم.

" وكان هؤلاء يسجلون انطباعاتهم كل حسب مشربه وتكوينه، فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني ومنهم من اهتم بالعلم ورجاله، ومنهم من تحدث عن المدن ووصف (المسالك والممالك) ولكن أعمالهم جميعا أصبحت لاغني عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع"[1]

إن الترحال يجعل الفرد يقوم بعملية التأمل و الملاحظة بشكل أكبر فمنه نشأ تفاعل بين أفكاره وبين أفكار والثقافات المختلفة التي كان يلتقيها ويتفاعل معها على مستوى كل المجالات منها التربوي والثقافي خصوصا إضافة إلى الجانب الأدبي الذي هو مصدر إلهام للعلامة أبو القاسم سعد الله حيث اشتغل به مبكر فساعده على التخيل وزاد مساحة كبيرة في مجال الابداع مما سهل له عملية النقد وساهمت تلك الرحلات مكانته الأدبية سواء في شعر أو المسرح أو القصة والرحلة من هنا نستعرض لرحلات أبو القاسم سعد الله المهمة والتي أثرت في حياته خاصة الفكرية وأثرت في إنتاجه الفكري الثقافي.

1/ رحلته اتجاه تونس:

في المدة التي قضاها في تونس بدأت تظهر ملامح الأولية لفكر أبو القاسم سعد الله من ناحية الإبداعية بدأت تتفجر كتابته الأدبية سواء أشعار أو معرفة دقيقة بالأدب ولكن بالمقابل أيضا

[1]- أبو القاسم سعد الله، تجارب الأدب والرحلة، عالم المعرفة ط 1الجزائر 2010 ص 209.

نجده بدأ يهتم بالثورات والحركات التحررية وإن كان أبو القاسم سعد الله مؤرخا مشهورا فإنه أيضا يعتبر أبو القاسم سعد الله من أهم النقاد في الأدب العربي وكان متأثرا عامة بالنقد المشرقي حتى أنه كان مهتم بسماع للأغاني وتأثر بغناء أسمهان وشاهد أفلام غنائية متعددة لأم كلثوم وغيرها.

والذي يهمنا هو الجانب الأدبي أكثر منه في الجانب الفني إلا أن أبو القاسم سعد الله كان متعدد المواهب.

" أما الجانب الأخر بالنسبة للتسليات فقد كنت أتسلى بالأدب، كنت كثير القراءة أجلب كتابا أدبيا ما صغيرا أو متوسط الحجم، ولا أنام إلا إذا أكملته، مثلا من سلسلة اقرأ، روايات علي الجازم حول الأندلس، أو المتنبي(أخر المطاف، الشاعر الطموح) وروايات جورجي زيدان التي كنا نقرأها بفهم كبير ومؤلفات جبران وشعر أبي الماضي وكتب المعارك الأدبية والنقدية"[1]

مكث في تونس 7 سنوات سنة الأولى في مدرسة تابعة لجامع (صاحب الطابع) في حي الحلفاوين وفي سنوات الأخرى سكن في جامع (القصر) مع قيم الجامع وهو شيخ يشرف على الأذان وفتح الأبواب وإقامة الصلوات أصله من وادي سوف من عائلة الشيخ عبد القادر الياجوري المعروف الذي هو من المناضلين السياسيين ومن أساتذة جمعية العلماء وفي تونس أصبح أكثر تفتحا على العالم الغربي (الخارجي) بفضل حسه الفكري والنضالي والسياسي بمعنى تتبعه للأخبار وكتابته للأحداث ومشاركته في جمعية علماء المسلمين هذا ما جعله منغمس في هموم الوطن العربي والإسلامي وبما أنه لاحظ التغير الاجتماعي ووعي معنى التمزق الاقتصادي والاجتماعي التي بدأت تظهر خاصة بعد الحرب العالمية .

" كانت آثار الحرب العالمية الثانية ما تزال ظاهرة في تونس هذه السنة (1947-1948) فالناس ما يزالون يتحدثون عن (الراسبون) أي تقنين توزيع المواد الغذائية لكل عائلة وفرد

[1]- مراد وزناجي ، حديث صريح ، مرجع سابق ،ص 70.

ويتحدثون أيضا عن المعاناة التي عانوها من جراء إهانات الأجنبية والجوع والسجون والأزمة الاقتصادية"[1]

أما فيما يخص وعيه وتأثره بالواقع المادي لأسرته حتى أنه كان يتذكرهم ويتذكر معاناتهم فلا يزيد في معاناتهم.

" وقد كنت أكتفي بما تقدمه المدرسة، معتبرا إياه نعمة من الله أنعمها علي بعد المعاناة في قمار، كنت أشفق على والدي فلا أحيره بطلباتي وشكواي وكنت أتذكر أهلي ومعاناتهم كلما تناولت طعامي في المدرسة"[2]

لقد كانت جالية أهل سوف هي الأكبر من عدد الجزائريين في تونس، فقد توافدوا على تونس في أزمنة مختلفة ودواعي وأسباب متعددة أهمها البحث عن العمل لقلة موارد العيش في بلدهم الأصلي، ومنذ صباه تعرف على شخصية والمجتمعات العربية في تونس سواء في الأسواق أو الشوارع وكانت معرفته بالجزائريين قليلة ومنهم طلبة زواوة وشمال إقليم قسنطينة والأوراس.

" وكان الاختلاط بين أبناء البلد الواحد كأنه جريمة لأن كل سفر أو زيارة أو تحرك من أية جهة يستلزم رخصة من الحاكم المحلي الفرنسي، وأول معرفتي بالطلبة الشماليين كانت مع طلبة زواوة وشمال إقليم قسنطينة والأوراس، وقد اكتشفت أن الجزائريين عموما كانوا قليلي الكلام كثيري الشك يعبرون بالحركة أكثر من اللسان، وليس لهم مجال للنكتة ولا للمزاح ولا حتى للنقاش الهادئ في القضايا الخلافية"[3]

وربما يرجع هذه الشخصية التي هي معلومة حتى بعد الاستقلال عن الفرد الجزائري هي من نتاج المستعمر نفسه الذي استوطن المنطقة لمدة أكبر من الدول المجاورة والضغط الممارسة على كل فئات المجتمع الجزائري على مستوى لغته ودينه وثقافته وهذا واضح من كلامه على الجاليات الأخرى كالليبيين والمغاربة.

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 81.
[2]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 81.
[3]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 89.

– أولى بدايات العمل في الكتابة وعندما قدم من تونس لم يشارك إخوته في العمل واكتفى بالمشاهدة وهم يعملون، وفي مكان رومنسي وفي وحدة تامة وبكثير من الملاحظة والتأمل والتفكر كعادة المبدعين بدأ في كتابه بعض الرسائل وهي بداية الكتابة عنده.

" وكنت أقضي القيلولة في (دار الكاف) وهي كهف صغير محفور في جدار طبيعي يسمونه (الكاف) وسط النخيل، وهو مكان بارد نسبيا وفيه رطوبة، وفيه أيضا هدوء مطلق يوحى بالتأمل والتفكير، وفي هذا الكهف ثم في ضلال النخيل صباحا ومساء حاولت قرض الشعر لأول مرة واستعدت ما حفظت وما درست في جامع صاحب الطابع، كما كتبت بعض الرسائل إلى من عرفتهم من التلاميذ، إن هذا الصيف كان بمثابة بداية تمرين القلم على الكتابة وتدريب القرية على التفتح"[1]

– الانتخابات في وادي سوف:

في سنة 1948 شهدت حدث جديد على الساحة السياسية في مدينة وادي سوف عامة فلأول مرة خرج الوادي من المنطقة العسكرية وأصبح من حق أهله المشاركة في الانتخابات، وكان ذلك نتيجة قانون سنة 1947 المعروف بدستور الجزائر، ولكن لا خلاف بين الحكم المدني أو العسكري في ظل الحكم الاستعماري لكن الايجابية وبما التي استفاد منها المواطنين هو الوعي السياسي وأصبحت تشهد المنطقة دعاية حزبية.

" وربما كان من أوجه الاختلاف أن المنطقة أصبحت مفتوحة لدعاية بعض الأحزاب السياسية سواء وطنية أو فرنسية، وكانت الأحزاب الجديدة تبحث لها عن قاعدة في سوف أيضا سيما وأن أهل السوف معروفين بالولاء والسرية والمغامرة ويسيطرون على منطقة طالما كانت ملجأ للمهربين والمهربين وصلة وصل بين الجزائر وجيرانها وإفريقيا، كما كان السوافة متواجدين في

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 95.

المدن الشمالية وفي تونس فكان بعضهم معروفين للأحزاب التي تتطلع إلى مساعدتهم المادية والسياسية"[1]

3- أبو القاسم سعد الله وجمعية علماء المسلمين:

بالضبط في سنة 1949 هنا بدأ استقطاب الطلبة بين جمعية علماء المسلمين وحزب الشعب وكان الخصام واضحا بين الطلبة إلى حد شجار حتى بلغ الخبر إلى الجمعية فجاء وفد لتهدئة الأوضاع لأن الوضع أصبح يقلق إدارة جامع الزيتونة، حتى أن الشيخ العربي التبسي كاد أن يتعرض للاعتداء هناك والطلبة في الأغلبية في الزيتونة بادسيين وتأثير الحزب قليل ومن هنا نجد أن أبو القاسم سعد الله كان متأثر بالجمعية حتى في الزيتونة وقبلها أي يعرفها من قبل في أسرته يوم كان في الواد.

كان عدد طلبة الجزائريين في الزيتونة حوالي 10 ألف طالب موزعين على مختلف الفروع وكان هؤلاء محل شد وجذب بين جمعية العلماء وحزب الشعب ومنذ 1951 بدأت بوادر الانقسام والانشقاق الطلبة الجزائريين تتضح فالذين كانوا تحت تأثير الحزب أبقوا على التسمية القديمة لجمعيتهم وهي جمعية الطلبة الجزائريين والذين كانوا تحت تأثير جمعية العلماء التفوا حول التسمية الجديدة وهي جمعية البعثة الزيتونية لجمعية العلماء وكان المتولي لهذه الجمعية هو أحمد بوعروج ولما رجع إلى الجزائر تركها لي أبو القاسم سعد الله على أساس تكليف مؤقت لكن الشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء كتب من الجزائر وعينه مسؤولا على الجمعية وبرغم ليس له رغبة فيها ولكن أصر العربي التبسي على ذلك.

" كما أذكر أنني كتبت إليه رسالة اعتذار وزوقتها بعبارات الاحترام المفخمة التي تعلمتها من الكتب وأبديت فيها من التواضع ما أمكنني لأخلص نفسي من المسؤولية، ولكن الشيخ رد بجواب تعيين أكثر صرامة من الأول وضمته لهجة فيها أمر مغلق، وهكذا وجدت نفسي في

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 97.

مفترق طرق، وقد قمت بمهمتي بما أستطيع ولكن على أساس أنني مسؤول مؤقت غير أن المؤقت دام حوالي ثلاث سنوات"[1]

هذه بدايات العلاقة بين العلامة أبو القاسم سعد الله والعربي التبسي والذي عينه بدون أن يعرف من أعطاه اسمه فهو لم يسبق رآه أو كاتبه ولكن راجح أن المسؤول الأول الذي سبقه في جمعية البعثة أحمد بوعروج هو من تولى الأمر والله أعلم لأنه هو الذي سلم له المهام بعد تخرج الأول على أساس ممثل مؤقت حتى تجد الجمعية البديل.

وبدأت تصله جريدة البصائر بانتظام بعد أن اشترك الوالد لي فيها، وكان يقرأ بشغف المقالات الأدبية التي تستهويه، ومتابعة الافتتاحية التي يحررها الشيخ الإبراهيمي بالإضافة إلى شعر لمحمد العيد أما المنبر السياسي لتوفيق المدني باسم (أبي محمد) فلم يكن من قرائه الدائمين عموما كان يتابع الأخبار العربية عامة.

" ولم أكن من قراء الجرائد اليومية التونسية، ولكني أحيانا كنت أطالع جرائد الزهرة والنهضة والأسبوع، ولم أكن أتابع أخبار السياسة العالمية ولكن أخبار مصر وإيران و الباكستان كانت تجري على الألسن عندئذ، وكانت أخبار الحرب الباردة موضع نقاش، وكان المتطوعون الذين ذهبوا للدفاع عن فلسطين قد رجع بعضهم بحديث مفخم عن حالة الشرق والعرب، وهو حديث لا يفرح ولا يبعث عن الأمل، وكانت أخبار اللاجئين الفلسطينيين تملأ الأسماع"[2]

عموما كانت علاقته بتونس قوية جدا حيث اهتم بالمطالعة بشكل كبير خاصة الجانب الأدبي وتعرف على بعض الجرائد الأدبية والوطنية إضافة إلى تعايشه مع مختلف مجتمعات والبيئات وكذلك الفئات المختلفة أدت إلى صقل موهبة العلامة أبو القاسم سعد الله حتى التاريخ ومنه التاريخ الإسلامي درسه على الشيخ المختار السلامي.

[1]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 141.
[2]- أبو القاسم سعد الله، حياتي، مرجع سابق ص 144.

وهكذا بدأ الفكر الموسوعي لدى الشيخ منذ الصغر حيث كباقي العلماء راسخون كان لهم اهتمام بالتخيل والإبداع مع توسيع طاقة التخيلية وتشغيل العقل أدى به إلى التعرف على كثير من العلوم ولكن بسطحية.

- رحلته إلى مصر:

بقى العلامة أبو القاسم سعد الله في نفس البيئة تقريبا برغم الاختلاف الموجود بين تونس ومصر أي المحيط العربي الإسلامي مابين (1955-1960).

جلس في بداية الأمر عند الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية علماء المسلمين محملا برسائل والتوصيات من فرسان جمعيته ورفاقه وبقى مدة معه والذي يهمنا هو أن في رحلته هذه اهتم بالنقد الأدبي خاصة الأكاديمي وألف رسالة ماجستير حول (شعر محمد العيد أل خليفة) وظهرت طبعتها الأولى في القاهرة سنة 1962 بعنوان [محمد العيد أل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث] كما أنه سجل في الشعبة الأدبية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالموازاة مع دراسته في كلية دار العلوم.

مما زاد في معاصرة ونضج رؤيته النقدية من خلال تتلمذه على عديد من الأساتذة في تخصصات النقد الأدبي والمسرح والرواية في تلك الفترة أيضا عرفت مصر تغيرات تأثر بها سعد الله ومنها تأثره بالإيديولوجية وبالقومية العربية الإسلامية وكانت متجذرة فيه ومن خلال أيضا كتبه باعتبار أن مصر كانت مركز إشعاع فكري وسياسي في ذلك العهد مما جعله يؤمن بالتاريخ الواحد والمصير المشترك للأمة العربية إضافة إلى تعرفه إلى كثير من الأدباء مثل طه حسين فاختلط بهم وناقش ونشر شعر بعنوان (النصر للجزائر) كتب مقدمته أحمد توفيق المدني رئيس مكتب القاهرة لوفد جبهة التحرير الوطني.

بالإضافة إلى نشاطه بعد انخراطه في فرع القاهرة للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كعضو نشيط وكانت مسؤولية عنه جبهة تحرير الوطني فقام بتمثيل الإتحاد عدة مرات في

المؤتمرات لم يكن أبو سعد الله معزولا عن قضايا وطنه أو العالم العربي بل في عمق النضال فنجد كتاباته مليئة بالأفكار الوطنية والثورية كما أنه شارك في المؤتمر التأسيسي لإتحاد العام للطلبة العرب وإتحاد طلاب فلسطين بالقاهرة سنة 1958.

وعموما في مصر وخاصة نهاية وجوده أصبح واعيا بكل ما يمس الطالب وتحديات المقبل عليها ويعي أيضا الأحداث بجانبه سواء في داخل الوطن أو خارجه فهو بذلك يقول فأصبحت أشارك أكثر في الحياة الثقافية بالعبارة الصريحة.

" وفي السنة الأخيرة من دراستي، خصوصا بعد حصولي على الليسانس، سكنت وسط القاهرة وكنت في شقة واحدة مع التارزي الشرفي والشيخ عمر دردور والعربي دماغ العتروس وجميعهم كانوا يعملون في الحكومة المؤقتة، والسكنى وسط القاهرة جعلتني قريبا من نادي طلبة المغرب العربي ومن مكتب جمعية العلماء ومن النوادي الثقافية المصرية والسودانية، فأصبحت أشارك أكثر في الحياة الثقافية لأني لا أحتاج إلى مواصلات ومواعيد القطار"[1]

- علاقته بالبشير الإبراهيمي وتدعيم ارتباطه بالجمعية:

كان البشير الإبراهيمي معروفة في الدول العربية كالسعودية والعراق وسوريا وحتى الإسلامية مثل الباكستان وكان يدعوا لثورة وتدعيمها، أما أبو القاسم سعد الله كطالب كان يزوره في بيته واستفاد كثيرا منه خاصة من ناحية الدينية والفكر الثوري وحتى الأدبي ومنه.

" وكطلاب كنا نزوره من وقت لآخر في بيته الجديد، بصفته أديبا مرحا ويقدّر الطلبة وظروفهم، وكنا نجلس إليه في مكتبه ونشرب الشاي ونتحدث عن الجزائر وعن الأدب والشعراء الجزائريين والأدباء وعن ظروف الثورة طبعا دون أن يكون هناك توجيه سياسي معين، وقد سمعته ينوه بشاعرين جزائريين هما عاشور الخنقي وعبد الرحمان الديسي، وكان يقول عن الأول أنه شاعر

[1]- مراد وزناجي ، حديث صريح ، مرجع سابق ص 79.

فحل لولا أنه وظف شعره في المدح والمبالغات، كما كان ينوه بآراء الشيخ بلقاسم البوجليلي ونضاله (الإصلاحي) في القرن التاسع عشر"[1]

- علاقته بالجمعية علماء المسلمين وآثرها الفكري عليه:

إن علاقة الجمعية بمدينة سوف قديمة، وحتى أسرة أبو القاسم سعد الله وازداد تأثرها به عند وجوده في تونس وأصبحت أكثر تأثيرا أثناء وجوده بمصر العربية حيث كانت حاضرة القومية العربية ومركز إشعاع ثقافي ثوري حتى من ناحية الأدبية عاصرت أهم الأدباء والشعراء مثل طه حسين وكأن أبو القاسم سعد الله وجد بيئته وضالته في المشرق العربي عموما ومصر خاصة فأصبح يكتب ويتحدث في المؤتمرات والملتقيات.

فمثل هذه العلاقة مع البشير الإبراهيمي وزيارته المتكررة له، والتي صاحبها كثير من توجيه ونصح من الشيخ إلى طالب العلم أبو القاسم سعد الله نجدها مميزة يكفي فقط أن الشيخ دعا الله أن يفوض للجزائر عالما في التاريخ، وما نظنه إلا أبو القاسم سعد الله بعد ما استجاب له الله.

وفي الجزائر كانت هناك لقاءات متواصلة مع الشيخ العربي التبسي وهو نائب للجمعية علماء المسلمين الجزائريين، فيظهر تأثير فكر جمعية العلماء المسلمين وتوجهها في كثير من كتبه من خلال النزعة القومية والدينية وحتى في أشعاره وإحياء التراث الجزائري كان وفق هذا الاتجاه فكان العلامة أبو القاسم سعد الله محسوب على هذا الاتجاه الإصلاحي.

لقد جعلت الظروف والأحداث التي عاشها أبو القاسم سعد الله وعلاقته بالجمعية، ظهور فكر الجمعية وتوجهاتها واضحا في كل ما يكتب و يتكلم عنه، فأصبح إنتاجه الأدبي متميزا بصبغة الفكر التحرري الوطني، ويعترف بانتمائه إلى جبهة تحرير وذلك قبل أن تولد الجبهة تحرير وهو يقصد الفكر والتوجه والمبادئ وعندما سئل عن انتمائه لجبهة التحرير قال:

[1]- مراد وزناجي ، حديث صريح ، مرجع سابق ص 86.

" كل ما أستطيع قوله أنني كنت جهويا قبل أن تولد جبهة التحرير، من حيث التفكير الوطني، ولا أقول السياسي لأنني أعتبر نفسي سياسيا أو حزبيا، لكن الاتجاه الوطني كان موجودا عندي قبل 1954 في كتاباتي وأشعاري، التي كانت عبارة عن إرهاصات للاتجاه الثوري، وبعد الثورة بقليل كنت موجودا بالعاصمة، لم أكن عضوا لا بالجبهة ولا بالجمعية، أذكر أنه في سنة 1955 أخرجت جريدة (البصائر) أحيانا ببعض العبارات الواردة في قصائدي، مثل قصيدة (طريقي) وهي مشهورة ومنشورة"[1]

رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية:

من حسن حظ عالمنا الجليل أنه ذهب إلى هذه البلاد لأنها أرقى دول علميا وهذه حقيقة وبالتالي التعليم مزدهر والفلسفة الأمريكية والحضارة الأمريكية متجذرة في ذلك المجتمع الديمقراطي (الحر)، إضافة إلى طبيعة المواطن الأمريكي الذي يحب عمله والفلسفة البرغماتية هي المسيطرة هناك.

فمن هنا كانت رحلته لها سنة 1960، نتيجة ظروف الدراسة لإكمال دراسته العليا وقد استمتع بهذه المنحة العلمية حيث صال وجال في تلك الجامعات والمكتبات باحثا ومنقبا على الجديد وحاول الاستفادة من هذا الوطن الجديد، ليستفيد ويتكون فكان باحثا غايته الاكتشاف يؤخذ ما ينفع ويترك ما سواه، فهذه البيئة الغريبة الجديدة والأفكار المختلفة عما ألفه في المشرق لاشك أنها بدأت تجيب على سؤال لماذا الغرب تطور لماذا تأخرنا؟ هل هو سبب ثقافي أم علمي أم اقتصادي... وهكذا وأيضا بجانب هذا أنه لم يتأثر وبقي على مبادئه الراسخة وقيمه الشامخة عكس الكثير من الذين يذهبون إلى الغرب لقد كان مخلصا لوطنه لدينه حاول إفادة المجتمع وفعلا كتب في كل مجال للوصول للمواطن الجزائري وغيره.

لقد مرت هذه المرحلة التي دامت 5 سنوات بالجد والمثابرة ومعاناة الغربة عن الأهل والوطن الثائر الذي لم يغفل عنه سعد الله يوما واحدا طيلة إقامته في أمريكا، في الحقيقة بقي يكتب

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح ، مرجع سابق ص 100.

ببعض الجرائد العربية، وبقي وفيا ومتابعا لأحداث الجزائر مثلا في مذكراته ليوم 15 جانفي 1966 حيث يقول أنه يود أن ينصح رئيس راحل هواري بومدين والذي يهمنا أن رأيه في بومدين والانقلاب ليس مواليا له.

" منذ مدة وأنا أفكر جديا في إرسال خطاب إلى الأخ هواري بومدين رئيس الحكومة الجزائرية أعبر له فيها عن رأي بخصوص النظام الجديد، إن وجود الجزائر على ما هي عليه الآن يحيز في نفسي، لقد خسرت كثيرا من سمعتها، لو عادت الشرعية لسارت الجزائر في طريق ثوري رائد، أرجو أن تتغلب الحكمة على العاطفة"[1]

وعند عرض كلامه عن جامعة أوكلير فيقول أنه ألح عليه رئيس (قسم) التاريخ أن أعطي كلمتي فيما إذا كنت أقبل العقد للبقاء سنة أخرى برغم أنها بعيدة وهي مدينة صغيرة لا تحقق مطامعه وأماله لقد كان سعد الله ذو همة عالية وفي الأخير أضاف سنة أخرى.

" بعد تردد طويل أخبرت مدير قسم التاريخ بأني سأقبل البقاء سنة أخرى بالجامعة، إن هذا قرار صعب لأني لا أريد أن أبقى بعيدا عن الوطن، ولكن وجود الحالة الراهنة في الجزائر لا ترضيني، ولذلك قررت البقاء هنا كاحتجاج على الوضع في الجزائر"[2]

ولاحظ فيها أيضا النفوذ اليهودي في الدولة وخاصة الجامعة بحكم أنه يشتغل بها، فالصحف تتكلم عن أوضاع العالم العربي والإسلامي منها الجزائر فكان يتابع تلك الأحداث من خلالها، ولم يؤثر ذلك في حبه لوطنه فبرغم من ممارسة نشاط البحث والاكتشاف والدراسة والنشاط العلم.

لقد سجل أولا في جامعة (منيسوتا) في تخصص (الدراسات الأمريكية) قرر أن يغيره إلى دراسة التاريخ والعلوم السياسية من أجل إفادة بلده الجزائر وفي مذكراته يذكر أن الأحداث تمر بسرعة

[1]- أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009 ص 38.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009 ص 40.

وما زال يعترف على التقاليد الأمريكية، وهذه تعطينا بعض جوانب نفسية العلامة أبو القاسم سعد الله وكان ذلك يوم السبت 20 ماي 1961 يقول:

" في هذه الأيام لم أسجل حدثا ولا خاطرة لأن كل شيء الآن يمر بسرعة أكثر من الخاطرة وأهم من الحدث، مشكلة الدراسة والاعتياد على التقاليد الأمريكية وأخبار الجزائر والأصدقاء.. كل ذلك جعلني في غمرة من الأحداث والعواطف، أنا الآن أحاول تغيير جهة الدراسة من (الدراسات الأمريكية) إلى تخصص في (التاريخ والعلوم السياسية)، لأن هذا الموضوع سيجعلني أعرف أشياء ليس لي علم بها من قبل، ولأن الشهادة فيه ستتيح لي أن أعمل من أجل الجزائر في المستقبل، ولأنه من ناحية ثالثة يلائم رغبتي الدراسية في هذا البلد"[1].

فتحول العلامة أبو القاسم سعد الله من الأدب إلى التاريخ لا ينقص من قيمته كأديب وناقد بل أضاف إليه علوم أخرى أهمها التاريخ، فميزة أبو القاسم سعد الله هو المطالعة والبحث ولم يكن في يوم محصور في اتجاه معين أو لغة معينة بل كان موسوعي، فهناك تحصل على الماجستير والدكتوراه في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ويعود إلى الجزائر في جوان 1966 وأثناء حرب 67 المشؤومة فقد كان شعور العام خاصة في الفئة الحاكمة في الرأي العام الأمريكي هو التشفي والسخرية بالجيوش العربية في تلك الظروف أتى إلى جامعة الجزائر قسم التاريخ ومن ثم تحصل على منحة فولبرايت لسنة 1993، سافر ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية فهناك اختلى مرة أخرى في خلوة من أجل الإبداع مثل ما كان يختلي في واحات البدوع في الصباه واعتكف وألف أشهر كتبه (تاريخ الجزائر الثقافي) والذي برز فيه فكر التاريخي للعلامة أبو القاسم سعد الله، صاحب المنهج العلمي الذي لاحت معه ملامح مدرسة التاريخ الجزائري الجديدة، ذات منهج العلمي الذي كثير ما نادى به الشيخ أبو القاسم سعد الله.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009 ص ص 28.

وبه تم ترسيخ الموضوعية والبحث المعمق الجاد الذي يعتمد على أسس ومبادئ سليمة لنقض الغبار عن الحقائق، فيمكن لإبراز التراث الجزائري صاف نقي من أجل بناء أمة قوية وإصلاح منظومة كاملة، وواصل عطائه وتأليفه ونصحه إلى أن وافته المنية سنة 2011.

اعتماده على نفسه:

وعند مرض الوالد، واحتاج إلى المساعدة فالشيء الذي قدمه هو أنه كان يقرأ ويعيش دون أن يكلف الوالد مالا، وأخذ معه في سنتي الدراسة الأخيرة أخوه الذي يصغره إلى تونس، وأسكنه معه في غرفة جامع القصر مع عمه الحاج كما عاش سابق أبو القاسم سعد الله وبقي هناك حتى تحصل على شهادة التحصيل والملاحظ أن تونس قريبة من مدينة الواد فهذا ما يفسر انتقال الطلبة إلى الزيتونة خاصة المدن في شرق الجزائري لأنها قريبة.

وفي الخريف 1954 نال شهادة التحصيل (الثانوية العامة) وفي عادة الطلاب أن يؤتون مبكرين يلبسون عمامة أما العلامة أبو القاسم سعد الله لم يكن متعود على لبسها فاستعارها من أستاذ كان سكن بجواره، ويظهر أن أبو القاسم سعد الله كان ذا ميول أدبي أكثر من ميوله ديني فلم يلتزم بلباس ديني حتى عندما كان في الزيتونة والعمامة بالنسبة لشيوخ مهمة ولها أصل شرعي وعرفي.

" ولكن مثولي أمام اللجنة ظل حدثا في حياتي، فقد نزعت العمامة بمجرد انتهاء الدرس وخروجي من الجامع، ثم بادرت إلى كتابة مقالة قصيرة عن هذا الحدث في جريدة البصائر بعنوان (عندما لبست العمامة) وكانت المقالة محل نقد من شيوخ معهد ابن باديس في قسنطينة الذين يعتبرون أنفسهم امتدادا وتلاميذ لشيوخ الزيتونة، فقد عاتبوا جريدة البصائر على نشرها تلك المقالة، وكتب أحدهم ردا على المقالة ونشره في نفس الجريدة"[1] .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حياتي ، مرجع سابق ص 177.

ظهرت النتائج وكان من الناجحين بدرجة عالية واتصل بخاله الشيخ الحفناوي هاني الذي كان قد استقر في مدينة الجزائر وكان يتولى في جمعية العلماء رئاسة لجنة التعليم العليا وخلفه الأخ محمد دريدي ممثل جمعية العلماء المسلمين لقد كان أبو القاسم سعد الله كبيرا لا لكبر سنه ولا لعلمه ولكن لثقة شيوخ الجمعية فيه.

" وكنت أحس أنني لم أكن مجرد تلميذ عادي درس ونجح في امتحانه، ولكني أصبحت إنسانا كبير المقام باعتباري محل ثقة رجال جمعية العلماء، وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي ومحمد خير الدين وخالي، وكان وداع تونس من أشق اللحظات في حياتي، وذلك أن الفراق المكان، مثل فراق الإنسان مؤثر ومؤلم، وكنت دائما أردد قول المتنبي عن نفسه في هذا المقام

خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا ** لفارقت شيبي موجع القلب باكيا"[1]

حادثة ضياع المحفظة:

عندما كان عائدا من أمريكا وفي لحظة زحام عند خروجي من مطار (هيثروا) بلندن لأقضي ليلة في فندق المطار انتظار لمتابعة السفر إلى الجزائر فضاعت هناك ولم يستأنف الكتابة حقيقة إلا سنة 1993 فكتب كلمة تأبين في كتابه في (الجدل الثقافي) وقد تجمدت قريحته عدة سنوات في الكتابة.

" وكانت تحمل تراث ثقافيا جزائريا جمع من مختلف المكتبات العالمية والجزائرية، وقد حاولنا أن نرجعه إلى أصله ونكشف عن مساهمات أصحابه في الحضارة العربية الإسلامية وفي وقت تتفاخر الشعوب بما قدمت في هذا الميدان، وهي نكبة شخصية لأنني قضيت حوالي ثلاثين سنة وأنا أجمع ذلك التراث واستنفدت في ذلك طاقة مالية وبدنية لا يعلمها إلا الله والعمر مهما طال، أمد محدود ويعتبر ضياع المحفظة ضياعا لتلك السنين والمال والجهد وإلى الآن ليس

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حياتي ، مرجع سابق ص 181.

هناك جديد حولها"[1] ، كما اعتبراها (نكبة ثقافية) ويقول هي فعلا نكبة وطنية وشخصية لأنها تتعلق بالتراث وحضارة وإرث وطني.

الكتابة لا وقت خاص فيها عنده وهي متعلقة بالأحداث، أما المكان فيعتقد أنك ممكن نكتب قصة في مقهى ولكن نكتب كتابا في النقد فهذا يتطلب طرح الأوراق والبطاقات والمكان فيه هدوء لربط الأفكار بعضها ببعض والمحافظة على تسلسل الأحداث والعلل والغايات.

ما هي هواية أبو القاسم سعد الله؟ :

" أفضل هواية عندي في هذه المرحلة من العمر هي المطالعة والكتابة والسفر إلى المجهول أو المعلوم الذي يضيف جديدا من التجارب الإنسانية ومن الهوايات السلبية التفكير في حقيبتي التي سرقت مني وفيها تراثي الشخصي الوطني."[2]

لكن باحث ومؤرخ ومفكر أمال وتطلعات ومشاريع وأفاق مستقبلية، برغم ما كان من عقبات في تاريخ وسيرة العلامة إلا أنه ينظر إلى ما حقق بشيء من الإيجابية.

" بالطبع كانت هناك أمال عريضة واعتقاد بأن العمر يمتد إلى إنجاز تلك الآمال، ولكن تعاقب السنين وكثرة المثبطات والالتزامات الأخرى، وعجز الإنسان الطبيعي، كل ذلك جعل الكثير من تلك الآمال تتبخر، ومع ذلك فإني أحس بالرضا والسعادة لأنني أنجزت ما أنجزت، لدي كثير من محاضرات التدريس في مختلف تخصصات وعلى مر العصور.[3]

أسرار أبو القاسم سعد الله:

نحن عندما نتكلم عن أسرار أبو القاسم سعد الله ليس من باب الذكر ولكن لكي يعرف مدى رحابة الصدر الرجل فهو يحمل أسرار خطيرة وخاصة في الحركة الوطنية والثورة وما تعلق بها ويظهر أن العامل الاجتماعي والتماسك الوطني والتضامن بين الأسر والقيم التي يحملها الشيخ

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 45.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 86.
[3]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ، ص 181.

من تسامح وحكمة جعلت منه كاتم سر لكثير من الأخبار وحتى الوثائق أو الأحداث التاريخية بحكم ممارسته الفعلية في ثورة (عمل) وثانيا لتتبعه للأخبار والوثائق عالميا وخاصة فرنسيا فهو يقول

" إن من الأسرار ما يحرج القائل نفسه، وما يحرج غيره من الأصدقاء وأسرهم، وإن منها ما يطعن في قيادات، وما يشكك في ولاء أفراد أو أحزاب ومنها ما يضر بالمصلحة العامة، فنحن نعرف الكثير من أكاذيب تجعل الجبان بطلا والبطل جبانا، ولكن ليس من المصلحة البوح بذلك الآن، ونطلع في الوثائق التاريخية على أمور تسيء –لو نشرت– إلى عائلات بأسرها، وقد تثير الفتن بين الناس، فما الفائدة من نشر ذلك؟ وأنا أحمد الله على أنه ليس لي ثأر من أحد."[1]

العقلنة عند سعد الله :

وحول سؤال عن تفرغه لتاريخ يذكر العلامة أبو القاسم سعد الله إلى أنه هو الميل إلى العقلنة والثورة الجزائر، هذا يعني أنه مزح بين الطرق العلمية وحبه لثورة الجزائرية وإيمانه بها، وعند ما كان شابا يميل إلى الشعر والأدب الذي هو ملتصق بالعاطفة ومرتبط بالشباب وبمرحلة النشاط الجسماني ويذكر أيضا أن معظم الأدباء يتوقفون عن الإنتاج بأنواعه في مرحلة متأخرة من أعمارهم للسبب المذكور فيملون إلى الهدوء والركون والتفكير حتى يوجد منهم من يعلن التوبة عما صدر عنه من الشعر فتحول طاقاته الإبداعية إلى نوع أخر من الإنتاج يتلائم والمرحلة الجديدة.

" وأعتقد أنني شخصيا كنت أميل إلى العقلنة منذ شبابي، فأنا أكبر إخوتي من الأم، وكان أقاربي يصفونني بالهدوء وقلة الحديث وأحيانا يقولون إنني أنطق (بكلام كبير) أي تعبيري كان أكبر من مستواي عندئذ، أو ما نقول عنه اليوم النطق بالحكمة، وقد صقلت الدراسة كل ذلك وبلورت اتجاهي نحو العقلنة إذ كنت أحب التأمل وعدم الاندفاع في الأحكام وكنت أنظر إلى

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 182.

كل شي على أنه خاضع للنسبية إذا ما نتعصب له اليوم قد يظهر فيها بعد أنه لا يستحق كل هذا التعصب والحماس"[1]

فالثورة الجزائر هي التي أرغمته على البحث وتطبيق التاريخ أي يدرسه ما دام أنه لم يدرسه في أي مدرسة كانت سواء في الجامعة، وكان يتحرق إلى معرفة إنجازات الأجداد والآباء، في حين أن الشباب اليوم لا يدرك قيمة التاريخ ولا الثورة ولا الحضارات التي قامت هنا في الجزائر، ودراسته في أمريكا أعطته الوسائل والمناهج العلمية الحديثة لدراسة ذلك.

" وقد وجدت من خلال دراستي سيما وقد حللت بأمريكا، تلك البلاد المادية والصناعية الكبرى، أن التاريخ هو أفضل ما يشبع فهمي العلمي وتطلعاتي العقلية، ففيه الشك قبل اليقين وفيه التريث والتثبت قبل إصدار الأحكام، وفيه الموضوعية والاحتكام إلى العلم والضمير وكل هذه المعايير تستجيب لنوازعي الأولى التي تحدثت عنها"[2]

الصداقة عند أبو القاسم سعد الله:

هناك أنواع من الصداقة عند أبو القاسم سعد الله أولا صداقة التي تعني الألفة والمحبة والإيثار وثانيا الصداقة التي طغت في المجتمع وهي صداقة مجاملة وظرفية، وهي بذلك لا تدوم وثالثة في الغرب والتي هي أساسها المصلحة ولكن يظهر أن عند الغرب حسب ما فهمت من كلام الشيخ أن الصداقة عند الغرب اختلط فيها باب المصلحة مع الثقافة الغربية ببعدها الإنساني حيث يقول

" أما الصداقة في الغرب فأساسها المصلحة، ولكنها إذا ترسخت تصبح مفيدة للطرفين، والصديق الغربي لا ينساك أبدا، ولو نسيته لسبب من الأسباب، فإذا عاودته في أمر من الأمور

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 154.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 154.

تجده حاضرا بكل ما يملك، وهو لا يتركك حتى يتأكد أن مصيرك مأمون وأن مصلحتك قد تحققت".[1]

الوسطية عند أبو القاسم سعد الله لا إفراط ولا تفريط:

أبو القاسم سعد الله مؤلف كبير غزير المؤلفات ومع ذلك له منهج ونمط حياتي معين مثلا صحي فهو لا يشرب القهوة والشاي خاصة في العهد المتأخر من حياته في حياته كلها لم يشرب الدخان عاش في أرض هواءها عليل ونقي فما هو منهجه في الحياة عموما.

" وسؤالكم عموما يذكرني بأن (كل ذي نعمة محسود) ولا شك أن الصحة هي تاج جميع النعم، وقد تعلمت من تجربتي أن الإسراف في كل شيء مهلكة وأن الاعتدال هو رأس المال وأقصد عدم الإسراف في الأكل والحديث والحب والبغض والعبادة والتشبث بالرأي والإلحاد والزندقة، وقد جرب كل إنسان حاله كيف تغير مع تقدم عمره وانتقاله من طور إلى طور في حياته (وقد خلقناكم أطوارا)"[2]

الأسباب التي جعلت العلامة أبو القاسم سعد الله يهتم بالتاريخ :

وملخصها هو:

1- هو أن الثورة نفسها قد جعلت كل جزائري يكتشف نفسه من جديد، وبالتالي يكتشف تاريخ وطنه وشعبه وحضارته.
2- هو وجودي في بلاد الغربة حيث يحن الإنسان إلى أهله ووطنه ويفخر بتراثه.
3- هو اتقاني لعدة لغات أجنبية قد سهل على الإطلاع على أثارنا التي اعتنى بها الأجانب وأهملناها نحن لعوامل تلقائية واضطرارية.
4- هو دراستي لتاريخ الشعوب الأخرى، ولا سيما تاريخ أوربا الحديث، قد جعلني أقارن بين ما حدث في الجزائر وبين ما حدث في أماكن أخرى.

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 183.
[2]- - مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 186.

" فكانت الأطروحة لدكتوراه عن الحركة الوطنية الجزائرية كما كتبت أبحاثي للماجستير عن الجزائر أيضا، إحداهما كان عن الحملة الفرنسية 1830 وثانيهما كان عن سياسة فرنسا في الجزائر خلال القرن الماضي بالإضافة كل أبحاثي الفصلية عن الجزائر إضافة إلى تدريس مادة تاريخ الحضارة الأوربية اضطررت لدراسة العلاقة بين ظهور ممثلة نوميديا ودورها في العلاقة بين القرطاجيين والرمان"[1]

قيمة الأخلاق والعلاقات الودية:

تشعب الحياة اليوم وتتقارب الشعوب يزيد من العلاقات الإنسانية والاجتماعية، إن تفتح سعد الله على الحضارات العالمية وخاصة الأمريكية منها جعلت يثمن قيمة الرجال والمفكرين والمبدعين ورأي أن العالم لا يقوم فقط على الحرب والقوة والصراع بقدر ما يقوم على كثير من الود والإخاء والحب والعلاقات الإنسانية على أساس الأخلاق والود والاحترام.

" إلى هذه العائلات : بيترسونز، وجودز، وغاستفسونز، وويلقنقز التي عرفت من خلالها أن العالم لا يقوم فقط على الصراع الأديان واللغات والألوان والقوميات والحدود السياسية، ولكنه يقوم في الأساس على العلاقات الإنسانية والمعاملات الودية."[2]

4-نشاطه في التأليف والاختصاصات التي اهتم بها:

تعتبر مؤلفاته كثيرة ومتنوعة، فبذلك أثرى المكتبة العربية والعالمية بالعديد من المؤلفات التي شكلت في زمنه، وما زالت لحد الآن، قفزة في كثير من العلوم منها التاريخ والأدب والتربية والثقافة والحضارة بصورة عامة.

لقد عرف أبو القاسم سعد الله بالتجديد والموسوعية في كثير من المجالات المعرفة التي اشتغل بها، إنه موسوعة علمية محددة في عدة علوم الفكر والأدب وبخاصة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ومنه لا يمكن عزل أبو القاسم سعد الله عن كونه مبدعا ومفكر ومؤرخا قديرا، فكان

[1]- أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 60.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، شعوب وقوميات، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2008، ص 5.

كثير تجوال خاصة في فضاءات المعرفة فلا يمكن أن نعزله عن كونه مبدعا وناقدا ومؤرخا قديرا ومفكر يمتاز بالموضوعية، ورائد في الحركة الوطنية الجزائرية ومترجما ومحققا ومهتما بالرحلة وأدبها، برغم من معاناته من ظروف المادية صعبة ومضايقات تحاول صده عن أفكاره، وكان لا يكتب مؤلفا أو شعرا إلا إذا أتى بالجديد و محاولة معرفة المجهول فأنتج الكثير وقدم الجديد.

"وقد شاهدت في صغري ما يصنع الجهل والفقر والمرض بالإنسان، ولم أعرف متع الحياة ولذة العيش أثناء دراستي لا في تونس في جامع الزيتونة ولا في مصر بدار العلوم، فقد كانت دراستي في هذين البلدين مغامرة يخفف من وطأتها الإيمان بالعلم والهروب من جحيم البيئة وطموح الشباب، أما الجمع بين لذة العلم ولذة العيش (ماديا) فلم أعرفه إلا أثناء دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية عندما حصلت على منحة لتحضير الماجستير والدكتوراه، ومؤلفاتي تتراوح بين الإبداع الأدبي والبحث التاريخي وتحقيق التراث والترجمة، وستجدون قائمة بها وأبرز ما يحدوني في إنتاجي هو الإتيان بالجديد، إنني أبغض أن أسير على خطى الآخرين، وأحب شيء إلى نفسي هو الكشف عن المجهول"[1]

وعندما يتكلم عن إعجابه بالمؤلفين فنجد أنه يأخذ من كل بستان زهرة يأخذ الإيجابيات ويترك سلبيات فالعمل بناءي تركيبي وهكذا توسع في مختلف مجالات المعرفة، اهتم بالقديم وأضاف إليه والجديد فأبدع فيه ولم يقم بتمجيد الأفراد ولا الجماعات بقدر فقط ما تقتضي الموضوعية، ومن هنا جاء التجديد والإصلاح الذي ينادي به.

" وأقرب المؤلفين إليّ هم أوليك الذين رفضوا ما في مجتمعاتهم من زيف واختاروا التمرد على الخضوع سواء كانوا من القدماء أو من المحدثين، وهناك أمثلة منهم في مختلف مجال المعرفة،

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 178.

خذ مثلا المتنبي في الشعر القومي والأفغاني في النضال الإسلامي، وابن باديس في الإصلاح الوطني، وابن خلدون في عقلنة التاريخ، وارنولد توينبي في تصنيف الحضارت، وكثير غيرهم"[1]

1- محمد العيد آل خليفة (رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث سنة 1960)

أول كتاب إشتهر به كعمل متخصص في النقد الأدبي الجزائري الحديث سنة 1960، برغم ملاحظات التي سجلها النقاد عليه، إلا أن احتواء هذا الكتاب على خصوصيات الخطاب النقدي الأدبي، من منهجه ومصطلحاته نقدية جعل النقاد يدرجونه كأول خطاب نقدي رائد في الجزائر، استعمل فيه المنهج التاريخي لدراسة شعره، بالإضافة إلى محاولة توخي صاحبه العلمية والموضوعية في المناقشة والتحليل كما ألف كتاب أخر نقديا، وهو دراسات في الأدب الجزائري الحديث سنة 1967 فلهذا لقب بأستاذ وشيخ النقاد والمؤرخين معا.

- دراسات في الأدب الجزائري الحديث:

يتكلم فيها عن الشعر والقصة والمسرحية والنقد والتراجم هو عبارة عن مجموعة من المقالات والدراسات التي نشرها في الدوريات العربية حين كان بالقاهرة (1955-1960) وأضاف إليها سوى مقالين ترجمهما عن الانجليزية أثناء إقامته بأمريكا وأولهما فصل من كتاب (رسائل من الجنوب) الذي ألفه الشاعر الأسكتلندي توماس كامبيل والذي تناول فيه بعض خصائص المجتمع العربي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر والثاني مقال كتبه الناقد الأمريكي جورج جوايوا عن كتاب الجزائر باللغة الفرنسية تناول فيه بالخصوص محمد ديب وكاتب ياسين وطابع أدبهما واتجاهاته.

- سعفة خضراء 1986:

يقول إنه اشتغل بالشعر والقصة في وقت مبكر إلا أن تغلب الشعر عن القصة وفي سنة 1954 كتب قصة (سعفة خضراء) ويذكر أهمية القصة وعلاقتها بالمجتمع عقليا ونفسيا.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 179.

" يكاد الأدب الجزائري يكون خاليا من عنصر القصة التي أصبحت مادة أولى لمفاهيم الآداب العالمية الحديثة... مما جعل الباحثين في إنتاجنا لا يظفرون بالطبيعة الاجتماعية التي تعيشها الأمة وتمثلها فيما تبديه من نتائج عقلية ونفسية وذاتية وإنسانية، وذلك الخلو البالغ هو الذي دفعني إلى أن (أحاول فقط) موضوع القصة وأن أبرز فيه معالم من حياتنا الاجتماعية ظلت منسية، وأن أتعرض لتحليل نفسيات الأشخاص خصوصا بطل القصة"[1]

وجمع فيها مجموعته من القصص مثل (فتاة قرية) (سعفة الخضراء) مرارة التبغ، ليلة غرام، ممنوع الدخول، عندما لبست العمامة، مع أديب الخلود، وهي قصص واقعية.

" والواقع إن جميع هذه القصص (واقعية) بمعنى أنها حدثت لأصحابها فعلا، وليست من القصص المتخيلة أو الأسطورية، أما أسماء أبطالها فكلها مستعارة وليست حقيقية، ولعلك تفهم أنني لو سميت كل بطل باسمه الحقيقي لتأذى بذلك بعض الناس من الأحفاد والورثة الذين لا ذنب لهم فيما فعل أبائهم أو جناه أقاربهم في الماضي، وهناك بالإضافة إلى القصص الخمس، لوحتان لبعض الموافق التي حدثت لي أو لغيري في يوم من الأيام"[2]

ويقول عن دواعي كتابة هذه القصص واللوحات أن ليس لها قيمة معينة وحسبي أن أذكر أنها كانت من أبكار الأدب الجزائري الحديث، فقد كنت فيها ثائرا على الجمود السياسي والاجتماعي والأدبي، وما يزال هذا ديدني وشعاري إلى أن ألقى الله، هذا ما ذكره في المقدمة.

- الزمن الأخضر (ديوان سعد الله)

يتضمن الكتاب أشعاره في زمنين عهد شباب وعهد الثورة (1950-1960) فكانت العاطفة الذاتية وأخرى وطنية منها هذه الباقات

كم من شعوب أضاء الشعر منهجا

[1]- أبو القاسم سعد الله ، سعفة الخضراء ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 05.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، سعفة الخضراء ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 08.

إلى الحقيقة فانجابت دياجيهـــــا

الشعر قنبلة موارة لهبـــــــــــا

إذا تفجرت الأوزان تلقيهـــــــــا

الشعر معجزة الإلهام طافحـــــة

من النبوغ الإلهي في سواقيهـــــا

الشعر باقة ريحان تصففهـــــــا

أيدي الملائك والأحلام تهديهـــا[1]

أما الدور الشاعر في الحياة فقد عبر عنه في هذه الأبيات

النار رمز جهاده *** والنور لون وجوده

والحب ملء فؤاده *** واللحن ملء قصيده

يصوغ للناس شعرا *** من دمه ود موعه[2]

ومن أبيات قصيدة (غيوم) هذا المقطع

سوف نغدوا كالحياة *** عبر هاتيك الحقول

نطأ العشب النديا *** وسوانا في ذهول

إنما هي غيوم *** مثل أشباح السكون

كلها –حتما– ستغدوا *** كالهشيم للفناء

في احتفال خضب الحق *** يديه بالدماء

هامة الطغيان سكرى *** برصاص الحريات

ثورة الحق الغضوب *** وانتصار الكائنات[1]

[1]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015ص 67.
[2]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر،،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015 ص 08.

- الدموع السوداء (ديوان شعر)

وهو ديوان لشيخ الفقير إلى ربه (محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي القماري السوفي) عفا الله عنه وغفر له:

وهي عبارة عن قصائد ومقطوعات مرتبة على حسب ترتيب الحروف الهجائية باصطلاح بلادنا الجزائرية وقسم أخر يحوي قصائد والمقطوعات غير مرتبة ترتيبا هجائيا، ولكنه كالقسم الأول يشتمل على أغلب أبواب الشعر من حماسة وغيرها من غير ترتيب ولا تنسيق وفي مطلع الكتاب يقول:

وإن كنت تطلب مني *** علما بتاريخ حالي
وسيرتي في حياتي *** وبين قومي وآلي
فاقرأ ديواني هذا *** ففيه ظل خيالي[2]

وعندما ألف الشيخ أبو القاسم سعد الله كتاب تاريخ الجزائر الثقافي أنشد يقول:

يا مهدي لي جواهرا *** ثمينة من ذخرك
أهديت لي ثقافة *** مكتوبة بعطرك
أهديت لي مؤلفا *** ألفته في كبرك
قد احتوى كل الذي *** ألفته في عمرك[3]

- حاطب أوراق:

هذا الكتاب مختص في الوثائق والرسائل والنصوص أو مراجعات تكتب أو تصدير لها وكان ذلك بطلب من أصحابها أما الوثائق فهي تشمل نصوصا أصبحت اليوم في عداد (الأرشيف) مثل منشور الخطابي وندائه، وبعض الأحاديث الصحفية غير المعروفة للجيل الحاضر ولكنها ذات مدلول عميق في وقتها مثل حديث مالك بن نبي مع الكاتب والصحفي إحسان عبد

[1]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015ص91-92.
[2]-محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء تحقيق أبو القاسم سعد الله، (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015 ص 17.
[3]- محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء تحقيق أبو القاسم سعد الله (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015 ص 252.

القدوس عن الاستعمار وحديث فرحات عباس عن مجلة روز اليوسف بعد انضمامه إلى الثورة ولجوئه إلى مصر.

خارج السرب (مقالات وتأملات):

هذا الكتاب لم يكن عادي (ميلاديا عاديا) ألف ونشر أي كان غير متوفر حتى في ضمن أعماله الكاملة التي ظهرت سنة 2005.

احتوى هذا الكتاب على مقالات وخواطر متنوعة تناولت مواقف وأنشطة عاشها خلال العشرية السابقة (قبل 2004) فيها مقالات عن اللغة العربية والتعريب وأخرى عن التثاقف والحوار والتاريخ والعولمة وبعض الأشخاص الذين لعبوا دورا في حياتنا خلال القرن العشرين، وهناك من شارك معهم في ندوات من أجل تكريم أو تقديم لكتاب وكل هذا سماها في هذا الكتاب (خارج السرب) لأنه عنوان يصدق في أغلبه على محتوى الكتاب والكتاب قيم في جانبه التربوي والعلمي والثقافي والتاريخي.

حصاد الخريف:

يشمل الكتاب على بحوث ومقالات في موضوعات شتى بعضها يتعلق بالوطن العربي، وبعضها يتعلق بقضايا عامة أهمته أثناء حدوثها، ولا شك أن هناك موضوعات أخرى وبما أنه ألف هذا الكتاب وهو في أخر عمره (2009) سماه حصاد الخريف.

ففصل الخريف لا يعني دوما ذبول وسقوط الأوراق بل يؤشر إلى موسم البذور والعطاء ومن ثمة إعادة ميلاد وتجدد الحياة أيضا وهذا الكتاب غني بالكتابة في التربية والثقافة وحديثه عن العلم والعلماء .

حبر على الورق:

صنف هذا الكتاب على محاور أولها أفكار ومشاركة في حياة الناس ، حلوها ومرها، وتكلم عن قضايا الناس في الجزائر والوطن العربي والعالم الإسلامي وهناك نصوص من أجل معاني تحملها ورسائل وهناك مشاهدات بمناطق غير معروفة عنده فيما سبق ، وفي الأخير محور تصدير بعض الكتب، وهذا اللون من الكتابة أصبح يلجأ إليه المؤلف بعد إلحاح ومعظمها لناشئين مجهولين عند الناس ويعتبر هذا الكتاب أيضا من أواخر ما ألف الشيخ.

قضايا شائكة:

هو كتاب عن مجموعة من الحوارات وفي بداية الثمانينات أخذ يجيب على الأسئلة ولكن بالكتابة حتى يتمكن من ضبط الألفاظ والتعابير وسيطرة على الأفكار ثم الاحتفاظ بنسخ مكتوبة والحوارات ذات بعد ثقافي وعن الأوضاع الجزائر وفي الوطن العربي وعن الثورة والكتابة التاريخية وعن المدارس التقليدية الزوايا والتصوف (1986).

حوارات:

وهي حوارات امتدت من 1976-2004 وقد اجتاحت الجزائر خلال فترة الحوارات موجات فكرية واجتماعية وثقافية هامة تمثلت في النظام التربوي وفي مسألة اللغة والهوية والأحزاب وغيرها وهي نفس منهج كتابه كتاب قضايا شائكة.

أفكار جامحة:

يحوي هذا الكتاب على أبحاث ومقالات في أغراض ثقافية أدبية وفكرية شتى، وهو شبيه بكتاب منطلقات فكرية إلى حد كبير إلا هناك فروق بينها في التناول والتنوع، مثل تناول موضوع الوحدة والاتجاهات الثقافية في الجزائر وتكلم عن الجامعة في الجزائر (1986).

في الجدل الثقافي: (1980)

هذا الكتاب هو امتداد لكتابين هما (منطلقات فكرية) و(أفكار جامحة) من حيث المحتوى ورؤية فيه كلام عن نجم شمال افريقية، وحدة المغرب العربي، ضياع محفظته وكلام في اللغة والفكر، ووحدة المغرب العربي وغيرها.

مجادلة الأخر:

هذا الكتاب يحمل مواضيع مختلفة معها العولمة والغرب والهوية و الحوار والديمقراطية، مجموعة من المقالات لحقل معرفي وخليط من مواضيع راهنة (2006) وأخرى تاريخية وأخرى مترجمة وأخرى لتقديم كتاب وإيداع ملاحظات وكلها جاءت لتخدم تيارا رئيسا هو التيار الوطني العربي الإسلامي.

حياتي:

هي عبارة عن مذكرات لشيخ جمعت في هذا الكتاب وهي مليئة بتجارب والأحداث لا يسع المرء إدراكها، إلا إذا طالع هذه المذكرات بعمق وتأن، إنها تكشف للقارئ كيف تكونت شخصيته عبر مراحل حياته، بداية نشأته وبيئته القاسية، مرورا برحلاته الدراسية من تونس في جامع الزيتونة إلى دار العلوم بمصر حيث تعزز تكوينه الإسلامي العربي الأصيل ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية فحصل هناك على أعلى درجات العلمية وهي دكتوراه.

تجارب في الأدب والرحلة:

يضم هذا الكتاب مجموعة من التجارب في الأدب والنقد والقصة والشعر وأداء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي والوطن العربي على العموم، كما يضم أخبار رحلته إلى المغرب وإلى جزيرة العربية بالإضافة إلى رحلة أحد الأمراء الألمان إلى عنابة مترجمة عن الانجليزية وقد أصبحت أفكار هذه المجموعة تراثا في حياتنا الأدبية خلال الربع القرن الماضي وفيها من التراث من الباهت والمشع وأغلبها كان قد نشر في مجلات جزائرية وعربية.

رحلة ابن حمادوش الجزائري:

ابن حمادوش كان معروفا عند العلماء المسلمين بمساهمته في تسجيل الآثار الاجتماعية والدينية والطب الشعبي وعند العلماء الأوربيين بمساهمته في مجال الطب العربي والأحداث التاريخية.

قام بتحقيق هذا الكتاب وقيمة الكتاب

1/ أنها جزء من التراث الجزائري العربي الإسلامي كتب في عهد رمي بالجمود والتخلف.

2/ مصدر هام لحياة المؤلف نفسه بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى.

4/نادرة في نوعها هناك عدد قليل من الرحلات التي تعود إلى العهد العثماني.

استغرق العمل قرابة 10 سنوات مع الاستعانة بالشيخ محمد الطاهر التليلي والشيخ المهدي البوعبدلي وأحمد العمالي وغيرهم لأن المواضيع متنوعة فالمحقق يجب أن يعرف عدة علوم كان يحسنها ابن حمادوش منها التاريخ، الفقه، التوحيد، التصوف، الرياضيات، القصص الخرافي والحقيقي وغيرها.

على خطى المسلمين (حراك في التناقض)(2008)

هذه بحوث ومقالات لا تخرج عن حياة المسلمين في الماضي القريب والحاضر والجامع فيها هو تحركات وتفاعلات المسلمين مع أنفسهم ومع جيرانهم، في هذا الكتاب مجموعة من الرحلات المغاربية إلى الحجاز، منها رحلة العياشي ورحلة السنوسي (الرحلة الحجازية) وبعض الرحلات الجزائرية (منها لأحمد بن مصطفى الشرشالي) وبحث متعلق بمالك بن نبي وتأثره بالحضارة الغربية من خلال مذكراته المشهورة وكان المقال تحت عنوان مظاهر الحضارة الغربية (مذكرات شاهد القرن) لمالك بن نبي، وعمل أخر يرصد تاريخ المسلمين في أمريكا الشمالية .

هموم حضارية:

سنين التي خلت قبل 1996 عرفت فيها العالم والعالم الإسلامي والعربي نكبات وأحداث سواء تتعلق بالديمقراطية ومنها 1991 حرب الخليج (العراق) فكانت محتويات هذا الكتاب من وحي تلك الأحداث على العموم على مستوى الوطن العربي الخلافات مستمرة، الغرب يحتل أراضينا ويدوس من جديد على مقدساتنا ويستولي على أموالنا ومدخراتنا، وفرض الإرادة الدولية علينا بالقوة، وكان من نتيجة ذلك كله تهميش قضية فلسطين، وتحطيم قوة العراق، أما عن المستوى الدولي انهيار الإتحاد السوفياتي بالمقابل بروز قوى الإصلاح والنهوض وما يسمى الصحوة الإسلامية، لكن هذه الظاهرة ما تزال تواجه الأنظار الداخلية والخارجية.

وكذلك محور يتكلم انطباعات المؤلف و أحكامه على قضايا جزئية أو كلية حدثت في الوطن أو خارجه والمحور فهو مجموعة أبحاث تولدت عن نشاط علمي ساهم به ملتقيات وتجمعات علمية.

منشور الهداية لشيخ الإسلام ابن فكون :

قام بتحقيق هذا الكتاب الذي تحت عنوان منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية وهو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني المتوفي سنة 1073هـ(1662م) وهذا المنشور فيه معلومات وافية عن ثقافته، فهو يذكر شيوخه الأوائل وعلى من قرأ ثم شيوخ عصره ثم شيوخ عصره ثم التدريس والتأليف وكان خطيبا بالجامع الكبير وكذلك تولى وظيفة قيادة ركب الحج.

أعيان من المشارقة والمغاربة: تاريخ عبد الحميد بيك

ترجم عبد الحميد بك لأبيه ولم يترجم لنفسه، وبناء عليه فإن والده هو خليل بن مصطفى أغا بن حسن أغا (ويسميه ابنه الأمير خليل أفندي) وهو من مواليد قوالة حوالي سنة 1185 يريد المؤلف أن يبين ثلاثة أمور أن نسبة من جهة الأم ينتهي إلى الإمام الحسين، فهو من آل

البيت، والأمر الثاني أنه من عائلة موظفين سامين (آغوات) كانت تقطن قوالة، والأمر الثالث أن والده قد أصبح في مصر من كبار الأغنياء والملاك.

رسائل في التراث والثقافة:

هي عبارة عن مجموعة من الرسائل لشيخ المهدي البوعبدلي فيها مناقشة وتعاليق ومعلومات حول شخصيات ثقافية، وبعض المواقف والأحداث التاريخية وفيها أخبار عن تحالف الأمير وأحمد باي، والشيخ البوعبدلي من الذين ينفعون في إثراء التاريخ الثقافي (2006).

المنطلقات فكرية:

هذا كتاب يعتبر قديم نسبيا (1974) ويحتوي مجموعة من المقالات والأبحاث عن الثقافة والقومية في الجزائر والوطن العربي وإفريقيا والصين، وهي تحوي على أعمال مترجمة وأخرى موضوعة ومعظمها نشر في دورات العربية أو وقائع في المؤتمرات وأورد فيها التواريخ وتتمحور معظمها في الثقافة القومية في الوطن العربي والجزائر الخاصة وفيها بحث عن الثورة الثقافية في الصين وبحثا أخر حول شخصية الإفريقية ومعظم قادة العالم الثالث اليوم تثقفوا في مدارس المستعمرين القدماء وتشكل فكرهم وسلوكهم وذوقهم على غرار فكر وسلوك وذوق الغالبين وحين شرعوا في استعادة الشخصية القومية رأى بعضهم طريقها في العودة إلى التراث القديم ورآه أخرون منهم في تقليد الغرب في كل شيء ورآه فريقا ثالث في الجمع بين هذا وذاك وما تزال الحيرة قائمة، فقدم أبو القاسم سعد الله هذا الكتاب لكونه مثقف فشارك بفكره وقلمه ليساعد الجزائريين والعرب عامة على رؤية الطريق المضيء.

ونختم هذا الفصل بما قاله عن مؤلفاته وما تمتاز به من تجديد وإبداع

"مؤلفاتي تتراوح ببين الإبداع والبحث التاريخي وتحقيق التراث والترجمة وستجدون قائمة بها وأبرزها ما يحدوني في إنتاجي هو الإتيان بالجديد ، إني أبغض أن أسير على خطى الأخرين ،

وأحب شيء إلى نفسي هو الكشف عن المجهول ،وأقرب المؤلفين إليّ هم أولئك الذين رفضوا ما في مجتمعاتهم من زيف واختاروا التمرد على الخضوع سواء كانوا من القدماء أو المحدثين"[1]

[1]-أبو القاسم سعد الله .حوارات مرجع سابق ،ص.178.

خاتمة

لقد تم الحديث في هذا الفصل على العوامل الرئيسة التي أثرت في فكر العلامة أبو القاسم سعد الله في رأينا ، والأحداث المرافقة في فترة وجوده في الجزائر أو تونس أو مصر من جانب وتنقله الأخير إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسته ونظرا لتأثره بالثورة الجزائرية وواقع الإستعمار نشأ حب الوطن عنده ، كما شكلت شكل المحيط الاجتماعي والأسري في مدينة الواد وعلاقته بجمعية علماء المسلمين القسط الأوفر في تبلور فكر وثقافة سعد الله.

فالمحطات الدراسية فإن كانت ميولاته الأدبية تتصل اتصلا وثيقا بالعاطفة التي ترتبط عادة بمرحلة الشباب ، إلا أنه فيما بعد لجأ إلى الهدوء والعقلنة والتفكير وذلك عندما بلغ مرحلة النضج العقلي والكبر فأصبح يفضل العقلنة حاصة مع الثورة الجزائرية والحركة الوطنية وذلك في جو ديمقراطي غربي (الولايات المتحدة).

فالمحطات الاجتماعية التي عاشها سعد الله تركته يتأثر بالظروف والأحداث التاريخية التي حضرها مثل الجمعية والثورة والحركة الوطنية وتعرف على بعض الشيوخ أحاطوه برعاية كبيرة و رءوا فيه ذكاء والاجتهاد مثل الشيخ الإبراهيمي والعربي التبسي كما كانت له علاقة طبية مع كثير من المثقفين العرب والمغاربة وحتى الغربية منها .

وفي الأخير نستطيع ان نعتبر أن مؤلفاته تعتبر كنزا عظيما للجزائريين ، وتحفة إضافية للعالم العربي والإسلامي ، وخاصة الذين يريدون تعرف عن تاريخ الجزائر في صراع كبير مع التيار الفرنكفوني في الجزائر.

إلا أن التاريخ والأحداث أنصفت العلماء المخلصين من أبناء الجمعية وأصبحت العربية والإسلام أكثر رسوخا في هذا الوطن ولكن مازال عمل أخر ينتظر الجيل الحالي من اجل رفع راية الوطن.

وطغى على منهجه أسلوب العلم والحكمة ويذكر أنه يحب العقلنة حتى في وقت شبابه فكان بفضل الهدوء وعدم تسرع في الحكم.

يمتاز سعد الله بفكر موسوعي فهو المربي والمثقف والمفكر والمؤرخ والمترجم والمحقق والناقد والباحث والدراس والمقاوم لوكان في عهد أخر أو بلد أخر لكان له الحظ الأوفر في الاهتمام به وبمؤلفاته و مخططاته المستقبلية والتي لا تخرج من منظومة عريقة في الجزائر وهي امتداد لفكر الجمعية ومالك بن نبي نقصد ميدان التربية وتخطيط العلمي لها ،فهو صاحب مبادئ وقيم قبل البحث والتأليف التي تمتاز بالعطاء والتجديد والإبداع.

الفصل الثالث

التربية عند العلامة أبو القاسم سعد الله

الفصل الثالث : التربية عند العلامة أبو القاسم سعد الله

- تمهيد

1/ التربية التقليدية والحديثة ومقومات مشروع سعد الله التربوي

2/ التربية والتعليم في العهد العثماني و الاستعماري

3/ المؤسسات التربوية ودورها التعليمي

4/ نماذج المشاكل التربوية وحلولها

- خاتمة

تمهيد

لقد أصبحت المشاريع التربوية في سنوات الأخيرة تحظى بكثير من الرعاية والاهتمام من قبل الباحثين والعلماء والمفكرين التربويين ، لما فيها من أهمية في ترسيخ القيم التربوية والعلمية والمجتمعية ، فإن مجال التربية هو الطريق الأساس لكافة أفراد المجتمع ومن هنا كانت هذه الدراسة تعني بأهمية مؤسسات التربوية وما تقدمه من مواضيع ، فالمحتويات لها علاقة بالمواضيع والمجتمع وبين هذا وذاك يحصل تفاعل يكون اتجاهه نحو الأهداف المسطرة ولتوضيح معالم ومقومات مشروع سعد الله حاولنا مناقشة موضوع التربية تاريخيا في العهد العثماني والفرنسي مرورا بجمعية علماء المسلمين.

إن جمعية علماء المسلمين لديها مشروع تربوي واضح من أجل النهوض بالشعب الجزائري وأيضا محاربة البدع والخرافات ، وفي عهد سعد الله كان هناك مشكل تعريب مثلا واليوم هناك تحديات كبيرة منها العولمة.

والمختصين في علم السلوك يرون ان قيم المجتمع هي رهان على بناء مستقبل يرتكز على تجربة التاريخ ، مجسدا في ذلك تطلعات الفرد والمجتمع في إطار مشروع حضاري متكامل يهدف على إعطاء رواية جديدة على الواقع المعاصر ، لأن مشروع الحضاري المستند على التجارب البشرية كعملية تواصل مستمرة بين الماضي والحاضر والمستقبل هو الكفيل بالنجاح .

ولقد بدأت في القرن السابق تمازج بين التراث والحداثة ويتبلور ذلك عبر نسق من تفاعلات الثقافية سواء في اتجاه المؤسسات أو البرامج والمناهج أو على مستوى المدرسة والمجتمع والأسرة .

وكلها من واقع اجتماعي عربي إسلامي ومن تراث راسخ في أعماق الشخصية العربية الإسلامية .

وعند ملاحظة النظريات الحديثة المعاصرة التي اختلفت مذاهبها واهمها تلك التيارات الكبرى

1/ النظريات الروحانية ويعتقد أصحابه أننا في حاجة إلى تربية روحانية لما خلفته الحضارة الغربية من فراغ روحي ومشاكل كبيرة أصابت الإنسان واذا لم يرجع إلى هذا الأصل فلن يجد الملاذ ويجد السعادة والطمأنينة .

2/ الشخصانية وتركز على الحرية ومقومات الذات والاستقلالية واستعمال طاقات الداخلية وتركز على دور المدرس كمسهل في إطار علاقته بالتلميذ .

3/نظرية النفس المعرفية وتهدف لنمو العمليات المعرفية مثل التفكير والتحليل وحل المشكلات والمفاهيم الأولية مع تركيز على بناء المعرفة

4/ النظريات التكنولوجيا ومن اسمها فهي تلجأ إلى استعمال التكنولوجيا وتعمل على ضرورة تنمية التبليغ بواسطة اللجوء إلى استعمال التكنولوجيا الملائمة

5/ يؤكد هذا التيار على العوامل الثقافية والاجتماعية في بناء المعارف وهدفها تحسيس التلاميذ بهذا النوع من العمل وهي بذلك تناقض العمل الفردي التي تميز النظريات الفردية .

6/ النظريات الاجتماعية : تقوم هذه النظرية على مبدأ يفيد أن التربية ينبغي أن تتيح للفرد تعلم حل المشكلات الاجتماعية والثقافية والبيئية وتحدد المهمة الأساسية لتربية في إعداد التلاميذ لإيجاد الحلول لتلك المشكلات .

7/ النظريات الأكاديمية : وهي الشمولية وظيفية كلاسيكية وهي تركز عنايتها على تبليغ المعارف العامة وتركز على التكوين الشامل المتمركز على الفكر النقدي والقدرة على التكيف وعلى الإنفتاح الفكري .

نحاول عرض نموذج لنظريات الاجتماعية والمفكر التربوي الأمريكي جون ديوي لأنه قريب إلى فكر سعد الله ومعروف تأثره بالتدريس الأمريكي .

وخاصة لما يلي هذه النظرية من علاقة بالثقافة والهوية وهذا ما يطبق على الواقع الجزائري.

1/التربية التقليدية والحديثة ومقومات مشروع تربوي لعلامة أبو القاسم سعد الله

النظريات الحديثة التربوية

من نطريات الحديثة نجد النظرية الاجتماعية التربوية وتستند هذه النظريات التربوية إلى معالجة المشاكل التي يمر بها المجتمع ومنها الثقافية من نظرة اجتماعية لتغيرات الممكن إحداثها في ميدان التربية وبذلك تلعب دوا هاما في بناء المجتمع انطلاقا من المؤسسة المدرسية.

"وفي الفكر الذي يدعوا إلى التحضير لإحداث تغيير جذري للثقافة والمجتمع وسنتعرض في بداية الأمر للبيداغوجيات المؤسساتية المسيرة ذاتيا والتي مارست تأثيرا على الفكر التربوي خلال الستينات والسبعينات "[1].

ومن الفلاسفة التربويين ذوي الاتجاه الاجتماعي نجد freire و shor وذلك بتوعية لإحداث التغيير ولد freire في مدينة راسيف بالبرازيل سنة 1921 ، و اهتم بدراسة النظريات التواصلية لما كان عمره بين 20و22 سنة ، ولاحظ أن هناك دور لتعلم اللغة في الفوارق الاجتماعية وساعد الأولياء والمدرسين على تحريص الناس على التفكير في ظروفهم الاجتماعية والثقافية ،ومن ضمن المواضيع التي عالجها هي الديمقراطية .

"يقول إننا في حاجة لتربية تجعلنا قادرين على اتخاذ القرار وعلى تحمل المسؤولية الاجتماعية والسياسية بالفعل ويتناول كتابه دور التربية في نشر الديمقراطية ، ولحل مشكلة الإنتقال إلى الديمقراطية بطرح freire التربية كممارسته ديمقراطية للحرية تقوم على استعمال

طريقة نشطة وتأسس على الحوار النقد وعلى تكوين أفراد قادرين على إبداء الرأي "[2] ولرقي إلى الديمقراطية نجد أن التربية تمر ب3 مراحل :

---

[1]- محمد بوعلاق -النظريات التربوية المعاصرة ، قصر الكتاب البليدة ب ط الجزائر 2001.ص 166.

[2]-محمد بوعلاق -النظريات التربوية المعاصرة قصر الكتاب البليدة ب ط الجزائر2001 ص 175.

أولا : الحوار ويقصد به العلاقة السلمية الموجودة بين الأفراد فيسهل التواصل على عكس اللاحوار الذي يكون فيه احد الأقطاب مسيطر على الأخر فيكون الأخر سلبي .

ثانيا : الإرتباط بالواقع يشكل الإرتباط بالواقع الخاصية الثانية لبيداغوجية التوعية ، لكونها تنطلق من تجارب الطلبة الحياتية بغض النظر على مستوياتهم الدراسية .

ثالثا : وهو بناء الثقافة فتعليم مثلا الأبويين الذي يطرحه freire (1985) هي الخاصية الثالثة للبيداغوجيا ، ويتعلق الأمر بمعنى الاجتماعي للأميين ليس معنى التعليم ولكن معنى التثقيف أي "توعية الأفراد بثقافتهم وبضرورة مشاركة كل واحد منهم في عملية البناء الجماعي والديمقراطي للثقافة والتاريخ ،ويكمن هذا التثقيف في تحصيل اللغة لها معنى بالنسبة للفرد ، أي أن التعليم يجب أن يهدف إلى جعل الطالب قادرا على إستعمال الكلمات التي يعرفها انها منتجة للأفكار في مواقف معيشة ، وليس العكس أي أنه لا ينبغي أن نعلم الطالب ترديد جمل لا معنى لها بالنسبة للواقع الاجتماعي والثقافي "[1].

رابعا : تكوين الفكر النقدي يعد التثقيف من حيث جوهرة عملية توعية إجتماعية وثقافية عند freire أي أن الطالب يصبح بواسطتها واعيا بمشاكل المجتمع الذي يعيش فيه وفي الأخير تمس هذه التربية تجارب الطالب الشخصية.

لإن الأمر في نهاية المطاف هو تمكين الطالب من تحكم في ثقافته وفي تاريخه وشعور بالقيم التي استنبطها والاعتزاز بها .

خامسا : التكوين الاكتساب القدرة على التدخل الاجتماعي وهو تكوين الفرد فيكون فاعلا اجتماعيا وتحرير الأخرين من الطبقات المسيطرة .

إن هدف الفيلسوف البرازيلي freire هو تحرير الناس من قبضة الطبقات المسيطرة وتمكينهم من تقرير مصير حياتهم بأنفسهم.

[1]- محمد بوعلاق -النظريات التربوية المعاصرة . قصر الكتاب البليدة ب ط الجزائر 2001 ص 177.

"هذا هو ما يميز بيداغوجيا freire عن البيداغوجيات اجتماعية المعرفية فهو يتحدث عن الثقافة وعن الشروط الاجتماعية للتعلم ولكن يكشف عن هدف واضح :تحرير الأفراد من قبضة الطبقة المسيطرة ويقدم في نفس الوقت أسلوبا تربويا يتمحور حول الثورة الثقافية"[1].

إن أسلوب الفيلسوف البرازيلي freire هو أقرب إلى فلسفة التربية عند سعد الله لكونها ثورية.

التربية في الولايات المتحدة الأمريكية

في مثل هذا البحث الموجز و اعتقادنا بأن قيادة التفكير التربوي قد انتقلت في هذا القرن من أيدي المربين الألمان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين الى أيدي المربين الامريكيين وليس أدل على ذلك من أن الغالبية العظمى من الفلسفات والحركات التربوية التي ظهرت وتدعمت في هذا القرن قد نشأت على أرض أميركية ، وكان غالب زعمائها من الأميريكان . وقد أصبح دور الأقطار الأوروبية والغربية في هذاالقرن دور المقلد والمطبق للنظريات التربوية الأمريكية بعد تكييفها لظروفها الخاصة. وقد اتسع نطاق تأثير النظريات التربوية الأميريكة بعد ان توسعت أمريكا في علاقاتها الثقافية والسياسة والاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية . وأصبح تأثير النظريات التربوية الأمريكية بعد هذه الحرب ليس قاصرا على الدول العربية ، بل تعداها إلى كثير من البلدان الأفريقية والأسيوية، لاسيما البلدان التي تربطها بالولايات المتحدة علاقات وثيقة كاليابان ، والفلبين ، وكوريا الجنوبية ، وفيتنام الجنوبية ، والصين الوطنية .

وهناك عدة عوامل قد ساعدت في نظرنا على تدعيم القيادة التربوية الأمريكية في هذا القرن ، نذكر منها على سبيل المثال العوامل التالية :

[1]- محمد بوعلاق -النظريات التربوية المعاصرة قصر الكتاب البليدة ب ط الجزائر2001 ص 178.

أولا: ما يمتاز به العلماء والمربون الأميريكان من تحرر فكري وعدم تقيد بالتقاليد والأفكار السائدة وحب صادق للتجربة والبحث العلمي ، وما يتمتعون به في مجتمعهم من حرية سياسية وأكاديمية تمكنهم من نشر أفكارهم وتطبيقها و تشجعهم على البحث عن الحقيقة .

ثانيا : ما يلقاه البحث العلمي والتربوي في أمريكا من تشجيع مادي و معنوي من المؤسسات الحكومية والأهلية . وليس أدل على هذا التشحيم في المجال التربوي ما تحفل به المكتبة التربوية الأمريكية من مئات المحلات التربوية والنفسية وآلاف الكتب والأبحاث والتقارير التربوية

ثالثا : ما يمتاز به التنظيم السياسي الأمريكي من إعطاء أكبر قدر من الحكم المحلي للمقاطعات والمدن و سماحه لهذه المدن والمقاطعات في أن تدير شئون تعليمها بنفسها وتكيفه حسب ظروفها وحاجاتها دون تدخل يذكر من سلطة حكومات الولايات او سلطة الحكومة الاتحادية . وقد ساعدت هذه اللامركزية في التعلم على ظهور الآلاف العديدة من النظم التعليمية التي كثيرا ما تختلف في قوانينها التعليمية وتنظيماتها المدرسية ومناهجها الدراسة، كما شجعت على التنويع واتساع نطاق التجارب التربوية في مجالات المناهج وطرق التدريس ، والتنظيم المدرسي .

رابعا : تمشي النظريات التربوية الأميركية مع نتائج الأبحاث النفسية والتربوية والاجتماعية ومع المبادئ الديمقراطية ومع متطلبات المجتمع الصناعي الحديث واكتسابها بذلك صفة العالمية .

هذه هي أهم العوامل التي ساعدت – في نظره – على سرعة تطور التفكير التربوي الأمريكي وتقدمه ، وعلى جعله يحتل مركز القيادة خاصة في العالم الغربي في القرن العشرين.

لقد كان شعار الديمقراطية في الولايات المتحدة كبيرا سواء على المستوى السياسي أو تربوي فاتسع نطاق استعمالها في القرن 20 وتزعم الولايات المتحدة للعالم

"ما دعا الدول الديمقراطية إلى مضاعفة جهودها في تدعيم تلك المبادئ وتقوية الإيمان بها في نفوس نشئها ومواطنيها ، وإلى مضاعفة جهودها في تدعيم تلك المبادئ و تقوية الإيمان بها في

نفوس نشأتها ومواطنيها و إلى استخدام جميع وسائل التربية المقصودة وغير المقصودة في تحقيق هذا الهدف ومن المبادئ والقيم التي تقوم عليها الحياة الديمقراطية الصحيحة الإيمان بقيمة الفرد واحترام شخصيته وحريته ومصالحه " [1]

الفلسفة البرجماتية كأهم الحركات والفلسفات التربوية في القرن العشرين

فقد بدأت البرجماتية تظهر كفلسفة و كحركة مستقلة في أواخر التاسع عشر ثم تدعمت وقوي جانبها في النصف الأول من القرن العشرين .

والتفسير الحرفي لها في الفلسفة العملية او النفعية ولكن مثل هذا التفسير الحرفي قد لا يكفي في إعطاء صورة واضحة عن حقيقتها. وخير وسيلة لإعطاء مثل هذه الصورة هو الإشارة إلى بعض مميزاتها العامة الأساسية . ومن أهم هذه المميزات إيمان اتباعها بالتطور المستمر في جميع مظاهر الحياة ، وإيمانهم بوحدة المعالم وبوحدة الشخصية الانسانية وباحترام الانسان وبقيمته وبقيمة الذكاء البشري في اصلاح المجتمع وتقدمه ، وتقديسهم للعمل، وتاكيدهم للخبرة والتجربة كمصدر للمعرفة ،وقد نال « ديوي ، شهرة فائقة كفيلسوف مفكر وكمصلح تربوي كبير لا في الولايات المتحدة وحدها ، ولكن في جميع أنحاء العالم وقد حمل لواء الفلسفة الأمريكية وتجربتها التربوية ، وقد ظل « ديوي» في نشاط علمي دائب حتى توفي في اليوم الأول من شهر يونيو عام ١٩٠٢ عن عمر يناهز الثانية والتسعين.

ومن أبرز أعماله في الميدان التربوي إنشاؤه لمدرسته النموذجية في مدينة شيكاغو سنة ١٨٩٩، وقد اتخذ (جون ديوي) من هذه المدرسة الابتدائية النموذجية حق التجربة نظرياته وآرائه التقدمية في التربية. وفي سنة ١٩٠٢ ضمت هذه المدرسة الكلية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها ، "وقد حاول « جون ديوي » أن يقيم برامج هذه المدرسة وإدارتها على مبادئ الفلسفة البرجماتية التي من بينها وجوب الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت ، ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم خارج المدرسة ، ووجوب جعل

[1] -عمر محمد التومي الشيباني .تطور النظريات والأفكار التربوية .تونس دار العربية للكتاب طبعة ثالثة 1982.ص320

الأطفال يتعلمون عن طريق خبراتهم ونشاطهم الذاتي ووجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، واعتبار التربية عملية اجتماعية والتركيز على التعاون بدلا من التنافس ، إلى غير ذلك من المبادئ التي كانت مطبقة في هذه المدرسة التجريبية"[1].

وقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين ، كما كان لها فضل كبير في إقناع الإباء بأهمية المبادئ التربوية التقدمية و بإمكانية تطبيقها وقد شجع « ديوى » مدرسته هذه انشا العديد من المدارس التقدمية الخاصة في أمكنة متعددة من الولايات المتحدة.

ومن الأهداف التي كان يرجوا تحقيقها في الحقل التربوي هو :

– إعادة بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطويره. فكما أن التربية في نظره هي عملية تنمو وتفتح الشخصية الفرد فإنها أيضا عملية اجتماعية تهدف إلى تطوير المجتمع وتحسينه.

وقد كانت الطريقة المتبعة في تنظيم خبرات المنهج وتدريسها هي طريقة المشروعات ، ولذا كان يمكن للتلميذ عن طريق أي مشروع دراسي أن يكتسب الكثير من الحقائق والخبرات والمهارات التي يمكن أن تكون منتمية إلى عدد كبير من المواد الدراسية التقليدية ، وكان يوصي جون دوي باستعمال طريقة المشروع وطريقة حل المشاكل .

والمراحل الأساسية التي يسير المشروع على هديها هي اختيار المشروع، وتحديد الغرض منه ، ورسم خطته ، وتنفيذه ، والحكم عليه)).

"أما طريقة حل المشاكل التي ينادي " ديوي" ، باتباعها فإنها تقوم على المبدأ القائل : أن التعلم الجيد يقوم على وجود مشكلة تهم التام وتتصل حياته وحاجاته : فتحفزه الى القيام بنشاط ..

[1] - عمر محمد التومي الشيباني .تطور النظريات والأفكار التربوية .تونس دار العربية للكتاب طبعة ثالثة 1982.ص334

بغية الوصول إلى حل لهذه المشكلة . وقد يكون هذا النشاط عشوائيا ، وقد يكون قائما على البصر والتوجيه ، حيث يغدو التلميذ على بينة من المشكلة فيحددها" [1].

خصائص المدرسة التقليدية :

تعتمد المدرسة التقليدية في أنواعها سواء على الإلقاء أو على تركيز على الذاكرة لحفظ المعلومات أو تخزينها وهذا ما يؤدي إلى تعويد الطفل على انتظار الأمور الجاهزة يقدمها المعلم أو الأستاذ فيعمل على تذكرها أو تدوينها حتى يتسنى له الإجابة عن الأسئلة فطبيعة العلوم التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي تفرض هذه الطريقة مثل حفظ القرآن الكريم أو العلوم الفقهية والسنة النبوية وغيرها، وهذه الطرق فهي نفس الوقت تؤدي إلى تكوين بعض الصفات النفسية التي تؤثر على شخصية الطفل وقد تقتل فيه صفة الإبداع والخلق ومن الصعب تدارك هذا الأمر إذا كبر فيكون قضى على أكثر المميزات التي يمتاز بها مثل الاستعداد والقدرات والميول التي تدفع بالإبداع إلى الأمام.

إضافة إلا أنها لا تشجع على التفكير التحليلي والتركيبي لدى الفرد لذلك كثيرا ما نسمع أن أفراد يحفظون ولكنهم يلقون صعوبة في استعراضه ربما لنسيان كلمة في النص وهذا يؤدي إلى توقف عن العرض لأن كلامه متسلسل فهو لم يتعود التفكير والتعبير الحر وفي الأسلوب تقليدي أيضا نلاحظ نقص الملاحظة لدى التلميذ وسؤال وعدم إعطائه الفرصة في وضع فرضياته الخاصة وتؤكد من صحتها عن طريق البحث والتجربة والتحري ومن هنا تبدأ المواهب الإبداعية في الفتور خاصة في زاويتها التي يتمثل في الاكتشاف والبحث والتحري يقوم الأطفال بعملية المحاكاة واللعب ويقلدون أشخاص أو أفعال فمن الفروض أن تقوم المدرسة والبيت بعمل تكاملي وهذه المحاولات هي الأولية لظهور ملكة التصور والبناء والإبداع.

[1] عمر محمد التومي الشيباني .تطور النظريات والأفكار التربوية .تونس دار العربية للكتاب طبعة ثالثة 1982.ص 365.

فلسفة التربية والخصوصية الجزائرية

الفلسفة التربوية وهي أعظم موجه لنظام التربوي وتوجهها جميعا للوجهة التي ترضيها فهي تحدد طبيعة نظرية التعلم ووضع قواعد أساسية في التعلم .

والفلاسفة إختلفوا في الحكمة من خلق الإنسان وغاية خلقه ، وكذلك طبيعة المجتمع ونحن نتكلم عن المجتمع الجزائري والخصوصية التي يتحلى بها .

ان اختيار الفلسفة التربوية و المبادئ الاساسية لأهداف واضحة المعالم شيء لم تستطيع المدرسة اليوم تحديده ولكن الفرد الذي يريده سعد الله معروف وحدده في اصالته وتأثر بالحضارة الغربية في فكره التقدمي المتأثر بجمعية علماء المسلمين و الثورة التحريرية .

فأي خيار من هذه الخيارات تبني عليه فلسفة المؤسسة التعليمية(المدرسة) الى تنطلق في الاساس الابناء على مفاهيم اقتصادية واضحة وعلى موارد حيوية تؤمن بها المباني و المعلمين و التجهيزات و كذلك الكتاب المرجع الذي يجسده فلسفة و اهداف الامة .

الاسلوب الذي يقتريه ابو القاسم سعد الله لغويا في التدريس :

أحيانا من كتابات شخص تمس فعلا بذوق مرهب وحب متسامي على تلك المبادئ التي عاش من أجلها وترعرع في ظلها ولا يستطيع ان يعيش إلا في وقعها عقيدة ثابتة ومبادئ سامية .وعن أهمية اللغة العربية يقول سعد الله :

"أما اللغة العربية فهي أداة التعبير عن حضارة الإسلام وثقافته وماهيته ، وهي لغة الإعجاز القرآني والأدب الإنساني ، والصوت المجلجل عن عالمية الإسلام ، وفي هذه اللغة من المجال الفني والذوق الأدبي ما تتفوق به على مختلف اللغات وهي جواز السفر الإلهي في جيب كل

عربي ومسلم إذا مشى في عالمه القديم الممتد من طنجة إلى جاكرتا وفي عالمه المعاصر حيث توجد جالية عربية أو مسلمة "[1].

فهو يرى ان اللغة العربية يجب الا تستعمل فقط في المواد النظرية كالآداب و الاجتماعيات بل ايضا في الفنون و العلوم و التكنولوجيا . فان اختزلت في الادب و الاجتماعيات لظلت لغة متخلفة بل ربما هجرها اهلها و حوصرت في زوايا.

اهمية طرق التدريس :

طرق التدريس وكيفية الاعداد لدرس هذا ما تكفل به الشيخ محمد الحسن فضلاء ونصح ابو القاسم سعد الله واستفاد منه كثيرا ،وعلاقة محمد الحسن فضلاء مع الاولياء جيدة وهذا ما يساعد على تحفيز العملية التربوية عموما ولقد ذكر ان الاساتذة و الجو العام سائد مناسب في ظل تعاون بينهم اي افضل من مدرسة الثبات ، ونلاحظ اهمية العمل و التطبيق الفعلي في الميدان .

" كما استفدت اثناء وجودي في مدرسة التهذيب من طريقة اعداد الدروس و اشتراك التلاميذ وابتكار اساليب الترغيب في التعليم وهو امر لم تتعلمه سابقا فكان الشيخ فضلا حريصا على متابعة اعمال المعلمين في هذا المجال وكنت الاحظ و اتعلم من زملائي ولاسيما الشيخ نوار وكانت علاقة المدير بأولياء التلاميذ وشعبة المدرسة (وهي التي تدافع لنا اجورنا) افضل من علاقة مدير مدرسة الثبات مع شعبة مدرسته ، رغم ان جمعية التهذيب كانت ايضا لها مأخذ على مدير من بينها تحرره الزائد في نظرها " [2]

كان يدرس في بداية مستواه التعليمي في قسم فيه غرفة متسعة وبها سبورة وبها طاولات بحجم الاطفال مثبتة الكراسي او المقاعد وباب القسم يفتح مباشرة الى الشارع وهو في الاصل يظهر ان مأرب (كراج) لسيارات وحول الى قسم دراسي للأطفال وتلاميذ عدد كبير لأول مرة

[1]- أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. (م،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 26..
[2] - أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 195.

يدخلون في التعليم بين الخامسة او السادسة ومعظمهم ابناء الفقراء الذين يحبون اللغة العربية ويردون معرفة التربية الاسلامية وكان خليطا من الذكور و الاناث وكانت مهمته تعليم الحروف الهجائية (العربية) وتكوين الجمل وبعض الاناشيد و المحفوظات اي معلم ابتدائي او استاذ ابتدائي مصطلح اليوم سنة اولى ، فالعدد الكبير في قسم غير ملائم يعني قوله هم ضحايا و الواقع الاستعماري وعدم توفير الوسائل وهو ضحية لأنه غير مهتما لتدريس الاطفال الصغار وبدأت المعاناة في الضجيج و الصياح وفي مثل هذه الظروف فاستعمال العنف ايضا سلوك غير ملائم لانهم ابرياء موقف صعب ولكن ما اشبه اليوم بالبارحة فاليوم الاكتظاظ موجود في مؤسساتنا التعلمية ايضا .

" اما انا فأنني جئت اعلمهم بدون سلاح فلم ادرس قواعد علم النفس و لا التعامل مع الاطفال في هذه الاعمار الحرجة وليس لي من سلاح التعليم سوى ما تعلمته بسرعة عن احد شيوخنا في الزيتونة وهو الشيخ المختار الوزير الذي سبق ذكره ولعلني كنت ضحية ايضا فهم يملئون على حجرة الدرس بالضجيج و الصياح لا يفهمون ذلك وليس لي من وسائل الايضاح و التسلية ما يجعلهم يتابعون ويتأملون ويسكتون او يبتسمون ويضحكون وليس لي تقنيات التربية التي تجعلني اسيطر عليهم باللطف و الصبر والملاعبة "[1].

يفيد معنى التخصص لطالب من حياة أبو القاسم سعد الله

سواء في الزيتونة أو جامعة القاهرة فدراسة كانت عامة أيضا وكان اتجاهها يتأرجح بين الحديث والقديم ، ولا تكاد كلية دار العلوم تختلف في برامجها عن الزيتونة إلا في تعميق المواد المذكورة أما نظام الدراسة بهذه الكلية لا يسمح للطالب بالتخصص الكلي إلا ابتداء من الدراسات العليا ، وكان تخصصه في المعهد الجامعة العربية كان في النقد الأدبي .

" إن البيئة التي نشأت فيها ونوع التعليم الذي تحصلت عليه خلال مرحلة التكوين لا يساعدان على ان يكتشف الطالب مواهبه واتجاهه الذي خلفته الطبيعة من أجله، بيئته كانت أمية تقريباً

[1] -- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر ص 196.

، ولم تكن أسرتي تملك سوى حب المعرفة ، أما التعليم الثانوي فقد كان عاما معقدا يتناول من علم الكلام وأصول الدين إلى الكيمياء والطبيعة ، ومن الشعر والبلاغة القديمة وتاريخ الإسلام إلى النهضة الأوربية والثورة الفرنسية ، إن هذا التعميم في مناهج التعليم والخلط بين الجديد والقديم يجعلان من الصعب على المرء ان يختار لنفسه ما يميل إليه " [1]

لم يكن أبو القاسم سعد الله على راضيا عن دراسة في جامع الزيتونة والذي كان محافظ على الأساليب القديمة فقط بل تعداه إلى النقد ،وأصبح متمردا عليه ،وكان كثير الاطلاع على الآدب الحديث والشعر الحر والقصة ، وحتى ذكر أنه كان يقرأ المجالات الجديدة في تخف و استحياء ، كما كان يفعل قراء الأنسكلوبيديا في أخر القرن 18 ، فيبدوانه كان يريد التجديد حتى في الآدب وظهر له ذلك صعب في الزيتونة وبعد ذلك في القاهرة جامع الأزهر .

" ذلك أن الزيتونة كانت محافظة على الأساليب القديمة ، وانا كنت متمرداً على ذلك وأحب الأدب الحديث والشعر الحر والقصة وقد وصل بي التمرد أو العقوق أنني كتبت مقالة ، بعد أن تخرجت من الزيتونة ،وهاجمت فيها الشيوخ المتزمتين وشبهت أحدهم ب (راسبتين)وقد نشرتها سنة 1954 أو سنة 1955 في جريدة البصائر عدد295 ولكني ندمت على عقوقي الأن ، طبعا بعد أن أصبحت أنا شيخا ! وقد شبهت ثقافتنا الكلاسيكية في جامع الزيتونة بثقافة أوروبا قبل عصر التنوير وشبهت الثقافة الجديدة التي نفحتنا بها مجلة {الأدب } البيروتية وأمثالها بالثقافة الجديدة "2 .

التربية الحديثة (المعاصرة)

اليوم أصبح في الحديث قياس تطور الأمة وتقدمها بعدد ما يبرز من أبنائها المبدعين والباحثين والعلماء فإن منظومتنا التربوية لابد لها أن تقوم بعمل ومعالجة تلك الصعاب عن طريقة تعيين الأهداف والمتمثلة بالاهتمام بالمبدعين والبحث عليهم فلابد أن تكون منظمتنا

[1] أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص.62.
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص56.

التربوية موجهة إلى تكوين بعض الخصائص النفسية لمساعدة على تكوين شخصية المبدعة وهو السلوك الأسمى في التربية المعاصرة ومن أجلها جاءت طريقة المقاربة بالكفاءة واستراتيجيات التعلم الحديثة.

إن تحضير المربين ولفت انتباههم إلى أهميتها من أجل تجسيدها وخاصة في المواد الفنية والرياضية وحتى الأدبية والعلمية شيء أساسي، فتمرين الطفل على التصنيف والاستنتاج وتنظيم المعلومات، والقدرة على التفكير من خلال الشرح والتعليل وهذا ما يبين دور المعلم في تحقيق الفاعلية وتحقيق أهداف المنظومة التربوية ونجاحها واستمرارها.

الاهتمام بالبحث والإبداع هو عمل طويل ويمر بمراحل مختلفة لتربية سواء داخل أو خارج المؤسسات التربوية وحتى المؤسسات الثقافية ومن أجل الاعتماد على تنمية قدرات الإبداع لابد من معرفة ماهية الإبداع ومميزاته من أجل التركيز عليها والاهتمام بها وتنميتها، ثم إنشاء منهجية علمية للانتقال من المشاكل إلى الحلول كاعتماد على طريقة حل المشكلات من خصائص المبدعين حب المطالعة والرغبة في التعرف على خفايا الأمور وإيجاد حلول المشاكل المعروضة والتي تتسم بالذكاء والموضوعية والأصالة، ثم بناء الثقة في الفرد ذاته ويكون أيضا يتمتع بالملاحظة أي ملاحظة ما يجري أمامه، ثم تعليمه التفكير السليم الذي نسميه المنهج العلمي والتفكير العلمي من تحليل وتركيب وقياس وهي عمليات مهمة في البحث العلمي، وإعطاء النتائج وتنظيمها وليس كل فرد قادر على ذلك.

إن تغير السريع الذي تشهده البشرية يرجع أساسا إلى كثرة الابتكارات والإبداعات كل يوم نسجل أخبارا جديدة وبحث جديد، يكون فيه للباحثين والمبدعين والمبتكرين والعلماء الدور الكبير فيه فمن هنا تعقدت الحياة في عصرنا وتطورت تقنياتها الإنتاجية فأصبحت تحتاج إطارات رفيعة تتميز بالقدرة على الابتكار والبحث والإبداع، لاشك أن مواكبة تلك تطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يتطلب إما ثورة أو نهضة في هذه المجالات مما يعني أن العلامة أبو القاسم سعد الله دائما ما كان ينبه ويشير إلى أهمية الإبداع والابتكار الذي لا ينقص هذه الأمة

فهي مبدعة قديما وقادرة على المزيد لأن الذكاء لا ينقضا ولكن الاهتمام به ما زال أقل من المرجو.

خطوات المشروع :

المشكلات الدراسية : هناك نوع من المعاناة الحقيقية في هبوط مستوى واقع التربية والثقافة مثلا في الجامعة حيث يكاد تختفي فرص التجريب والتدريب العلمي ومرافق النشاط الثقافي كالمسرح والخطابة والموسيقى والرياضة ، ولم تعد معظم المدارس والجامعات تزيد كثيرا على كونها عدد من الحجرات لتدريس تضيق عن شاغلها حتى تعجز عن التوفير الحد الأدنى .

أهداف المشروع التربوي والثقافي

- تعرف على الهوية الوطنية والقيم ، وتاريخ الجزائري وتمسك بالثورة واحداثها.
- تعرف عام على المهن وسوق العمل الموجود حسب حاضر وبيئة المتكون المثقف .
- بث روح العمل وقدسيته حتى يفتح آفاق الابتكار والإبداع .
- التعرف على مشاكل التربية والثقافة ومعرفة السلبيات وإيجابيات في الواقع المعاش ودراسة المستجدات بشكل علمي واكاديمي .

أهمية تخطيط في العمل التربوي

لعل أهم ما كان يركز عليه العلامة في التربية هو تخريج نخبة مثقفة تصحح مسار التاريخ وتؤسس للأجيال وتعطي المعارف غير مبتورة أو غير مفهومة وعدم إتباع الشعارات المختلفة التي تغطي في حقيقتها مشاريع غير أصيلة وإن تلاقي الأساتذة وطلبة الوطن الواحد في جامعة واحدة يؤدي إلى تبادل الخبرات وتلاقح الأفكار، وتستمد مشاريعها التنموية من أصالتها وتستفيد من الأخر وما يصلح لها وتستعمل التخطيط في البناء الحضاري.

" وكان المتوقع بعد الاستقلال أن تظهر نخبة واعية تأخذ على عاتقها تصحيح هذا الخطأ التاريخي وتؤسس للأجيال ما فقدته عبر عصور كاملة، ولكن الذي حدث بعد الاستقلال هو

أننا دخلنا الميدان بما لدينا من معارف مبتورة أيضا، معارف كنا أخذناها في زمن فرضت علينا فيه فرضا ولم نخترها عن دراية وتخطيط"[1]

- تكوين المبدعين

تقول الإحصائيات أن هناك عدد من المبدعين في اليابان وأمريكا وألمانيا وغيرها من الدول الصناعية، وهذا نتيجة لطريقة المدروسة في نظام التعليمي والتكويني هناك ورعاية المبدعين على أساس الاعتماد على البحث العلمي والإبداع وسخرت كافة الإمكانيات من مناهج وطرق تدريسية وسائل لبلوغ الهدف، نحن نعلم أن المبدعين موجودين في بلادنا ولكن لا يتم الاهتمام بهم بشكل لازم.

فعملية المتابعة وتكوين ليست عفوية بل لابدا من توفير شروط التعلم مثل الاستطلاع والتعرف على ماهية الأمور فهناك برامج وأساليب معروفة من أجل إنماء تلك المميزات التي يمتاز بها أصحاب الإبداع من خلال الكشف عنها وعن تلك القدرات الذهنية الموجودة في المجتمع مع توفير الظروف المادية ومن أجل نماءها ونضجها في صورة قدرات بحثية مبدعة، وهذا أحسن استثمار في البلاد إن أستغل فثروات والخبرات قد تنفذ أما العقل البشري فلا حدود له واليوم أصبح الاهتمام بالإنسان المبدع أولى أولويات الدول الصناعية وهذا ما يفسر سر قوة اليابان برغم قلة ثرواتها إذا أن تربية الحديثة تتعدى تكوين المعرفي إلى تكوين شخصية الفرد وإبراز طاقاته.

الأعمال الفنية والإبداعية :

دعوة سعد الله إلى الإبداع والابتكار شيء ليس جديد لأنه هو أساس صاحب إبداع وابتكار في مجال العلوم الإنسانية ، ومن أجل ذلك لابد من توفير الظروف المناسبة لإتاحة الفرصة

[1]- أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 202.

للمبدعين عبر تشجيع وتذكير الفئة الشبانية خاصة بتراثهم وثورتهم العظيمة ، فأنهم ما إن عرفوا دورها لكانت أكبر حافز للعمل ونشاط والإبداع .

"إن الخيال المبدع كل الحرية في ان يتصور ما يشاء دون تشويه الحقيقة ، والتاريخ لا يمنع الشعراء ان يتغنوا بالثورة ولا الفنانين ان يرسموا ويصورا واقع المجتمع والطبيعة الجزائرية بكل ما فيها من زخم وحيوية "[1].

التنمية الحضارية وأهداف المشروع التربوي

1/ تفتح التربية على القيم الانسانية.

2/ تدعيم ثقافة الحوار والديمقراطية.

3/ تنمية القدرة على البحث في التمية الحضارية .

مخطط يبين دور التربية والتعليم في التنمية الحضارية

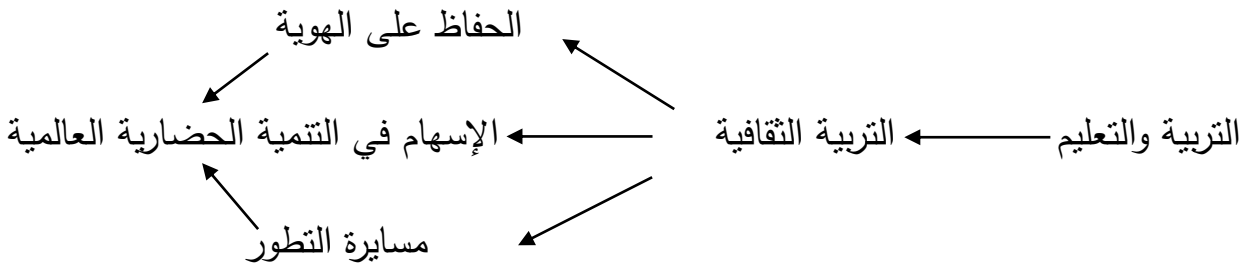

2/التعليم في العهد العثماني والعهد الاستعماري

فالتعليم هي جانب مهم في التربية هدفه هو تنمية الجانب المعرفي والعقلي من اجل كسب المهارة والقدرة فهنا يمكن التخصص في التربية الذي يكو في المؤسسات التعليمية ، وهذا ما يطلق عليه بالتربية الهادفة المقصودة .

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 132.

فشمولية التربية في مجالاتها ووظائفها وأهدافها ، فنجد أن اكتساب الخبرة والتطبيع الاجتماعي والتكيف مع البيئة والمجتمع وإعداد الفرد للحياة وتنمية قدراته المختلفة من أهم أهدافها وبالتالي فهي مرتبطة مرة آخرى مع الثقافة عموما .

فالفرق بين التربية والتعليم فالتربية تشمل الجانب الأخلاقي والثقافي والعلمي أما التعليم فيخص الجانب العلمي فقط فالتربية لا تهتم فقط بالجانب العقلي (المعرفي)أو جانب القدرة والمهارة بل تتعداه إلى تهذيب الأخلاق وتنمية الذوق الجمالي مما يؤدي في الأخير إلى بناء خبرة يترتب عنها تغير في سلوكيات الفرد مصاحب لنمو جوانب الشخصية المختلفة .

التربية والتعليم في العهد العثماني

في بداية التعليم العربي الإسلامي ، كان الهدف هو إرساء قواعد هذا الدين في الناشئة ، وكذلك نشر وشرح الشريعة الإسلامية وكان أساسها القرآن والسنة ومن هنا كانت هناك بعض المؤسسات التي إهتمت بهذا الأمر ، واللغة المستعملة في التعلم هي العربية عموما ، ومنها الكتاتيب والروابط والمساجد والمدارس ونحوها ، والهدف الأساسي هو ترسيخ الهوية .

" بدا التعليم العربي الإسلامي دينياً ، أي أن أساسه تعليم الدين الإسلامي شفوياً ثم كتابياً، وكان الهدف منه هو نشر تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها ، وكانت أداة التعليم هي اللغة العربية ، ويستتبع ذلك معرفة علومها وآدابها وبيانها ، وقد سبقت الإشارة في حديثنا عن اللغة العربية أن هناك رابطة وثيقة بينها وبين القرآن والإسلام ، ومن ثمة حافظ هذا التعليم الديني على الثقافة العربية الإسلامية على امتداد القرون ، كما أنه صان التراث من التلف والضياع ورسخ الهوية الحضارية للعرب والمسلمين "[1]

يعتبر الحديث عن تاريخ الأوطان هوأساس كل حضارة ومفخرة كل شعب ودافع كل حركة جهادية.

[1] - أبو القاسم سعد الله. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر.2015 .ص14.15.

تجربة التعليم في الجزائر في العصر الحديث خلال العهد العثماني، نجد ان هذا العهد اختلف الحكم حول وصفه بعصر التنوير أو عصر الظلام بينما هو لم يكن لا هذا ولا ذاك، وإنما كان بكل تواضع يعبر عن حالة كانت تمر بها كل المجتمعات الإسلامية من تطوان إلى جاكرتا حالة وصفتها الدراسات الحديثة بالتخلف المزمن الذي بلغ النخاع ومس العقل والقلب ، ويلاحظ عدم اهتمامهم بالتعليم غلا ما كان في اعتقادهم هو عمل تطوعي للتقرب إلى الله

"ورث بنو عثمان هذا النظام، كما ورثه حكام الدويلات الاسلامية أخرى فعاملوه على أنه قطاع خاص لا دخل للدولة فيه. ولم ينشئوا له :وزارة ولا إدارة ولم يتدخلوا في شأنه إلا للوجاهة أو الدافع الديني والخيري ، فعلوا ذلك تقليدا لمن سبقهم من الحكام المسلمين، فأوقفوا أوقاف على المؤسسات التعليمية كما فعل المواطنون، وتقربوا إلى الله ببناء المساجد والزوايا وإعفاء المرابطين والصالحين من دفع الضرائب تشييد دور العبادة وبيوت العلماء الغرباء والحجاج وحبسوا الكتب وكافأ بعضهم مؤلفيها ، وساعد العثمانيون الجزائر في دفاع عن بلدهم و وحدوا البلد.

"ولكن العثمانيين عندنا اختلفوا عن سابقيهم في أمرين على الأقل الأمر الأول أنهم انشغلوا بتوطيد الحكم وتوحيد البلاد في الداخل والدفاع عنها في الخارج. فالعثمانيون، بالتعاون مع قطاع خاص من المواطنين المخازنية) في الداخل مهدوا البلاد ووحدوها سياسيا وجغرافية وأنشأوا فيها حكومة مركزية مقره العاصمة الحالية، كما تعاونوا مع المواطنين في الجهاد البحري ضد القرصنة الأوروبية."[1]

كما أن حبهم للجزائر لهذا الوطن والعروبة لم يكن كثير بالانتماء لوطن اسمه الجزائر وإنما عاشوا في بلاد استطاعوا أن ينقذوها من الاحتلال الأوروبي (الإسباني – البابوي).

" بلاد أصبحت لهم وطنا بالتبني لأن معظمهم كانوا من أصول مختلفة ولا يربطهم بالجزائريين و السلطان سوى الإسلام، فهم يستعملون اللغة العثمانية في معاملاتهم ولا يتفاهمون مع أهل

[1] أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة .ط 1. الجزائر.2011. ص121.

البلاد إلا بالترجمة، ولا يتكلمون اللغة العربية، لغة الإسلام، ولا الدارجة السائدة في البلاد، كما كانوا جهلة، القليل منهم فقط كان يعرف القراءة والكتابة."[1]

فبرغم الارتباط بين اللغة العربية والإسلام والقرآن وانتشرت اللغة العربية إلى كل البقاع التي وصلها الإسلام واستعملتها تلك الشعوب التي دانت بالإسلام لكي تفهم القرآن الكريم وتعاليم الشريعة الإسلامية "هناك ارتباط وثيق بين انتشار اللغة العربية ومن ثمة أصبحت اللغة هي الوسيلة لفهم القرآن الكريم وروح الإسلام والوعاء الذي يحفظ الثقافة الإسلامية منذ فجر الإسلام ، وهي المعبرة عن هذه الثقافة التي اتسعت رقعتها حتى شملت العالم الإسلامي المعاصر ، بل وحيث توجد اليوم الجاليات الإسلامية في البلدان الأوروبية والأمريكية وغيرها"[2]

العلم الروحي (الديني)والعملي (العملي):

فلا غرابة والحالة هذه – ألا يهتموا بالتعليم الذي أصبح وسيلة للتعبد وفهم الدين وتدبير الرزق عند بعض العائلات، وليس تعليم من أجل تكوين نخبة تتولى شؤون الحياة وتمارس مهنة البحث والتأليف والتدريس وتتعاطى الأدب والشعر، وتعقد المناظرات وتدير الحوار والجدل حول الفلسفة والتصوف والمنطق والتوحيد.

عموما لم تكن هناك مؤسسة عريقة في الجزائر مثل الزيتونة أو الأزهر فلذلك كانت المعجزة هي الحل الأمثل قبل العهد العثماني وأيضا خلاله ولم يستطع الحكم العثماني تدارك هذا النقص الفادح.

"كان الدين والتعليم متلازمين في الجزائر أيام الحكم العثماني ، كان التعليم قضية أهلية لا دخل للحكومة فيها ، قد ورث العثمانيون هذه الحالة فلم يغيروها ولم يتدخلوا فيها، وربما كان

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة .ط 1. الجزائر.2011. ص121.
[2] - أبو القاسم سعد الله. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر.2015 .ص9.

الفرق بينهم وبين الحكام الذين سبقوهم يتمثل في تشجيع المدارس والعلماء وتكريمهم واستقبال المادحين من الأدباء والشعراء ،أما العثمانيون فلم يهتموا بالأمداح واستقبال الشعراء "[1].

في العهد العثماني وما قبله كان التعليم منشرا في كافة بقاع العالم الإسلامي عموما ونشط إنشاء المدارس والمساجد والزوايا في بداية العهد العثماني .

وبالرغم من هذه الكثرة إلى أن العلامة أبو القاسم سعد الله يصف العهد العثماني بأنه طغى عليه طابع التخلف وعدم قدرة العالم الإسلامي على التطور في كافة المجالات ومنها التعليم .

"كما أن العلماء بصفة عامة قاموا التغيير حرصاً من بعضهم على التعليم الديني وخوفاً من ان تتأثر الدراسات التقليدية ، كالعلوم الشرعية واللغوية والأدبية بالأفكار الأجنبية ، ولكن بعضهم كان يقاوم التغيير لإن فيه خطراً على مصالحهم ولاسيما المس بالأوقاف التي كانت المصدر الأساسي لمعيشة أغلبهم "[2] .

أما في المجال العلمي مثل الطب والمنطق والكيمياء فالأبحاث قليلة في هذا الشأن.

"حتي علم الفلك وتجارب الكيمياء والطب اختفت من برنامج التدريس ولم يبقى إلا المنجمون والسحرة وأطباء الأعشاب، وقد تحول الحساب إلى معرفة أولية لتوزيع التركات (الفرائض) وتحول علم الفلك و الفهم حركة الشمس خلال النهار عن طريق المزولة وخلال الليل محاولة لفهم حركات الكواكب والنجوم"[3].

وما نتج عنه العهد العثماني :

1. الملاحظة الأولى: أن جهل الحكام وعدم ارتباطهم بالمجتمع وثقافته أدى إلى عدم تقديرهم للعلم والعلماء بل ربما كانوا يخشون هؤلاء ويتقون غضبهم، وربما كانوا يفرحون بهجرتهم إلى خارج الوطن.

[1] -- أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2016 ص.ص174.
[2] -- أبو القاسم سعد الله. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر.2015 .ص29.
[3] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة .ط 1. الجزائر.2011. ص. ص122.

2. الملاحظة الثانية : أن غياب المركزية العلمية أو المرجعية أدى إلى عدم تقدير المجتمع المكانة العالم، فهو عندهم «طالب» سلطة (قضاء أو إفتاء أو منصب مدرس في جامع كبير...) وليس مثقف منتج ومحافظ على هوية شعب بأكمله .

3 .الملاحظة الثالثة :" أن الأدب الراقي الفصيح المفهوم لجميع المثقفين، محلية وعربية وإسلامية، كان قليلا؛ لأن منتجيه كانوا كالصناع المهرة والعملة الصعبة نادرين في سوق الثقافة والأدب والشعر المعبر على حضارة زاهية وذوق رفيع."[1]

حقيقة أن الفرنسيين كانوا قساة على الحكم العثماني لأسباب لا تخفى على أحد. كما نبدو نحن اليوم قساة على الاحتلال الفرنسي، فإذا كان العثمانيون قد تركوا مسألة التعليم لأهل البلاد فالفرنسيون جعلوا من التجهيل سياسة يتبعونها بدقة، فقطعوا عن تعليم الجزائريين منبعه الوحيد وهو الأوقاف التي صادروها وضموا ريعها إلى أملاك الدولة، وافتقرت المؤسسات التعليمية والمنتمين إليها من مدرسين وعلماء وطلبة. وانشغلوا عن التعليم بالحروب حتى انقرض ثلاثة أجيال تقريبا.

أما في مايخص البرامج فكان يكمل بعضه البعض والأصل تعليم قرآني حتى ينتهي بالفقه والعلوم الطبية والفلك وغيرها والتعليم العالي لا يوصله إلى طبقة كرست نفسها للعلم حتى أصبح شبه وراثي.

"كان برنامج التعليم يكمل بعضه بعضاً في الابتدائي يحفظ الطفل كل أو أجزاء من القرآن الكريم ، ويتقن الكتابة و القراءة ويتعلم مبادئ الدين ويحفظ المتون والنصوص الضرورية ، وفي الثانوي يواصل المطالعة والفقه والتوحيد ودراسة النحو والصرف واوليات التفسير ومصطلح الحديث والسيرة النبوية .وأما الدراسات العليا فتشمل الفقه أيضا وأصول الدين والتوحيد والتاريخ الإسلامي وبعض الحساب والفلك والجغرافية والطب والتاريخ الطبيعي"[2].

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة .ط 1. الجزائر.2011. ص ص127

[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء3،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017. ص24.23 .

التربية والتعليم في الجزائر في العهد الاستعمار :

إن موضوع بحثنا والثقافة وأن المنظومة التربوية هي جزء منها فلا بد الرجوع إلى واقعها حتى قبل الاستعمار إلى العهد العثماني الذي تكلمنا عليه .

وللحديث عن الفترة الاستعمارية وتأثيراتها لا يمكن حصره في مجال التعليم فحسب فالفقر والجهل والاقتصاد كانوا سببا في استقلال الجزائر لاستقلال هش معظم شعبه أمي .

إنها تركة صعبة ورثتها الجزائر ولتجاوزها لا بدا من جهد مضاعف لبناء مواطن متعلم مثقف يساهم في بناء وطنه.

فسياسة فرنسا في الجزائر مزيج بين مساعيها الإستعمارية واستعمال التعليم كأسلوب يخدم مصالحها وأهدافها وفق طموحاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، لذا لا بدا من انشاء مدارس تخدمها من ناحية المحتوى والمنهج ،ولن تقوم هذه المدارس إلا على أنقاض المدرسة العربية التي تشكل حاجزا أمام مطامع فرنسا .

"ولنتحدث الآن باختصار عن أنواع التعليم عشية الثورة ، فالتعليم الابتدائي الرسمي كان منتشرا إلى حد ما في أغلب المدن الكبيرة والصغيرة ، حيث يتلقى التلاميذ في المدارس أوليات العلوم ويتأهلون منها للشهادة الابتدائية ، وهي أساسا مدارس للتلاميذ الأوروبيين وبرنامجها فرنسي ، ولكن يمكن لأبناء المسلمين ان يدخلوها إذا وجدوا فيها مكانا ،وتضم سنة 1952 ثلاثين ألف تلميذ أوروبي وتسعين ألف مسلم "[1].

كما عملت فرنسا على وضع شروط صعبة وامتحانات تعجيزية في حق طلبة الجزائريين وأيضا الاستيلاء والقضاء على معظم معاهد العلم والتعليم والتصنيف على رجال العلم والتعليم ورجال الطرق الصوفية الصالحون وتهجيرهم وفرض النظام التربوي المسيحي وإقرار فرنسا بعلمانية التعليم ومن نتائج ذلك:

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص51.

نقص تعدد المتعلمين وانتشار الأمية وضعف التعليم الديني والعلمي والفني والأهداف بطبيعة الحال هي كالتالي:

1- وضع الجزائر على أنها فرنسية بكل المعاني والأبعاد

2- طمس هوية الشعب الجزائري.

3- القضاء على المقاومة ومن منابعها من خلال (اللغة والدين والتاريخ....).

"والخلاصة أن نمط التعليم وتغلغل التصوف والجمود الثقافي قد جعل من الصعب على الأدباء أن يبرزوا أن يجدوا لهم مكاناً في الجزائر غداة الاحتلال ، ثم كان الاحتلال نفسه (ضغثاً على إبالة)، كما يقول القدماء .فقد ضرب التعليم ضربة قاضية على إثر مصادرة الأوقاف (الأحباس)،فأغلقت المدارس وتوقفت حلقات الدروس الحرة في المساجد ، وهاجر العلماء ونهبت المكتبات"[1]

أما التدريس باللغة العربية ، فكان تضيق عليها بشكل كبير ،قامت السلطات الفرنسية بمحاولة تدريس اللغة العربية الدراجة الذي تولاه الفرنسيين أنفسهم ، حتى يتسنى القضاء على العربية نفسها.

"ذكرنا أن الفصحى ظلت تقاوم في بعض الزوايا التي سمح لها بالنشاط التعليمي ، مثل بعض زوايا زواوة ، وزاوية الهامل ، وزاوية طولقة. وكانت المساجد الرسمية قد حافظت أيضا على الفصحى إلى حد كبير من جهتين: الجهة الأولى هي الخطب الدينية ، فهي على بساطتها وسذاجتها كانت بالعربية الفصحى أو المعربة ، ومن ثمة تأتي العلاقة بين العربية والدين ، مما جعل الفرنسيين يشبه العربية باللاتينية في الكنائس ويحكم بأنها لغة ميتة كاللاتينية أيضا والجهة الثاني هي بعض الدروس العامة "[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج8. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017ص10.9.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج8. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص15

ولقد اقترن إحكام السيطرة عند الفرنسيين بضرب مقومات الشخصية الجزائرية التي تتمثل غالبا في الدين واللغة والتاريخ العربي خصوصية الموقع الجغرافي للبلد كما أنه طغى الطابع الاستعماري على سياسة فرنسا التعليمية فإمترج المسعى الاستعماري بنظيره التعليمي خاصة وكانت ساسيتها واضحة :

- محاربة الثقافة العربية .
- حصر التعليم بالنسبة للجزائريين في أضيق الحدود.
- التقليل من إقامة المدارس الخاصة .
- تحديد عدد التلاميذ إلى أقل عدد ممكن خاصة في التعليم الثانوي .
- خفض ميزانية التعلم للجزائريين .
- فصل تعليم الجزائريين عن تعليم الأوربيين والعمل أيضا وغيرها .

عمل الاستعمار الفرنسي على تعطيل تلك المؤسسات من أجل أغراض وأهداف بعيدة ، فعندما حلت كارثة الاحتلال وانشغل الفرنسيون بمقاتلتنا، عطلوا المؤسسات التي ذكرناها واستعملوها لأغراض عسكرية ودينية وطبية، واستولوا على هذه المؤسسات التي كانت المصدر الأساس للتعليم والصيانة ، وشرد الاحتلال العلماء والقضاة والأدباء والفقهاء.. فأرخى الليل سدوله على الجزائر الإسلامية ومؤسساتها التعليمية. عندئذ جاء بعض علماء الاجتماع الفرنسيين لمشاهدة انجاز دولتهم الذي طالما افتخر به أنصار الاحتلال، وكان هذا العالم .. أليكسيس دي طوكفيل A . de Tocqueville، يظن كغيره، أن الجزائر قد خرجت من عصر الظلمة إلى عصر النور على يد الاحتلال، ولكنه وجد الجزائر حين زارها تغرق في الظلام الحالك، فتعجب مما فعل سفهاء بلاده وسجل بكل ألم: لقد جئنا إلى الجزائر لنضيئ الشموع فأطفأناها ، معترفا أن التعليم في الجزائر العثمانية كان أكثر انتشارا قبل الاحتلال منه في فرنسا نفسها.

إذا نظرنا إلى التعليم من حيث (الكم) فإنه كان شائعا عند المواطنين، فانتشار القراءة والكتابة هو الذي بهر الفرنسيين حين درسوا الفرق بين التعليم الديني والعملي (الدنيوي) يظهر هنا جليا

لاحظوا أن التعليم في الجزائر كان أكثر انتشارا فيها منه في بلادهم." ولكن يجب الاعتراف آن (نوع) التعليم عندنا وعندهم كان مختلفة. فبينما كانت كثرة المتعلمين عندنا لا يستعملون علمهم إلا في مجالات محدودة أغلبها دينية وأدبية، كان الأوروبيون يستعملون علمهم في الحياة العملية، فهم رغم قلة عددهم علماء في مختلف العلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والهندسة، ولديهم صناعة متطورة واقتصاد منظم وجيش مجهز بأسلحة جديدة فتاكة، ومطابع وصحف، ونظام سياسي يسير نحو الديمقراطية. وقد ثبت في الميدان الفرق بين علمنا وعلمهم عند المواجهة التي حدثت بين الاحتلال والمقاومة"[1].

وتحول الطب من مادة علمية إلى طب ديني أدى ذلك إلى استغرب رجال دين أوروبيون وقناصل ورحالة عاشوا في الجزائر كيف أصبح من كان معلما لأوروبا طب ابن سينا لا يدرس الطب إلا تحت عنوان الطب النبوي والتداوي بالأعشاب، وكيف يتجادل علماء المسلمين عشية الاحتلال حول كتابة الحرف العربي اليا(مطبعيا): هل حلال أو حرام، وهو الاستغراب بل الانتقاد الذي وجهه توماس شوويليامشيلر وبنانتي ودي بارادي لعقل الإنسان المسلم عامة. وربما لذلك أوصى بعض هؤلاء باحتلال الجزائر من قبل دولة أوروبية لأنها في نظرهم بلاد ناضجة اللقطف والخطف.

منذ دخول الاستعمار إلى الجزائر ،وهو يعمل على القضاء على الهوية الجزائرية أولا بعملية الاستشراق ودراسات العلمية ، ثم بعملية الإدماج ، وهذا هو نقل الحضارة والتمدن إلى الجزائر، أما المستعمر فهو ناقل للحضارة وله رسالة مقدسة في الجزائر وهي

"وهي تتمثل في إحلال النظم الإسلامية القائمة وجعل اللغة الفرنسية هي لغة السيادة ،ومن ثمة كان هدفهم هو الوصول إلى نقطة الاندماج حتى يصبح المجتمع الجزائري مجتمعا متفرنسا لغة ودنيا ونظما، وقد تضافرت الجهود لتحقيق هذا الهدف ، فالعسكريون كانوا يحطمون المقاومة حيثما وجدت وفي جميع أشكالها . والمدنيون كانوا يحطمون النظم والمؤسسات القائمة من

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة .ط 1. الجزائر.2011.. ص123.

أوقاف وتعليم وقضاء وحتى المعالم كالمساجد والزوايا والجبانات ، ومن جهتهم كان رجال الدين يسترجعون الكنيسة (الكاثوليكية)التي كانت قبل الإسلام " [1].

واستعملوا سياسة فرق تسد عداوة العرب عدوا البربر وفي الأخير حاولت فرنسا تقرب منهم واعتبرتهم حلفاء لها.

"والبربر بدون شك قوم يفتخرون بماضيهم ولغتهم وتقاليدهم ،وأيضا قوم فخورون بدورهم العظيم في فتح الأندلس (12 ألف جندي على الأقل)،وفي حمل الإسلام إلى وسط فرنسا نفسها وإلى جنوب إيطاليا، وإلى إفريقية ، وفخورون أيضا بتأسيس القاهرة والأزهر الشريف ، وإقامة المماليك الكبرى قبل ان تتكون في فرنسا مملكة أو كيان سياسي .ولكنهم لا ينفون أنهم فعلوا ذلك كمسلمين عقيدة ولغة ، وان إنتاجهم الحضاري المكتوب قد اختلط بإنتاج العرب حتى لم يعد أحد يستطيع معرفة الفرق " .[2]

ومحاولة تفريق تكمن أيضا في التفضيل مثلا يكون الجندي البربري أفضل من الجندي العربي لإن البربري له المهارة والقدرة على الحملات البعيدة ، وأن أسطول قرطاج كان منهم ، كما أن أسطول الجزائري أثناء العهد العثماني قد صنع من الخشب المجلوب من زواوة "ومن رأي وارنييه أن الجندي البربري جندي كامل ،أما الجندي العربي فهو واسطة بين الدركي والحرس الوطني ، لإن من طبيعته أيضاّ عدم الابتعاد عن نسائه وقبيلته وماشيته .ولذلك نصح بأن تجند فرنسا الفرسان أيضا من البربر فإنهم قادرون على الحرب في كل الظروف وتجنيد البحارة منهم أيضا لإنهم عرفوا البحر من القديم ، أما العربي فلا يعرف البحر (!)، وهو ضد الحضارة الفرنسية ومتباعد عن الفرنسيين"[3].

[1] - أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج6. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017ص197.
[2] - أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج6. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 .ص315.
[3]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج6. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص318.

وكان على السلطات الفرنسية أن تميز بين الشعوب وتستفيد من الفوارق في سنة 1890 ولقد نشر فيكتور بيكي كتابه عن حضارة شمال إفريقيا الذي قال فيه إننا كنا دائما نسمي المنطقة العربية بينما هي مسكونة بالعنصر البربري .

" وقد أصبحت الإدارة الفرنسية تشعر بهذه الفروق منذ حوالي 1890 وأخذت توظفها سياسيا وعندما احتل الفرنسيون المغرب الأقصى ظهرت المسألة البربرية بشكل أكثر وضوحا ،وأعطى الفرنسيون دفعا جديداً للدراسات البربرية ، وتحول الفرنسيون أيضا في تونس والجزائر وغيرهما وأخذوا يبرزون الفروق بين عناصر السكان "[1].

وفي هذا المناطق في زواوة بدأ في تأسيس المدارس الأهلية واجبارية التعليم خلافا للمناطق الأخرى وزيادة نشاط الديني –الكنيسي ولا سيما في منذ العشرية الأخيرة من القرن الماضي.

الجانب التربوي الاجتماعي عند جمعية علماء المسلمين

ان الجمعية هي ذات طابع اصلاحي ولم يكن دورها ثانويا بل هي جمعية اصلاحية متسيسة(وليست سياسية) في فترة زمنية مابين (1931– 1956) شملت مساحة كبيرة و عريضة حتى ان نشاطها غطى كامل التراب الوطني و جميع الطبقات الاجتماعية في حين ان الأحزاب الاخرى لم تكن ذات تأثير كبير في تلك الفترة مثل حزب الشعب فكان تجنيده للعامة محدود واغلب في الوسط العمال وبعض الشباب

" ولعل الاصح ان نقول ان جمعية العلماء كانت تعمل في هدوء وكانت تتوغل داخل العائلات و الارياف و الاحياء وتعمل من اجل هدف بعيد يبدا بالأطفال وينتهي بالرجال بينما التيارات السياسية الاخرى كانت تدخل في القضايا الساخنة مباشرة وتصارع من فوقه لكسب الانتخابات

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج6. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص320.

و الاصوات لبرنامجها و الحزب الوحيد الذي عمل منذ 1947 على الجمع بين العمل السياسي الظاهري و التنظيم الثوري الخفي هو حزب الشعب (حركة الانتصار) "[1]

الهوية الجزائرية عند جمعية علماء المسلمين

إن جمعية علماء المسلمين رسخت الشباب الجزائر بهويته و بتراثه وباللغة العربية والإسلام وربطه بالحضارة العربية الإسلامية عن طريق تعليم وتربية والإصلاح واستعملت النوادي والصحافة والمدارس من أجل إعادة الجزائر إلى مسارها الأصلي .

"أما التنظيم الذي ربط الوطنية بالتراث والتاريخ فهي جمعية العلماء التي كانت تعلم في مدارسها حب الجزائر في الإطار العربي الإسلامي المتميز عن إطار الثقافة الفرنسية على نحو ما عناه بيان أول نوفمبر حين تحدث عن دولة جزائرية في إطار المبادئ الإسلامية"2

شعراء جمعية علماء المسلمين

ومن الأمثلة على مشاركة الشعر وفي عرض تدشين دار الطلبة بقسنطينة ،وهي الدار التي بنيت تحت إشراف جمعية علماء المسلمين وكان ذلك سنة 1953 وقد ألفت قصائد معبرة عن الفكر الإصلاحي وكانت الدعوة إلى الإتحاد بين الأحزاب والنهضة الإسلامية.

"من شعراء هذا الحفل مفدي زكرياء الذي ظهر بعد غياب طويل وألقى قصيدته المؤثرة التي عير فيها عن خيبة أمله في الأحزاب والسياسة وأعلن فيها دعمه لمنهج جمعية العلماء وقد جاء فيها :

وما الزعامة أقوال وشقشقة إنا الزعامة إصلاحا وتشييد

وما النضال احتجاجات على ورق إن النضال كفاءات ومجهود "3.

[1]-أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، المرجع السابق ،ص 149.
[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 11.
[3]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص72.73..

وأيضا نتكلم محمد العيد أل خليفة "أما زميله الشاعر محمد العيد فهذا الميدان ليس غريبا عنه فطالما تكلم فيه وأوضع كما يقولون ولكن قصيدته كانت من أنجح شعره الإصلاحي خصوصا وقد جاءت بعد سكوت دام أيضا طويلا وبعد ابتعاد عن الحفلات والأضواء والتوجه بدلا منها المحراب الصوفي والحياة الروحية .وهذه طالعة القصيدة :

هات البشائر للجزائر هاتها إن الجزائر أبصرت غاياتها"[1].

لقد كان للجمعية ورجالها دور كبير عشية الثورة وتجهيز لها سواء بعلم أو بغير علم فتجمع العلماء وكافة فئات الشعب حولها وثم حول الثورة ليشبه المعجزة في ظروف صعبة وخاصة بالنسبة للجزائريين خاصة على المستوى السياسي وتنوع توجهه وأطيافه .

فالشعراء والعلماء والأدباء والعلماء والرياضيون وطبقة المثقفة كلها أصبحت لحمة واحدة ربما صنعها الاستعمار نفسه بظلمه وجبروته .

3/ المؤسسات التربوية والتعليمية :

– المسجد

يحتل المسجد المكانة الاولى بين المؤسسات التي تساهم في تكوين المجتمع المسلم والتأليف بين أفراده ، وجمع شملهم ، وتكوين عاداتهم وثقافتهم الاجتماعية ، وتصوراتهم المشتركة. ذلك لان أهم الخصائص التي تميز المجتمع المسلم أنه مجتمع رباني يقوم على الايمان بالله : مشرعا ومنظما لجميع أموره وعلاقاته وقيمه ، باعثا اواتر المحبة والتضامن بين أفراده و فئاته والمسجد هو الموئل الذي خصه الله لتتحقق فيه جميع هذه المعاني وغيرها ، وليأوي اليه المؤمنون يناجون ربهم ، ويجتمعون على تحقيق منهجه وإعلاء كلمته...

"يعتبر المسجد أول المؤسسات التعليمية والعلمية والدينية في الإسلام ، فقد كان منذ تأسيسه في المدينة المنورة على يد الرسول (صلوات الله عليه)مكاناً للعبادة ومدرسة يتلقى فيها الصحابة

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. . ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص73.

تعاليم الإسلام وأحكامه، وبعد وفاة الرسول انتصبت في المسجد مجالس العلم إذ شجع الخلفاء الراشدون كبار الصحابة على نشر القرآن وعلومه بين المسلمين، وقد قصدهم كثير من التلاميذ ليتلقوا عليهم العلم وعلى التابعين ومن كبار المعلمين في المسجد زيد ابن ثابت وعبد الله بن عمر ، وقد تخرج على أيديهم تلاميذ بارزون في الحديث وتفسير القرآن الكريم منهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري"[1].

ولتحقيق هذا التوجيه الالهي كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة ، ولا غرو ، فللمسجد وظائف اجتماعية هامة نوجزها فيما يلي .

أهم وظائف المسجد الاجتماعية :

ا –يضم المسجد شتات افراد المجتمع الاسلامي و يجمع شملهم وفيه يتعاونون لمجابهة جميع المشكلات التي تعرض لهم ،يصدرون في معالجتها عن القران و السنة ، ويلجؤون الى االله يستمدون منه العون والقوة في كل امورهم.

ب – يزود المسجد افراد المجتمع بشحنات الطاقة الروحية– الاجتماعية يستمدونها من دستورهم ومنهجهم القرآن الذي يصدرون عنه في سلوكهم الاجتماعي .

ج – والمسجد بما يتلى فيه من كتاب الله يجتمع عليه المسلمون في صلواتهم ، يوحد المشاعر والقلوب ويجمعها على تصوراتهم مشتركة ، كتصور الحياة الدنيا .

كما يتقربون اليه بالدعوة إلى هذه القيم لتحقيق خير الانسانية والشعوب الاخرى ،لإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلم القادة إلى العدل الإلهي.

[1]- أبو القاسم سعد الله . بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر. 2015ص 20.19.

نشوء مدارس الأطفال (أو الكتاتيب) في المساجد :

بقي المسجد يؤدي وظيفتي العبادة والتربية والتعليم دون تمييز واضح بينهما. فكان في المسجد حلقات علم تقام بين الصلوات، حتى كان عهد عمر ابن الخطاب فنشأ في عصره، وقبله بقليل ،وبعده، إلى جانب المسجد، أو في بعض جوانبه كتاتيب للأطفال وهي إمكانية خاصة يتجمع فيها الأطفال يتعلمون القرآن الكريم على يد شيخ متقن للقرآن حافظ لآياته وسُوَره ،وربما تقاضى بعض العطايا؛ لانشغاله بالتعليم من طلب الرزق، ليَعول نفسه وأسرته ...

وبدأ يظهر بعض التنظيم لهذه الكتاتيب، فكان يوم الجمعة ،مثلاً ،يوم راحة أسبوعية ،ليستعد الناس والأطفال وأولياؤهم لصلاة الجمعة وغُسْل الجمعة؛ فاقترح أمير المؤمنين أن يُصرَفَ الأطفال بعد ظُهر يوم الخميس ليستعدوا ليوم الجمعة فكان ذلك نظاماً متبعاً إلى يومنا هذا وعُمم منذ ذلك الوقت في الأمصار .

تقول الوثائق الفرنسية أن التعليم العربي الإسلامي كان مزدهرا سنة1830 عند احتلالهم، وهو يتألف من مستويات الثلاث المعروفة الثانوي والعالي مجانا والابتدائي بأجر اختياري ضعيف والمدارس متصلة بالمساجد في الأغلب ويشرف عليها وكلاء الشؤون الدينية وأن المعلمين أحرار ولا يخضعون إلى أي ترقية وشهرتهم هي التي تدل عليهم فالمعلم بالأخلاق الكريم والسلوك الجيد ولإجازة تكون من أستاذ معروف .

"وكانت المدارس متصلة بالمساجد في أغلب الأحيان ، ويشرف عليها وكلاء الشؤون الدينية وهي تتغذى من أملاك الأوقاف الخيرية . ولكن منذ الاحتلال دخلت أملاك الأوقاف في أملاك الدولة الفرنسية ، فأهملت المدراس الإسلامية ، وتوقف التعليم الإبتدائي والثانوي ،ولم تبقى إلا بعض الزوايا البعيدة والمعزولة حيث الدروس العليا"[1] .

[1]أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء3 . ،(م،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص22.

التعليم القرآني :

إن تعليم القرآني هو أكثر ما أهتم به العلماء قديما والمربون والعلماء ثم المربون والمعلمون لإن القرآن الكريم هو الأصل الأول في الشريعة الإسلامية ، ثم جاءت السنة النبوية وانتشار القرآن كان بفضل تلك المدارس القرآنية وشيوخها .

"إن القرآن يعتبر حجر الزاوية في تاريخ التربية الإسلامية ، ولا يمكن ان نفهم الثقافة الإسلامية على أنها من فعل الإنسان ،بل في نظر المسلمين من الحقائق التي أظهرها الله للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولذلك كانت الموضوعات التي ليس لها صلة بالقرآن تعتبر دنيوية وبعيدة عن روح الإسلام ومن ثمة لا يجوز تعليمها للأطفال ، لأن التعليم الإسلامي كان في الحقيقة كان تعليما قرآنياً"[1] .

لقد كان تشيع السلطات والحكام عبر التاريخ واضح وأمر ضروري لا خلاف فيه ، ثم بدأت الطرق التعليمية والمناهج تختلف بين منطقة وأخرى ومدرسة أخرى .

" ومنذ البداية شجع الخلفاء العلماء على تعليم القرآن في المساجد لكي ينشروا منه العلم والتربية الإسلامية ، وظهر أصناف من المعلمين منهم معلمو القرآن ومفسروه ، ويطلق عليهم أيضا القراء فقد كانوا يجلسون في المساجد ويفسرون القرآن لمن حولهم من الناس ويبرزون لهم الأحكام التي جاء به ويبينون لهم الفرائض والسنن التي عليهم أداؤها "[2]

فالطريقة التقليدية معروفة في الحفظ وفي طريقة الكتابة باللوحة والطين والسمق والجلوس المربع والرفع الأصوات بالقرآن عند الحفظ والتنافس على الحفظ بين الأطفال ثم الختم والاحتفال به .

بعض المدارس قاموا بتنظيم مدارسهم القرآنية وأصلحوها وربطوا بين أجزاء التعليم فأصبح التعليم فأصبح التلميذ في المدرسة الإصلاحية العصرية يحفظ القرآن ويقرأ العلوم الأخرى

[1]- أبو القاسم سعد الله . بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر. 2015ص.ص16.
[2]- أبو القاسم سعد الله . بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر. 2015ص.ص16.

المكملة له كما يدرس العلوم العلمية واللغات أما المنهج التعليمي كان موحدا سواء في الجنوب أو الشمال .

"والمنهج التعليمي كان موحدا تجده في الجنوب وفي الشمال على السواء .فهو في بسكرة والأغواط والبيض وهو في ورقلة و تقرت والوادي ،وفي المنيعة وتوات وبشار بنفس النمط، وقد أشرنا إلى انتشار التعليم القرآني في ميزاب وعناية المواطنين هناك به ، فالمدرسة القرآنية هي في كل مكان ، ملاصقة للجامع في كل مدينة ، وليس في ميزاب زوايا وعلى أساس كل مدرسة أحد العزابة ، فهو المدير والقائم بالتربية والتعليم ، وإذا كثر التلاميذ يستعين بقدماء التلاميذ الذين معه .

وتقوم المدارس القرآنية بتعليم وتحفيظ القرآن ، وتعليم القراءة والكتابة والرسم القرآني إلى جانب التربية الدينية كالعقائد وحفظ بعض الأحاديث "1.

في الدراسة التي يذكرها الفريد بيل ملامح التعليم القرآني في وقته 1908 ويبدوا أنه لم يتغير عما كان عليه سنة 1830، وهذا المستشرق المعادي للعرب والمسلمين والذي تولى وظائف بارزة مثل إدارة مدرسة تلمسان وهي أراء جديرة بالتأمل .

"وقد صدق السيد بيل في عدد من النقاط التي انتقد بها التعليم القرآني كالاكتفاء وجمود الذهن ، والكسل العقلي وما إلى ذلك ، وهذا بالطبع ليس من التربية في شيء ، وليس مستمدا من القرآن نفسه ولا من السنة .وعلماء التربية المسلمون وضعوا الأساس للتعليم الصحيح. ولكن ظاهرة التخلف أوصلت التعليم القرآني وغيره إلى الحد الذي وصفه بيل "2

- **الزاوية :**

هناك أنواع من الزوايا:

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء3 . ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 47 .
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء3 . ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص 56 .

1زوايا الإطعام والضيوف: مجمع متكون من غرف مخصصة لإيواء الضيوف ومسجد.

2 زوايا صوفية للذكر: مجمع متكون من غرف مخصصة للاجتماع على الذكر وهي غرف واسعة، تلحق بها مدرسة أو معهد للتعليم القرآني والديني، يدير أمرها في غالب الأحيان مشايخ الطرق يصلون بها ويتدارسون القرآن ومختلف العلوم، قد تحوي غرف للطلبة الذين يقيمون فيها ويدرسون وهي بالإضافة إلى ذلك مأوى للغرباء .

3زوايا العلم: مجمع متكون من غرف مخصصة لإقامة الطلبة، ومسجد كبير، وأمكنة لاستقبال الوفود، وغرف التدريس، مثل زوايا أدرار وغيرها.

"ظهرت الزواية (الخلوة) أيضا كمؤسسة تعليمية تعنى بالقرآن وعلومه ، ويطلق اسم الزاوية تاريخياً على بناء ملحق بأحد المساجد في المدن مخصصاً لإستقبال الأطفال وتعليمهم مبادئ الإسلام والقراءة والكتابة وأوليات الحساب ، على نحو شبيه بما يقوم به الكتاب ، كما أن الزاوية من جهة أخرى حلت محل الرباط الذي كان في الأساس مركزاً متقدماً للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية ضد غارات الأعداء"1.

دور التربوي التعليمي للمساجد والزوايا :

فالمساجد و الزوايا على مدار التاريخ الاسلامي كانت قبلة العالم و العلماء و شؤون الثقافة و الحياة التي تهم المسلم ومنها تعلم القران الكريم و السنة النبوية و السيرة النبوية و الفقه وغيرها من العلوم . . . و احيانا نجده مجمعا للفقه في الدين يقد اليه العلماء و الطلاب فالتعليم و التربية و المسجد لا يفترقان ، ففيه انارة العقول ، وهداية النفوس .

" ومن الملاحظ ان التعليم في الزوايا كان أكثر تنوعاً من التعليم في الكتاتيب ، فإذا كان التعليم في الكتاتيب يكاد يقتصر على القرآن ومبادئ الإسلام والقراءة والكتابة ، فإنه في الزوايا كان يشمل أيضا علوم الدين وعلوم اللسان والأخبار والتصوف ومناقب الصالحين ، وكان

[1]- أبو القاسم سعد الله . بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر. 2015ص. 18 .

التعليم في الزوايا غير مقتصر على تعليم الأطفال ، بل كانت الزاوية تستقبل فتيان المنطقة الواقعة فيها والطلبة الغرباء الذين يأتون إليها طلباً للعلم إذا اشتهرت باسم شيخها والطريقة الصوفية التي ينتمي إليها "1 .

فالتعليم في الجزائر كان حرا ويشمل ثلاث مراحل في هذا الوقت الاستعمار ، اولى تعطي للكتاتيب و يقبل الناس عليها اقبالا شديدا ، اما التعليم الثانوي و العالي فقد كان بالمساجد و الزوايا يتولاهما الشيوخ المشهود لهم بالعلم و الدرايا و لقد اشتهرت العديد من زوايا في ميدان التربية و التعليم اهمها منطقة الجلفة و بوسعادة زاوية الهامل ، ويشترط ان يكون الطالب ذا سمعة حسنة و سيرة صالحة طيبة و تعتبر الزاوية مركز لمشايخ الطرق الصوفية المخصصة للعلم و الثقافة العربية الاسلامية في مراحل الدراسة .

يمكن القول ان المسجد النبوي او مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الكبار و الصغار و التربية على منهج الهي اجتماعي ينظم العلاقات الاجتماعية ويوحد المشاعر و القلوب فيما مضى كان دور المسجد يجمع بين الوظائف كلها التربية و التعليم و السياسة وحتى العسكرية و القضائية ولكن بعد تشعب الحياة و تطور ، فمبدا تميز و الاختصاص يظهر خاصة في عهد عمر ابن الخطاب الذي امر بإنشاء قرب المساجد كتاتيب ، وهي امكنة خاصة يتجمع فيها الاطفال يتعلمون القران الكريم على يد شيخ متقن للقران حافظ لآياته وسوره وربما تقاضى بعض العطايا لانشغاله بالتعليم و طلب الرزق ليعول نفسه و اسرته .

" وهكذا كان اسهام المسجد بين في انارة العقول ، وهدية النفوس ، وتحقيق التنمية الثقافية الشاملة في المجتمع المسلم وقد كانت المساجد الجامعية تعتبر من اكبر معاهد الثقافة لدراسة القران و الحديث و الفقه و اللغو اصبح كثير منها مراكز للحركة العلمية واحسن مثال لذلك مسجد البصرة الجامع الذي كانت تنعقد فيه حلقات لمختلف فروع الثقافة العربية الاسلامية .

[1]- أبو القاسم سعد الله . بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر. 2015ص 19 .

فالجزائر لا تحتوي على معهد متخصص قديما او مؤسسة قوية للتعليم الاسلامي ذات اشعار وطني مثل الزيتونة او الازهر او القيروان فكان المسجد و الزوايا يقومون بهذا الدور فعوضوا بعض النقص .

بعد انتهاء الاطفال من المدرسة القرآنية يتوجه الراغبون منهم الى المساجد و الزوايا لمواصلة التعليم متوسط و ثانوي وقد تصل بعض الدروس فيه الى مستوى التعليم العالي في مراحل متقدمة .

تعليم المساجد والمدارس القرآنية :

أما طريقة التعليم وبرنامجه ومراحله فإن الكثير منكم يعرفها وربما مر ابها. كان الطفل يرسل إلى الكتاب القرآني في مدة تزيد او تنقص عن سبع سنوات، وفي هذه السن (حوالي 12 سنة) يشرع في العمل مع أهله حسب نوع العمل الذي يمارسونه، ولكن بعض الأطفال كانوا يتوجهون إلى الزوايا التي عادة ما تكون بعيدة عن مدينتهم وأهلهم. فيتعلمون فيها مجانا مبادئ علوم شتى ذات مستوى مناسب لسنهم مدة تزيد أو تنقص عن سبع سنوات اخرى. وفيها يتقن التلميذ حفظ القرآن الكريم ويتعلم علومه: (الحديث، التفسير، الرسم، أسباب النزول، وجمع المصحف ...)، كما يتعلم الفقه وأصول الدين والعقيدة والفلسفة والمنطق، إضافة إلى علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب والإنشاء.

وبعد الانتهاء من هذه المرحلة يصبح التلميذ الطالبة، باستطاعته أن يساعد شيوخه في تعليم من هم أصغر منه ، وقد ينتقل إلى زاوية أخرى أو حتى إلى بلاد إسلامية أخرى لمواصلة دراسته والتوسع فيها، وقد يعود إلى أهله فيتزوج ويتولى وظائف دينية (الإمامة في الصلاة، إقراء القرآن، تدريس الفقه والتوحيد للعامة...).

"وكان هذا التعليم قد أصبح بالتدرج مقتصرا تقريبا على التعليم الديني المتمثل في حفيظ القرآن الكريم ، وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الإنشاء وحفظ المتون الفقهية والنحوية و العروضية

والفرضية، هو الذي كان منتشرا بشكل ملحوظ بين الجزائريين ، فهو تعليم ديني بالدرجة الأولى والهدف منه فهم تعاليم الدين ورفع الأمية والأدب والإنشاء"[1].

عموما عندما يتخرج طالب من المدرسة القرآنية كما يعلم أن الجزائر لا تحتوي على معهد متخصص أو مؤسسة قوية للتعليم الإسلامي ذات إشعاع وطني مثل الزيتونة أو الأزهر فكان المسجد والزوايا يقومون بهذا الدور فيعوض بعض النقص .

" بعد انتهاء الأطفال من المدرسة القرآنية يتوجه الراغبون منهم إلى المساجد والزوايا لمواصلة تعليم متوسط وثانوي ، وقد تصل بعض الدروس فيه إلى مستوى التعليم العالي في مراحل متقدمة "2

ولوحظ وجود زوايا في بعض الحواضر ذات اختصاصات بارزة ويذكر منها سعد الله.

الإختصاص (علم القراءات في زواوة)

استغراب أبو القاسم سعد الله لبعض زوايا مثلا أنها كانت مركزا لاختصاص معين يلجأ إليها الطالب مثل زاوية زواوة يقصدها الطلاب من اجل تعلم وأخذ علم القراءات ، أليس في البلاد العربية أو الجزائر من قريب أو بعيد تعلم القراءات السبع أو العشر إلا في هذه الزواية .

"وعلى أساس أن هناك (إختصاصات) في الزوايا كما هناك اختصاصات في المعاهد والكليات اليوم ، فالزوايا لم تشتهر كلما بعلم القراءات وإنما في مناطق محددة كمنطقة (زواوة) ، وقد نبهني المهتمون والباحثون عن تأصيل العلوم في بيئاتهم بأنني لم أتناول دور زاوية سيدي على أويحي في تعليم القراءات رغم دورها المعروف في ذلك " [3]

[1] - أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2016 ص.174.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 3 ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص57.
[3]-أبو القاسم سعد الله .حبر على ورق ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.ص201 .

دور المرأة في التاريخ الفكري للجزائر :

لم تكن معنية بالتعلم إلا نادرة وبطريقة مقصورة على بعض العائلات ، أما احفظ المرأة للقرآن الكريم والحديث الشريف والفقه في الدين فقد كان شائعة.

المرأة في الحقيقة كانت تعمل وراء الستار في التاريخ القديم للجزائر صحيح أنها لم تظهر بشكل يليق بدورها الفكري التربوي الثقافي أو الحضاري إلا أن وجودها بجنب الرجل في كثير من المواقف شاهدة مثلا في المقاومة الشعبية نجد مثلا جميلة بوحيرد وغيرها وفي تعليم كانت تتردد على المدراس وتحفظ القرآن .

" وكانت تباشر عملها في الزاوية كمرابطة وفي البيت كأم لأبناء يترددون على المدارس ،ولدينا أمثلة كثيرة على وجودها متعلمة ،تحفظ كل القرآن أو جزءاً منه ، وتنسخ الكتب وتعلم الفقه وأصول الدين لزميلاتها ، وإذا أردت فأرجع إلى كتاب (البستان)لابن مريم و(رحلة) الورتلاني "[1]

- **المدرسة**

تختص المدرسة بالعملية التربوية" وهي العملية التي يتوقف عليها وجود المجتمع وبقاؤه واستمراره، إذ بها يتم انتقال مِقومات المجتمع من عادات والشعور والتفكير ، وانتقال المثل العليا والآمال والمطامح والمعايير ، من كبار إلى الناشئين ، ويغير هذا الانتقال لا يمكن لحياة الجماعة أن تدوم"2

المدرسة والمجتمع : كانت المدرسة جزءاً من المجتمع ، وكان التعليم يترعرع في أحضان المجتمع يقوم على جهود مؤسسات خاصة، ينظم أمرها علماء تخرجوا على يد علماء سبقوهم في المجتمع ليعطوه من قلوبهم وعقولهم أغلى ما عندهم ، وليعالجوا ، يعلموهم ، مشكلات

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص60.

[2] - الديمقراطية والتربية ، جون ديوي ، تعريب د.متى عقراوي، د.زكريا ميخائيل ،مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر ، ب ط القاهرة ،1946. ص 3.

المجتمع بحكمة و دارية وإخلاص ، وليُنَشئوا الأجيال على ما يرضي ربهم ،وهو الرقيب على تعليمهم ومناهجهم ونظمهم التعليمية .

وكانت المدرسة جزءاً من المجتمع ، وكان التعليم يترعرع في أحضان المجتمع ، يقوم على الجهود مؤسسات خاصة ، ينظم أمرها علماء تخرجوا على يد علماء سبقوهم في المجتمع ليعطوه من قلوبهم وعقولهم أغلى ما عندهم ، وليعالجوا ، بعلومهم ،مشكلات المجتمع بحكمة ودراية إخلاص ،ولينشئوا الأجيال على ما يُرضى ربهم ، وهو الرقيب على تعليمهم ومناهجهم ونظمهم التعليمية .

وكانت رغبات مجتمع المتعلمين وطموحاتهم ومطالبهم ، ورغبات الممولين ، والمجتمع الذي ينتظر تخريجهم ، تلبى وتُناقَشُ وتُعالَجُ ، ويُنفذ الصالح منها من غير تردد أو تسويف ، فكان التعليم ، بشتى مراحله ،يتمتع بنظام لا مركزي معقول ، واقعي نابع من صميم المجتمع ، تموله الدولة ،كما تموله (الأوقاف) أي العقارات والمزارع التي رُصد ريعها لهذا الغرض ، منذ أن وقَفَها أصحابها ووهبوها لذلك ...

المدرسة الحديثة البلاد الإسلامية :

وبقي الأمر على ذلك في العالم الإسلامي زهاء عشرة قرون؛ يُدَرس القرآن ومبادئ الكتابة والحساب في الكتاتيب (المرحلة الابتدائية) ، ويدرس الفقه والحديث والتفسير في حلقات المساجد (وهو ما يعادل المرحلة المتوسطة و الثانوية) ، ويتخرج العلماء المتخصصون في (المدارس) التي كانت تعادل المستوى الجامعي .

حتى إذا دخل الاستعمار الغربي إلى البلاد العربية والإسلامية ، فَعُمم نظامُ المدرسة الموحدة، وأصبح التعليم مركزياً ، تابعاً في مناهجه وتنظيمه إلى ما يقترحه المستشارون المفروضون من الدول المستعمرة، يشاركهم وينفذ مقترحاتهم في وزارات المعارف والتربية عدد ممن تخرجوا في جامعات تلك الدول الاستعمارية ؛ ليعمموا ثقافتهم العلمانية ، وأنظمتهم الاجتماعية ، على

الشعوب التي استعمروها حتى تبقى دائرة في فلكهم ، تابعة لهم ومحققة لمصالحهم ، وإن استقلت ظاهراً ...

ولكن الذي حدث بالفعل هو ما يحدق في عالم الطب والفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) عندما يُدخَل إلى دم المريض جسم غريب عنه مؤذٍ لخلاياه فيخرب في أجهزة المريض وخلاياه ، أو يطرحه الجسم ويستبعده بعد أن يخوض معه معركة لا تكون في مصلحة أي جهاز من أجهزته ، وهذا ما دعانا إلى بحث :

مساوئ المدرسة الحديثة وأضرارها على المجتمع ؛ وعلاجها

لما كانت المدرسة الحديثة أمراً واقعاً لا بد منه، فإن الباحث لا يجد بُداً من تبصير الناشئين والعاملين في حقل التربية والتعليم بأهم مساوؤها ليتقوها أو يصلحوها :

أ – آثارها السيئة على عقيدة المجتمع وآدابه وأخلاقه :

لم يكن عبثا ولا من زخرف القول تشبيهنا هذه المدرسة بالجسم الغريب المخرب لأجهزة المجتمع وعلاقاته وتصوراته المشتركة، وعقيدته وآماله ومصالحه، فقد جاءت المدرسة الحديثة بنظم تعليمية مستوردة ، وبمناهج وعلوم غير تلك التي كانت تدرس في المساجد والمدارس الإسلامية القديمة.

فكان حصاد ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة ،واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على آداب المجتمع الإسلامي وأخلاقه، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر وسبب ذلك يكمن في العلوم والمناهج التي جاءت بهما المدرسة الحديثة، ذلك أن للعلوم والكتب روحا وضمير كالكائنات الحية. فالعلوم التي أنشأها الإسلام وصاغها في قالبه قد سرت فيها روح الإيمان بالله واليوم الآخر والتقوى والفضيلة، والخشية من الله، أما العلوم التي دونتها أوربة الملحدة ، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها، فقد ترى فيها الإلحاد والجمود، و الإيمان بالماديات والمحسوسات فقط.

ولو تتبعنا هذه العلوم الغربية التي عمت مدارسنا لوجدناها تصدر فعلا عن منطلقات عقائدية تعارض عقيدة التوحيد التي انطلقت منها جميع التصورات المشتركة، والآمال المشتركة للمجتمع المسلم، وبنيت عليها جميع علاقاته الاجتماعية، وآداب السلوك الاجتماعي عند جميع أفراده .

– الوظائف الاجتماعية للمدرسة :

بعد هذه اللمحة التاريخية عن المدرسة والتعليم ونشأتهما وتطورهما في المجتمع الإسلامي، يمكننا أن نقرر أن الوظيفة الاجتماعية الأساسية للمدرسة في هذا المجتمع في إعداد الفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي ،الذي يحقق العبودية الخالصة لله في تصوراته المشتركة، ويحقق نتائج ذلك في سلوكه وحياته الفردية والاجتماعية.

ويمكن أن تكون على النحو التالي:

1–نقل التراث 2– التصفية والتطهير

3–التبسيط والتلخيص 4– تكميل مهمة المنزل والمسجد .

والحرص على التراث الفكري والثقافي أمر غاية في الأهمية، لأنه بالإضافة إلى مساهمته في العمل على استمرار حياة الجماعة كما رأينا – ينقل إلينا خبرات عظيمة طالما انقضت أعمار الأجيال الماضية وجهودهم في تحصيلها، وهي ثمرات إبداع الأسلاف وحضارتهم وأبحاثهم واكتشافاتهم.ولكن ضخامة هذا التراث وتنوعه يجعل من المستحيل أن تحرص كل أمة على تلقين الأجيال اللاحقة جميع تراثها الفكري والأيديولوجي منذ آلاف السنين، لذلك لا بد من (انتقاء) عناصر التراث الفكري والثقافي الذي يمكن تقديمه إلى الجيل الحاضر لضمان وحدته النفسية ووحدة الأمة والمجتمع ،وتحقيق الخير لهذا المجتمع وإبعاد الشرور وبذور الفرقة والانحراف عن أبنائه وعن حياته، ولا بد لهذا (الانتقاء) من معيار ومقياس.

ولما كانت مقاييس الدول والشعوب تختلف في انتقاء عناصر التراث الذي يُلَقّن للأجيال رأينا أن نلقي نظرة على أهم الاتجاهات المعاصرة فيهذا الموضوع.

نقل التراث على أساس النزعات القومية والإقليمية:

يحافظ بعض الناس على تراثهم الفكري تعصباً لآبائهم وأجدادهم، وقد أقيم على هذا المقياس اتجاه اجتماعي سياسي، سُمّي بالقومية والمصلحة القومية عند أرباب هذا الاتجاه هي أساس التعامل مع جميع الشعوب، لذلك وجدنا

أن بَدْء الاستعمار الغربي واستثمار خيرات الشعوب الضعيفة كانا مرافقين لهذا الاتجاه عندما انتشر في القرن التاسع عشر. وصارت تربية المواطن الصالح) عند أرباب هذا الاتجاه تعني تربية المواطن المحقّق لتفوّق أمته ومصالحها الاقتصادية، والعامل على سيادتها على جميع الشعوب، سواء كانت على حق أو على باطل، وقد أنكر القرآن الكريم هذا التعصب .

- **التربية الاجتماعية**

توحيد الأداء وتنظيم الصفوف لتوحيد القلوب : تقوم معظم العبادات الرئيسة في المساجد _كالجمعة والجماعة وأداء الصلوات الخمس جماعة –تقوم على حضور المسلمين في وقت واحد، وقيامهم للصلاة في وقت واحد، ويتم ذلك باهتمام الإمام والمصلين بتنظيم أمورهم، وتنظيم كل ما يجعل صلاتهم وعبادتهم موحدة في توقيتها، وأدائها ونظامها...،إرضاء لله وإتباعا لرسوله...

توحيد الجماعة :

كذلك جعل الاسلام صلاة الجماعة في المسجد رمزا لوحدة القلوب، وحرصا على وحدة الجماعة ،فلم يسمح بالتخلف عن صلاة الجماعة ،وهدد النبي المتخلفين عنها من غير عذر بأن يحرق عليهم دورهم ،ولكنه لم يفعل رحمة بالأطفال والنساء وهم الذين لا يجب عليهم حضور الجماعة في المسجد .

منهج التعاون عند سعد الله

تعد طريقة التعليم التعاوني أو ما يعرف بتعلم المجموعات من الطرق التدريسية الأكثر شيوعا في الوقت الراهن بالدول الغربية، وتتبع أهميتها كونها ساهمت في زيادة تحصيل الطلاب على مختلف مستوياتهم وفي مختلف المواد الدراسية.

من المعروف تاريخيا أن هذه الطريقة كانت معروفة عند الطلاب المسلمين فحلقة أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه و كانت تقوم على طرح مسألة فقهية مثلا من طرف الشيخ ثم يتولى كل طالب معالجتها من خلال ما اطلع عليه من معلومات سابقة، وكان شكل الحلقة في الجلوس يسهل الاتصال بينهم، ومساعد على المناقشة المثمرة، التي كانت تنتهي بسيطرة الحل الأفضل والرأي السديد .

في معرض الحديث عن الجامعة ودورها المرتقب فهي كباقي المؤسسات الثقافية التربوية التعليمية تعاني في نقص التصور والرأي وعدم وضوح الرؤية للواقع فطلب شيء والعرض شيء أخر وبالتالي النتائج تكون سيئة على المجتمع عموما تربويا وثقافيا وتعليميا ومن أبرز الحلول الذي يقدمها هو منهج تعاون وتضامن والانسجام بين الأطراف .

"وأعتقد أن التغلب على هذه الصعوبات يكمن في تعاون أطراف عديدة تعاونا مخلصا ينطلق من الغيرة الوطنية على مستوى التعليم والمشاركة في التنمية والخروج من الصراع الهامشي الذي يقسم الجامعة بين المعربين والغير المعربين والعلميين وغير العلميين والخريجيين من هذا البلد أو ذاك "[1]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص30

التربية الاجتماعية (الصداقة انموذجا):

فالثقافة الاجتماعية الموجودة تلعب دور كبير في التربية الاجتماعية إذا نحن كمجتمع جزائري كيف نختار صديق ونعامله للأسف على أساس مصلحة هذا بدل على أن تربيتنا الاجتماعية مصلحية والعلامة أبو القاسم سعد الله يبين لنا انطلاقا من رحلاته ما هي نظرة الصداقة عندنا ولا تدوم والمجاملة أكثر منها حقيقة.

ويذكر كيف أن الشيخ العربي العنابي وذلك بالجامع الاعظم بالزيتونة كيف كان يوصيهم " ورغم أن طريقته تقليدية إلا أنها كانت حية بتوجيهاته الشخصية ونصائحه فكان مثلا يقول لنا :إقتربوا من بعضكم وضعوا الركبة إلى جانب الركبة لأن أخوة الحلقة اليوم هي أخوة الحياة غدا وكان يحثنا على التضامن والتوادد والعمل من أجل مستقبل واحد ."[1]

الأهمية الإجتماعية للتربية – مسؤولية المجتمع التربوية

تعتبر التربية وسيلة لإيجاد توافق تطبع بين المجتمع والطفل البشري الذي يولد ضعيفا عاجزا غير مزود بسلوك غريزي يمكنه من الدفاع عن نفسه أو التكيف مع محيطه وبيئته .. ولكنه مجهز بأجهزة ووسائل مدهشة تمكنه – إذا احسن استخدامها –من التزود بكل ما يحتاج اليه من خبرات لكي يتعامل مع محيطه وبيئته .. ذلك ب " ان الأطفال يولدون وهم لا يحيطون خبرا بأهداف الجماعة وعاداتها ...وما على الجماعة الا ان تبصرهم وتثير اهتمامهم بها ، وما من سبيل إلى ذلك الا بالتربية "2

فبالتربية تنتقل خبرات المجتمع ولغته وحضارته إلى الأجيال الوافدة على المجتمع "فوجود المجتمع متوقف على عملية النقل – هذه – وهذا النقل يتم بانتقال عادات العمل والتفكير والشعور من الكبار إلى الناشئين ، وبغير انتقال المثل العليا والآمال والمطامح والمعايير والآراء

[1]-. أبو القاسم سعد الله، حياتي ، المرجع السابق، ص 165.
[2]- جون ديوي : الديمقراطية والتربية، تعريب د. متى عقراوي، د.زكريا ميخائيل، مطبعة لجنة الترجمة والتاليف والنشر بالقاهرة،1365ه/1946م. ص3

من الأفراد الذاهبين من حياة الجماعي إلى هؤلاء الوافدين عليها ، لا يمكن لحياة الجماعة ان تدوم "[1].

- **التربية الروحية الدينية**

تربية الروحية

لقد كان الصوفية دور كبير في تجديد الأخلاق والسمو الروحي بعدما لاحظ الشيوخ أن المجتمع أصابه تدهور وخلل في الجانب الروحي الدين والأخلاق فدعوا إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، فالاهتمام التربوي لهم اختص بالمجال الروحي والسلوك، والمجتمع الجزائري كباقي الدول العربية انتشرت فيه تلك الطرق ومنها واد سوف مدينة العلامة أبو القاسم سعد الله فهو يقول عن أهل مدينة سوف عن اعتزازهم باللغة والعلم والتصوف والإصلاح.

" وأما العلم فيتمثل في احترام أهله والرحلة في طلبه وخصوصا إلى تونس، وأما شظف العيش فلا سبيل لأهل سوف إلا الصبر على المعاناة والجوع والتعرض للخطر.

وقد رحبوا بالطرق الصوفية التي ملأت الفراغ الروحي بعد التدهور الذي أصاب الدين والأخلاق وفي وقت لاحق رحبوا بالحركة الإصلاحية وزعمائها ومدارسها وفلسفتها."[2]

تطهير النفوس وتزكيتها :

لا يكون المجتمع قويا صامدا للتحديات الا اذا زكت نفوس افراده وطهرت من جميع الشوائب والاحقاد التي تصدع بنيانه ، وتحول دون تعاون افراده .

ويشمل مبدأ تزكية النفس ، الذي تقوم عليه وظيفة المسجد الاجتماعية ، اصلاح جميع افراد المجتمع الانساني ، فالمجتمع لا تصلح حاله ولا يكون سعيدا إلا اذا زكى كل فرد من أفراده

[1] - نفس المرجع السابق ص3

[2]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، الجزائر، منشورات الحبر، 2008، ص 19.

نفسه ، وجميع افراد الانسانية بحاجة إلى تزكية نفوسهم بالإيمان بالله ، وبلزوم السلوك والعمل الصالح الذي يأمر به الله .

ذلك ان الإنسان ، اذا ترك ليتبع ما تمليه غرائزه وشهواته من غير ظابط خسر حياته وآل المجتمع إلى فوضى ..لا نظام له .. حتى يتبع المنهج والنظام الرباني الذي وضعه الله للإنسان . والمسجد هو المكان الذي يتلقى فيه المؤمنون هذا المنهج والنظام عند سماع القرآن وخطب الجمعة ، ويعتزمون فيه تحقيق هذا المنهج ، في حياتهم وسلوكهم، بعد ان يعاهدوا الله على ذلك ، ويتواصوا بهذا المنهج الحق ، وبالصبر على تحقيقه وتطبيقه ، كما رأينا في صورة العصر ، ويدرسون كيفية تحقيقه في دروس الفقه ويقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه في دروس السيرة والحديث ... فهذا كله من وظائف المسجد الاجتماعية في المجتمع الاسلامي .

كذلك يربي المسجد مجتمعا متآلفا بريئا من الاحقاد والضغائن التي تقف حاجزا يمنع من تحقيق الأخوة الصحيحة البريئة من كل غش فيصبح افراده المؤمنين الذين وشحهم الله للجنة ، وقد انتزع الغل من قلوبهم حتى اصبحوا اخوانا.

التصوف عند سعد الله :

بالنسبة لتعريف التصوف عند العلامة أبو القاسم سعد الله يذكر تعريف ابن خلدون إذ قال عن أصل التصوف طريقة القوم (التصوف) "وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ،والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة "[1].

وفي عرض حديثه عن كثير من التعاريف يذكر تعريف الشيخ محمد الموسوم (الميسوم)قد عرف التصوف بأنه القيام بالواجبات الشرعية من صلاة وصوم وحج ومعرفة الله وشكره وحمده

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج4. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017.ص9.

والتضرع إليه في كل وقت ،وهو ترديد الشهادة (لا إله إلا الله)كلما أمكن ذلك وعليه أيضا الابتعاد عن مغريات الدنيا ،ويضع الأخرة أمامه ويتخلى عن الحسد والفخر بالنفس ، وأن لا يكلف نفسه مالا طاقة له به ويعمل الصوفي جهده للبحث عن مكان (خلوة)يمارس عبادته ونشاطه الروحي .

"ويمكن الحكم على رأى الشيخ الموسوم بأنه رأي معتدل بالنظر إلى ممارسات البعض من أدعياء التصوف . فمنهم من كان يبالغ في الممارسات الظاهرة كالرقص والتواجد والتضارب .ومنهم من كان يبالغ في الانقطاع والانعزال والتضحية ليس بنفسه فقط ولكن بأخذ غيره من الأتباع بذلك "1.

تعليم اللغة العربية :

ترجع أسباب تدهور اللغة العربية إلى عدة أسباب منها ما هو داخلي والأخر خارجي كالاستعمار وهو يتبع تطور الأمة الحضاري .

أسباب تخلف العربية عن اللغات الأجنبية :

" لذلك أسباب عديدة في نظري ، بعضها يرجع إلى التاريخ البعيد وبعضها إلى الحاضر ، ومنها ما يرجع إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية ،ويتفق الجميع على ان اللغة كائن حي يتطور بتطور الأمة التي تستعملها وتركد بركودها ، وقد عرفت الأمة العربية الإسلامية فترة طويلة من الركود ، والتخلف فكان مصير العربية الفصحى كذلك ، كلما عرفت الأمة أنواعا من التسلط الأجنبي وهو الأمر الذي عانت منه اللغة أيضا "2.

[1]- بو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج4. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017ص10.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 68.

اللغة دافع للوحدة :

فأبو القاسم سعد الله يؤكد أن تقسيم اللغة وتعددها يهددها بالانقسام ، فهي مكسب إذا بقت توحد الأمة والوطن .بل يراها مكسب للوحدة الوطنية و الأمة .

"والآن وقد حققت الثورة مكسب الوحدة الوطنية لإقامة الوطن والأمة ، ومكسب اللغة العربية بالتشريعات وبالمدرسة الأساسية فلم يرق ذلك دعاة التشكيك فراحوا يسلطون وسائلهم لتمزيق شمل الجزائريين عن طريق إحياء النعارات والنزعات وتعدد الثقافات واللغات على ان يأتي بعد ذلك تعدد الجهات والدويلات ، ذلك أنه ضعف اللسان الواحد ضعف الفكر الواحد أيضا ، وإذا ضعف هذا حل الانقسام والتمزق "1.

إن ازدهار العربية راجع إلى انتشار الإسلام في بقاع العالم وهذا رأي معظم المؤرخون وبالتالي كان شغلهم هو تعريف بالإسلام ودعوة إليه ونشره في بقاع العالم وللمحافظة عليه يجب الاهتمام باللغة وأن أي تقصير في حقه ستكون له إنعكاسات على الدين نفسه فلا يفهم القرآن إلا باللغة العربية .

"وإذا عدنا نحن إلى الظروف التي كانت فيها العربية لغة عالمية وجدنا أنها انتشرت بانتشار الإسلام على تعبير ابن خلدون ، وكان العرب المسلمون يشتعلون حماسة من أجل دينهم ومجده . 2"

- **التربية العلمية**

في العهد العثماني لم يجد سعد الله إنتاجات كبيرة في هذا المجال علم المنطق مثال والسبب ربما يعود لصعوبته وبتطلب رجوع إلى العلماء والمشايخ في هذا الفن او ربما لصعوبته ، وكذلك ربما لطغيان علم التصوف على باقي العلوم والاكتفاء بعلوم الباطن واعتبار علم المنطق علم ظاهر يؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 104.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 69.

"وإذا حكمنا على إنتاج الجزائريين في علم المنطق مما وجدنا لهم منه إنتاج قليل بل نادر ، فباستثناء عمل علماء القرن التاسع (15م)، أمثال ابن القنفد والسنوسي و المغيلي فإن ما بقي منسوبا إلى علماء العهد العثماني يكاد يعد على أصابع اليد الواحدة وفي نظرنا ان هذا النقص في علم هام كعلم المنطق ، يعود على سببين رئيسيين الأول صعوبة هذا العلم ، لإنه يتطلب الاطلاع الواسع على كتابات الأولين والأجانب والإضافة عليها ونقدها والثاني طغيان علم التصوف على الجزائريين "[1]

التربية العلمية – تعلم اللغات (العلمية)

لقد لاحظ العلامة سعد الله أن الطلبة الذين يتخرجون من المدارس الفرنسية أكثر تحررا ونشاط وعملا فأدى ذلك إلى تحريك فكرة تعلم اللغات والاستفادة منها فهي تدل في رغبة في التعلم اللغات عموما وهو نجح في ذلك تعلم فيما بعد اللغات الألمانية والانجليزية والفارسية والفرنسية وهذا فيما بعد .

" منذ كنت أدرس في جامع الزيتونة شعرت بأن هناك فرقا ثقافيا بيني وبين الطلبة الذين تخرجوا من مدارس فرنسية، جزائريين وتونسيين ، كنت أراهم أكثر تحررا وأنشط ذهنا وأكثر تسامحا. وقد كتبت في مذكراتي المخطوطة كيف حاولت استدراك ذلك، ولكنني لم أوفق، فقد حاولت تعلم الفرنسية على يد أصدقاء، ثم على يد الآباء البيض، ولكن الجهود فشلت."[2]

اللغة هي وسيلة اتصال بالأخر واليوم زادت أهميتها لنقل العلوم أولا وثانيا لتعامل كل مع الدول العالم وما أحوجنا اليوم لتعلم اللغة ليس للحديث والحوار ولكن للعمل والتخصص في كافة المجالات.

" إنني لا أقصد هذا النوع من معرفة اللغات. إنني أعني تعلم لغة للاستفادة منها في التخصص العلمي أو الأدبي أو الاقتصادي. لقد تعلمت اللغات المذكورة كمتطلبات جامعية لا خيار معها،

[1] - أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج2. ،(م،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 149.
[2]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 176.

ثم إن اللغة التي تمارسها أكثر بعد أن تحقق بها المتطلبات، هي التي ترسخ وتؤثر وتصبح لغة بحث وإنتاج، وقد تكون شريكة للغة الأمّ (اللغة القومية)."[1]

الاهتمام بالعلوم الدقيقة في عهد(16-18) في الجزائر

كان الاهتمام بالعلوم موجود في تلك الفترة ولكن بصورة شخصية فردية فلا الدولة تتدخل ولا مدرسة واتجاه علمي يغذي ذلك الاهتمام إذا العلوم الطبيعية والدقيقة لم تكن في المستوى الذي نعرفه اليوم ومن ضمن أولئك الذين اهتموا بالطب مثلا الطبيب الرحالة ابن حمادوش .

"قدمت بحث في الملتقى الدولي الأول لتاريخ الرياضيات العربية الذي إنعقد منذ سنة في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة بعنوان (بعض الممارسات العلمية في الجزائر في عصر التخلف العلمي القرن 15-18)وأصدرت كتابا بعنوان {الطبيب الرحالة عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري }سنة 1982، كما نشرت رحلة ابن حمادوش نفسه سنة 1983 وهناك غيره من علماء الفلك والطب والرياضيات ولكن عيبنا اننا نجهل تراثنا او عندنا احكام مسبقة عنه"2.

- **التربية الوجدانية :**

تربية على أساس تاريخ:

إن دراسة التاريخ تطلب اهتماما كبيرا بالمدرس وتوعية على عدة مستويات، هناك من يريد تشويه التاريخ وفصل الشباب عن ماضيه فلابد من أن نحس بهويتنا ونفتخر بها وأن نعمل على أن نكون أقوياء فضعيف له قابلية للاستعمار كما يقول مالك بن نبي (قابلية الاستعمار) فعملية تأهيل وتكوين الأساتذة ككل وخاصة أساتذة تاريخ مهمة حتى يعي الشباب والتلاميذ حقيقة ثورة وتاريخ الحركة الوطنية، حتى يكون قدوة حسنة وحول سؤال حول نفور التلاميذ من

[1]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 176.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق 57.

مادة التاريخ أو ثورتهم عليها ويرجع ذلك بسبب الاستعمار الفرنسي الذي غرس تلك المبادئ في أذهان الجزائريين حتى المؤرخين منهم يقول:

" نحن لا يهمنا أن يكتب عنا الآخرون ، فالتاريخ ليس حكرا على أحد ، ونتمنى أن يصل علمنا إلى أن نكتب نحن أيضا عن الشعوب الآخرى ، ولكن يهمنا ألا يتخذ البعض الفراغ الذي تعانيه المكتبة الجزائرية في ميدان التاريخ ذريعة للإساءة إلى ماضينا ووحدتنا وحضارتنا ."[1]

الأهمية التاريخية في حب الوطن

الكيان الجزائري :

"وتجلت أولى ثمار {المنظور التاريخي }حين أوضح الدكتور سعد الله في مؤلفه أن المحافظة على {الكيان الجزائري}كان هو المحور الذي دارت عليه أحداث الحركة الوطنية الجزائرية ودورها المجيد من 1900 إلى 1930 وقد تطلب منه هذا البحث المبتكر نقد دراسة تمهيدية عن {أصول الحركة الوطنية }جاءت مدخلا طيبا كشف عن أصالة {الكيان الجزائري} وأثره في تحديد مظاهر الكفاح الوطني ضد الاستعماري الفرنسي "2.

علاقة اللغة بالتاريخ

من تلك العوامل التي ساعدت سعد الله تركيز على التاريخ عندما كان في أرض الغربة ، لقد اضطر إلى الاتصال بالعائلات الأمريكية والمنظمات الجامعية وعدد لا يحصى من الطلبة وكل هؤلاء سألونه عن الثورة وأهدافها وعن العرب وفلسطين وعلاقة المغرب بالمشرق وغيرها ، إلا أنه يرى لا فرق ولا تناقض بين اللغة العربية والتاريخ .

" فان كثيرا من المؤرخين العالميين قد بدأوا حياتهم كأدباء قبل ان يكرسوا مواهبهم للتاريخ . والواقع أن التاريخ يوسع أفق الاديب ويعطيه المعلومات التي يصوغ منها أفكاره ، والحكمة التي

[1] مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ، ص 137
[2] - مفهوم التاريخ عند سعد الله وزناشي ص290.

يستنتج منها آراءه ، والشخصيات والحوادث التي يستوحي منها تجاربه ، كما أن الأدب ضروري للمؤرخ – فمه يستمد تعبيراته واساليبه ، ومنه يتلقى حرارة العمل وانطلاقة الخيال"[1].

سبب عزوف الشباب عن التاريخ :

إن للتاريخ أهمية كبرى في حياة تكوين الشعوب والحضارات والمجتمعات ولكن عندما نلاحظ أن الشباب عند خروجه من المدرسة إلى الشارع يهتف (التاريخ في المزبلة)ما معنى هذا !؟ إذا هناك خلل يوضح أبو القاسم سعد الله ذلك :

1/ القدوة الحسنة

2/ الواقع المعاش

3/المعلمين المؤهلين فعلا لتدريس المادة

وفي حقيقة الامر هذا أسلوب ونظرة الشيخ إلى أهمية المعلم تربويا واجتماعيا وأخلاقيا ومعرفيا

" لا أعتقد ان (الثورة) كانت على تاريخ الجزائر عموما وتاريخ الحركة الوطنية والثورة بالذات ، لذلك أسباب بعضها راجع إلى فقدان القدوة الحسنة في السلطة ، فالشباب كان يرى التاريخ في واد واقع الحال في واد آخر ، كما أن عدم وجود المعلمين المؤهلين لتدريس التاريخ يساهم في ذلك فجيل الثورة (جيل المعلين)لم يتعلم تاريخ الجزائر كما ذكرنا ، التاريخ بالنسبة إليه اجتهاد شخصي او هو متفاوت وهناك ، ولا أستبعد أيضا ان تكون هناك جهة ماتريد تشويه الحركة الوطنية وفصل الشباب عن ماضي الثورة واعتزاز بها "2.

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .الجزائر .عالم المعرفة.2015.ط خ.ص64.
[2]- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص139.

مساهمة في القصة

في الحقيقة القصة عند سعد الله هي رسالة قومية اجتماعية هادفة أي تربوية وليست من باب حب الأدب او الاشتغال فيه ومع ذلك نجد ان هناك صعوبات في طبعها وتوفيرها للقارئ الكريم قبل حتى الطالب أو التلميذ.

"واذكر أني نشرت أول قصة بعنوانّ {سعفة خضراء} في جريدة البصائر على ثلاث حلقات ابتداء من 21مايو 1954 وقد اعتبرها بعض الكتاب مرحلة جديدة في كتاب القصة ، كما كتبت قصص لم أنشرها أو بعيارة لم تقبل الجرائد في ذلك الوقت نشرها وفي المشرق العربي كتبت قصتين :{ممنوع الدخول}حوالي سنة 1956 والتي نشرت في المجاهد الثقافي بعد الاستقلال وقصة أخرى لم تنشر بعنوان {مرارة التبغ}في حوالي نفس التاريخ ، وكلها قصص اجتماعية قومية . "1 ، في إطار فني إبداعي وهذا يسجل فالمؤرخ أيضا يستفيد من تلك الأعمال الفنية .

" كما ان الآدب ضروري للمؤرخ، فمنه يستمد تعبيراته وأساليبه ،ومنه يتلقى حرارة العمل وانطلاقة الخيال لا نبالغ إذا قلنا إن التاريخ في حد ذاته هو نوع من الآدب يدرسه الناس للمتعة والحكمة والاطلاع "2.

يذكر أبو القاسم سعد الله أهمية التخيل وهذا ليس غريبا بل صحيحا فقصص الأنبياء والمرسلين هي راسخة في التاريخ وهي أيضا قصص يمكن أن تكون أدبية بمعنى الأسلوب ويقول الله تعالى " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب" في أخر السورة سورة يوسف وفي البداية يقول الله تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص "، ففهم التاريخ يعني عبرة وحكمة إضافة إلى الاطلاع إلى سيرة الأقوام والحضارات والإنسان عموما فهنا تأتي قيمة التربية بالقصة ، تربية بالقصة – الإبداع – التاريخ والآدب .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011 ص 18..98.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015..ص64.

- **الأناشيد**

لاشك ان الاناشيد تلعب دور كبير في جميع الهمم وتحفيز الطلبة وتحقيق الصعاب وحتى تقريب بين المختلفين لحزب الشعب وجمعية علماء المسلمين فطلبة الجمعية يرددون اناشيد حزب الشعب والعكس الصحيح فالهدف واحد هو تحرير البلاد و العباد ، فيذكر ابو القاسم سعد الله انه يردد تلك الاناشيد بدون عقدة ، فالخصومة هنا خصومة اخوية ، إضافة الى انه كان يمارس عمل الاشهاري و الاعلان و الدعاية للجمعية عبر الاعلانات وتلصيقها وحتى المسابقات من اجل توعية و المنافسة الشريفة مسابقا في القصة و المقالة

" بل حتى تلك الاناشيد التي يتردد فيها اسم مصالي الحاج كنت اردها معهم وكان العلم الجزائري يربطنا جميعا وكان لجمعية البعثة اناشيد ابن باديس ومنها " شعب الجزائر مسلم " وهو النشيد الذي كان طلبة الحزب ينشدونه ايضا بدون عقدة و كذلك نشيد " اعصفي يا رياح " ولكننا كنا نتنافس على العمل و النجاح وجلب الانتباه فكنت انا واخواتي ندعوا بعض الشيوخ لإلقاء محاضرات توجيهية في نادينا وكنت الصق الاعلانات بنفسي على عرصات جامع الزيتونة الخارجية و الجدران المجاورة وكانت كلها مكتوبة بيدي ، وقد اعلنا مرة عن مسابقة اسميناها (املك في مستقبل بلادك) شارك فيها مجموعة من الطلبة من مختلف التيارات السياسية و الاصلاحية " [1]

ثم انه يميل الى استعمال التاريخ وقصص الابطال و الاحداث كنماذج لتدريس و تعليم الناشئة و الكل يعلم اهمية القصص في بث روح الايمان و الاخلاق الحميدة في وسط الناشئة

" وحبذا لو الفت الكتب المدرسية الجديدة التي تحبب التاريخ للناشئة و تحبب لهم الوطن و الانتماء الحضاري للإسلام و العروبة من خلال المواقف و البطولات وحب الدين و اللغة " [2]

[1] -أبو القاسم سعد الله .حياتي .مرجع سابق ص 169.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حوارات .مرجع سابق. ص142

- **الفنون :**

الفنون في العهد الاستعماري :

اهتم المسلمون بالكتابة في أول عهدهم من أجل حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية فيما بعد ، وبمرور الوقت أصبح حرفة من أجل الحصول على الأجر فأصبحوا يسرعون في كتابة المصحف الشريف بدل مراعاة قواعد الكتابة ومراعاة الجانب الجمالي والذوق أي الفني يقول ابن خلدون :

"وأشار إلى رأي ابن خلدون في مقدمته من كون الخط صناعة ، وأن خطوط أهل افريقية صارت رديئة صعبة القراءة بينما كان الخط الأندلسي قد امتاز بالجمال والذوق اللطيف .ولكن طلبة زواوة ، كما قال الزواوي قد انصرفوا جملة عن الخط الأندلسي ،واهتموا بالرسم بدلاً منه. ويرجع جمال وشهرة خط الأندلسي إلى كونه قائماً على الصنعة والتفتن والتنافس في الإتقان والجودة "1.

إلا أنه في عهد الاستعمار ، قلت الكتابة الجميلة وأساتذة الخط وحتى أن حفظهم للقرآن الكريم قليل بل ربما كان البعض لا يفقه قواعد الخط أصلا ، وأيضا انعدمت أيضا المؤلفات الخاصة بالخط .

"وفن الخط كان ضحية أخرى للاستعمار في الجزائر .فقد تدهور بتدهور الثقافة العربية نفسها . فأصبحت الكتابة بالحروف العربية قليلة وانتشرت الأمية ، ولذلك فإن الفنانين إذا أرادوا الكتابة الفنية بالحرف العربي –التخطيط–فإنهم يلجئون إلى النقل والتقليد لإنهم لم يتعلموا غالياً فن الخط ولم يتثقفوا بالعربية "2.

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج8. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017. .ص427.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج8. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017..ص425.

رأي الفقهاء في الفنون :

كما قلنا أن الفقهاء والمفتون لهم أثر كبير في دراسة وإلغاء بعض المواد فالفنون كان لدين رأي منها ،فاستطاع الفنان المسلم وضع بدائل مثل الزخرفة في الرسم أما الغناء والمسرح وغيرها يظهر أن الفنانين لجأوا إلى الحفلات والمقاهي وبقى عملهم غير كامل حتى يكتب له نجاح .

" ويضاف إلى ذلك أن هناك فنونا كان للدين موقف منها ، مثل الرسم والنحت ،رغم وجود بدائل لها في صور النباتات والزخرفة الطبيعة ، اما المسرح والرواية فقد كان هناك ما يشبهها ، ممثلا في خيال الظل والكرا كوز ، وحلبات اللعب والمصارعة بالنسبة للمسرح ، وفي الحكايات الشعبية والمجالس وقصص المدّاحين في المقاهي والحفلات ، أما المكتوب من ذلك فيتمثل في المقامات التي لم تتبلور لتصبح عملا روائيا او مسرحيا متكاملا كما تطور في أوروبا "[1]

4/ مشاكل المنظومة التربوية وحلولها :

إن الحملة التي صاحبت ظهور المدرسة الأساسية ،هي حملة مقصودة لنيل من لغة الأم العربية ومن سياسة التعريب أكثر من كون ان النقد هذا موجه بطريقة علمية اكاديمية وتظهر حتى انه هناك من هو مأجور من الخارج أو بإيعاز منه .

"من الناحية التاريخية نعرف أنه منذ ميلاد المدرسة الأساسية ثارت حملة ضدها اشتركت فيها تقريبا نفس العناصر التي تضرب اليوم على نفس الطابور فكم من كاريكاتير ظهر على بعض الجرائد لتشويه فعالية المدرسة الجديدة ، وكم من مقالة كتبت حول ما سمي بلغة الأم والاستهزاء باللغةّ (الفصحى) ، وكم من هجوم على اللغة العربية المتهمة بالعجز وعدم مسايرة العصر والتكنولوجيا " [2].

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص56

[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.ص24.

والمراد بطبع هو عودة اللغة والثقافة الفرنسية إلى الوجود بعد الجهود العظيمة التي قدمها العلماء والقادة والشعب وجمعية علماء المسلمين .

"وكم من دعوات إلى الأخذ باللغة الجنبية (الفرنسية طبعا) باعتبارها لغة العلم والحداثة، بل إن المتنطعين ذهبوا إلى اعتبارها {غنيمة حرب} كل ذلك عرفناه في وقته ، وعرفنا أراء ساذجة أخرى أو مسطحة تقول بأن المسألة مسألة خبز، أي أن المتعلم بالعربية سيستولى على خبز لمتعلم بالفرنسية، وقد ضاعت في ذلك الجدل العقيم قيم المجتمع الجزائري ، ونسي البعض حتى أن لهم أصلا وفصلا وحسب ونسب ، وأن لهم وطنا وهوية بل نسو {في غمرة الأنانية الضيقة }أن لهم أعداء لا يريدون لبلادهم خيرا ولا استقرارا ولا ازدهارا "1.

لقد روجعت المنظومة التربوية عدة مرات منذ الاستقلال وفي كل مرة كان يرافق المراجعة ضجيج وشد وجذب ،وفي الغالب تأتي نتيجة توافقية بين الأطراف ، وهناك أطراف مازالت تتخوف من التعريب نقصد في تلك المدة الزمنية بعد الاستقلال وكان الهجوم عن اللغة العربية وهي سبب تدني المستوى .

" ان بعض المغرضين يحصرون ضعف المستوى عندنا في لغة التعليم في المدرسة الأساسية، وهي العربية. والواقع أن الضعف إذا أقررنا بوجوده ، ناتج عن عدة أمور أخرى لا علاقة لها باللغة، أو هي كانت ستؤدي إلى الضعف نفسه حتي ولو كانت لغة التعليم من أرقي لغات العالم."2

أما ضعف المستوى الحقيقي فيرجع إلى عدة عوامل تخص طالب والإدارة والمعلم وتكوين في حد ذاته والبرامج أيضا وكذلك الجوائز والترقيات حسب العلامة أبو القاسم سعد الله .

"ويعرف المشرفون النزهاء على تسيير التعليم عندنا أن أسباب ضعف المستوى عديدة، منها ما يرجع إلى المعلم الذي يشكو من ضعف التكوين وضعف الأجور وضعف الضمير أحيانا (

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.ص25.

[2]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص184.

مثل التغيب والتهاون)، وما يرجع إلى نقص الوسائل التربوية والمساعدة والأجهزة التعليمية ، بالإضافة إلى كثافة التلاميذ في الأقسام وكثافة حجم الساعات وعدم التنويع في المواد العلمية والترفيهية."[1]

ثم حذر من منظومة مدفوعة من أصحاب الدوافع الإنتقامية والإيديولوجية وذاتية المتخفية تحت غطاء الحياة الكريمة والتخلف ومجاراة العولمة ودعوا إلى استبدال المنظومة كاملا حتى تراعي الانفتاح والعولمة .بل يجب العمل على منظومة قوية تساير العصر والنهوض وتطمح إلى حياة كريمة ، أما الإصلاح الذي ينبغي عليه تعزيز الإيجابيات ومحاربة السلبيات ذلك هو المطلوب وهذا ما يقوم به المختصون .

"ولا شك ان التفاصيل ستكون مليئة بشواهد على الإيجابيات والسلبيات معا ذلك ان عناصر حيوية في القضية مثل المباني والمعلمين ولغة التدريس والوسائل والمحيط والإمكانات والأهداف ستملأ صفحات عديدة من أي تقرير يكتب في الموضوع ، على ان التعاطف مع المدرسة يجب أن لا يحجب الحقيقة والمصلحة العامة لإن الخطأ في تناول مؤسسة حيوية كالمدرسة له عواقب خطيرة على المجتمع كله ولمدة عقود ."[2]، وفي الجانب الفني وفن الخطابة مثل يتساءل العلامة سعد الله ما هو سبب ضعف تعبير الخطابي لدى التلاميذ خاصة في المستوى مراحل الأولى في المدرسة الأساسية .

"وكم استغرب شخصيا أن يمر التلاميذ بكل مراحل المدرسة الأساسية دون أن يتدربوا على فن الخطابة والتمثيل والموسيقى، وكم استغربت أن يكتفي بعض الأساتذة بتلقين التلاميذ دروسهم عن طريق الاملاء المباشر وهو جالس على كرسيه دون استعمال الرسومات والخرائط والسبورة، كما استغربت من مجموع التغيبات التي يعرفها البرنامج سنويا، فإذا المردود ضحل كل الضحالة."[3]

[1]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص184.
[2]-أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق.ص26.
[3]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص185.

- المطالعة :

تسعي المنظومة التربوية في كل الدول العمل على ترسيخ المطالعة عند طلابها إلا انها في الجزائر لا تزال تعاني .

في حوار له يوم 1988/12/23 مع حديث لجريدة (اضواء) يظهر انه يتكلم عن القراءة سطحية كالإخبار اليومية و الجرائد و القراءة كمعرفته ليس امي اما كونه قارئ جيد اي مطالع فهذا مستبعد لان الشعب الجزائري معروف انه قليل الاستهلاك للكتب و الثقافة كقراءة فعلية فحتى بعيدون على معدل القراءة العالمية اما الكتابة فلا حرج فالأمر أصعب فعلمانا يهتمون بالخطابة أكثر من الكتابة ولكن العلامة سعد الله اتجه اتجاه اخر وهو تأليف و الكتابة عكس تيار وأيضا ينتبه على ان الشعب الجزائري يمتاز بالذكاء و الفطنة " ارجو تصحيح ذلك فانا لم اقل انه لا يقرا وإنما قلت انه لا يكتب اما القراءة فنحن و الحمد لله شعب قارئ شعب مستهلك للأفكار ولا ينقصنا الذكاء و الفطنة ولكن ينقصنا التعبير بالقلم وقد قلت في مناسبة اخرى بأننا نخاف من الكلمة المكتوبة بل نخاف من التاريخ لأنه شواهد حية مكتوبة فهل حان وقت لتغيير العادة " [1]

ان قيادة الانسان للمجتمع الذي يعيش فيه لا تكون بالطبقة المتعلمة ولا تستطيع مجتمع او دولة ان تقود العالم الا اذا تمكنت من الثقافة بمجالاتها الاجتماعية و الاسرية إضافة الى تفوقها العلمي الذي لا يكون الا بالقراءة و الكتابة والفهم والتحليل.

بجانب ذلك نجد هناك مساوئ ونقائص على مستوى التربية و التعليم فلم نستطيع ان نغرس روح المطالعة و القراءة في طلباتنا وتلاميذنا لم تستطيع ان تغرس فيهم روح التذوق الفني و حتى الجمالي ، فلا هو يدرك معنى وأهداف الحقيقة وراء مشاهدته للأفلام او المسارح او المسلسلات ولم نوفق في ان نغرس جوهر العلم في الطلبة وهو البحث وتنقيب ورسائل الخفية وراء ما يعرض عندنا ثقافي في مثل المسرح او السينما.

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 46.

" ضعف الانجاز الثقافي في الكتاب و المسرح و السينما ذلك ان الملاحظ هو ان شعبنا انتشر فيه التعليم وتجذرت فيه المدرسة الاساسية بقيمها و تعاليمها لم يستطيع ان يكون شعبا قارئا اي مطالعة للكتب و المجلات ومستمتعا بالمسرحيات الراقية والأفلام الجيدة المستمدة من رويات وقصص ذات عمق وطني و انساني ولذلك فان تعليمنا قد يكون مهدد اذا لم تسنده حركة قوية في انتاج الكتاب خصوصا بالعربية "[1]

اذا كما قلنا سابقا ان العلامة سعد الله يجد في المواقف و الابطال متعة تربوية تاريخية و ثقافة كبيرة فلهذا نجده ينصح بها حتى في الروايات و القصص كما يقول ذات العمق الوطني بل نجده يعطيها اولية في مشروعه التربوي الثقافي فينصح كما سبق بالمطالعة بهذه الطريقة وسيستمتع بالمسرحيات ذات التوجيه الهادف بالالتزام بالتراث الوطني فهو مثلا يجد في الامير عبدالقادر نموذجا للحاكم المثقف الواعي بالخطر المتأثر بالأوضاع و الاحداث العالمية بجانب انه محافظ على هويته مقاومتها بكل الوسائل المشروعة.

طرق تدعيم ثقافة الحوار :

يمكن للمدرسة المساهمة في نشر ثقافة الحوار ومهارته و تعليمها حتى تصبح ثقافة سائدة في المجتمع ومن اجل ذلك لا بد من مراجعة الظروف وتحسينها ، ولا بد من وضع الحوار كهدف اساسي للمدرسة وعن طريقة مراحل معينة منها تقليل من عدد التلاميذ في القسم وتحسين تكوين الاساتذة و كفاءته وتدريب على فن الحوار

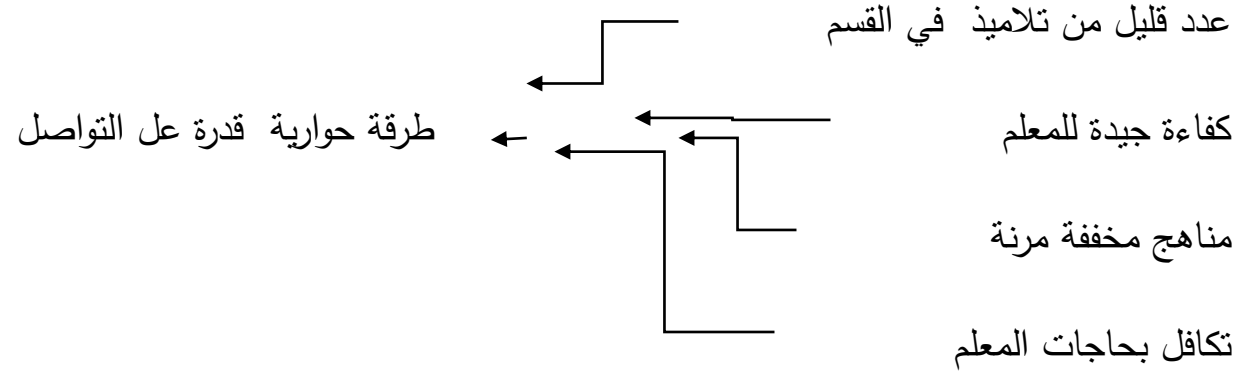

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 64

عوائق ثقافة الحوار في المدرسة

ان الظروف الدراسية من مناهج و برامج وممارسات تربوية كما ان كفاءة المدرس ووضعيته الاجتماعية ومكانته في تنسيق الاجتماعي و نظامي كلها عوامل تؤثر على المردود التربوي عموما و على ثقافة الحوار اساسا اذا ان العامل الاساسي في تدهور المدرسة الجزائرية او من اهمها عامل الاكتظاظ فيفرض طريقة الالقاء و بالتالي يحرم التلاميذ من ابداء آرائهم و التعبير عن اشغالهم ومن هنا لا تجد الوقت الكاف لاستماع ارائهم

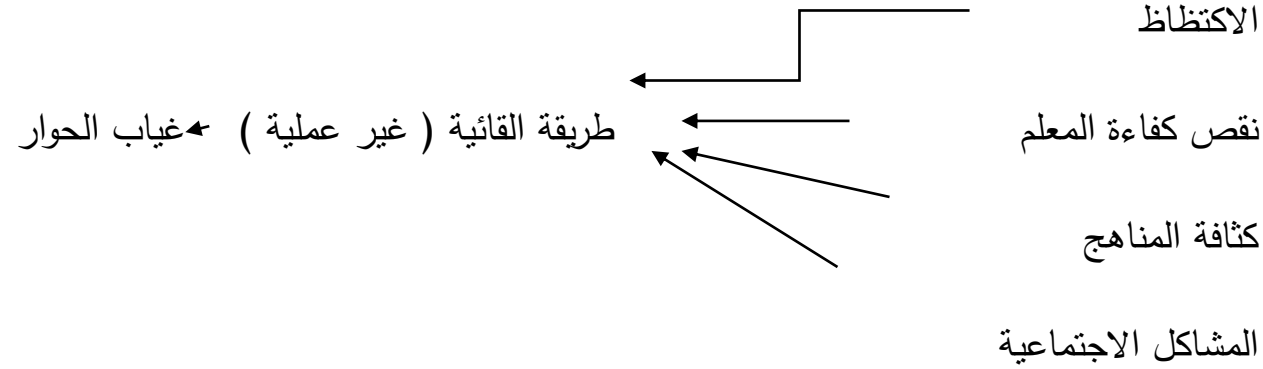

يتميز المجتمع الجزائري بكونه نظام تسلطي من طرف البعض سواء في الاسرة او البيت او المدرسة او الشارع وبالتالي فالقيم مثل الديموقراطية و الحوار هي جديدة في المجتمعات العربية فملاحظة نقص الحوار و الاتصال حالة واضحة مثل كثرة الاجتماعات العقيمة

2/ تدعيم ثقافة الحوار وقيم الديموقراطية

لم تبقى مهمة المدرسة او المنظومة التربوية منحصرة في تعليم القراءة و الكتابة و المعارف المهنية و الاجتماعية بل تعدتها لشمل مجموعة من المهارات و الخصائص النفسية و الاجتماعية ، ومن هنا اصبحت عملية الحوار و مهارات التواصل من الاهداف الجديدة للتربية حيث تعمل تلك المؤسسات التربوية الثقافية من الحضانة الى الجامعة على تدعيمها بين افراد المجتمع ، كما ان تفتح على الديموقراطية وتعدوا الآراء و الاحزاب و الجمعيات كلها عوامل تتطلب شروط و ظروف و عوامل داخل المجتمع نفسه حتى تنجح وفي اطار الهياكل التنظيمية

و الخبرات الموجودة داخل المدرسة و هذه المؤسسات ان تساهم فيها وذلك من خلال الاهداف و المناهج

التنمية الثقافية ومواجهة التحديات التربوية

1/ تفتح التربية على القيم الاجتماعية و الانسانية

اليوم التربية ليست في معزل عن التحولات و التغيرات فاصبح لزاما عليها مسايرة هذا الواقع وتفتح عليه من خلال تهيئة الافراد المجتمع للاندماج مع المجتمعات الاخرى وفي ظل تيار العولمة وجب تحصين الافراد بثقافة وقيم تتمركز على ثلاث جبهات وتتمثل في الحفاظ على الهوية ومسايرة التطور وذلك عبر التعاون و التضامن و التكافل الاجتماعي .

مع تدعيم القيم الانسانية مثل العدل و السلام واحترام الكبير و العناية بالصغير ، وميل الى السلم و الرأفة بالفقير و المحتاج وذي سبيل مع تجنب العنف و الاكراه و لوكان رمزي إضافة الى الانحراف و المعاصي سواء الباطنية او ظاهرة .إن إصلاح المنظومة التربوية يجب أن نضع أولى أهدافها ترسيخ الهوية.

"نعم سيحدث هذا في الوقت الذي تدارس فيه الجزائريون أسابيع بل شهورا المنظومة التربوية ، وانتهوا على العموم إلى ضرورة توحيد البرامج ولغة التدريس محافظة على الوحدة الوطنية التي أساسها وحدة الفكر .لقد تخلينا في السنوات الماضية عن التعليم الديني (الأصلي) رغم قوته و إيجابياته ، وتخلينا عن المدارس الخاصة رغم المساهمة المادية في المجهود التعليمي، لماذا؟ لقد كان ذلك تحت شعار هام جدا وهو وحدة المنظومة التربوية بهدف وحدة الفكر والإنسان "[1].

لقد عمد الفرنسيون على بذل مجهود من أجل طمس الهوية مثل كلوزيل وبوجو إلى جونار ان يكونوا نخبة متفرنسة بين الأهالي وتدعوا إلى التسامح الديني والإندماج والتفاهم الحضاري

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر .مرجع نفسه .ص121.

والحوار العلماني والعقلاني إلا ان نجاحهم لم يتم ودائما يصطدمون بإرادة الشعب الجزائري وعزيمته على دفاع عن الإسلام والوطن والعروبة .

"ولكنهم لم ينجحوا إلا جزئيا في مشاريعهم ، لإن الوعي الوطني وحرارة الإسلام والعروبة كانت تتغلب في كل مرة على محاولاتهم ومخططاتهم ، ونحن نرى ان وجود أبناء الجزائريين في مدرسة ديكارت الحالية ماهو إلا استمرار لمخططات كلوزيل وبوجو الخ فكيف نضع اليوم الحبل حول عنقنا ونؤسس مدرسة بأيدينا وأموالنا لتواصل نفس مخططات الغزو الفكري التي شرع فيها أعداؤنا ضدنا منذ قرن ونصف؟ "[1].

هدف المدرسة هو تجذير الهوية الوطنية ان الهدف الاسمي لتعليم و التربية في الاصل هو تكريس الهوية واعتزاز الفرد بوطنيته و العمل من اجل الحفاظ عليه ان الهجرة سواء داخلية او الخارجية اذا لم تكن مدروسة فان لها نتائج عكسية تؤثر على كل القطاعات ومنها المؤسسات التربوية

" ان الربط بين المؤسسة التعليمة و مستقبل البلاد الاقتصادي و الاجتماعي امر محتوم اذا من المفروض في هذه المؤسسة ان تجذر الهوية الوطنية في اذهان الشباب و ان المساهمة في وقف امواج هجرتهم او الهروب من بلادهم الى اوطان اخرى يجهلون اجناسها و لغتها و عاداتها " [2]

ان تأثير الوضع الاقتصادي خاصة بعد العشرية السوداء كان واضحا على المجتمع الجزائري فمن هنا كان لزاما رجوع الاقتصاد حتى تكون سياسة التربية و التعليم بعيدة عن ضغوط السياسة و لا يكون الاقتصاد نفسه موجه للمنظومة التربوية او السياسية عموما في الجزائر

"ان الرعب الذي كان يصوره التلفزيون اما الاطفال و العائلات قد نفر الكثير من واقع بلادهم وجعلهم يبحثون عن المهاجر او الاوطان البديلة ، بل ان فيهم من ارتد عن الاسلام سخطا عن

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع نفسه.ص124.
[2] --أبو القاسم سعد الله .خارج السرب .الجزائر .المرجع سابق . ص24.

واقع مرير او طلبا للرزق وان الطوابير المتراصة امام القنصليات الاجنبية لهو منظر مريع لمن له ذرة من الغيرة الوطنية فكيف يفتح ملف التربية و التعليم (على خطورته) دون ايجاد حل مسبق للملف السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي " [1]

ديمقراطية التعليم :

المقصود بالديمقراطية ليس فتح المجال أمام فئات معينة أو سلطوية لأبنائها وحرمان أبناء الفلاحين والعمال والفقراء الذين ليس لهم وسائط في الإدارة ، فالأساس هو البقاء للأصلح والكف ، وديمقراطية التعليم كما يراه سعد الله هي :

"وديموقراطية التعليم في أبسط معانيها تعني إعطاء الفرصة لجميع أبناء الوطن في التمتع بنور العلم والخروج من ظلمة الجهل والدخول إلى سوق التنافس والسباق والغربلة لمعرفة المتفوقين والمتوسطين والفاشلين."2

أما فيما يخص دول المجاورة والذين يحاولون المقارنة بيننا وبينهم فتعليم هناك عام وخاص والبرنامج الوطني موحد ولكن الفرق في لغة التدريس وفي المستوى ، لكن الفرق واضح لإن الجزائر ذات خصوصية حيث أن التعليم خلفته سلطة الاستعمارية ضعيفا.

"ودون أن نتدخل في تجربة البلدين الجارين نرى أن انطلاقة التعليم عندنا وعندهم ليست واحدة، وهل أنا في حاجة إلى التذكير بأن نظام التعليم في كلا البلدين كان " نخبويا " إذا صح التعبير أثناء عهد الاحتلال وقد ظل على ذلك إلى اليوم، رغم التعبير، أثناء توسيع قاعدته. أما نحن فقد انطلقنا من الصفر تقريبا عند الاستقلال لأن الفئة المتعلمة أثناء الاحتلال لا تكاد تذكر"3.

[1] --أبو القاسم سعد الله .خارج السرب .الجزائر .المرجع سابق. ص24

[2]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر .المرجع سابق .ص186.

[3]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر .مرجع سابق ص187.

مشكل اللغة :

في الحقيقة اللغة هي سلاح وطني هناك لهجات يتعامل معها المواطن فهي ثراء ثقافي وتراث تاريخي لا بدا من احترامه واستعماله في مجالاته وفي حدوده فالأمريكيون يتعلمون الإنكليزية الموحدة ولكن عناصر دولة مازال تتحدث بلغة تراثها ونفس شيء لفرنسا لغة فرنسية موحدة "اللغة سلاح وطني وسلاح علمي ، ونعني بالأول أنها إذا تعددت في الوطن الواحد تعددت عناصره وأهواؤه وانتماءاته. ولذلك وجب توحيد اللسان في الوطن الواحد لتوحيد الفكر والهوية والانتماء. ونعني بالسلاح العلمي أن الشعب إذا توحد لسانه وقلبه وعقيدته يمكنه بعد ذلك أن ينفتح على تجارب الآخرين بدون خوف على هويته، وأن يتعلم من اللغات الأخرى ما يجعله في مقدمة الركب الحضاري البشري."[1]

ويقرر ويدعوا إلى أن تكون لغة التعليم هي العربية أما أطفالنا فيجب تحصين لسانهم وعقيدتهم وهويتهم ويوحد قلوبهم ويتم تعزيز بالأناشيد الوطنية التي تبرز بطولات الأجداد.

"نحن نريد أن تكون لغة التعليم الأساسية عندنا هي اللغة العربية، كما أرادها آباؤنا وأجدادنا منذ قرون، وكما أرادتها دولنا السابقة، وكما أرادها زعماؤنا الوطنيون والشهداء والمناضلون، بل كما أرادها الله لنا منذ رضينا بالإسلام دينا وحضارة. نريد تحصين ألسنة أطفالنا لغة دخيلة وتوحيد قلوبهم على حب تراثهم وتاريخهم، وتعزيز هويتهم الوطنية بالأناشيد الوطنية التي تبرز بطولات الأجداد وتصوراتهم للمستقبل."[2]

المنح : من دواع ديمقراطية التعليم بدأت دولة في صرف المنح للمتعلمين ،وتدعيم البعثات نحو الخارج لكن للأسف البعض لم يرجع من هناك ومن ذهب هناك انسلخ عن مجتمعه وهويته للأسف.

[1]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر .المرجع السابق ص189.
[2]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر .المرجع السابق ص189.

انتقد العلامة سعد الله استمرا ر دولة في دعم الفقراء والأغنياء معا بدون مراعات الفارق إن كانت جائزة في العهد الأول من الاستعمار فإنها الآن أصبحت محل شك وطالب بوضع شروط وآليات ومعايير.

". ومن العدالة أن لا يستوي أولاد الأغنياء والفقراء في مرحلة المنظومة التربوية القادمة في التمتع بالمنح الرسمية. ولابد من وضع معايير دقيقة لتحديد من له الحق في منحة الدولة لمواصلة تعليمه، ومن على أسرته تغطية تكاليفه المدرسية كليا أو جزئيا"[1].

وأيضا طالب بعدم توجيه شبابنا إلى دراسة في فرنسا بل مقاطعتها في هذا المجال لإن لغة المستعمر وأيضا فهي لغة اعتبر متخلفة في المجال العلمي كما لاحظنا.

- **تعريب العلوم والطب :**

إن معلمي الفرنسية وبعض الاتجاهات بوقتها بالفرنكوفونية تحاول الوقوف ضد تعريب علوم والطب سواء بدعوة الغيرة على مصير الجزائر ، إن لغة العلم هي اللغة الفرنسية أو تأخر لغة الفرنسية ، أو أنها تقضي عن وظائف لمعلمي وأساتذة اللغة الفرنسية ،فيطرح سعد الله فكرة لغة ثانية مساعدة للعربية في ترجمة العلوم لصعوبة تعريب خاصة في المرحلة الأولى .

"وأود أن نكون صرحاء في هذا المجال، وهو أننا نؤمن إيمانا جازما بأن العربية وحدها غير كافية في تعليم العلوم والطب، كذلك بأنه لابد من لغة أجنبية واحدة على الأقل (واللغة الواحدة غير كافية أيضا)لا لدعم العربية فقط، ولكن لمعرفة التقدم العلمي من حولنا، فاللغات الانكليزية والروسية والألمانية كلها لغات علمية مشهود لها اليوم."[2]

والحقيقة هو أن صراع العربية والفرنسية وليس بين التقدم والتخلف في شيء إنما لاهداف خطط اليها المستعمر قديما .

[1]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . المرجع السابق.ص195.

[2]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . المرجع السابق.ص193.

وأتباعه اليوم يحاولون التمسك بما خلفه العدو وإن كانت صورته الخارجية هي التقدم والحضارة فأن الهدف الأساسي هو إبقاء الجزائر في التبعية إلى هذا العدو .

وللاستمرار في هذا القصد أرادو سلب المنظومة التربوية وجعلوها تدور في فلك اللغة الفرنسية حتى تكون الأجيال اللاحقة هي أقرب للفكر الفرنسي والثقافة الفرنسية ومن هنا نجد الخبراء الفرنسيون قد يخططون للمنظومة التربوية من ناحية المنهاج وهذا كله لكي تبقى الجزائر غير بعيدة عن ثقافة الفرنسي الذي هو متحضر وخلاف ذلك يعني التخلف وساعدهم في ذلك العشرية السوداء وزيادة على ذلك اتهام المسلمين والاصوليين دون تفريق بانهم دعاة عنف .

في 2001/01/16 كتبت مقالا مطولا عن الجزائر تحت عنوان المدرسة هوية حضارية ،وتكلم فيه مرة أخرى عن الإصلاح وخلاصة القول فيه وذلك جراء ما عرفته الجزائر من عشرية سوداء. وتكلم الجميع عن إصلاحات التربوية بعيدة عن إيديولوجيات الإرهاب والمقصود بالطبع بعض تيارات المحسوبة على الإسلام والعروبة ، إلا أن سعد الله تكلم بالفعل عن مراحل أساسية ومنطقية في معالجة الملف التربوي ونظرا للأزمة السياسية والاقتصادية فأعطاها الأولوية الأولى فينادي بأولوية الملف السياسي والاقتصادي والاجتماعي على التربوي.

ثانيا: إذا فتح التربوي يجب أن يكون على أيدي مختصين وهدفهم البناء والنقد وليس التعبير والإلغاء والاعتماد على النماذج ناجحة أي تطبيق الإصلاح على عينات (التجربة) كما يجب أن يقوم الإصلاح على أساس الهوية الوطنية

""يجب أن يكون رائد أي إصلاح تربوي هو المحافظة على الهوية الوطنية بكل مرتكزاتها وهي : الإسلام ووحدة الوطن ، ووحدة اللغة وهي هنا اللغة العربية ،مع إدخال اللغات الأجنبية الأفضل لمستقبل الجزائر والأكثر رواجاً وعلمية وتقدماً على المستوى العالمي ، وذلك في مرحلة لاحقة ، بقطع النظر عن الاعتبارات التاريخية والعاطفية." 1

[1]- [1]-أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . المرجع السابق.ص28.

خاتمة

يلخص لنا الفصل تاريخا طويلا للشعب الجزائري ، يظهر من خلاله معاناة الشعب الجزائري في أهم ما يحتاجه الإنسان وهو التعليم ، ففي فترة العهد العثماني في الجزائر عانى الشعب الجزائري من تعليم تقليدي غالبيته علوم دينية واهتموا بالتصوف ودعموه .

وفي عهد الإستعمار زاد الوضع سوءا ، فالجزائريين كانوا إما موجهين باستعمار يريد محو ثقافة أمة والغالبية العظمى أقصيت وحرمت حتى من تعلم حرف واحد وبدون إنسانية هكذا كان تواجد الفرنسي في الجزائر .

كما حاربت التعليم العربي الحر ونشر الأمية ، فبقت بعض المؤسسات مثل الزوايا والكتاتيب وبعض الجمعيات تلعب دور التعليمي ، لتحافظ على جزء يسير من التعليم .

ثم أتت الإصلاحات من 1976 حاولت وضع سياسة تربوية جديدة تهدف إلى مجانية التعليم وجزأرته وتعريبه ولا شك ان هذا لم يأتي من فراغ ولكن من نتائج الثورة وبذلك حاولت الجزائر وبفضل قيادتها أن تواصل هذا النهج برغم من صعوبات والعوائق .

فلهذا نجد أن سعد الله وقف مع هذه الإصلاحات وخاصة التعريب منه مع كلامه صريح في إنحراف الإداري والأصوات التي تريد إرجاع الجزائر إلى لغة المستعمر مرة أخرى .

وأخيرا ظهرت بداية من القرن الحالي إصلاحات جديدة تهدف إلى مسايرة التطور العالمي وتحديث المناهج والوسائل وإجبارية التعليم ومشاركة القطاع الخاص .

كما أن سعد الله ينبه إلى ضرورة توجيه المدرسة إلى ترسيخ الهوية وإحياء التراث الجزائري الكبير والاهتمام أكثر بالعربية .

ويؤكد أن الجزائر بثورتها العظيمة لا يمكن إلا أن تكون ذات طموح أكبر من الذي تحقق. كل هذا التطور حققت خلاله أهداف وبقت أخرى وإذا استطعنا أن نعمل بأسلوب حكيم وشامل

وتعاون سنحقق الأفضل وبذلك نجد سعد الله لا يختلف مع مالك بن نبي على أن أبعاد المعرفة في البعد العلمي التربوي والاخلاقي وانه يحمل نفس مشروع جمعية العلماء المسلمين إلا أن الثورة أعطت له نوع من الإنفتاح عن الحركات الأخرى وتعرف على خصوصية الجزائر الثقافية.

إن أداء المدرسة في تكوين الإنسان الفعال الذي يتميز بروح التضحية الجماعية ، ذلك مرتبط بالعملية التعليمية وممارستها والبيئة التي تحيط به فلابد الربط الضروري بين العملية التعليمية والحاجات الاجتماعية والثقافية حتى يؤدي إلى إنتاج متعلمين ينفعون المجتمع ، ويكونون مصدر عطاء وإضافة نافعة للمجتمع والوطن ،ولا تكديس المعارف فقط.

وحاول نقل التعليم من الفرد بالتلقين الى عمل وسلوك وممارسة في كامل مجالات التربوية حتى يصبح ثقافة سلوك فمن هنا نجد أن سعد الله انطلق من تلك الحاجات والأزمة التي مر بها المجتمع خلال تاريخه وأهمها الهوية واللغة ومهمة المدرسة ينبغي أن تتجاوز مرحلة تلقين العلم بل إلى الفن والإبداع تطبيقي .

الفصل الرابع

الثقافة عند العلامة أبو القاسم سعد الله

الفصل الرابع : الثقافة عند العلامة أبو القاسم سعد الله

- تمهيد

1/تاريخ وماهية الثقافة عند العلامة أبو القاسم سعد الله

2/ المؤسسات الثقافية ودورها الفكري

3/ الجامعة ودورها العلمي

4/ نماذج مشاكل الثقافة في الجزائر وحلولها

- خاتمة

تمهيد

إن العلاقة بين التربية والثقافة هي علاقة تكاملية ترابطية ، يتغذيان في نفس الوسط ، ويتعذر وجود أحدهما دون الأخر فلهذا نجد ان العمل الذي تقوم به المؤسسات التربوية هو نفسه تقريبا دور الذي تقوم به المؤسسات الثقافية إلا أن هناك فرق حسب الاولوية والمستوى والتخصص وبذلك نجد ان الثقافة هي تمثل المضمون الفعلي لتربية والمبرر لوجودها .

والتربية هي المنتج الحقيقي للثقافة ، فاليوم أصبحت الثقافة من الركائز الأساسية في بناء الأمم ونهوضها وبدأ الحديث بكثرة عن الحفاظ عنها وعن مقوماتها وأصالتها في مواجهة التحدي خاصة ما يعرف بالغزو الثقافي مثل حقل العولمة (عالمية الثقافة) .

وكلما كانت الثقافة المجتمعية أكثر عمقا وتنوعا كلما كانت التربية أكثر تألقا ووضوحا عند الفرد وأمكن ميلها فالثقافة الجزائرية متصلة بالثقافة الإسلامية عبر العصور الفارطة وهي أيضا متداخلة مع القيم الثقافية ووجهتها وخصائصها وترتبط بالفكر والدين والمعرفة من جانب أخر بمعنى خصائص الثقافة العربية مثلا تختلف عن الثقافة الغربية فبذلك تتطلب نوع من المعرفة للكشف عن حقيقتها .

وحسب العلامة أبو القاسم سعد الله فإن الثقافة هي الدالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات ولا شك ان مقوماتها هي الدين واللغة والقيم والمبادئ والسلوك والمقدسات والتجارب ومن ثم كل مجتمع له ثقافته التي تحدد شخصيته.

ومن هنا يؤتى دور المؤسسات الثقافية في المحافظة عليها وترسيخها كما أنها تهدف على المحافظة على الإرث الثقافي مثل خصوصية الجزائرية التي هي مهددة في إستغلالها الثقافي وبعدة عوامل منها التاريخية (الإستعمارية).

أما الثقافة كمفهوم حديث (الثقافة الحديثة) يدل على التطور الحضاري .لقد كان تأثير المماليك كبير عن الجزائر منها الرستمية وعبد المؤمن علي خليفة للموحدين وكذلك بلكين بن زيري ، وبني زيان .

" وكم هم الذين يعرفون أن بلكين بن زيري وأحفاده هم الذين أسسوا الدولة الزيرية (الصنهاجية) التي حكمت تونس وبجاية واشتهرت في عهدها قلعة بني حماد . وأن الأسرة (الزيرية) هذه التي أعادت للسنة مكانتها في المجتمع التونسي والجزائري عندما رجعت إلى المذهب المالكي وانفصلت عن المذهب الشيعي الذي فرضه الفاطميون قبل انتقالهم إلى مصر "[1].

1/ ماهية وتاريخ الثقافة عند سعد الله :

تعريف الثقافة عند سعد الله :

فيذكرها على أنها تعني ماضيه وحاضره ويعرفها كالتالي:" و ثقافتنا التي عرفتها في كتابي بأنها الإنتاج الأدبي والفني والعلمي الراقي، هي نحن في تقدمنا وتخلفنا، ولا يمكن أن تكون غير ذلك فهل كنا نحن (متقدمين) وثقافتنا متخلفة أو العكس طبعا لا، إن الثقافة هي نتاج الإنسان وهي صورته."[2]

الثقافة الجزائرية منذ الفتح الإسلامي :

إن علاقة الثقافة بالسياسة والتربية وعلم الاجتماع علاقة متداخلة فلا يمكن الفصل بين السياسة والثقافة أو التربية بالثقافة كما ذكرنا من قبل فلهذا نجد أن تكلم عن الثقافة في الزمن المعين يعني معالجة وتكلم عن تلك الدول من النواحي المختلفة منها المذاهب والاتجاهات ، فانتشار التعليم وطلب العلم واختلاط السكان والانتماء إلى الحضارة الإسلامية ودراسة تفسير القرآن الكريم كما أن صراع السياسي ألقى ضلاله على تلك الثقافة في تلك الحقبة، كما أن الجزائر لم تكن مفصولة عن بلدان المغرب العربي الكبير أي حتى طرابلس فكلها تشكل وحدة منذ الفتح

[1]- أبو القاسم سعد الله. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر.2015.ص515.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ، ص 55.

الإسلامي ولم تنفصل عن بعضها إلا منذ الموحدين حيث تكونت نواة المغرب ممثلة في بني مرين والحفصيين في تونس وبني زيان في الجزائر حتى تواجد العثمانيين بالمنطقة.

ومن هنا كانت الصعوبة في حصر موضوع الثقافة في الجزائر

" بعد ذلك حصرنا الثقافة في مرحلتين: الأولى من فتح إلى نهاية القرن التاسع الهجري تقريبا، ولكن هناك تخصصات عولجت في فصول مستقلة كالعلوم الدينية والسياسية والعلوم الأدبية والتعليم والفنون والتاريخ وفروعه كالرحلات والتراجم، ثم شخصيات اختارت الهجرة إلى المشرق وساهمت في ثقافته وارتبطت بحكامه وعلمائه وتحول إنتاجها من المغرب إلى المشرق، مع ملاحظة أن التركيز في هذه الفصول المستقلة كان على الجزائر دون غيرها، بالإضافة إلى طائفة من العلماء الذين زاروا الجزائر فاستوطنها بعضهم ومنهم من استفاد من علم أهلها."[1]

مرحلة الفتح بالجزائر:

إن العلاقات بين حضارة الغرب التي كانت سائدة في بلاد الغرب منذ تغلب الرومان على الفينيقيين وبين حضارة الشرق التي جاءت مع الفتح وتعمقت تدريجيا بالارتباط الإسلامي واللغوي والمذهبي وتلقي العلم مباشرة من مصادره المشرقية والرحيل إلى الحج والتعارف بين الشعوب بلاد المغرب وشعب بلاد المشرق.

تعرض المغرب العربي إلى عدة حملات منها حملة ابن أبي سرح 27هـ وعقبة بن نافع، وحملة حسان بن النعمان وحملة موسي بن نصير مع طارق بن زياد، ثم حملة عقبة بن نافع وكان له أثر الأكبر في الجزائر وضواحيها.

" ويهمنا ونحن نتحدث عن الجزائر أثناء الفتح أن الذي ترك بصماته الإسلامية عليها هو الفاتح الأول عقبة بن نافع، فهو الذي نشر فيها مبادئ الدعوة واستشهد على أرضها واحتضنت رفاته، وعقبة هو الذي قطع الجزائر شرقا وغربا، أما الفاتح الثاني الذي ترك أيضا بصماته على

[1] - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 06

الجزائر فهو أبو المهاجر دينار الذي اتبع فيها سياسة دينية حكيمة تمتاز بالليونة وكسب القلوب بدل تنفيرها، فأبو المهاجر هو من أقام بالأوراس وميلة وتلمسان أولى المنشآت الإسلامية كالمساجد والخيرية كالعيون الجارية."[1]

كما كان جامع عقبة فعلا منارة للثقافة الإسلامية العربية وسط بلاد المغرب في وقت اضطرت فيه أحوال الفكر والأخلاق والتعليم، فكان الجامع أول منارة علمية دينية يعرفها السكان في عصورهم المختلفة، وفي حين كان الرومان والفينيقيين والبيزنطيين لا ينشرون المؤسسات العلمية في المغرب العربي.

" ولم يبق من تأثير الثقافة الفينيقية إلا اللسان وبعض الصناعات، فجامع عقبة إذن كان منارة تشع حتى انتقال السلطة السياسية والدراسية الفقهية والأدبية إلى مدينة تونس وجامع الزيتونة فيها. إن جامع عقبة الملقب بالأعظم كان كما توقعه بانية، قالبا ذهبيا لصياغة شخصية سكان المنطقة منذ تاريخ تشييده."[2]

من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري :

الحياة الثقافية في الإمارة المنشقة

(الأدارسة، الاباضية، الأغالبة، الفاطمية)

عموما هذه الدويلات لم تكن لها حدود سياسية ولا جغرافيا مضبوطة ويرجع استقلالها إلى المذهب الذي تتبناه والذي لم تجد أن تنشره إلا في بلاد المغرب، فهي دويلات هاربة بمذاهبها.

ففي هذه الفترة اندمجت الأسرة الأدريسية مع المجتمع المغاربي بالمصاهرة ونحوها كما كان الناس ينظرون إليها نظرة تقديس واحترام، فمن هنا نجد تأثرهم بالثقافة السائدة المغاربية.

[1]- - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 87.
[2]- - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 96.

ومهما يكن فإن تلك الدول أنشأت المساجد على أطلال المعابد والكنائس وفي فضاءات جديدة، فكان منها انتشرت الدعوة الإسلامية وإلى جانبها لغة الإسلام المقدسة، وقد حدث انقلاب اجتماعي ولغوي وفكري في المنطقة لم تعرفه مدى العصور وانعكس بالطبع على الجانب الثقافي في كامل فروعه التربوي والأخلاقي والفكري.

" لقد أثرت عناصر أخرى عديدة في مجتمع افريقية وبلاد المغرب عموما فجعلته يتحول من حال إلى حال ومن عصر إلى آخر ومن حالة جهل إلى حالة علم من ذلك اندماج القبائل العربية والقبائل المحلية، ونشأة القضاء الإسلامي الذي وحد الأسرة والأنساب ونظام التملك واستعمال اللغة في الخطاب والتدوين مما وحد اللسان والذهنيات ومتن العلاقات والعادات الاجتماعية ووحد الدواوين والإداريين والتعامل التجاري."[1]

إن مقدار التسامح والعلاقات الاجتماعية والأمن الذي غطى التاريخ الدولة نفسها هو الذي سمح لها بالقدرة على الإنتاج والعطاء الثقافي، ولقد استفاد المرابطون من الثقافة الأندلسية ما يعتبرونه مقبولا شرعا ومفيدا للحياة وحماية الدولة مثل المباني التي بناها يوسف بن تاشفين في فاس كما أن الموحدين شجعوا الفقهاء على دراسة الأصول بدل الفروع الفقهية من عبادات واهتموا بالفلسفة كفلسفة ابن رشد، ونشر دعوة المحمدية حتى ولو باللهجات المحلية بالحروف العربية أحيانا، مما شجع على دمج القبائل وتأسيس المدارس.

وهكذا فإن شمس الثقافة العربية الإسلامية وردت من الأندلس إلى تلمسان وبجاية عن طريق الدولة الزيانية وخاصة في الزخرفة والهندسة المعمارية والنثر والشعر والعلوم الدينية والطبية وأنماط الحضارة، أما في التعليم فنجد مثلا مدرسة العبّاد.

" أول مدرسة ظهرت في تلمسان هي مدرسة العباد ضمن المجمع الذي يضم ضريح سيدي بومدين والمسجد والزاوية وهي مدرسة أنشأها في الواقع بنو مرين، منافسيهم على حكم تلمسان وبنو عمومتهم فإمكانات بني عبد الواد في التنافس الحضاري كانت دون إمكانات جيرانهم الذين

[1]- - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 180.

ورثوا حضارة الموحدين وتأثير الأندلس الحضاري والمادي مما ساعدهم على إنشاء المباني الضخمة و إقامة المشاريع الكبرى."[1]

الفاطميون وبنو زيري وبنو حماد :

الدولة الفاطمية من كجال إلى القيروان:

نشأة الدولة الفاطمية أو العبيدية في كجال (الجزائر) سنة 297هـ /909م ثم انتقلت إلى القيراون (تونس) ثم القاهرة (مصر) وتداول على قيادتها وخلافتها في إفريقية أربعة زعماء هم المؤسسون لها وهم: عبيد الله المهدي ومنه أخذت اسمها (الدولة العبيدية) وأحيانا بني عبيد، فبرغم من وجود المذهب الشيعي كحكم في البلاد المغرب إلى أنه فشل في بسط نفوذه على المغرب العربي وخاصة الجزائر، بسبب تمسك أهل البلاد بالمذهب المالكي واعتبار المذهب الشيعي مروق عن الدين وحتى الحوار بين الفقهاء التي سعت سلطة إليه كان لصالح الفقهاء السيادة المالكية، فلهذا نجد أن ثورات في المغرب ظل قائما وخطرا دائم على الدولة.

" لكن قبل هذا كان على الفاطمين أن يركزوا على شيئين: الأول التحضير للانتقال إلى المشرق والثاني مواجهة الصمت (ثورة الصمت) التي قادها ضدهم فقهاء المالكية، ومقاطعة عمالهم وقضاتهم ورفضهم دفع المال لخزينتهم، والنظرة إلى دعوتهم على أنها مروق عن الدين وكانت العامة تتبع فقهاء المالكية، فلم يسع المهدي إلا استعمال السلاح ضدهم فلم يخافوا، فلجأ إلى لغة الحوار وعقد المناظرات مع فقهاء الشيعة ظنا منه أن هؤلاء سيكونون هم الغالبين على فقهاء المالكية ولكن العكس كان هو الصحيح، وعانى فقهاء الشيعة هزيمة فكرية وفقهية."[2]

وفي ولاية بلكين بن زيري تشكل ميلاد عهد جديد يصبح فيه المواطنون المغاربة حكام أنفسهم في نطاق مغرب إسلامي متعدد القبائل والهويات مع اتفاقهم جميعا على استعمال اللغة العربية

[1]- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 377.
[2]- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 2، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 12.

في حفظ وقراءة القرآن والتعليم عموما والمجالس الأدبية والحوارية كذلك فكانت السلطة الفاطمية غير مباشرة هناك.

" ذلك أن الإسلام بعد ثلاثة قرون قد عرك لسان وقل وفكر المواطن المغاربي، فلم يعد يفرق بين الدين واللغة والنسب، فقد ولد مع الإسلام خلقا جديدا وهكذا استطاع بلكين أن يبسط نفوذه لأول مرة من طرابلس إلى طنجة باعتبار ممثلا لإمارة ذات مذهب شيعي في ظل الشرعية الفاطمية، لقد ترك له الفاطميون حرية التصرف باسمهم فيما تركوه وراءهم من أرض وسكان وثروة، ومع ذلك فإن نفوذ الفاطميين في عهده كان يبدو صوريا فقط."[1]

عموما في القرن الأول والثاني الهجري قد شهد انتشار الفتوحات وكذلك اللغة العربية وفي القرن الثاني عرف الفتن المذهبية، غير أن القيروان كانت فيه هي المركز الإسلامي وعاصمة إفريقية ثقافيا بلا منازع، واستقرار السياسي، وإنتاج الثقافي متنوع ولكنه قليل لأن قدم العلم والعربية لم ترسخ بعد أما المدن التي كان لها شأن في الميدان العلم في الجزائر فلم تظهر إلا في القرن الرابع الهجري، وهي أشير والمحمدية (المسيلة) وقلعة بني حماد وبجاية وحتى مدينة قسنطينة وعنابة لم تنجب علماء بارزين قبل ذلك ولا مدينة الجزائر، وفي هذا الأثناء ظهر أدب وثقافة غزيرة في القيروان والمسيلة وبجاية والمهدية.

" يقول عنه محمد العروسي المطوي، إن عدد العلماء الجزائريين كان قليلا لأن الاستقرار كان مفقودا ولأن العلم صناعة تتطلب التحضر والاستقرار، بينما كان المغرب الأوسط في هذا العهد منطقة عبور وميدان معارك لا تكاد تنتهي، لذلك توجه أغلب المتعلمين الجزائريين إلى القيروان أو توجهوا مع زملائهم من هناك إلى المشرق لتلقي العلم على أهله قبل أن يعودوا بزاد وافر منه إلى ساحتهم والإقامة عادة في القيروان."[2]

[1]-أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 2، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص13- 14.

[2]- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 2، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015. ص 550.

فهكذا نجد أن علماء الجزائر يضيفون إليهم عبارة (القيرواني) وهكذا ما حدث لبعض مثقفي تامرت والمسيلة وبجاية وتلمسان.

الثقافة في العهد العثماني :

إن الحكام الجزائريين في ظل الحكومة العثمانية حكموا الجزائر بيد من حديد مع سلب الأموال وثروات عن طريق الضرائب والرشي والهدايا ونحوها وحتى حرمات الأوقاف وأموال العجزة واليتامى اعتدوا عليها، كما سمحوا لليهود بتمكن في الجانب الاقتصادي التجاري ولا يسمحون للجزائري أن يقترب من النفوذ السياسي وقد مكنوا طائفة اليهود في الاقتصاد، وكانوا يفضلون الأسيرة المسيحية على المرأة الجزائرية المسلمة، ويوظفون الجزائريين في الوظائف الثانوية وأيضا يفرقون في الحكم الشرعي بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني.

" والحق أن معظم الكتاب الجزائريين أثناء هذا العهد كانوا يصفون الحكام العثمانيين بأنهم (أتراك) و(أعاجم) ذلك أن هؤلاء الحكام كانوا دائما من خارج الجزائر وكان أغلبهم لا يتكلم إلا التركية، وكانوا من أصول مختلفة (تركية ويونانية وألبانية وإيطالية إلخ) ولذلك كانوا ينعتون أيضا (بالأعلاج) وكانوا في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط، ثم إنهم كانوا يحكمون الجزائريين بيد من حديد."[1]

كما يجب أن نذكر أن هناك فرق بين الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام عن عقيدة وساهموا في حماية الحضارة الإسلامية وبين (المتتركين) الذين اعتنقوا الإسلام كوسيلة للوصول إلى السلطة والحكم وجمع المال.

وفيما يخص الجانب الإيجابي في العهد العثماني فهم دافعوا عن المغرب ضد الحملات المستمرة ضدهم من طرف الدول الصليبية خاصة الإسباني والبرتغالي.

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 14.

" أما الجانب المضئ منه فهو أن العثمانيين قد أنقذوا بتدخلاتهم في بداية القرن العاشر المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد، وقد كانوا في ذلك غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي وحماية الثغور وإقامة حكم إسلامي ثابت وقوي طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو وقذى في عينه وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي، وقد ظل عامل الجهاد هو العامل الموحد الأساسي بينهم وبين الجزائريين."[1]

لا يمكن أن نطلق على الفترة العثمانية من ناحية الثقافية بالانحطاط الثقافي لكون هذه الظاهرة وجدت قبل القرن العاشر بفترة الطويلة بل إن الثقافة في العهد العثماني امتازت بالجمود كباقي دول العالم الإسلامي، لأن الجزائر بفضل علمائها وهجرتهم وتواصلهم ببقية المراكز العلمية والثقافية في العالم لو كانت نشطة لاستفاد منها الجزائريين أيضا كما أن القرن (18م) وجدت فيه حركة علمية نشطة نظرا لاستقرار والاهتمام بالعلماء.

" إن الخط البياني للثقافة في الجزائر كان يسير في حالة اطراد وصعود، فبعد النزاع السياسي الكبير الذي عانت منه هذه الثقافة في القرن العاشر (16م) الذي شهد هجرة العلماء الواسعة وكثرة الحروب، أخذت الحياة تدب في القرن الحادي عشر باستقرار الأوضاع السياسية وازدهار الحياة الاقتصادية وتوارد العلماء المسلمين على الجزائر ووفرة الكتب، ثم شهد القرن الثاني عشر وأوائل الثالث العشر حركة قوية في صفوف العلماء والعناية بالتعليم وكثرة التأليف."[2]

على العموم فمدارس لثقافة الجزائرية خلال العهد العثماني، يدرك أنه أمام ثقافة في جوهرها هي ثقافة العربية الإسلامية المشتركة والشائعة في العالم العربي الإسلامي، فمناهج التعليم كانت واحدة، وحدود الأفكار واحدة ومعاهد العلم التي ارتادها علماء الجزائر متشابهة والطرق الصوفية التي انتموا إليها هي نفسها في الشام أو العراق أو المغرب.

فالعثمانيون كانوا كثيرا ما يقومون يتحالف مع أهل الطرق الصوفية

[1] أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 15.
[2] - أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 19.

" وقد سيطرت عدة ظواهر على الحياة الثقافية في العهد الذي درسناه ومن أهمها انتشار التصوف والدروشة وشيوع الشروح والحواشي على أعمال المتقدمين والثقافة الموسوعية والحفظ، فالتصوف الذي يعني الزهد والتقشف والصلاح والعمل بالعلم والابتعاد عن الدنيا وأهلها قد ترك مكانة في أغلب الأحيان إلى نوع من التصوف هو أقرب إلى الدروشة والدجل منه إلى الصلاح."[1]

كما نرى أن التعليم في ذلك الوقت بقى بصفة التقليدية كالاعتماد على التأليف المختصرات والنظم والقصائد التعليمية، كما أن الظاهرة الجمع بين عدة علوم أصبحت الظاهرة كالجمع بين النقل والعقل أو علوم الظاهر والباطن ونقصد (النقل الحديث) (العقل الفقه والاستدلال) أما علوم الظاهر وهي الشريعة والباطن علوم القلب والتصوف وهي موضع تفاخر بينهم والاعتماد على الحفظ في التعلم لحفظ الكتب وتكلموا عن كل العلوم المعروفة في ذلك الوقت إلى الفنون." كما أن ظاهرة الحفظ كانت شائعة عندهم ويتباهون بها وكان بعضهم يحفظ كتبا بأسرها، ومن الجدير بذكر أن علماء الجزائر قد ألفوا تقريبا في كل العلوم المعروفة حينئذ إلا ما نسميه اليوم بالفنون، فنحن لا نكاد نجد منهم من ألف عملا في الموسيقى والغناء أو العمارة والصناعات التقليدية أو الخطوط أو الرسم، لذلك اكتفينا حول هذه الفنون بذكر أمراء العلماء المبثوثة في تأليفهم الأخرى."[2]

يعتبر القرن التاسع الهجري (15م- 16م) ثقافيا هو خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين، وهكذا نجد أن إنتاج القرن التاسع أوفر إنتاجا ومن أخصب القرون وعدد كبير من العلماء وأسماء المثقفين الذين ظهروا في تلك الفترة، وكثرت المؤلفات هي أيضا.

" وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع و القرن العاشر والحادي عشر وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية المتفرقة، ولا سيما القرن العاشر الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء وفي المؤلفات لأسباب سنعرفها،

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 20.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 22.

وكثيرا من إنتاج القرن التاسع ظل كما سنرى، موضع علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك."[1]

فعلم التفسير القرآن لثعالبي هو الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع فاسمه الكامل الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وانتهى منه في 25 ربيع الأول سنة 833 ومعنى هذا أن عبد الرحمان الثعالبي عاش حوالي 40 سنة بعد تأليفه، فهو إذن من أوائل مؤلفاته.

" وهناك ناحية أخرى مهمة في (الجواهر الحسان) وهي كشفه عن تصوف الثعالبي المبكر، فرغم أنه كان ما يزال في ريعان الشباب كما أشرنا، فإن الكتاب قد تضمن رؤى صوفية ومواعظ لا تخرج عن هذا الميدان، فقد روى الثعالبي في آخر الجزء أنه رأى رسول الله (صل الله عليه وسلم) عدة مرات أثناء انشغاله بالكتاب، وأنه آكله وزار بيت كتبه ودعا له."[2]

كما ظهر في الفقه العالم أحمد الونشريسي وهو قمة في ميدان فروع الفقه

ويرجع تدهور الثقافة في العهد العثماني للأسباب التالية :

1- أن غربة الحكام أدت إلى عدم ارتباطهم الثقافي(المذهبي واللغوي والفكري)، فارتباطهم بالمجتمع كان، كما أشرنا ،ارتباط دينية عثمانية (أي: الولاء للإسلام وللسلطان...).

2- أن ضعف التعليم ومحليته والتقوقع الثقافي أدت إلى شوع الأدب الشعبي الذي ساهم بدوره في جعل الثقافية تتخذ الشكل المحلي لا الوطني، فكانت الجزائر في عهد العثمانيين تعيش على مجموعة من الثقافات، رغم أن التعليم كان في جميع المستويات يقدم باللغة العربية، كما كان القضاء والإفتاء و الإنتاج الأدبي والفقهي

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 39.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر .2017 ص 122.

فنتيجة لطرد الإسبان أهل الأندلس ظهرت في القرن 15و16 على شواطئ الجزائر كما في تونس ومراكش مختلف الطبقات والمستويات العلمية والفنية ونتج عنه إختلاط في الدم والمصير.

"وقد نتج عن هذا الاستيطان الأندلسي اختلاط في الدماء ومشاركة في المصير.كما أدى إلى تنشيط التجارة والحياة العليمة والإجتماعية والفنية . فكان هناك الآدب الندلسي والموسيقا الأندلسية ومؤسسات العلم والعبادة وما يتبعها من أوقاف ولا شك ان أبرز ما أثرت به الأندلس هو الفن المعماري، والتربية والتعليم والتجارة والزراعة، أما السياسة فقد احتكرها (الوجق)أو السلطة التي كانت تمثل الدولة العثمانية"[1].

برغم من أن العهد العثماني كان ماعليه من ملاحظات تخص الثقافة إلا أنه كانت له إنتاجات في كافة المجالات يمكن ملاحظتها في الجزء الأول والثاني من سلسلة تاريخ الجزائر الثقافي سعد الله .

"والذي نريد أن نثبته مما سبق هو أن كان للجزائر عشية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 رصيد ضخم من التراث الثقافي العربي والإسلامي، وأن هذا التراث وإن تعرض إلى المواجهة ومحاولات الإلغاء فإنه قد ثبت في الامتحان ورجح في الميزان وكان حصن الحركة الوطنية عندما طرحت مفهوم الهوية في القرن العشرين "[2].

التأثير الغربي أثناء العهد العثماني :

العهد العثماني استمر 3 قرون وكان في صراع دائم باسم الجهاد البحري مع أهل الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط فخاض الأسطول البحري معارك مع إنجلترا الدانمارك وأمريكا وكان في عراك مع إيطاليا وفرنسا أيضا وإسبانيا لتوفيق المدني كتاب (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا)وكانت لها معاهدات وبضائع ومعاملات مادية .

[1]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر .مرجع سابق ص516

[2]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر .مرجع سابق .ص517.516.

"وعشية الاحتلال الفرنسي كان هناك جزائريون مرتبطين بصفقات تجارية كبيرة مع الشركات الأوروبية في إنكلترا وفرنسا وإيطاليا ، وأشهر هؤلاء حمدان بن عثمان خوجة الذي كان يتكلم أيضا اللغة الفرنسية والإنجليزية "[1].

وكانت أموال الجزائريين لدى هؤلاء اليهود عائلة بكري وعائلة بوشناق سببا قويا في نزاع مع فرنسا والمعروفة بقضية الديون .

حتى أن لغة المستعملة في الموانئ الجزائرية وصفها الرحالة والمؤرخون بأنها لغة خليط بين العربية والأجنبية وذلك لكثرة تعامل مع الأجانب .

"وقد تحدث الزوار والرحالة والمؤرخون عن نوع اللغة التي كانت سائدة في الموانئ الجزائرية التجارية ، فقالوا عنها إنها عبارة عن لغة خليط أو (لغة فرنكا) أي خليط من العربية الدارجة واللاتينية ولغات البحر الأبيض المتوسط كالمالطية والإيطالية والإسبانية والفرنسية "[2].

بعض المؤرخين والأعلام (في العهد العثماني):

لقد كان لعدم الاستقرار دور البارز في هجرة العلماء للمشرق والمغرب وهناك من استوطن مصر واستقر في زوايا ومنهم من ذهب إلى مكة، وربط علاقته ببعض علماء المنطقة، وكان من استقر وتزوج هناك كما شغلوا عدة وظائف مثل التدريس الحر أو القضاء أو التصوف.

" وبالتدرج تراخت صلتهم بأهلهم في الجزائر، فعاد بعضهم إلى أوطانهم ولكن معظمهم استمر في الحياة المادية والعلمية وربما الأمن والاستقرار النسبي ففضلوا البقاء في إحدى عواصم المشرق، ومنه الحجاز ومصر والشام وخاصة القدس وقليل في العراق."[3]

ابن خلدون:

[1]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق ص517

[2]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق .ص518

[3]- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، س 1 ،ج 1، مرجع سابق ، ص 365.

برغم أن ابن خلدون ليس من مواليد الجزائر إلا أن علاقته بالمغرب الأوسط كانت قوية، لأنه خدم حكامه وتولى وظائف سامية وتدخل في السياسة لنصرة بعض الحكام، وخالط قبائل الجزائر العربية لأغراض سياسية واقتصادية مثل تجنيد رؤساء القبائل لخدمة أميرة وجباية الضرائب، فلهذا نجد أن العلاقة أبو القاسم سعد الله اعتبره جزائريا وعلى كل حال فهو محسوب على المغاربة عموما.

" كما أنه التجأ إلى بعض معاقلها عندما ضاقت به الدنيا وكان مهددا في حياته (وكذلك أخوه يحي) فلم يحمه إلا بنو مزني حكام بسكرة (الزاب)، كما أنه عندما مل من السياسة وخشي عواقبها وقرر الاختفاء عن الأنظار توجه إلى قلعة بني سلامة المحصنة (فرندة) حيث اعتكف على مشروعه التاريخي الضخم الذي خرج منه بنظريته الخارقة في تطور البشري والعمران وقد عبر عن ذلك في مقدمته الشهيرة."[1]

عبد الرحمان الثعالبي:

منذ القرن التاسع قد عرفوا الكثير عن الثعالبي ولكن بقى الجهل مخيما على كثير من العلماء في وقته بالنسبة للعامة مثلا العلامة أحمد النقاوسي فكان متبحرا في اللغة والقصيدة إضافة إلى الزهد والتصوف وقال عنه تلامذته أنه كان يجمع بين علمي المعقول والمنقول، أما الثعالبي فالتصق اسمه بالزهد والتصوف كما التصق اسم ابن رشد بالفلسفة وابن خلدون بالتاريخ والاجتماع ولولا اهتمام الناس بطريقة والتصوف لكان الثعالبي مجرد عالم زاهد ومؤلف من المؤلفين في العلوم الدين وترك عدة كتب تصل إلى الخمسة عشر كلها تقريبا في التفسير والمواعظ والتوحيد والفقه، وأشهر كتبه (جواهر الحسان) التي تختص بالتفسير.

فثعالبي كان مدرسا ناجحا ومحدثا ومفسرا وصاحب شخصية جذابة وأيضا مؤلف بارعا استطاع أن ينشر دعوته عبر الكلمة والتأليف حتى أن اللاحقون الذين من بعده تفننوا في نسخ تأليفه وآثاره ثم زاوية التي تأسست عند ضريحه وأصبحت مقصد زواره وملتقى الدارسين.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، س 1 ، ج 1، مرجع سابق ،ص 366.

" وقد ساندت السلطة العثمانية في الجزائر هذه الزاوية التي اتسعت شهرتها لكونها في عاصمة الدولة ولكون الثعالبي نفسه من أبناء المنطقة، وهكذا أصبحت عبارة (الثعالبية) تدل على مدرسة في الزهد والورع والميل نحو العزلة والتصوف والعناية بعلوم الآخرة والهروب من الدنيا وأوضارها."[1]

ومن الملاحظات التي نشير إليها في الحياة الثقافية في العهد العثماني قلة الاشتغال بالفنون وعلوم العصر وروحه وإذا ظهر عالم فهو شاذ وغير منسجم مع طبيعة المجتمع، كما كان ضعف العناية بالحساب والفرائض وحتى العلوم بالفلك كان قليلا وكان يخص وينحصر في الأعمال الفلكية في تقويم الصلوات وحركة الليل والنهار وتعديل بعض الكواكب وحركة الظل وحتى علم الملاحة لم يكن متطور.

" إذا كان الحكم على ازدهار الحياة الثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم والفنون فيه، فإن العهد العثماني في الجزائر يعتبر فقيرا في هذه الناحية، فقد عرفنا عناية العلماء بالعلوم الشرعية والأدب والتواريخ المحلية والتصوف، ولكن عنايتهم بتدوين الطب والحساب والرسم والعمارة والموسيقى قليلة، ذلك أن ما كان متداولا ومن هذه العلوم والفنون لم يكن يخرج عن تقليد السابقين."[2]

حقيقة موقف سعد الله من الحقبة العثمانية بالجزائر :

ويذكر مراد وزناجي راي سعد الله فيما يخص التواجد العثماني بالجزائر لم تكن بمعنى ضد او مع بل احتوت على عدة وجهات نظرية في نفس الان وشملتها بامتياز قد تبدوا متبانية في الظاهر لكنها متكاملة في الواقع واستشهد بما ذكره الدكتور ناصر الدين سعيدوني

" الاولى ابان عنها الاستاذ في الجزء الاول من موسوعته " تاريخ الجزائر الثقافي" حيث " انتقد " العثمانيين في وصفه لهم ب " الاعلاج المتزكين الجهلة لا يعرفون القراءة و لا الكتابة

[1] - أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 93.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق ،ص 401.

المغامرين . . . . الخ ووصف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ماخذ زميله سعد الله على الحكم العثماني في الجزائر بالقول ، انها تدخل في باب العتاب وليس العداء و القطعة مع البعد الاسلامي الذي كانت تمثله الرابطة العثمانية"[1]

يم يكن موقف العلامة سعد الله سلبي من الحقبة العثمانية فنجده يعدد الايجابيات خاصة من ناحية العسكرية و السياسية و الاقتصادية ففي كتابه حديث صريح (ص 113) يذكر فيها ويعدد الايجابيات فمن حقهم ان يفتخروا به اذا عرفو تلك المزايا

" لو تشبع الجزائريون من دراسته العهد العثماني وعلموا ان الجزائر قد اخذت شكلها الجغرافي و السياسي منذ هذا العهد و الحدود السياسية ترجع الى هذا العهد و الشكل الجغرافي ماعدا في الجنوب ويرجع الى هذا العهد و المعاهدات الدولية مع رجالها يشهد علبة هذا العهد و الاسطول تاسس في هذا العهد و الوحدة الترابية من مختلفات هذا العهد وشكا العملة ووجود الراية ترجعان الى هذا العهد " [2]

في الحقيقة ان الشيخ ابو القاسم سعد الله لم يكن سلبيا ولا ايجابيا الى اقصى الحدود مع تواجد العثماني فيبني رايه على ما توفر لديه من ادلة وبراهين على سلوك العثمانيين يبين المنطق العلمي و الحجة و البرهان التاريخي وليس العاطفة فمنها يبدا واليها ينتهي

" ويستشف من كل ما سبق ان موقف الدكتور سعد الله في احاطته لجميع الجوانب المتعلقة بقضية الحقبة العثمانية بالجزائر (سياسيا ثقافيا عسكريا) فانه لا يحوي اي تناقص بل يصبو لان يكون اكثر موضوعية بالحديث عن السلبيات و الايجابيات معا بعيدا عن عناصر القطيعة و العاطفة و والانغلاق والتزمت و التخيرولاجل الاقتراب اكثر من الحقيقة العلمية لذلك لايمكن

[1] مراد وزناجي، مفهوم التاريخ عن أبي القاسم سعد الله، ط خ عالم المعرفة الجزائر 2015. ص 330
[2] مراد وزناجي، مفهوم التاريخ عن أبي القاسم سعد الله، ط خ عالم المعرفة الجزائر 2015ص 331

مقارنته بغيره من المواقف حيث انه شامل ومتكامل المحك الوحيدة عنده هو الوثيقة الارشيفة وضالته هي الحقيقة التاريخية " [1]

الحياة الاجتماعية(الإنتاج الثقافي) في العهد العثماني – اللباس نموذجا:

إن تقييم الإنتاج الثقافي والفكري يخضع أيضا إلى دراسة الحياة اليومية ومعرفة وسائل الإنتاج والألبسة والملاهي وحتى المواد الغذائية وهكذا فالعلامة أبو القاسم سعد الله تفرغ إلى هذا الجانب في كتابه الشهير وتكلم عن الفئات الاجتماعية خاصة في المدن، لأن الجانب السياسي والاقتصادي هناك من تكلم فيه، واللباس تغيير في العهود السابقة خاصة في العهد العثماني وأيضا العهد الفرنسي بل أحدث تغييرات كبيرة في لباس ونمط معيشتنا وفي الريف والبادية كان تأثيره أقل.

" من المعلومات التي لدينا أن الملابس الوطنية قد عرفت كذلك تطورا ملحوظا تبعا لتعاقب التطور الحضاري، مثلا لقد حل اللباس الإسلامي محل اللباس القديم، وعندما نقارن بين الملابس التي رسمها (نيقولاي) في بداية القرن 16 بالملابس التي رسمها رحالة القرن 18 نجد ها قد تطورت، ذلك أن الأندلسيين من الغرب والعثمانيين من الشرق قد أدخلوا تغييرا على ملابسنا، سواء الرجالية أو النسائية، كما أدخلوا تغييرات في العمارة والمطبخ والحمام الخ ... ولكن معظم هذا التغيير حدث في المدن، أما الريف بقى محافظ"[2]

إشكالية التراث:

مع الحركات الإصلاحية التي ظهرت في البلاد الإسلامية و العربية ومنها الجزائر فكانت هناك حضارة غازية وهي الغربية وبكل ما تتمتع به من قوة مادية وتقنية سمحت لها بسيطرة على البلاد والعباد إلا أن التأثر بها كان قويا عند فئة المثقفين فجاء من يشكك في الحضارة والتراث كله، وما قيمته في ذاته؟ وما قيمته بالنسبة لمسيرتنا المستقبلية؟ وبالجانب أخر كان هناك من

[1] مراد وزناجي، مفهوم التاريخ عن أبي القاسم سعد الله، ط خ عالم المعرفة الجزائر 2015، ص 332
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 61.

ينظر إليه بنوع من التقديس وفريق حاول أن يختار رأي وسط بينهما ولكن أين موقع العلامة سعد الله

" وعندي أن على الأمة العربية أن تعي ذاتها وأن تتجه إلى الأمام لا إلى الخلف فتصب حظا من العلم والثقافة الحديثة وأن تنشئ المراكز والمؤسسات الدراسة وغربلة التراث لا لكي تجعل منه مجال الثقافة المستقبلية، ولكي تنصف الأجيال السابقة وتزاحم وتنافس الدول والأمم العريقة، وتبعث النخوة والعزة في الشباب العربي المعاصر والمجامع العربية بالذات متصلة اتصالا مباشرا بالتراث، سيما اللغوي منه، وكم قدم القدماء من مؤلفات ودراسات هي في صميم اهتمامات المجامع اللغوية الحاضرة ومنبع لا ينضب إلى الاحتداء والإقتداء والاستعارة منها"[1]

" الثقافة الجزائرية خلال تلك الفترة المشار إليها لم تكن مزدهرة، شأنها في ذلك شأن الثقافة في البلاد العربية الإسلامية الأخرى، غير أن هناك اختلافا واضحا وهو أن السلطة الحاكمة في البلدان العربية الإسلامية قد تدخلت في الثقافة بإنشاء المؤسسات وتشجيع المنتجين أما في الجزائر فالسلطة كانت غائبة تماما عن المجال الثقافي"[2]

ويرجع السبب إلى السلطة وأيضا الشعب لأن القضية لها طرفان أساسيان.

الثقافة في العهد الاستعماري :

إن تأثير الإستعمار الفرنسي على الجزائر كبير خاصة في الجانب الثقافي وقد تغلب عليها طابع الفرنسي بشكل كبير خاصة بعد مرور قرن وربع من الإستعمار ولقد عاشت الجزائر في المماليك الإسلامية مدة 13 قرن في الإسلام واللغة العربية ولها إنتاجات في كافة المجالات.

لكن نظرة المثقفين العرب إلينا وخاصة في منتصف القرن العشرين نستطيع ان نقول أنها غربية نحن أبناء الاستقلال لكنها كانت معقولة في ذلك الزمان.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 73.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 55.

" لقد كان بعض المثقفين العرب يعتقدون إلى منتصف القرن العشرين أن الجزائر هي « الفردوس المفقود » الثاني الذي فقدته الأمة الإسلامية بعد الأندلس ، وأن الفرنسيين فيها قد اتبعوا خطى الإسبان في الأندلس ، أما الجزائر عند الأمريكيين والأوروبيين (غير الفرنسيين) فقد أصبحت جزءاً من فرنسا ينطبق عليها ما ينطبق على أية ولاية فرنسية من نظم وقوانين " [1]

لقد حاول المستعمر تدمير مقومات الدولة الجزائرية عبر تهجير وقمع المقاومات وهدم المساجد و الاستيلاء على الأراضي وفتح الباب أمام الاستيطان الأجنبي الذي يعني قدوم الآلاف من الأوروبيين بل أصبح الجزائري يعمل كأجير.

وتعتبر هذه الطبقة دخيلة عن الشعب الجزائري لها ثقافتها وهي متنوعة من أطراف ودول متعددة ولكنها له بعض الأعراف وتقاليد المشتركة مما أثر على الشعب الجزائري .

"وكان هذا يعني أيضا نشر ثقافة معينة ومفروضة ، ثقافة التأثير والتلقين والتقليد لإن الكثير من الجزائريين أصبحوا عمالاً عند الأوروبيين بعد أن فقدوا أرضهم فكان الإحتكاك الحضاري أمراً محتوماً ، في الملابس والأطعمة و طريقة الأداء في العمل واللغة ونمط العيش ومعرفة الآلات والأسماء " [2]

لقد كان لنشاط التبشير واضح في الجزائر وخاصة المذهب الكاثوليكي فكان الرهبان يرافقون الجيش الفرنسي ، كما حاولوا استغلال الأزمات الاقتصادية والاجتماعية من أجل التنصير خاصة في المناطق النائية والفقيرة ومن ضمن الأعمال التي قاموا بها القساوسة الفرنسيين لويس بافي الذي أنشا منظمتين عرفتا باسم الآباء البيض (الرهبان البيض) والأخوات البيض (الرهبات البيض) وكان لهم دور كبير في وسط التعلمي خاصة التعليم المهني .

"وأقيم أول قداس في مدينة الجزائر في أول يوم أحد بعد دخولها وكان البابا في روما قد بارك خطوات الاحتلال ووافق على تعيين أول أسقف لكنيسة جزائرية سنة 1838 وهو ديبوش ، وقد

[1]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص512.
[2]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص518

انطلق هذا وخلفاؤه في مهمة تدعيم جيش الاحتلال فكانوا يمهدون له الطريق في التعرف على المناطق وأهلها ، وكانوا أحيانا يقومون بالمفاوضات مع المقاومين بشأن الأسرى كما فعلوا مع الأمير عبد القادر"[1].

العلماء والباحثين الجزائريين المستشرقين :

لقد كانت هناك حملة ممنهجة للاستشراق ودراسة الأوضاع في الجزائر بوجهة نظر فرنسية تخدم الاستعمار وتطعن ثوابت ومقومات الأمة.

فبعد كثرة تلك الدراسات وانتشار المدارس الفرنسية في الجزائر بدأت معالم مدرسة الجزائر الاستشراقية متميزة فالإسلام راسخ في المنطقة والإرث الحضاري والمعرفي موجود سواء فقه او تصوف أو قضاء .

"فنشأت عن نشاط المستشرقين ثلاث مدراس مزدوجة اللغة (عربية /فرنسية) أصبحوا هم المشرفين عليها ولكن طلابها جزائريون . كما نشأت كلية الآداب(مدرسة عليا في البداية) منذ1877 بإدارة مستشرقين أصبحوا أعلاما للاستشراق في وقتهم أمثال إيميل ماسكري ورينيه بصيه وهنري ماصيه وجورج مارصيه "[2].

ولقد كان لهؤلاء المستشرقين عمل كبير في الجزائر سواء بعقد المؤتمرات منذ 1877 او عبر رحلات إلى دول المشرق العربي أيضا وأفريقيا وتونس والمغرب .

وكانت لهم مجلات دورية مثل المراسل الإفريقي والمجلة الإفريقية

". والذي يهمنا أن عدداً هنا هو من العلماء والباحثين الجزائريين قد ظهروا إلى جانب هؤلاء المستشرقين وتعاونوا معهم ، ومن بينهم محمد بن أبي شنب وسعيد بوليفة ومحمد صوالح

[1]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق ص519.518.
[2]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق ص519

وإسماعيل بوضربة وبلقاسم بن سديرة . فهؤلاء قد تأثروا بمناهج المستشرقين في البحث وتبنوا أساليبهم ولغتهم "[1].

الأدباء الجزائريين المفرنسين :

لقد بدأت تظهر نتائج المدارس الفرنسية في الجزائر من حوالي سنة 1920، فأثرت على بعض الجزائريين ، فأخرجت مجموعة تتعاطى سياسة ووصلت إلى أعلى مراكز القيادة ، ومارست الأدب ،حتى أصبحوا من اعلامه وأصبح انتاجهم معروف أوروبي .

وأرتبط بعضهم بالكفاح المسلح مثل كاتب ياسين ، محمد ديب ، مالك حداد ،آسيا جبار، وترجمت أعمالهم من الفرنسية إلى العربية حتى ان بعض نقاد تكلموا على انه أدب عربي مكتوب بالفرنسية أي المرجعية والروح هي عربية إسلامية ، إلا ان الفرنسيين افتخروا به على انه يثبت نجاح تجربتهم في الجزائر فاحتضنوهم ومنحوهم الجوائز وفسحوا لهم الصحافة والإعلام .

لقد كان تأثيرهم كبير بدرجة أن نقاد العرب أصبح هذا نموذجهم .

" وقلدهم في ذلك بعض النقاد العرب الذين ينبهرون بكل ما هو أوروبي / فرنسي ، ونوهوا بتجربة أدباء الجزائر ، واتخذهم البعض حجة على موت اللغة العربية في الجزائر ، كما اتخذوهم حجة على كونهم مع ذلك استعملوا أدبهم ضد المستعمر الفرنسي وانضموا إلى المطالبين بالحرية لبلادهم "[2] .

[1]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص519

[2]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي . مرجع سابق.ص523.

المؤسسات الثقافية ودورها في الاستشراق في الجزائر:

لقد كان تأثير الفرنسي على الإعلام كثير خاصة في الصحافة والمسرح والمكتبات ، وإن الصحافة قد بدأت مع الاحتلال لقد كانت لهم تجربة في مصر أين نقلوا لهم المطبعة وأصدروا أول صحيفة على شاطئ البحري لعلهم يريدون ان يقولوا انهم دعاة حضارة وعلم لا استعمار ودمار .

فتأثر بهم بعض الجزائريين في ميدان صحافة مثل سنة 1927 أمثال أحمد البدري ومحمود كحول ، علي بن سماية ، ومصطفى كمال .

" فجاؤوا معهم بالمطبعة وأصدروا أول صحيفة على شاطئ البحر ، أي قبل استيلائهم على مدينة الجزائر ، وبعد سنتين أنشأوا أول صحيفة رسمية باسم (المرشد الجزائري) وفي 1847م أصدروا جريدة (المبشر) التي تعتبر ثاني أو ثالث صحيفة تصدر باللغة العربية في البلاد الإسلامية ، ثم توالت الصحف التي لم يكن للجزائريين أي دور في إنشائها إلى آخر القرن التاسع عشر حين ظهرت أول صحيفة من إنشاء جزائري وهي (المصباح) ، ثم أعقبتها صحف جزائرية عديدة ، سيما بين 1903 . 1914 و 1919 . 1939 ""[1].

ظاهرة هجرة العلماء :

لقد كانت هناك عدة مراسلات بين علماء الجزائر وغيلاهم من علماء بقاع العالم وعلماء الجزائر المهاجرين والفارين من الاستعمار أو الماكثين فيها وهي مراسلات إخوانية ولكنها في أغلبها مراسلات علمية استشارية في الدين واللغة والآداب والتصوف ، وتبادل الرسالات سواء مع علماء مصر والشام او حتى مراكش وتونس .

[1]- أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي . مرجع سابق.ص520.

"فمنذ البداية أجبر الفرنسيون عدداً من علماء الجزائر على مغادرتها مثل المفتيين ، محمد بن العنابي ومصطفى الكبابطي اللذين استقرا بالإسكندرية ، ومثل حمدان خوجة الذي فضل الإقامة في إسطنبول بينما تولى ابنه علي رضا ولاية طرابلس للدولة العثمانية عدة مرات"[1].

المقاومة الجزائرية الثورية الثقافية :

لقد حاول الاستعمار فرض حصار خانقا على الجزائريين لفصلهم عن المشرق وربطها بفرنسا إلى أن الجزائر بقت متصلة بالمشرق بفضل الحج وبعض الزيارات المتبادلة والمراسلات والصحف برغم التضيق عليها إلا انها بقت تمد العون للجزائريين غي الحفاظ على هويتهم .

" وكانت يقظة الجزائر نتيجة الاحتلال قد سبقت يقظة معظم الشعوب الشرقية الأخرى ، فالمقاومة الشرسة وما تلاها من تشريد القادة ومصادرة الأراضي وفتح السجون وتعدد أساليب القمع جعلت تلك اليقظة تبدأ سنة 1830 وتبلغ درجة عالية في أواخر القرن التاسع عشر ، حين تصادفت يقظة شعوب أخرى عربية وإسلامية . وإذا كانت يقظة هذه الشعوب قد بدأت بالتحرك السياسي فإن يقظة الجزائر أضافت إلى ذلك المطالبة باحترام اللغة العربية وترسيمها واحترام الشريعة الإسلامية "[2].

مشروع العربي الإسلامي لإبن باديس لقد كان لجمعية العلماء المسلمين دور الكبير في البعث الثوري والثقافي والحضاري في الجزائر من خلال علمائها ومعلميها ومربيها ومفكريها .وعلى رأسهم ابن باديس .لقد كان للأثر تربوي وثقافي لمدراس علماء المسلمين الأثر الطيب في قلوب الجزائريين فأرست دعائم الهوية وكان من نتائج ذلك تلك الثورة العظيمة إلى أن أصحابها مازالوا يأملون في إنتاج حضاري من صلب الحضارة الإسلامية بكل أبعادها .

" وقد جسد هذه المطالبة ابن باديس بين 1920 . 1940 حين أطلق مشروعه لبعث تعليم العربي والتاريخ الوطني والإصلاح الإسلامي ، وهذا لا يعني أن الجزائريين الآخرين لم ينشئوا

[1]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص525.
[2]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص527.

أحزاباً سياسية ذات برامج وطنية – ثورية مثل حزب الشعب ، أو لم يدافعوا عن الهوية الحضارية لبلادهم ، ولكنه يعني أن مشروع ابن باديس قد جسد الاختيار الحضاري للجزائر ، وهو الاختيار الذي تبنته ثورة التحرير (1954 . 1962) "[1]

المؤثرات الشرقية في العهد الفرنسي :

إن تأثير المشرق على الجزائر لم ينتهي بوصول الفرنسين إلى الجزائر فقد كان هناك تأثير أخر بفضل زيارات العلماء المتواصلة من هنا وهناك وأداء فريضة الحج واللقاءات المختلفة ، فقد بقي الحج أهم المورد في تناقل الأخبار والأفكار وإبقاء روابط الروحية وإبقاء قلوب الجزائريين اتجاه المشرق ومعظمه كان برا يعبرون تونس وليبيا ومصر ثم دخول الحجاز وكان بعضهم يذهب إلى فلسطين قبل الرجوع إلى الجزائر ، وكان من الجزائريين من يبقى في المشرق ولايرجع ، فنذكر الأمير عبد القادر وذهابه إلى السعودية وسوريا والثعالبي وابن باديس والبشير الإبراهيمي .

"وهناك من هاجر بنفسه أو هاجر به أهله ثم رجع إلى الجزائر فنقل إليها رصيداً هاماً من التيارات الفكرية ، ثم أصبح في مقام القيادة ، مثل محمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي ، أما زعيم الجزائر الروحي بلا منازع ، عبد الحميد ابن باديس فقد حج وزار بعض بلدان المشرق وأقام بعض الوقت في المدينة المنورة ، ثم رجع إلى بلاده وأنطلق في مشروعه الإصلاحي المعروف"[2].

[1]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق ص527.
[2]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .الجزائر . مرجع سابق.ص525.

2/ المؤسسات الثقافية ودورها الفكري :

الثقافة بين القرن 16 والقرن 19:

المؤسسات الثقافية :

في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي يتكلم العلامة سعد الله عن ثقافة في مقدمته على أنها الحديث عن ثوابت الوطنية أو الهوية الجزائرية إلا انه في معرض حديثه عن الظاهرة الثقافية للثورة الجزائرية ولمتابعة التطور الثقافي للجزائر في عهد الاستعماري أضاف الإعلام وحتى القضاء والصحة في موسوعته التاريخ الجزائر الثقافي .

"ولكن هدفنا متابعة التطور الثقافي للجزائر خلال الثورة، وهذا المنهج اقتضى منا ان نجمع الإنتاج ،سمينه وغثه، وتدوينه وتصنيفه حفاظا عليه من التلاشي ، لذلك وسعنا من دائرة مفهوم الثقافة لتشمل حتى الإعلام والقضاء والصحة "[1].

هناك كثير من المؤسسات التي تحدث عنها منها النوادي والمسرح والسينما المكتبات ، المتاحف، الكشافة ،الجمعيات، ونحن نركز على ثلاث مؤسسات هامة : الصحافة ، الإذاعة والتلفزيون ، الجامعة .

الصحافة :

لقد كانت لصحافة دور كبير في توعية ونهضة الثقافية ، في الجزائر خاصة في العهد الاستعماري ونركز بالضبط على جمعية علماء المسلمين وإعلامها(الصحف) ،ثم ظهرت الجرائد والمجالات فقد كان لحزب الشعب مثلا مجلة الحرة فصادرتها السلطات الفرنسية وانتقلت إلى فرنسا لأن قانون الصحافة يختلف عنه عن الجزائر ، فهناك حرية في تعبير أما حزب الشيوعي فكان له جريدة الجمهورية ، وظهرت بعض المجلات مثل مجلة هنا والتي كانت تهتم بتراث الأخبار والمحاضرات والمسارات العلمية والأدبية والفنية والمنوعات الثقافية والذي يهمنا

[1]-أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق.ص8

الشق التوعوي التربوي التي كانت تقوم به الجمعية ، فصحف الجمعية نالت إعجاب أهل المشرق والمغرب لرقى أسلوبها ووصفها .

وأصدرت الجمعية جريدة البصائر (1947) ، وجريدة بالفرنسية اسمها الشاب المسلم ، وجريدة الشعلة (1949).

وفي معرض الحديث أبو القاسم سعد الله عن جريدة البصائر وصحف الجمعية يقول :

"وهي صحيفة جامعة تعبر عن افتجاه الإصلاحي السلفي الذي تتبناه الجمعية وهي تتناول مواضيع ثقافية وعلمية وأدبي وسياسية ، وغالبا ما يحمل كل عدد منها افتتاحية بقلم رئيس تحريرها وصاحب امتيازها (الشيخ محمد البشير الإبراهيمي)الذي هو نفس الوقت رئيس جمعية العلماء. وقد وصفت بأنها كانت محل إعجاب في المشرق والمغرب والأمريكيتين لتنوع مواضيعها ورقي أسلوبها .ووصفها الإبراهيمي وصفا جامعا فقال عنها "سيف من سيوف الإسلام ، وقبس من روح الشرق ، ومنبر للعربية ، وهي شجى في حلق الاستعمار، وهي ترجمان أفكار جمعية العلماء""[1].

الصحافة المدرسية:

بالرغم كثرة المحاولات في إنشاء الصحف إلا أنهم لا يستمرون في ذلك الوقت ربما لضعف الحالة المادية ، فعوضت بصحافة المدرسية ، ومركزا اهتمام هذه الصحافة انها تهتم بتلميذ وشؤونه والمعلمين والتربية والأخلاق والتوجيه العام والمحيط.

في الحقيقة أيضا يمكن إسقاط ذلك على المدارس اليوم وذلك باستعمال التكنولوجيا الحديث (وسائل الإتصال) يمكن أن تلعب نفس الدور .

إن هذا النشاط التربوي يشعر بأهمية الصحافة والإتصال بين أبناء المجتمع والوطن هذا هو دور الإعلام .

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق.ص197.198.

"يذكر الشيخ فضلاء أنهم كانوا–كمعلمين ومفتشين–يجتمعون في عدة مدارس مثلا وهران وماجورها. وقد يتوسعون فتضم إليهم مدارس مستغانم وسيق وغليزان، كما أن التلاميذ كانوا يكتبون في النشرة الواحدة مهما تباعدوا ،فهم يتواصلون مع بعضهم ولو كانوا من غير نفس المقاطعة .من هذه النشرات مجلة الفلاح التي صدر عددها الأول في30 أكتوبر 1953 عن دار الفلاح بوهران ، وهي مجلة باسم التلاميذ ، وقد صدر منها اثنا عشرا عددا ،واستمرت تصدر مدة عام"[1].

الإعلام في عهد الثورة :

فالثورة فالبداية لم تهتم بالإعلام ولكن إعلام الدوائر الاستعمارية وللحاجة ولكسب الرأي العام الداخلي والخارجي جعلت القادة يهتمون بالإعلام الوطني لتوضيح أهداف الثورة والرد على الإعلام المضاد، ظهر أولا في كتابات حائطية ومناشير وإتصال فردي .

"يتفق معظم الذين درسوا إعلام الثورة أن البدء كان بالصحافة ثم لحقت بها الإذاعة ثم الوسائل الأخرى من سينما ومؤتمرات ونشرات ومسرح ورياضة ومنظمات وغيرها من وسائل الدعاية والتبليغ .ويمكن القول انه لم تظهر صحيفة رسمية ناطقة باسم جبهة التحرير قبل مضي سنة على الأقل من اندلاع الثورة. وأول عدد من جريدة (المقاومة الجزائرية)ظهر في أخر سنة 1955"[2].

هذه الجريدة طبعت أولا في فرنسا ثم المغرب وانتقلت أخيرا إلى تونس ولم تكن لها نفس طبعات وهذا يدل على عدم التنسيق بين هيئات التحرير في الأماكن الثلاث ،أما في مؤتمر الصومام وضع برنامج إعلامي جديد وغير اسم الجريدة من المقاومة إلى المجاهد.

"ولكن مؤتمر الصومام وضع برنامجا جديدا للإعلام نتج عنه تغيير اسم (المقاومة) إلى(المجاهد). كما جعل جبهة التحرير هي التي تشرف على الإعلام تحت قيادة (لجنة التنسيق

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9.. مرجع سابق.ص206.205.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق.ص210.

والتنفيذ)شعورا منه بأهمية الإعلام وضرورة توحيد مصدره وأسلوبه وتحديد جمهوره. كما قرر المؤتمر إلغاء طبعات جريدة المقاومة المستمد اسمها فيما يظهر من المقاومة الفرنسية أيام الحكم الألماني بينما اسم (المجاهد) له معنى إسلامي ويعتبر من تراث المقاومة الوطنية الجزائرية عبر فترة الاحتلال الفرنسي "[1]

صوت الجزائر من الإذاعات العربية :

في القاهرة كان صوت العرب يتولى البث للجزائر وكان البرنامج موجه إلى المغرب العربي ، وبرنامج الجزائر محصورا في ركن محدود للحكومة المؤقتة.

"وكذلك شهدت سنة 1956 انطلاقة (صوت الجزائر) من تونس أيضا .وقد تميز بصوت عيسى مسعودي الذي لفت إليه الأنظار وأصبح الناس ينتظرون سماع صوته بشوق. وكانت مدة البث نصف ساعة فقط .وبالإضافة إلى مسعودي والبوزيدي والأمين بشيشي والعربي سعدوني ، هناك سيرج ميشال الذي كان بالحصة الفرنسية ."[2].

وكما أن صوت الجمهورية الجزائرية المذاع من صوت العرب ناطقا بالعربية ، وكان يشرف عليه أحمد توفيق المدني وكان يذيع فيه عثمان السعدي ومحمد قصوري ورشيد النجار والتركي رابح. وفي سوريا دمشق كناك أيضا صوت للجزائر

"كانت رابطة المغرب العربي في دمشق تذيع من وقت إلى آخر برنامجا عن قضايا المغرب العربي من إذاعة دمشق .وفي سنة 1958أيضا ، والوحدة بين مصر وسورية قائمة ، جرى اتصال بين مكتب جبهة التحرير وإذاعة دمشق من أجل تخصيص حصة عن الثورة الجزائرية فيها " [3].

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق ص211.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق.ص222.221..
[3]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق ص223.

وظائف وسائل الإعلام عموما :

لقد أثبتت الدراسات والأبحاث أن الارتباط بين الثقافة ووسائل الاتصال ارتباط بنيوي يفرض نفسه في كل مناسبة يشهد فيها عالم الاتصالات تطورا تقنيا محدثا هزة ثقافية ، ولو تتبعنا مسار تاريخ الإعلام نجده كل مرة يترك هزة وبصمة خاصة سواء رمزي أو ضمني أو علني ينقل الثقافة من الحالة الشفوية إلى الكتابة .

تم اختراع الإذاعة والتلفزيون فبدأت مرحلة جديدة من تقارب بين الشعوب والفئات .

وتشير الأدبيات في الاتصالات الحديثة بإعتبار وسائل الإتصال أساس الثقافة المعاصرة وفي نقل المعلومة وأخذنا إلى عالم جديد هو عالم العولمة فيه تعتبر وسائل الإتصال أساس الثقافة المعاصرة .

فالعلاقة إذن بين الثقافة والتكنولوجية تعود إلى بداية الثورة الصناعية وفي عصر التكنولوجية أصبحت الثقافة مجرد أداة في خدمة التقنية وتصبح التقنية هي الثقافة .

الثقافة تنتمي إلى العامل المادي والمعنوي حيث المعنوي يكمل في المعاني و المادي فنشاهدها في الواقع المعاش كالعادات والعمران .

ويبقى من دور المؤسسات الثقافية هو التجديد والابتعاد عن التقليد وبث روح الابداع والاصلاح.

التجديد والتقليد :

التجديد والتقليد في العهد العثماني :

لقد كان للقرآن والحديث المنبع الأساسي الذي يستمد منه المسلمون الجزائريون كل ألوان تفكيرهم وانماط حياتهم ، وأهم ما يميز العلوم الشرعية في هذا العهد هو التقليد والتكرار والحفظ وقلما يجتهد الفقيه برأيه بل كان تقليد شبه أعمى .

" وقد كثرت هذه الدراسات بين الجزائريين خلال العهد العثماني حتى أنه يمكن القول بأن أغلب إنتاج الجزائر خلال هذا العهد يكاد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية .ورغم ان معظم الإنتاج في العلوم الشرعية كان يفتقر إلى الأصالة والجدة ، فإن كثرة التأليف فيه يبرهن على سيطرة العلوم المذكورة على الحياة الفكرية عندئذ"[1] .

وإذا حاول أحد الفقهاء أن يجتهد ويخرج عن التيار العام، أقاموا عليه وأقعدوها ، ويجتمع عيله المجلس الشرعي وتتدخل الدولة ويعزل من وظيفته ، وأحيانا قد يرمى بالزندقة والكفر

"ومع ذلك حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار ، ومنهم عبد الكريم الفكون في القرن الحادي عشر (17م)، وأحمد بن عمار في القرن الثاني عشر ، ومحمد بن العنابي في أوائل القرن الثالث عشر ، وقد سقنا في الجزء الأول عدة نماذج من ثورة الفكون على الجمود العقلي لدى فقهاء عصره ، ونود أن نضيف هنا قوله عن ظاهرة لدى هؤلاء الفقهاء.فقد استشهد ذات مرة ، وهو ينعي على صديقه أحمد المقري عدم دقته العلمية واعتماده على الحفظ ، بكلام أبي بكر العربي من أن "العلم ليس بكثرة الرواية وإنما هو ما يظهر عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية ، وأن السرد للمعلومات إنما حدث عند فساد القلوب بطلب الظهور و التعالي عن

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج2.امرجع سابق.ص9.

الأقران وكثرة الرياء في الأعمال" وقد علق الفكون على هذا من ان ما قاله ابن العربي يعبر عن الواقع في الجزائر وغيرها "[1].

إن قلة المفسرين للقرآن في الجزائر وضحالة التأليف في الحديث في العهد العثماني ، والدراسات الفقهية كانت تقليدا أيضا ولكسر الجمود العقلي والفكري لا بد من ثقافة واسعة للعلوم تسمح للمتمكن في أن يخوض في علم من العلوم بالإجتهاد.

"وظاهرة التقليد بالإضافة إلى تخلف الثقافة عموماً ، كانت مسؤولة على ندرة الإنتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة واسعة وعميقة كالتفسير .ذلك ان مفسر القرآن الكريم يحتاج إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية قوية لكي يقدم على عمله ، بالإضافة إلى استقلال عقلي كبير ، وهذا مالم يتوفر للجزائريين خلال العهد العثماني "[2].

نماذج من الفكر التجديدي عند بعض الجزائريين :

نماذج التي طرحها سعد الله تتناول نماذج من المفكرين الجزائريين منذ الثلث الأخير من القرن الثامن عشر إلى الحرب العالمية الأولى والمقصود هنا مساهمتهم في النهضة الإسلامية وهذه النهضة ارتبطت بجمال الدين الأفغاني وكان الهدف منها توحيد العالم الإسلامي عن طريق اليقظة والتضامن .

ويعتقد سعد الله ان الوهابية ولا إصلاح محمود الثاني العثماني ومحمد علي هي نهضة لإنها لحظية .

وليست وراء عقلية إصلاحية بالمعنى الذي أتى به الأفغاني ومحمد عبده .

" وخلافا لاعتقاد السائد فان الجزائر شهدت ازدهارا ملحوظا في الانتاج يمتاز بالحيوية و الاصالة و الانفتاح . واذا اخذنا في الاعتبار ان حركة الاستنارة في اروبا كانت مقصودة على

[1]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج2. مرجع سابق ص10.9.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج2. مرجع سابق.ص11.

بعض اجزاء اوروبا الغربية عرفنا ان الجزائر كانت في الواقع تشهد بداية حركة استنارة بلغت مستوى طيبا عشية الاحتلال الفرنسي . لوكن موجة الاحتلال كانت اقوى من هذه الحركة فحطمتها فتلاشت الجهود وضعف الطموح ."[1].

عبد الرزاق بن حمادوش :

هو الطبيب المؤرخ عبد الرزاق بن حمادوش ولد في الجزائر منذ 1107هـ وارتحل إلى المغرب الأقصى عاش 96 سنة وله عدة مؤلفات مختلفة منها (لسان المقال)و(كشف الرموز في بيان الأعشاب)

ولأهمية اعمال ابن حمادوش العلمية سارع العلماء الفرنسيون الى ترجمتها ووضعها اما الباحثين . ومن الذين تراجموا " كشف الرموز " وعرفوا بمؤلفه و اشادوا به السيد لوسيان ليكيرك ، و السيد غابريال كولون . وقد نال الاخير شهادته الدكتوراه في الطب بدراسته لعمل ابن حمادوش . وكلاهما اعتبر ابن حمادوش اصيل التفكير عصري النظرة علمانيا لا يستند على الخرافات او الطرق الغامضة في ممارسته للطب و تناوله للموضوعات العلمية و الاجتماعية .

" وجملة مؤلفات ابن حمادوش تظهر بمظهر العالم الملاحظ . فهو قد درس الطب القديم العربي و الاغريقي . وتعمق خاصة في دراسة ابن سينا وابن البيطار و الانطاكي . ولم يكتف بالنقل بل كان يجمع حيثما ارتحل تجاربه الخاصة . فكان يخرج لالتقاط الاعشاب و يجري عليها تجاربه ، وكان يلاحظ الماء العذب و الماء المالح ليعرف خصائصهما وايهما اثقل وزنا . وكان يدرس مزاج الانسان وتأثيرات العوامل الخارجية عليه . وقد خرج من كل ذلك بدراسات اعتبرها بعض الدراسين الاوروبيين ، امثال غابريال كولون ، من اهم الاعمال العربية الاسلامية . ذلك انها تدل على اصالة تفكير صاحبها وسعة اطلاعه وانفتاحه على ثقافات عصره .فكتاب " كشف الرموز " قد جمع فيه ملاحظاته و تجاربه على النباتات و الحيوانات و المعادن "[2].

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص67.
[2]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .الجزائر . مرجع سابق ص68.

حمدان خوجة:

فحمدان خوجة من مواليد مدينة الجزائر في أواخر القرن 18م تثقف وعاش في وطنه وكانت أسرته تتمتع بمقام كبيرا وسيليا ولعب دورا بارزا في شؤون بلاده السياسية والاقتصادية والفكرية.

" ولم يكد يمضي وقت طويل حتى اصبح خوجة زعيم المقاومة السياسية للاحتلال . فكان يكتب عرائض الاحتجاج على السياسة الفرنسيين نحو مواطنيه ، ويتصل بقادة المعارضة امثال الحاج أحمد بأي قسنطينة ويؤلف لجان المقاومة . وعندما شدد عليه الاحتلال وصادر املاكه ونفاه من ارضه توجه الى فرنسا نفسها واتصل بصحف المعارضة الجزائريين المنفيين هناك"[1].

وألف كتابه المشهور المعروف (بالمرأة) الذي هو عبارة عن تاريخ سريع للجزائر العثمانية ووقائع الاحتلال الفرنسي ونادى بضرورة جلاء الفرنسين من الجزائر .

واعتبره سعد الله أن خوجة استند إلى القومية في دفاعه عن الجزائر ودافع عن الدين الإسلامي وسماحته وقارن بين الحضارة الإسلامية والغربية .

" فقد نادى بضرورة جلاء الفرنسيين عن بلاده ، واستند في ذلك على مبادئ القومية التي كانت عندئذ ما تزال غريبة على العالم الاسلامي ، وندد بالاستعمار الاوروبي والتعصب المسيحي ضد المسلمين ، ودافع عن التشريع الاسلامي وأظهر سماحته وتسامحه ، وقارن بين الحضارة الاسلامية والغربية وانتهى الى رفض التعايش بين الاستعمار الاوروبي والعالم الاسلامي وطالب المسلمين بوجوب اليقظة ونبذ التعصب والأخذ بأسباب الحضارة والعلم ولو من الفرنجة ، لان الشرع في نظره لا ينافي ذلك بل يوجبه."[2].

وفي الأخير اتجه إلى إسطنبول وهناك تولى عدة وظائف منها مترجم القسم العربي للمطبعة العامرة الرسمية ونية المسلمين إلى تأخر عقليتهم وما عليه الأوروبيين من حزم وتقدم وأشار إلى تقدم الأوروبيين في طب والصنائع والرياضيات.

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .الجزائر . مرجع سابق ص75.
[2]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .الجزائر . مرجع سابق.ص75.

" ونحسب ان حمدان خوجة شخصية لها مكانها في الفكر الاسلامي . غير انه للأسف مازال غير مدروس ولا مفهوم حق الفهم فأفكاره عن القومية و الحضارتين الاسلامية و الغربية ، وموقفه من الاستعمار الاوروبي ، وانفتاحه على العصر ، و دعوته الى اليقظة و الاخذ بأسباب الحضارة ، في وقت تغلب فيه الركود و التقليد ، وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر ، هي في الواقع افكار تستدعي الاعجاب بصاحبها وتدعوا الى دراسة ووضعه في مكانه من مفكري العالم الاسلامي." [1]

الأمير عبد القادر :

لقد كانت مساهمة خوجة نظرية إلا أن أبو القاسم سعد الله عملية فقد ضرب المثل في الجهاد والصبر والدفاع وكانت مساهمته عملية في تدعيم نهضة العلم الإسلامي ، لقد قاوم لمدة زمنية طويلة ضد قوة كبيرة تضعف العزائم أمامها فقلده البعض إلا أنهم لم يبلغوا مقامه.

"ومن ناحية أخرى فقد ضرب الأمير المثل في البناء فلم يرفع سيف الجهاد ليحطم ، ولكن ليبني، ولذلك وضع دعائم دولة عصرية وفر لها كل وسائل التقدم والنمو، فإستعان لذلك بخبرات مواطنيه ، وحين أعجزه الأمر استعان بخبرات الفرنجة في تأسيس الصناعة وتطوير الجيش واستثمار خيرات البلاد ولكن عدوه قد هاله الأمر فعمل على تخريب ما بنى وطمس ما شيد"[2].

بالإضافة إلى ذلك نال تقدير العالم العربي والإسلامي ليس بجهاده العسكري ولكن لمواقفه الإنسانية أيضا أهمها إطفاء الفتنة سنة 1860، وكذلك في لبنان ودمشق والحرم ومصر وازدحام الناس عليه كان تقديراً لمقاومته للفرنسيين ودعوته إلى الإسلام عبر مناداته للتجديد خاصة في النظام العسكري والإداري في دولته.

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .الجزائر . مرجع سابق.ص77.
[2]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص78.

" وقد برهن بتدخله في إطفاء الفتنة سنة 1860 على إيمانه بالتسامح وتساميه وحرصه على المصلحة العامة ،وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الأمير كان نموذجا حيا للمسلم وانه قد ساهم عملا لا قولا في يقظة المسلمين ، وأنه قد سلك الطريق الصعب وهو الجهاد ،فكان حقا جليلا في جهاده كما اصبح جليلا في صمته."[1].

3/ الجامعة ودورها العلمي والتاريخي :

الجامعة :

لقد كان تعليم منتشر في أنحاء المدن الكبيرة والصغيرة نقصد الابتدائي وأغلبها تدرس باللغة الفرنسية مع العربية وإن كانت لأبناء الأوروبيين والفرنسين فلا وجود للغة العربية ولا العلوم الإسلامية .

التعليم الثانوي مجاني وله مؤسساته الخاصة وموجود في الجزائر ووهران وقسنطينة وله برنامج فرنسي ويلاحظ ان أغلب الطلبة هم فرنسيون أما الجامعة أدهى وأمر .

" فإذا انتقلنا إلى التعليم العالي الذي تمثله جامعة الجزائر الوحيدة فإنه يقدم البرهان على وجود سياسة مدروسة لتجهيل شباب الجزائر. فالجامعة التي كانت تضم أربع كليات (الحقوق ،والآداب، والطب والصيدلة ،والعلوم)وفيها معهد للدراسات العربية حديث العهد كانت لاتضم سوى حوالي أربعة آلاف(4130)طالب معظمهم من الأوروبيين "لغفلة الآباء أو لعجزهم عن القيام بتكاليف التعليم العالي "حسب تعبير الشيخ المدني "[2] .

دور الجامعة:

في مقال له يتكلم عن دور الجامعة في العالم الثالث إن الجامعة ليست مؤسسة لتعليم العالي كليات ومعاهد وتمنح الدرجات العلمية فقط ، ولكن هدفها هو أيضا تحقيق حاجات البلاد وان

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص78.
[2]- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. مرجع سابق ص52.

تكون همزة وصل أو المركز الرابط بين جميع الدراسات العليا في هذه البلاد ، ولها دور كبير حسب قيمتها ومسؤوليتها.

"إن جامعة لدي أية أمة هي أعلى مؤسسة ثقافية ، ومناقشة الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المؤسسة الخطيرة يزيد من قيمتها ويحدد مسؤولياتها"[1].

وفي العالم الثالث عموما الجامعة تمر بمرحلة إنتقالية وليدة ظروف تاريخية استعمارية فهي في مرحلة التشكل ومعالمها غير واضحة وبذلك تؤثر على حياتنا سلبا أو إيجابا .

فدول المتطورة تقدم وتخصص مانسبته 6% من إنتاجها القومي لتعليم ، ولهم مشاكل متعددة فالدول المتخلفة أحوالها أسوء أكيد.

"إن بعض الدول الصناعية تخصص مانسبته 6% من إنتاجها القومي الصافي للتعليم وكثيرا ما تحدث المناقشات وتنعقد المؤتمرات لنقد وتطوير البرامج الجامعية لكي تحقق الجامعة رسالتها المعاصرة .وفي الخريف الماضي شكا المربى الإسكندر كانغ في مؤتمر دولي عن التعليم من أن هذا القطاع ما يزال بدائيا في الدول الصناعية ، وإنه أي التعليم اخر (الصناعات الكبيرة)التي مازالت لم تمتد إليها يد (الثورة العلمية)بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة. وإذا كان ذلك هو حال التعليم في الدول المتقدمة ، فإنه لا حاجة بنا إلى ذكر حال الدول المتخلفة هنا بخصوص هذه النقطة"[2].

الجامعة قديما تهتم بالعلوم المعرفية والإعتماد على النظري لكن مع تقدم العلوم وفاعليتها فأصبح تنافس عالمي على تقديم الأحسن واخر الإبتكارات والإختراعات والبحوث نتج عنه أن الجامعات هي الأخرى تحولت إلى طابع علمي وعملي .

والجزائر كمعظم الجامعات دول العالم الثالث خرجت من الإستعمار محطمة الفقر والأمراض وتخلف ، والجهل .

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص170.
[2]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص171.

الجامعة الجزائرية فعند قيام الثورة هناك 500 طالب جزائري من بين خمسة آلاف طالب يدرس بها .

"وعندما ولدت الجامعة في العالم الثالث ، تولدت معها مشاكل متعددة ليست غربية عن كل شعب حديث الاستقلال ، فهناك قضية العرض والطلب، أو الحاجة الوطنية والإنتاج الجامعي، وهناك مشكلة المستوى والمادة والإطارات والبرامج عامة. وتعاني بعض الدول المتخلفة أحيانا تضخما في الإنتاج الجامعي يشبه التضخم الاقتصادي ، ففي تقرير قدمه فيليب كومبس ، ممثل اليونسكو السابق الذكر جاء فيه: لدى الهند سنة 1956. 27000 خريج جامعة بلا عمل"[1].

وكانت هناك ربط بين البرامج والإطارات فوضع ضغط كبير على الجامعات الجديدة من طرف الاستعمار القديم الجديد الذي يحاول أن يفرض على تلك الجامعات ويقولون مثلا ليس لديا ثقة في برامجكم ومستواكم ، فأصبح نوع من ضغط نفسي على هذه الجامعات ، فمعظم جامعات العالم الثالث قد استقلت ووضعت برامج وحاجاتها الوطنية واستقلت ثقافيا .

"وتحررت من تلك العقدة النفسية المحكمة التي خلقها الاستعمار ،غير أنه لسوء الحظ مازالت جامعات أخرى تعاني من تلك العقدة ومن التبعية الثقافية، وما يزال أسياد الأمس هناك يصرون على شروط معينة قبل أن يمنحوا بركاتهم لشهاداتها ومستواها، ونحن نعتقد أن هذا قد يتعارض تماما مع روح الاستقلال ، ولذلك يجب أن يزول"[2].

ويبقى وضع الجامعات يطرح سؤال دورها التاريخي والمشاكل الإدارية التي تواجهها ورسالتها الفكرية وماهي الأشياء التي تطورها وتجعلها مؤسسة ثقافية عالية مستقلة تحقق حاجات الوطن.

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص172

[2]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص173.

دور الجامعة العلمي والتاريخي:

1-الوحدة الوطنية

أصبح لدينا كثير من الجامعات في مختلف الولايات والمناطق، منها ما هو خاص بالتكنولوجيا والبعض شامل لكل الإختصاصات، والمبتدئ يبحث عن المزيد من الاختصاصات.

هذه الجامعات الحكومية قد تكون هذه سياسة ترويج للجهوية والقبلية وممكن لكل ولاية جمهورية ذات سيادة على حد قول سعد الله فبرغم تعدد الجامعات وقلة التجربة والإمكانيات لا يوجد لدينا مجلس أعلى للجامعات أو التعليم العالي (في سنة 2004) وأصبح الأمر إجتهادي لدى الوزير.

"ويبدو أن إنشاء الجامعات على هذا النحو لم يخضع لخطة استراتيجية مدروسة سياسية واقتصادية وعلمية وإنما خضع، كما قلنا، الرغبات أصحاب النفوذ سيما في المراحل الأولى من إنشاء الجامعات الجهوية أو الولائية ، وهو الأمر الذي كان سببا في المحنة التي عانت وستعاني منها البلاد إذا لم يتدارك المخلصون الأمر قبل أن تصبح الأحياء الجامعية ميادين الإعلان الحركات الانفصالية استقلالها عن السلطة المركزية"[1]

2- خدمة المجتمع

فبعض الجامعات أشبه بالمدرسة أو المعهد ، والسلطة تقوم بتعين موظفين طموحين في هذه الجامعات وهم موظفون في أغلبهم ، لا يتعاملون مع الجامعة كمؤسسة للمحافظة على المن والاستقرار وسمعة وضمان الوظيفة ، ولا يتعامل مع الجامعة كإشعاع فكري وعلمي وحضاري.

"كتبت منذ حوالي عشرين سنة أحذر من تخصيص جامعة لكل ولاية ودعوت إلى جامعات وطنية وليس إقليمية أو جهوية لخطورة ما ينجر عن الاختيار الثاني من نتائج وخيمة على وحدة المجتمع والدولة. ولكن تحذيري بقي ضمن أوراق كتابي «أفكار جامحة» وضمن

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 68.67..

الصحيفة التي نشرته فيها أول مرة. فقد قلت وقتها إن طابع أية جامعة في العالم هو خدمة المجتمع الذي نشأت فيه وليست خدمة عشيرة أو بلدة حتى ولو كانت هذه الجامعة قد شيدت من أموال خاصة أو كانت جامعة أجنبية."[1]

3- تكوين الشباب علميا

في الجانب العلمي، الجامعة لا تقوم على المواصفات المطلوبة فلا بدا من غربلة الطلبة (الشهادة الثانوية) تأهيلهم لتلقي التعليم العالي والتجارب البحثية الجديدة .

فأكثر الطلبة يعانون من الفراغ الفكري ،فيملئونه بهرج السياسة المحلية أو الجهوية ، ولم يستوعبوا معنى الدراسة المجانية ، فمعظمهم أي الطلبة الجزائريين للآسف لا يعيشون قضية توحد مشاربهم وتجمع شملهم .

إذا انتقل الطالب من الثانوية إلى الحياة الجامعية ووجد نفس الوسط والبيئة نفس الظروف فما هو الاختلاف تحرر من قيود المدرسة الثانوية مثل المراقبة والامتحانات ، فتغيب عنه الروح العملية والجو الدراسي والمسؤولية الفردية على تكوينه ولا يشعر انه في مؤسسة جديدة.

"كما دعوت إلى أن يكون دور الجامعة في تكوين الشباب علميا لا يختلف عن دور الجيش في تكوين هذا الشباب عسكرية، وهو الدور الذي يخدم الوحدة الوطنية، واقترحت أن يكون الطريق إلى ذلك هو تخصيص كل جامعة بفروع معينة يدرسها شباب الوطن على اختلاف مواطنهم. كما أن على الأساتذة ألا يتوجهوا إلى الجامعة التي فيها بيئاتهم الأصلية إلا عند الضرورة. وقد أكدت على أنه من الجناية أن تنشئ الدولة جامعة كاملة الاختصاصات في كل ولاية وتكون إدارة الجامعة وأساتذتها وطلابها كلهم من نفس المنطقة أو الولاية."[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 69.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 69.

التعاقد والتعاون :

إن المتتبع للتعليم الجامعي يدرك ان سير تدريس بالجامعة ليس في أفضل أحواله فإضرابات الطلبة متواصلة ، وأحيانا الأساتذة وكثرة العطل وأحيانا أخرى عدم ضبط الامتحانات ويكون عشوائي وطول فترات الامتحانات بالمقابل نجد أن الوزارة في هذا الجو تلجأ إلى تعاقد مع الأجانب وتمنح لهم سكن والراتب الشهري والعلاوات دون أن تأخذ في اعتبارها هذا ، في هذه الحالة وكأنه تكون قد تبرعت الجزائر مالها على الأساتذة لا يقدمون شيئا.

والأفضل في نظر العلامة سعد الله هو توفير الوسائل والمراجع مع التعاقد مع عدد من الأساتذة الأكفاء الجزائريين في الخارج كمتعاونين.

انشاء لجنة وطنية مشرفة ومتخصصة وتستعين بالخبرة الجنبية إذا اقتضت الضرورة مقابل مكافأة مالية ، توزيع الأساتذة المتعاونين بطريقة مدروسة وبهذه الطريقة تمنع هجرة الأساتذة إلى الخارج واستنزاف البلاد .

" توفير المصادر والمراجع الضرورية للدراسات العليا وذلك بجعل المكتبات والمخابر وأجهزة التصوير والحاسوب في متناول الطلبة والأساتذة وكذلك المجلات المتخصصة والمحكمة دوليا.

التعاقد مع عدد من الجزائريين الأكفاء في الخارج كمتعاونين ، لترغيبهم في العودة بالتدرج إلى الوطن، ولاستمرار إعطاء التعليم باللغة العربية، ولصب خبراتهم ومهاراتهم المكتسبة في مشاريع وطنية، ومنها البحث العلمي"[1].

إن خطورة إجراءات مثل هذه وما يتبعها من استنزاف للمال العام بطريقة عشوائية في ذلك الوقت سنة 2004/11/7 يوم كتب المقال ، أما اليوم فالحديث على نهب أموال الشعب بطريقة اكثر جرأة فينصح بوضع ندوة أو مؤتمر يخصص فقط لهذا التوجه، ويكون فيه النقاش حول الموضوع وتوصل إلى نتائج ملموسة وفعالة .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 65.

" وهكذا يبدو أن موضوع التكوين والمتعاونين وهجرة الأساتذة الجزائريين لم يأخذ حظه من العناية حتى الآن رغم خطورته. لماذا لا يعالج هذا الموضوع بشفافية في ندوة أو مؤتمر يجمع مصالح الوزارة الوصية وممثلين عن الجامعات الوطنية وممثلين عن الأساتذة المهاجرين الدراسة أسباب الهجرة من جميع وجوهها، ومحاولة التوصل إلى صيغة ربما ترضي الجميع وتسد الفراغ الذي تعانيه الجامعات وتضمن تقدم البحث العلمي فيها وتغني عن المتعاونين الأجانب؟"[1].

تعاقد مع الجامعة الجزائرية :

إن عملية البحث عن الأساتذة الأجانب من أجل التعاقد قد نفسرها بأنها توفير أفضل الأساتذة لهم ،و الانفتاح على البحث العلمي عند الدول المتقدمة في عصر العولمة ، إلا أن العلامة سعد الله لاحظ ان هذه الخطوة تحتاج هي أيضا على استعداد خاص للآسف غير متوفر في الوقت الحاضر، والخوف مرة أخرى ان يكون هذا القرار فيه ارتجال .

ثم ان الإعلان لم يوضع بشكل ممنهج فلا شروط واضحة ولا لنوعية الشهادات المطلوبة أو المكافئة .

"أن الدكتوراه التي تخطط هذه المدرسة الخاصة لمنحها ستكون في الآداب والعلوم الإنسانية، أما العلوم الدقيقة والأبحاث الفيزيائية والرياضية والطبية وغيرها مما نسميه الفروع العلمية فليس من مهمة هذه الجامعة، رغم أننا سمعنا شكاوى رسمية وغير رسمية من نقص الاهتمام بالعلوم الدقيقة لدى طلبتنا"[2].

وعند مراجعة هذا القرار مع تجارب الجامعات العريقة في هذا المجال وعملهم كيف تجلب الأساتذة المتعاقدون نجد انهم إما جامعات خاصة قائمة على التنافس نحو الأفضل وسوق العمل ، وطلاب يدفعون رواتب الأساتذة من أجل التفوق وجودة العمل .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 66.
[2]أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 62.

أو الجامعات الحكومية ذات الحاجة الملحة إلى تخصصات مدروسة أو الجامعات المتعاقدة متوفرة على إمكانيات النشر والمخابر والمؤتمرات والندوات العلمية ، في هذه الحالة يمكن للأستاذ الأجنبي أن يقوم بترقية الجامعة ويزيد الإضافة العلمية .

"تفتح جامعاتنا المسكينة أبوابها لحشد من الأساتذة غير المؤهلين علمية والطلبة غير المؤهلين ذهنية والموظفين غير المؤهلين إدارية ، ثم يبدأ التخبط وعملية البناء والهدم. فتفتح أقسام ذات تخصصات علمية لا توجد الها معدات ضرورية كالمختبرات والحاسوبات، كما تفتح أقسام أدبية لا توجد لها مكتبات ولا وسائل للنسخ والتصوير ولا قاعات للمطالعة وأحيانا توجد نماذج من هذه المعدات والوسائل ولكنها في شكل زخرفى (ديكوري) فقط من أجل تصوير عملية التدشين."[1]

3- الجامعة والسياسة

إن عملية ملئ فراغ طالب بسياسة وإلهائه بالجامعة توجه غير سليم فذلك يشوه أذهانهم فيصبحون أبواق لبعض الأحداث ثم صراعات حزبية أو جهوية أو عشائرية او فكرية ، وهي في غنى عنها في وقت دراسة ، عوض أن يكون فردا فعالا وملهما للوحدة ، يصبح ناقص المعلومات والمعارف ويساهم في التضارب والتمزق الاجتماعي وربما الشعور بالغبن والاضطهاد فيتحول الطلبة الضعفاء إلى (نقابيين) يساومون الأساتذة الضعاف أيضا على زيادة النقطة هذا قديما في عهد العلامة سعد الله آم اليوم فحدث ولا حرج.

" إن الجامعات المحترمة حكومية كانت أو خاصة لا يمارس فيها الطلبة السياسة الحزبية مهما كانت. ومن أراد منهم أن يتحزب فعليه أن ينشط خارج رحاب الجامعة، إن للطلبة الجامعيين الحق في إنشاء اتحاد واحد (وليس اتحادات لكي يتعاملوا مع سلطة الجامعة فيما يخص مطالبهم ويكون الاتحاد هو الواسطة بينها وبينهم. ثم إن الإدارة الرشيدة هي التي تشرف بنفسها

[1]-أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 64.

– بالتراضي بين الطرفين – على إجراء انتخابات نزيهة للطلبة تنص لوائحها على الاقتصار على الاشتغال بالقضايا الثقافية والتربوية التي تمس مصالحهم داخل الحرم الجامعي"[1].

التشبع بالروح والثوابت الوطنية :

إن الشهادة وحدها لا تكفي لتأهيل التدريس الجامعي والإشراف العلمي ، بل يجي عليه نوع من التكوين حتي يصبح له باع في البحث وتدريس ، وإن اهم ما تقوم به الجامعة هو تحصيل العلم في أطار ثوابت وتأكيدها .

"ولكن متى كانت الشهادة وحدها تكفي للتأهل للتدريس الجامعي والإشراف العلمي؟ ثم متى كانت الشهادة وحدها مؤهلة للبحث والتدريس العالي؟ ففي البلدان التي تعرف معنى الجامعة وتحترمه لا بد من مرور كذا سنة على حامل شهادة الدكتوراه حتى يثبت جدارته ويتفوق في البحث والتدريس، فلننظر، هل تقوم جامعاتنا بهذا الدور؟ هل تتوفر على العناصر الفاعلة والضرورية من إدارة وهيئة تدريس وطلبة وأجواء مساعدة على تحصيل العلم والترفع عن المحلية والتشبع بالروح والثوابت الوطنية؟ نتمنى أن تصل صيحتنا إلى آذان الجميع هذه المرة"[2]

العمل على وحدة الثقافة و اللسان:

اذا كانت الثورة نجحت في تحقيق مكسب الوحدة الوطنية اقامة وطن اسمه الجزائر برغم من وجود ضعاف النفوس الذين انكروا وجدود امة جزائرية او وطن اسمه الجزائر لمقاومته المعروفة منها الدين و اللغة فان العربية ايضا وجدت نفسها في المدرسة الاساسية هي اللغة الام في الجزائر اما في المجال الثقافي و الوحدة الثقافية التي يدافع عنها بقوة العلامة سعد الله يقول انها مازالت تحتاج الى عمل وشروط معينة حتى تنجح وذلك رد على سؤال عن الغاء وزارة الثقافة وكان الحوار يوم 10 افريل 1990 .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 71.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 72.

" انا مع وزراة الشؤون الثقافية قوية وقادرة على خدمة الثقافة الوطنية الواحدة ، ولست مع هيكل للثقافة من الاداريين و العمل الذي لا يربطهم بالثقافة غير الارتزاق ونحن نعلم انه لم تقم عندنا وزارة للثقافة بمعنى الكلمة فقد كانت دائما تابعة اما الاعلام او السياحة وعندما استقلت لم يتولها من تتوفر فيه الشروط التي ذكرنا وهي الايمان بمشروعي ثقافي وحدوي و هادف " [1]

العلم والعلماء :

إن ما يتصف به عصرنا اليوم هو عصر التكنولوجيا والبحث العلمي ، وفي هذا العصر قادت القوى الكبرى أن تغزوا العالم عن طريق العلم وذلك بفضل الجيوش الجرارة والشركات الإحتكارية الكبرى.

لكن الفرق بين العلم في حضارتنا وحضارتهم صحيح الفرق ديني ودنيوي.لقد أكد القرآن الكريم أهمية العلم – والراسخون في العلم – وتقاسموا العلماء السلطة مع السلطان فهو الذي يحكم أما العلماء كان لهم دور توجيه وإعتبروا أنفسهم حماة الشريعة.

"أما حضارتنا فأساسها تعلم العلم والرحلة في طلبه وتعليمه للآخرين لأنه السبيل إلى معرفة الله والسعادة في الدنيا قبل الآخرة، والمتعلم عندنا مجاهد يستحق الثناء الجميل و الخلود العظيم "2

أما علاقتهم مع السلاطين فكانت بين الجذب والشد ، ثم أصبحت العلاقة علاقة السيف وأصحاب القلم وتحول الحاكم إلى نوع من التسلط ، وحاول البعض الإستقلال عن الحاكم بالمقابل نجد بعض العلماء دخلوا في السياسية وأصبحت ميزتهم تقرب إلى السلطان ومن ثم فقدوا استقلاليتهم ، ومن هنا وقعنا في ما يعرف بعصر التخلف العلمي .

"تلك أمة قد خلت ومرحلة قد انصرمت. ثم حلت مرحله آخرى مرت بها هذه العلاقة الجدلية بين الحاكم والعالم، بين صاحب السيف وصاحب القلم والفكر (أو بين السياسي والمثقف بلغة

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات مرجع سابق ص104

[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 107.

اليوم) بعملية شد و جذب آخر: حاول العلماء في هذه المرحلة أن يكونوا ايضا مستقلين عن الحاكم مبتعدين عن بلاطه أسوة بالأولين"[1].

وحين توقف العقل وتعطلت عجلت الحرية الفكرية والتجديد ، وقلت منابع المعرفة ،وأحيط العالم الإسلامي بعزلة لا تتسرب إليه المخترعات الحديثة والأفكار الدخيلة بغض النظر عن حرمتها أو إلحادها .

فكان العالم الإسلامي يجهل مدى تقدم أوروبا. ودام ذلك بضع قرون ، ولما علمنا الفارق الكبير بين العالمين ، أصبحت عملية الإصلاح والتجديد أكثر من ضرورة فظهر الأفغاني والكواكبي وغيرهم .

"الجزائر كانت، كأخواتها المسلمات والعربيات، قد عانت من الانغلاق والجمود، ثم من الغزو والاستعمار، فجربت المجاورة واليقظة والحرب، فكان علماؤها على أصناف: صنف تقليدي ربط رزقه ومصيره بالمستعمرين فلم يفد شعبه في شيء، وصنف تعلم من الاستعمار وآمن بالذوبان في الأمة المحتلة، وصنف تعلم تعليما هجينا، تعليما تلقاه غالبة خارج محيطه الجغرافي"[2].

ابن خلدون عبقريا في امة عملاقة :

لا يظهر العلماء الا في وجود بيئة صالحة تنموا فيها ويكون المحيط ملائم هكذا يرى العلامة سعد الله ويقول مثلا ابن خلدون كان عبقريا في امة عملاقة وايضا ان تاريخنا تاريخ عملاق ، فعلا الاشخاص الذين يكتبونها ان يكونوا كذلك والحقيقة ان ازدهار الحضارة يعني كل اختصاصات العلوم منها التاريخ او علم الاجتماع او غيرها .

" تلك فكرة طرحتها نتيجة تتبعي لتاريخنا العربي الاسلامي وتواريخ الامم الاخرى حاضرها و غابرها خذ الطبري و المسعودي وابن خلدون في الحضارة الاسلامية وخذ هيرودوت وبوليبيا و

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف .الجزائر عالم المعرفة 2011،ط1 .ص 108.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 109.

تاسيتس في الحضارة الاغريقية الرومانية وادرس اليوم مؤرخي الانكليز الالمان و الفرنسيين و الروس الخ .... "[1]

المفهوم الحضاري الذي ينطلق منه سعد الله هو الامة العربية الاسلامية اي المفهوم الحضاري وليس السياسي القائم على التجزئة و النظم و الدول الموزونة في العهد الاستعماري وحتى في التاريخ وفي المفهوم الاقليمي الجزائر تفتقد الى مؤرخ عملاقة حسب رايه

"فإننا نجد التاريخ الجزائري لم يكتبه مؤرخ وطني " عملاقة " على غرار ماكتب عبد الرحمن الجبري عن تاريخ مصر وابن ابي الضياف عن تاريخ تونس واحمد الناصري السلاوي عن تاريخ المغرب وهكذا يظهر ان بلادنا في فترة مخاض ولعلها تلد عملاقها قريبا نرجوا ذلك " [2]

المثقف القائد:

غياب المثقف القائد في الجزائر برغم الكتابات والمجلات العلمية المتنوعة المختصة وغير المختصة وزخم الفكري اليوم، إلا أن المثقف الجزائري ما زال غائب نعم حاضر بإنتاجه غائب بفعاليته وتأثيره إذا من المثقف القائد في الجزائر عند العلامة أبو القاسم سعد الله.

" ولعلنا في الجزائر في حاجة إلى المثقف القائد وليس المثقف المنتج فقط، ويحضر في مثالان للمثقف القائد في الجزائر هما ابن باديس ومالك بن نبي فهل عندنا اليوم واحد من هذين الرجلين؟"[3]

[1] أبو القاسم سعد الله ، حوارات مرجع سابق ص 59
[2] أبو القاسم سعد الله ، حوارات مرجع سابق ص 59
[3]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 31.

4/ مشاكل الثقافة في الجزائر وحلولها

مشاكل الثقافة في الجزائر المستقلة :

للجزائر عدة مشاكل ثقافية أولا بحكم انتمائها للعالم العربي والإسلامي وفي بعدها تاريخي وأيضا الجغرافي ولكن الأكثر تأثيرا عليها هو العهد الاستعماري .

هناك من يريد إدماج الجزائر في الحضارة الغربية ومسح تفكيرها الوطني لكن ثورة نوفمبر في معناها الثقافي هي رفض المسخ والاندماج الحضاري بجميع أشكاله.

" وهنا تبدا ازمة الثقافة الوطنية المعاصرة . واذا كانت الثورة قد قامت بالتزاماتها في عدة ميادين ، فان كثيرا من التزاماتها في ميدان الثقافة ما يزال ينتظر التحقيق . وصعوبة العمل في هذا الحقل لا ينكرها احد . ذلك ان التطبيق هنا يعني التوفيق بين ذكريات الماضي ، وتمنيات الحاضر ، وامال المستقبل . واذا شئت فقل انه يعني التوفيق بين متناقضات فكرية تولدت عن اضطرار الجزائريين في ان يعيشوا في العالم الاول و في العالم الثالث في نفس الوقت ." [1]

أهم المشاكل بالنسبة لسعد الله هي كتالي :

1 – الذوق العام

2 – اللغة

3 – الامية

4 – التعليم

5 – السينما و التلفزيون

6 – الكتاب الوطني

7 – الصحافة

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .ا مرجع سابق.ص144.

وبحكم أننا تكلما في الفصل الذي سبق عن اللغة والأمية والتعليم ففي هذا الفصل نتكلم عن مشاكل المؤسسات الإعلامية والذوق العام ، أما نحن فاليوم نضيف أيضا أزمة العولمة وكيف ينظر إليها سعد الله .

1-الصحافة :

الإحصاءات تقول أن عدد القراء العربية أكثر من قراء الفرنسية إلا أن هناك فرق كبير وواضح في صحف ويميل إلى الفرنسية ، وإذا كان هناك مجهود لإسترجاع مقويات الأمة يجب تدعيم صحف العربية .

والأدهى و الأمر أن مواضيع العربية مترجمة ولا تخضع لقواعد صحيحة ،فمن الناحية الإخراج وتوزيع بين صحف صادرة بالفرنسية أفضل وهذا ربما نذكر أنه من تركة المستعمر .أما فيما يخص مشكل الترجمة يقول سعد الله .

"بينما لا يجد زملائهم نفس الفرصة في الحصول على الصحف العربية (غير الجزائرية) الا قليلا ، وقد نتج عن هذه الحالة عدم تساو في الثقافة اليومية و التوجيه العام سواء في ذلك القضايا المحلية و العالمية . ولعل اسوا ما يلاحظه القارئ للجرائد العربية الجزائرية هو ان موادها تكاد تكون كلها مترجمة . وليت هذه الترجمة تخضع لقواعد النقل المعروفة ! كما يلاحظ القارئ لهذه الصحف ضعف العناية بالاخراج و هبوط مخيف في مستوى التحرير"[1].

ولعلاج مشكل الصحافة وإثبات التوجه الثوري السليم يجب إعطاء أهمية أكبر لصحافة العربية وتحسين أجهزتها المادية ، فلا بد أن نشجع الصحف العربية وتقليل والحد من الاستعمال المفرط لصحف الجنبية فالأخبار الوطنية من اجتماعات ومناسبات يمكن نشرها في صحف ومجلات عربية ، لإن نشر المعرفة وتعريب المنظومة التربوية والإعلامية وتوحيد افتجاه مهم ، ومن هنا تكمن ضرورة مضاعفة الجهود.

[1]-- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق ص149.

" ومن الضروري كذلك ان تقلل الجزائر من الصحف ذات اللسان الاجنبي ، وان تحصر ذلك في صحيفة يومية واخرى اسبوعية ، و الاقتصار في هاتين الصحيفتين على الاخبار الرسمية و العالمية اما الاخبار الداخلية كالاجتماعيات و الاعلانات و النشاطات الرياضية و الفنية فيجب وضعها في الصحف العربية . وما دام الهدف هو تعريب الوطن ونشر المعرفة و توحيد الاتجاه فانه من الضروري مضاعفة عدد الصحف العربية حتى تؤدي مسؤوليتها الكبيرة "[1].

الكتاب المدرسي :

لقد عاني الكتاب الوطني الكثير في العهد الاستعماري ومنه أيضا الإنتاج الفكري والثقافي فكان الاستقلال شيء كبير بالنسبة للمثقفين ،وكان من المفروض الإعتراف به ، وتمهيد جميع طرق لتطويره وتشجيعه برغم من تأسيس دار المطبوعات الوطنية ، إلا أن النتائج لم تكن جيدة في خدمة الثقافة الوطنية .

إذا هناك عقبات وهناك نموذج للمؤلف ومعاناته لطبع كتابه مثلا.

" ولقد حدثني بعضهم بانه ذهب مرة الى مدير الدار يحمل مخطوطا عربيا للنشر ففوجئ بانه هذا المدير كان يحسن العربية . وكتب الى اخر يقول بانه قد بعث بانتاجه الى هذه الدار لتنشره ، بعد مراسلة بينه وبين مسؤوليتها ، ولكن الى الان لم يسمع منهم شيا رغم انقضاء سنة من الانتظار . ومما يؤسف له بهذا الصدد عدم وجود مجلة ثقافية وطنية رصينة يلتقي حولها كتاب الطليعة من الجزائريين و اشقائهم العرب . " [2].

ولمعالجة هذا الموضوع يجب إنشاء لجنة التأليف والترجمة والنشر والتوزيع تكون تابعة لوزارة الثقافة ومهمتها هذه اللجنة هي الإشراف على طبع جميع الكتب الصادرة من الجزائر في شتى العصور سواء باللغة الفرنسية أو العربية أو غيرها المهم ذات فائدة في كافة المجالات العتية تربوية الثقافية الاجتماعية.

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص152.
[2]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص149.148..

" كما تقوم هذه اللجنة بترجمة وطبع ما ينتجه الجزائريون المعاصرون بشتى اللغات في اللغة الوطنية . ومن الصلاحيات الاساسية لهذه اللجنة هي توزيع الكتاب الوطني في الجزائر و خارجها و المشاركة في معارض الكتب الدولية . كما تعطي هذه اللجنة جوائز معينة في شتى المجالات على مستحقيها من الكتاب و المترجمين و الفنانين ."[1]

الحلول المشاكل الثقافية بالجزائر :

1-ضرورة وجود مثقفي العربية على رأس الجهات المسؤولة ، خاصة ترجمة والثقافة والتعليم ووسائل الإعلام ، في زمن وأيام سعد الله ربما كان المشكل في التعريب أساسي إلا أنه اليوم نلاحظ أن الجزائر تقدمت بخطوات لا بأس بها خاصة في المجال العلوم الإنسانية والاجتماعية لكن الترجمة أصبحت مشكل اليوم .

ثم لابد من إسناد الأمور والقضايا إلى أهل الكفاءة والاختصاص والجدارة بدون محسوبية ولا وساطة .

" ان اكثر دول العالم تقدما هي التي تفرض على ابنائها ان لا يصلوا الى مراكز السلطة و النفوذ الا على سواعدهم و كفاءتهم . واكثر دول العالم تخلفا هي التي تستعمل طريقة

(الاكتفاء) وسياسة التكتلات الجهوية و الطائفية . ولن تستطيع الجزائر ان تشق طريقها الى القمة المنشودة الا قضت على هذه الافة التي مازالت تنخر عظام شعوب العالم الثالث"[2].

إن التعاون والتضامن بين جميع المثقفين والمختصين والنقاش الجاد والحوار الهادئ هو الذي يبين الحلول وليس الفرد او الجماعة او المؤسسة بمفردها قادر على التغلب على مواجهة التحديات الثقافية.

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص153.
[2]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية مرجع سابق .ص150.

فلابد من تعاون وزرع ثقة بين جميع المناضلين في كافة الاختصاصات ، ومن هنا نجد ان هناك عوامل مساعدة في تحقيق وتحرير الإنسان الجزائري أيضا فكريا منها إنشاء وزارة الثقافة الوطنية ، وتهتم بقضايا والنقاد والإشراف على وسائل الإعلام والفنون .

" وزارة خاصة بالثقافة الوطنية . وستكون مهمة هذه الوزارة هي الاشراف على جميع وسائل الاعلام،الفنون الشعبية و الملاهي ، والمتاحف.

كما يشمل اختصاصها احياء التراث القديم ، ونشر الكتاب الوطني وطبع مجلة فكرية تعبر عن الثورة الثقافية في الجزائر.وقد يكون من مشمولات هذه الوزارة الاشراف على المكتبات والصحافة. إن انشاء هذا الجهاز سيكون اعظم اعتراف من الثورة بأهمية الثقافة الوطنية في هذه المرحلة الحاسمة من تطورنا "[1].

وهذا الأمر يساعد ويعني تخفيض مسؤوليات وزارة التربية الوطنية وإنشاء وزارة خاصة سيساعد وزارة التربية في دورها في نشر التعليم بجميع فروعه ومحو الأمية وتوفير الأساتذة وطبع الكتب وأمور الثقافة ترجع إلى وزارة الثقافة .

ويختم حديثه عن المشاكل الثقافية في الجزائر المستقلة بأن جميع حلولها في الالتزام بالخط الثوري السليم أولا ثم بالديمقراطية الثورة وفي الأخير التحام جميع العناصر الوطنية المناضلة وتفجير طاقاتها ومواهبها .

" ولكن مهما قيل عن مشاكل الثقافة الوطنية فان جميع حلولها مرهونة بالتزام الجزائر بالخط الثوري السليم . وان الضمان الوحيد لتفهم المشاكل وايجاد حل لها متوقف على تفتح الثورة نفسها حتى يكون في استطاعتها ان تحمي نفسها من العواصف و الرجات ، وان تتعمق حاجات الجماهير ، وابعاد العصر الذي تعيش فيه .والطريق الصحيح للالتزام بذلك الخط

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص151.

الثوري هو ديمقراطية الثورة نفسها ذلك ان كل احتكار للثورة يعني تحريرها من اقدس مبادئها وهو الشعبية "[1].

وهذه الآراء فهي إلى حاجة إلى رأي الجهور والمختصين وهذه مساهمته هذه القضايا كانت في بداية الاستقلال كتب المقال يوم 1 نوفمبر 1966 أما اليوم فالقضايا اختلفت على المستوى التربوي أو الثقافي في سنة 2022 حوالي 26 سنة الفرق كبير لكن المرحلة أيضا تغيرت وأصبح صراع أكثر وضوحا ومعالمة أصبحت ذات بعد عالمي بين العولمة والثقافة والقبيلة ومصالح دول كلها امتزجت في تكنولوجيا الحديثة .

حال المثقف اليوم من حوار دور المثقفين في بناء المغرب العربي :

إذا كان المثقف هو الذي يكون في القاطرة الأمامية من المفروض إلا أن واقع الحال كحال لا رأي لمن يطاع فتوجهات فوقية وما عليه إما المؤازرة وتشجيع أو سكوت والباقي فما عليه إلى الهجرة والتي عانت منها الجزائر قديما وحديثا.

" من ناحية النظرية يعتبر المثقف هو صاحب الرأي في كل الأمور ذات الشأن أو المصيرية، ولكن الواقع يدل على أن السلطة السياسية هي صاحبة القرار، وعلى المثقفين أن يتبعوا أو يناقشوا أو يسكتوا، إن المثقفين كمية مهملة ومبعثرة بعضهم لجأ إلى السلطة مثل (علماء السلاطين) أو علماء السوء في الزمن الغابر، وبعضهم بقي مهمشا يتفرج ويحوقل، أما الساخطون منهم واليائسون فقد أحتضنهم البلدان الأجنبية غالبا"[2]

إن الثقافة لا لون لها ولا عقل يحركها ويوجهها تصبح خطرا على المجتمع على وحدته، ولثقافته قيمة وطنية وفكرية واجتماعية وتربوية وإنسانية فإذا خرجت عن هذه الحدود فإنها تضر بالجميع.

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق ص155.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات مرجع سابق ، ص 21.

نحن في حاجة إلى ثقافة أصلية متجددة في الوقت نفسه تعبر عن ذاتنا عن هويتنا عن واقعنا عن أمال الأجيال الجديدة وهذا لا يتحقق إلا إذا كان هناك تخطيط علمي عقلاني وطني يتلائم مع الخصوصية والمتغيرات التي تحدث في العالم من حولنا.

إن علاقة الثقافة بالسياسة هناك من يظن أنها علاقة تابعة فإن تعددت السياسة تتعدد الثقافة بل من المفروض أن تكون موجهة لسياسة ومبلورة فالثقافة عامل وحدة للجميع غالبا عكس السياسة هي عامل اختلاف تفرق بين الرأي والمشرب والنزعة والاتجاه.

العولمة :

العولمة بمعنى سيطرة الولايات المتحدة على العالم سياسيا وثقافيا في نظام عالمي واحد وتصبح اللغة الأمريكية هي المسيطرة وثقافة الأمريكية قلبا وقالبا لا يهمنا أي تراث عالمي وبذلك يكون هو ينور على تراثه ومعتقداته ومبادئه ، حتى اللغة في أمريكا ليست مقدمة مثل ما هو لدينا بل هي تخضع لتطويع وتطور حسب سعد الله .

إن العولمة ليس معنى سيطرة القوي على الضعيف فحسب ولكن هنا خصوصية المنطقة الأمريكية فقط بل تمس كل نواحي الحياة .

"أما ثقافياً فمصطلح العولمة يعني في تقديرنا صبغ الثقافات السائدة اليوم بلون الثقافة الأمريكية وصهرها بالتدرج لتخرج منها ثقافة موحدة أو متشابهة هي ثقافة العصر الأمريكي المتميز بالعلم والتكنولوجيا وسيطرة اللغة الإنجليزية وآدابها وفلسفتها ... وبذلك تتحول ثقافات العالم إلى عنصر داعم للسلام العالمي الأمريكي الذي تختفي في ظلاله القوميات الخاصة .

إن العولمة في هذا السياق تهدف إلى وحدة العالم سياسيا وثقافياً"[1] ، والمسلمون لهم تجربة غنية يجب أن يستفيدوا منها فهم قادرون على فرض واقع جديد و أن يأخذوا من عولمة غيرهم ما يفيدهم في جولتهم المقبلة .

[1]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق ص243.242.

دور المؤسسات الثقافية كبير في مواجهة العولمة منها الإعلام أولا فيما يخص العولمة يقول سعد الله : "ومن الواجب أن يشمل التطوير مختلف المؤسسات الثقافية والإعلامية أيضاً وليس اللغة وحدها . ذلك أن العولمة ستتجه بالدرجة الأولى إلى المواطن العربي لتؤثر فيه وتسحبه من محيطه وتجذبه إلى محيط ثقافي جديد بواسطة الإعلام الموجه القائم على مبادئ علم النفس وحاجة الإنسان إلى التكفل والتأقلم والمنفعة . فالمسرح والسينما ومعاهد والموسيقى وفنون الرسم والنحت والخطاطة "[1].

وفيما يخص هدفها لحماية القيم والأخلاق الراقية والسمو الحضاري يقول : " يجب أن يدخلها أيضاً التغيير المدروس الهادف إلى حماية الذات والتراث . وهذه المؤسسات في الحقيقة يجب أن تخدم المبادئ العليا للمجتمع كالاعتزاز بالوطن والقيم والثقافة والأخلاق الراقية والسمو الحضاري . وهذا لا يعني معاداة التجارب الأخرى في الحضارة التي قد تأتي بها العولمة ، فلدى الطرف الآخر ما يقدمه أيضاً من علوم وآداب وفنون وتكنولوجيا "[2]

وفي العنصرية والمساواة يقول : "وكلها يمكن أن تقدم فائدة كبيرة للمواطن العربي دون أن يتخلى عن ثوابته ، وعلى هذه المؤسسات الثقافية أيضاً أن تحارب العنصرية وأن تدعو إلى الحرية والمساواة واحترام الإنسان والتشاور ورفض الاستبداد ، فكل هذه المثل العليا دعا إليها الإسلام وأخلاقنا ونادى بها علماؤنا ومفكرونا عبر العصور "[3]

مشكل العولمة :

لا يوجد هناك تعريف جامع مانع للعولمة لغويا كما يذكر شيخ المؤرخين ، كثيرا ما تقام ندوات والاجتماعات وفي نفس الوقت هل يمكن أن لنا عولمتنا التي تستحق منا العناية والتركيز والدفاع عنها ، وإقناع الأخر بها .

أما فيما يخص التعريف فيعرفها العلامة سعد الله :

[1]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق .ص250.
[2]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق.ص250.
[3]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق.ص250.

"وقد يكون التعريف الأقرب للعولمة المعاصرة هو القول بأنها مذهب سياسي واقتصادي وثقافي وتكنولوجي يعني الهيمنة الأمريكية (السلام الأمريكيpax americana على غرار السلام الروماني pax romana) على الشعوب وثرواتها وإدخالها في البوتقة الأمريكية–الغربية بمختلف الوسائل، الشرعية وغير الشرعية . "[1].

وهذه الظاهرة تاريخيا جديدة ، فكل حضارة وكل دين أو سلطة تعمل جاهدة على فرض نفسها على الأخرين ، وانتشار إذا قلنا مذهبها . وإن فرض ذات على الخر هو حماية لها .

وهذا تحدي في الغالب فيه المنتصر والمنهزم، فمن عهد الروم والفرس كان الصرع وفي ظل الفلسفة الرأسمالية والماركسية سمعت كل منها على نشر فلسفتها .

ويذكر الشيخ المؤرخين حادثتين في العصر الحديث وما ترتب عليهما من أثار السلبية وإيجابية علينا :الأولى الحملة الفرنسية على الجزائر وكيف غيرت الجزائر والمغرب العربي لغة وثقافة والحادثة الثانية ضد مصر وغير المشرق العربي .

"لقد استمرت العولمة في الانتشار غير المباشر في مصر والشام في عهد محمد علي وأحفاده إلى احتلال مصر قبل الإنجليز سنة1882، وما رافقها من تأثير على تاريخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في مختلف الميادين ، بما في ذلك إعادة النظر في تفسير الأحداث كخلافة أبي بكر وفتنة علي ومعاوية وأسباب ظهور الفرق السياسية كالقدرية ، وإعادة النظر أيضاً في برنامج الجامع الأزهر وفتح باب الاجتهاد وإطلاق دعوة تحرير المرأة وتدوين الفقه الإسلامي وصياغة الدساتير الوضعية وتحديث التعليم ، وحرية الصحافة والتعبير. ويدخل ضمن موجة التغيير هذه إعادة النظر في تحقيب التاريخ، وإعادة تسمية الدول بأسماء الأعراق التي أسستها"[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق.ص30.29.
[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق.ص31.30

وأصبح بذلك الاهتمام الكبير المتزايد بالرق في الإسلام حي ارتداداتها امتدت أيضا إلى أقطار المغرب العربي في وقت لاحق مثل الحركة السلفية والفكر القومي ودعوة الإخوان المسلمين، وكذلك ما سمي بالنهضة الأدبية والفنية.

أما الحملة الفرنسية على الجزائر أثرت أيضا على الدول المجاورة مما جعل دعوة إلى الإصلاح اكثر من الضرورة حتى أن بابات تونس بدأوا يزورون القادة الفرنسيين في فرنسا نفسها او في الجزائر لأخذ التعليمات والتوجيهات ، حتى أن تونس عرفت أول وثيقة دستورية تونسية في العالم الإسلامي .

أما سلاطين المغرب فبدأ بإصلاح جيشهم وإدارتهم ويخضعون القبائل لحكمهم .

"أما الحملة الفرنسية على الجزائر أو الحدث الثاني في نطاق العولمة الساعية إلى الهيمنة والانتشار ، فقد ترتب عليه ابتلاع الجزائر بعد الدخول معها في مواجهة شرسة غير متكافئة شكلت مختلف القطاعات والفئات ، كما شملت مظاهر الحضارة ، ومنها التاريخ.(وسنعود إلى هذه النقطة)كما انتدت ظلال الاحتلال إلى تونس والمغرب وإلى حد ليبيا . فأخذت حكومات هذه البلدان تحاول إصلاح نفسها لمواجهة التحدي"[1] .

ومع هذا ومحاولة المغرب متابعة الإصلاح إلا انه وقع في قبضة الاستعمار لقد تأثر العالم الإسلامي مغربا ومشرقا بما يسميه سعد الله عولمة الإستعمار.

والاستعمار ترك بصمات ولعل أقواها الإستعمار الفرنسي فهو نوع الذي يترك تأثيرا قويا في البنية الثقافية لدول المستعمرة . ولغرس ثقافته وعولمته يلجأ إلى طعن في القيم الثقافية السائدة في البلاد ويسميها بالثقافة الأهلية ، ويسعى إلى تمجيد ثقافته ولغته وإنجازاته الحضارية ، فكان الاستشراق والمبشرين المرحلة الأولى ثم استعمال بعض النخب والإطارات الفاعلة في الجامعات والمعاهد المتخصصة لخدمة ثقافة العولمة والإساءة إلى حضارة الشعوب المغلوبة.

[1]- - أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ص31.

"إن تاريخ هذه الأقطار العربية الإسلامية ، مشرقاً ومغرباً، قد تأثر بفعل عولمة الإستعمار كيف ذلك ؟ إن كل أنواع الاستعمار تركت بصماتها على الشعوب التي استعمرتها ، والدليل على ذلك ما نشاهده ونعيشه اليوم مع ما يسمى ب(النخب)التي نشأت وتخرجت من المدراس التي أشرف عليها المستعمرون . فرغم شح الثقافة الهولندية فقد تركت أثرها على النخبة الأندونيسية التي تولت حكم إندونيسيا بعد 1945.ورغم اهتمام الإنجليز بالمصالح الاقتصادية والعسكرية فإنهم تركوا تأثيرهم على الهند ومصر ودول الخليج وإفريقيا ، وهي الأقطار التي استعمروها في أزمنة مختلفة" [1] .

لقد تغير الواقع والوسائل أيضا ، فأصبحت أمريكا فرنسا وبريطانيا والوسائل تستعمل الوسائل الحديثة الإعلامية (الإعلام وتواصل)بدل الأسلحة العسكرية ، وأصبحت هناك سلطات مجهولة تصدر تعليمات والأوامر لتطبيق العولمة التي تريدها أمريكا.

"أصبحت هناك دوائر عالمية غامضة تصدر التعليمات والأوامر لتطبيق العولمة بالطريقة التي تريدها واشنطن وإذا كانت هذه التعليمات صريحة ومباشرة بخصوص ما يسمى بالإصلاحات التعليمية والسياسية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة . فإنها ماتزال غامضة بخصوص التاريخ والتراث والأخلاق"[2].

لقد رفع الصليبيون قديما شعار حماية الدين وحتى الحجج لشن حرب مقدسة مركزين على الأماكن المقدسة ، والأهداف الخفي كانت اقتصادية وسياسية كتخلص من الضغط التجاري وسلب الثروات والحصول على الشعبية بين الرعايا .

"ولكن هناك مؤشرات تدل على ما قد يحصل في نطاق التاريخ العربي الإسلامي بالذات، بناء على تجربة المستعمرات السابقة وإصدار الأوامر من السادة إلى العبيد وعقدة التفوق العلمي والتكنولوجي المعروفة من الماضي. بالإضافة إلى ذلك فأن الأيام ستكشف عن ان هناك ربما

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق. ص32.
[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق .ص35.

حرباً صليبية ، بعض دوافعها معلن والبعض ما يزال خفياً ، وكما كانت وراء الحروب الصليبية القديمة دوافع معلنة وأخرى خفية فكذلك الحروب الصليبية التي تجري أمام أعيننا باسم العولمة الجديدة "[1].

لقد كان للحروب الصليبية أيضا لأثر كبير على المشرق العربي وأيضا المغرب العربي فالأهداف البعيدة في الغالب لا تعلن فلهذا نجد حالة تشكيك متواصل في تاريخ الدول ومن ثم دعوة تحرر من كل شيء في لباس والفكر وهجمات على القرآن لأنه يدعوا إلى الجهاد والقتال.

"كما نتوقع أن يعمل الخبراء في ميدان الاقتصاد والعسكرية ، كل في مجاله ، على دعم العولمة لتقويض أركان التاريخ العربي الإسلامي ولذلك لا نستغرب ان تنطلق الحملة على هذا التاريخ من برنامج التعليم فالطفل يجب أن يحرر من سلطة الإباء وسيطرة الأسرة وأن يسلم للمدراس الخاصة لتخضعه لبرنامج علماني متحرر من القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية الموروثة"[2]

علاج مشكل العولمة :

من أجل الدفاع عن أنفسنا وحضارتنا ومقاومة العولمة من هذه الاتجاهات لا بد من تقوية جهاز المنعة عند الفرد والأمة ، ونشر الوعي هذا أولا .

" الصمود أمام أوامر وتعليمات العولمة بتقوية أجهزة المناعة في الأمة وبنشر الوعي في كيفية التعامل مع الأفكار الدخيلة وتذكير الأمة بما تمتلكه من رصيد حضاري يضاهي وربما يتفوق على ما تقدمه العولمة. "[3]

أما العامل الثاني في دفاع عن ثقافتنا وتاريخنا ولغتنا هو تقوية المبادئ وتسلح بالعلم وثقافة وتاريخ البلاد ، ورجوع إلى الأصالة الحقيقة والحضارة رائدة الإسلامية ، غير الالتزام بالقيم التي جاء بها الإسلام ، وحافظ عليها الأجداد.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ص.36.35

[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ص37.36.

[3]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق. ص38.

" تقوية عقيدة الأمة في ذاتها وفي قوتها المعنوية ودعم إرادة والابداع فيها، لأن العقيدة القوية في الذات هي التي تصنع التاريخ وهي يمنح القدرة على الإبداع والتكيف "[1].

ويعتقد أبو القاسم سعد الله في الأخير أن هذه تحديات ومفهوم العولمة الجديدة سيذهب ويفشل على سيطرة الشعوب هو الأخر كما ذهبت رياح العولمة السابقة .

العولمة و التعليم الالكتروني:

ان قساوة الطبيعة عندما تثمر و تزهر وثاني اكلها تكون ذات بعد بيولوجي طبيعي خالص يتوافق مع جسم الانسان عكس الاكل الاصطناعي الذي هو دائما فيه صعوبات للجسم هكذا شبه سعد الله ثقافته وثقافة جيله اما التسهيلات و الشباب اليوم يقول :

" وهناك جيل جديد وجد كل التسهيلات لكي يتعلم بما فيها الطرق الحديثة في الاثمار عن طريق الاصطناع لكن تبين ان الانتاج الطبيعي غير الانتاج الاصطناعي و الحقيقة ان الجيل الحاضر في حاجة الى استهلاك ثقافي في كبير لكي يصبح منتجا ناجحا وهذا لا يتوفر لديه الان فالوسائل محدودة جدا ولذلك كثر تذمره وقلقه وهو على حق في ذلك "[2] .

مشكل التعريب :

في هذا الجو من الفراغ جاءت الجزائر مستقلة فأخذت على عائقتها نشر العربية خاصة في التعليم وكان شعار الديمقراطية التعليم اي للجميع وكانت المدرسة الاساسية من اهم عوامل ازدهار العربية في الجزائر ولكن مع ذلك ما زالت نقائص موجودة .

كما انه هناك عرب هناك غرب و الذين تأثرا بالغرب هم موجودين ولا شك ان تعريب الفكر ايضا مهم ولا ربما تعريب الفكر اولى من تعريب للسان و البعض يريد من التعريب في الجزائر

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق. ص39.38.
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 22

ان يمس الشكل لا المضمون ويبقى العلامة ابو القاسم سعد الله يريد تعريبا حقيقا يشمل الصحافة و كل القطاعات المهمة في الجزائر

ولكن التعريب مازال يتغير وكذلك في الاعلام يقول المتشائمون ان الجزائر المستقلة قد نشرت الفرنسية بين ابنائها اضعاف ما فعلت فرنسا خلال مائة وثلاثين سنة ، ويوكد هذا الصحف الصادرة بالفرنسية عندنا توزع اكثر من الصحف الصادرة بالعربية وهذا في الواقع يرجع الى عدة عوامل اخرى ليس منها معرفة اللغة ، مثل مصدر الخبر و حالة التوزيع وتقنيات الصحافة ونشر الاعلانات "[1] .

لان التفكير العربي يقلق اصحاب التغريب ويرعبهم ذلك ان من يرفض التعريب بالمعنى الذي يريدون اي رفض العروبة رفض الحضارة العربية الاسلامية ومنه الى رفض الوحدة العربية انهم ينطلقون من نظرة اقليمية ضيقة متعصبة لاتجاه غريب عن شعبنا وعن اصالتنا وتاريخه و حضارته

" وسيتبع التخلف في ميدان التعريب ضعف الانجاز الثقافي في ميدان الكتاب و المسرح و السينما ذلك ان الملاحظ هو ان شعبنا انتشر فيه التعليم وتجذرت فيه المدرسة الاساسية بقيمها وتعاليمها لم يستطيع ان يكون شعبا قارءا اي مطالعا للكتب و المجلات ومستمتعا بالمسرحيات الراقية والافلام الحيدة المستمدة من الروايات وقصص ذات عمق وطني و انساني ولذلك فان تعليمنا قد يكون مهددا اذا لم تسنده حركة قوية في انتاج الكتاب خصوصا بالعربية " [2].

فالصلة بين التفكير و التعريب هي صلة لا تنقسم فالذي يدعوا الى التعريب هو يدعوا الى الارتباط الى العلم العربي الاسلامي و الذي يدعوا الى التغريب يريد الارتباط بالحضارة الغربية هذه مسلمة لا تحتاج الى بيان او ايضاح .

[1] - أبو القاسم سعد الله .حوارات . مرجع سابق ص 76.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حوارات . مرجع سابق ص64.

في عام 1987 جوان حضر سعد الله لإحدى المراكز الثقافية في باريس وألقى بحثه، ومنه لاحظ أنه متهم بمحاولة خلق جدال مفتعل بين المعربين والمفرنسين في الجامعات الجزائرية.

ويذكر سعد الله أن هؤلاء يعيشون في الغربة وكأنهم يتصورن أن المسألة حسمت هكذا بكل بساطة .

فيذكر فهو شخصيا يعيش بالجزائر ولا تربطه بفرنسا لا رباط عائلي ولا أفكار الاندماج القديمة والحديثة ، وأن صراع مازال متجدر ومتجدد.

"فإننا نرى أن قضية التعريب والتفرنس ماتزال قائمة ، بل ولا تزيدها الأيام إلا بلورة وحدة . وهي لا تظهر في الجامعة وحسب ، بل في كل القطاعات الثقافية والفكرية .وهي فوق ذلك معركة حضارية لا يمكن أن يتجاوزها الزمن بهذه السهولة"[1].

أما إذا رجعنا الى واقعنا الحالي فإن كان عهد ابو القاسم سعد الله شهد جدالا ونقاش حول التعريب فإن الجدال في الساحة التربوية التعليمية اليوم اقل لكن ظهر مشكل التنوع أمازيغ فرنسية انجليزية والامور لم تتضح بعد أين الوجهة؟ ولكن القوة الفرنسية أصبحت أقل حدة خاصة مع ضعف فرنسا كدولة.

الحاج ديكارت:

إن إنشاء ثانوية (ديكارت) بالعاصمة أثارت حفيظة العلامة سعد الله بسبب بسيط وهي خشيته ان تكون هذه المدرسة ستكون مركزا لنشر اللغة والحضارة الفرنسية ،بوسائل جزائرية وإمكانيات عربية وإسلامية .

ذكر ان المرحلة الأولى لاستقبال التلاميذ تكون على الجزائريين الذين عمل أو يعمل آبائهم في سلك الدبلوماسي أو في مجال التعاون مع الخارج، لوكان الأمر يتعلق بسلك الدبلوماسي لوجدنا العذر إلا انه لاحظ الفرق بين المدارس الوطنية وبين مدرسة ديكارت.

[1]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص115.

"ولكن أولئك الدراسين الفرنسين قد صدموا صدمة عنيفة عندما كانت نتيجة بحثهم هي انه لم يتخرج من مدرسة ديكارت حتى الان شاب جزائري مرموق أو نابغة في أي علم من العلوم وأن هذا الصنف من أبناء الجزائريين لم يكن متميزا إلا بالمستوى الاجتماعي، من ألبسة وسيارات ووسائل وإمكانات مادية أخرى ،أما التميز العلميّ فقد كان بعيدا عنه كل البعد ، خلافا لأبناء المدارس الوطنية الذين ساعدت الديمقراطية التعليم على فتح المجال أمام جميع الموهوبين منهم ، فأظهر الكثير منهم تفوقا ملحوظا في مختلف التخصصات "[1].

ويذكر سعد الله كيف أن الجزائر بدأت تتخلى عن التعليم الديني والذي له قوة وخاصة في الجانب الروحي وتخلت أيضا عن المدارس الخاصة رغم المساهمة المادية في المجهود التعليمي .

الفكر عند سعد الله:

هناك من يرى أن الجدل الثقافي وبعض القضايا التي تثار في الجزائر خاصة أو بعض دول العالم العربي ، ظاهرها ثقافي إلا أن أبعادها تمس تراث والفكر والحضارة الأصيلة لهذه الشعوب، مثل الديمقراطية ، المنظومة التربوية التراث التقدم المعاصرة الأصالة ، الدين والعلم ، الوحدة العربية، تاريخ الأمة العربية والصحوة الإسلامية والحوار الحضاري كلها ملفات سال من اجلها حبر كثير .

فلهذا يذكر العلامة سعد الله أن الساحة الأدبية والفكرية ليست على مايرام، وأن هذا النقاش ليس من أفضل أنواع النقاش أي النقاش الحضاري ، فكيف الخروج من هذه الأزمة الفكرية التي تعصف بالبلاد.

"ذلك أن الخروج من التخلف يجب أن يشمل أيضا التسلح بالمعرفة التي هي ليست الشهادات وليست القدرة على الكتابة الأدبية والفكرية ، ولكنها نمط من الوعي بالذات وتيار حضاري

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص120.119.

يجعل الإنسان لا يحيا ليعيش فقط ولكن ليسهم في تقدم البشرية أيضا ، يضاف إلى ذلك التسلح بالعقلانية والفكر الرياضي إذا صح التعبير ، ذلك أننا نكتب الآن كثيرا–كتبا ومجالات وصحفا الخ– ولكن ماذا نقول ، وما أثر ما نكتب على مجتمعنا وجيلنا ؟ يخيل إلي أننا ما نزال على العموم نكتب ونتحدث ونفكر بالعاطفة وبطريقة رد الفعل أكثر مما نفعل ذلك بأسلوب العلم والعقل"[1].

إن كانت الكتابة مشروعة فإن لكل جيل ومرحلة قضاياها ومعاركها والقضايا الفكرية المطروحة اليوم هي العولمة الحياة المادية مشكلة الاخلاق الشواذ المخدرات اللباس الفاضح ومن أجل مواجهتها لابد من صلابة الفكر والمعتقد

مشكل اللغة وعلاقتها بالثقافة :

عندما سؤل في مجلة (المسار المغربي)عن علاقة اللغة بالثقافة يذكر سعد الله أنه ينطلق أولا بوحدة الله ووحدة الثقافة ولا ينطلق من فراغ ، إنها ثوابت عاشت بيننا لقرون وقامت من أجلها النظم ودافع عنها أبطال وشهداء فلا أستطيع إلغاء ذلك من أجل تأسيس ثوابت جديدة ، والحقيقة أن اللغة جزء مرتبط بالثقافة لا ينفصل عنه .

" لقد كنت أتوقع أن مجلتكم ستهتم بملفات أخرى ربما تكون أكثر شمولية وحدّة من ملف (اللغة والثقافة)الذي تهتمون به اليوم ، وكأنكم اكتشفتم جزائر جديدة أهملها أهلها ، ولو كان الأمر يتعلق بملف (اللغة والثقافة في الوطن العربي)أو حتى في المغرب العربي لأكتسب صفة الشمولية والأهمية ، ذلك أن لغتنا وثقافتنا ، والمشرق والمغرب والمشرق العربيين ، ومن جهة أخرى أرى أن تعبير (اللغة والثقافة) يفتقر إلى الدقة ،لأن (الثقافة) تشمل اللغة أيضا ، فهل وراء هذه الثنائية هدف آخر؟"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .الجزائر . مرجع سابق .ص157.
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق .ص149.

ماهي الأولويات لثقافة الجزائرية لمواجهة التخلف من جهة والغزو الثقافي من جهة أخرى، أو المواءمة بين المادة والروح ، فلمناقشة الجادة على الساحة الفكرية هي التي تجعلنا نستقبل المستقبل بأكثر صلابة .

ودائما ما تكون المواضيع المطروحة الثقافية هي مواضيع ساعة ، ولكل مرحلة قضاياها ومشاكلها.

"إن لكل مرحلة تاريخية قضاياها الفكرية ومعاركها ، ولنعتبر بالمائة سنة التي خلت ، كم طرحت خلالها من معارك حول الأدب واللغة والثقافة وحول التجديد والتقليد وحول النخبة والجمهور، وحول النقد والمسرح "[1].

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق.ص159.

خاتمة

فبدية الثقافة الإسلامية في العهود الأولى كانت قليلة لان رسوخ الإسلام والعربية لم يتم بعد لعدم انتشار الاسلام في كامل تراب الجزائر الا في بعض الحواضر ثانيا ان الجزائر لم تشهد الاستقرار بين السلطة والشعب من جهة ومن جهة دول المغرب العربي ولكون الجزائر في الوسط كانت أكثر تأثرا بالحروب وغير مستقرة عكس جيرانها تونس والمغرب.

كما نتج عن ذلك هجرة العلماء والادباء ام الدولة العثمانية بالرغم من نجاحها في صد ورد العدوان الغربي خاصتا الاسباني والبرتغالي الا انها في مجال التربية والثقافة ساهمت بطريقة مباشر او غر مباشرة في ركود الثقافة وان ازدهرت احيانا فذلك يرجع الى بعض الحكام فقط او بعض الحواضر .

كما لوحظ انتشار التصوف وطرق التصوف في تلك الفترة في الجزائر سواء تأثرا بالدولة العثمانية أو التبادل الثقافي بين الجزائر والاندلس.

كما كان القرن التاسع هو ازهى القرون الثقافية في الجزائر بسبب قوة الاسطول في الجزائر فكانت العاصمة الجزائر عاصمة ثانية للعالم بعد اسطنبول.

ولوحظ غياب التعلم علوم العصر والفنون مما ساعد على التدخل الاجنبي عسكريا في الجزائر وبسبب التقدم العلمي .

كما زاد التأخر والانحطاط الثقافي في العهد الاستعماري وذلك بعمل مبرمج ومخطط لأجل القضاء على العلم والتعلم والدين فكانت الهجرة هجرة العلماء والاسر ايضا الى المشرق والمغرب.

كما لاحظنا أن الجزائر تعتبر ولادة لكثير من العظماء والمفكرين و المصلحين الى حد ما مثل ابن خلدون ، عبد الرحمان الثعالبي ، سيدي بومدين ،عبد الحميد بن باديس، مالك بن نبي. هكذا نجد التداخل الفكري والجهادي بين المشرق والمغرب من جهة وبين الجزائر وفلطين

من جانب اخر، وهذا يجعل للجزائر خصوصية ثقافية خاصة بها كما أن ابو القاسم سعد الله يرى أن الجزائر بلد المبدعين والمصلحين لان السمة الغالبة على سكانها هو الذكاء.

كما أن عملية مقاومة المستعمر والاصلاح الداخلي كانت الجزائر سباقة اليه منهم رائد التجديد الاسلامي محمد بن العنابي والمقاومة الأمير عبد القادر.

إن أهمية المؤسسة التربوية عميق ودقيق لدرجة تعقد العملية التربوية ، أي لمهمة تكوين الشخصية وكذا تكمن خصوصيتها وطبيعتها وبالتالي تتعدى التربية المؤسسات الأولى في إطار معين (محدود) إلى المجتمع ككل وهي زاوية سوسيولوجية عميقة للبعد التربوي الثقافي، لو استثمرنا هذا الأمر في المنظومة التربوية لتفادينا الكثير من الإخفاقات ، إن الثقافة هي المحصول السائد لا عن مستوى تعليمي معين فالعلم ينشأ من المدرسة إلا أن الثقافة تحدد القيم والمبادئ في بيئته ومن هنا تكمن أهمية الثقافة ومؤسساتها من اجل إحداث تغيير في سلوك الإنسان ومنحه أقصى حدود الفعالية ، وهي عملية تجتاز الإطار المدرسي لتشمل الوسط الاجتماعي ككل والأقرب إليه هي المؤسسات الثقافية في عملية تفاعلية ، ومن هنا تكون المساهمة الفعالة لتلك المؤسسات في إطار مشروع متكامل منسجم تلعب فيه الثقافة بملامح ثورية الدور الاساسي في التنمية الحضارية.

الفصل الخامس

الحضارة عند العلامة أبو القاسم سعد الله

الفصل الخامس : الحضارة عند العلامة أبو القاسم سعد الله

- تمهيد

1/ الحضارة وخصوصيتها في الجزائر عند العلامة أبو القاسم سعد الله

2/ البعد السياسي الوحدة والقومية

3/ دولة الأمير عبد القادر

4/ رؤية سعد الله للحضارة ومعالجة مشاكلها

- خاتمة

تمهيد

فالجزائر جزء من بلاد المغرب وكانت في العصور الوسطى تسمى المغرب الأوسط ومن الشرق المغرب الأدنى وفي الغرب المغرب الأقصى ولها حواضر إسلامية علمية مشهورة عبر تاريخ تلمسان . بجابة . قسنطينة . وفي منتصف القرن العاشر هجري (16م) اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر الصغيرة عاصمة لهم .

"حقيقة أن اسم الجزائر قد ظهر مقروناً بالإضافة مثل جزائر بني مزغنة، ولكن اسم الجزائر بالمعنى الحالي لم يفرض نفسه على المغرب الأوسط إلا ابتداء من منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حين اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر الصغيرة عندئذ ومن مينائها الاستراتيجي عاصمة لهم ومنطلقاً لأسطولهم الحربي والتجاري " [1].

عرفت الجزائر المرحلة الأولى قبل العثمانيين اختلاط بينهم وبين النورمان والفرنجة والإسبان ، سواء بالحرب أو التجارة ونفس الشيء حدث بعد فتح الأندلس ومانتج عنه إختلاط الأجناس والمصالح وأنماط الحضارة .

" وخلال ذلك كان الجزائريون وغيرهم من سكان المنطقة يتعلمون اللغات ويتأثرون بالإنتاج الحضاري ويتبادلون المعارف والمنتجات ، رغم أنهم كانوا مسلمين أوفياء لشعائر الإسلام يتعلمون لغته ، ويحجون بيته ، ويحتكمون إلى شريعته ويمارسون حياتهم اليومية في ضوء تعاليمه "[2].

[1]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي . مرجع سابق ص512.513.
[2]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي مرجع سابق..ص513.

1/الحضارة عند سعد الله وخصوصيتها في الجزائر:

رسالة المثقف والمفكر العربي المعاصر :

كثيرا ماكان الوطن العربي يعيش إمتحانات قاسية وظروف مختلفة وهموم ثقافية وحضارية وعليه مسؤولية من التفاعل مع هذا المجتمع ويبعث فيه روح الأمل وثقة ويحاول إخراجه من حالته المثبطة اليائسة إلى حالة طامحة وروح متجددة فتكون مشرفة لأمته.

"إن الوطن العربي يجابه اليوم امتحانا قاسيا وظروفا يمكن أن نقول : إنها ظروف استثنائية ونحن نعتقد أنه من الواجب أن يتدارس المفكرون العرب أفضل الطرق لاتخاذ مواقف مشرفة لإمتهم وتاريخهم .

إن الوضع العالمي يمر بمرحلة دقيقة يكاد أن يكون فيها الإنسان عامة ضحية اختراعاته المدمرة وعواطفه الأنانية الضيقة ، ونحن كذلك نعتقد ان المفكر العربي يجب ان لا يكون بمعزل عما يؤكد عليه كإنسان"[1]

إن المفكر الحق هو الذي يساهم في تغيير ، وإذا تكلمنا عن الواقع فالوضع لا يسر ، فكثير من الانقسام وواضح على معالم الدول العربية خاصة ، وتعاون مع الدول الأجنبية الذي يضر بمصالح تلك الدول .

إن مهمة المفكر هي توضيح التجارب السابقة للأمم والحاضرة كما أنه يحاول أن يتمعن في إيجابيات تلك التجارب ويدرس السلبيات ، ويكون المفكر موضوعيا وحيادي بمعنى الإيجابية

"وإذا كان ذلك هو المفكر العربي ، فما هي رسالته؟ قبل كل شيء على المفكر لكي يحكم على الأشياء بموضوعية ،أن يظل محايدا ، وحياده لا يعني الهروب والسلبية ، بل يعني قبل كل شيء صفاء وتجرد عقله من الإجحاف، أيا كان نوعه الذي قد يؤدي به إلى الوصول

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق ص15.

إلى نتائج مسبقة ، فالمفكر الحق ليس سياسيا ديماغوجيا ولا صحفيا مرتجلا ، بل هو الإنسان الذي يصدر أحكامه بإقتناع عن تجربة وبهدف ، وبمسؤولية "[1]

مساهمة الحضارة الإسلامية في تدعيم طابع الروحي والأخلاقي للحضارة الإنسانية:

من ناحية المادية والوسائل التكنولوجية نشهد ضعف لدى دول العالم العربي والإسلامي مع تخبط هذه الدول في مشاكل مختلفة مثل الجهل والفقر والأمراض نجد أنفسنا لا نستطيع أن نقدم شيء جديد للعالم المتطور إضافة حقيقية في هذا الميدان، في حين أن الوجه البراق في الحضارة الإسلامية والذي يتمثل في القيم الاجتماعية والأخلاقية والروحية يمكننا أن نبرزه ونوضحه، هذا الذي أدى إلى اقتناع كثير من الباحثين ورجال العلم والسياسة إلى الإقبال على الإسلام ولكن تقديم ذلك يكون بصورة جذابة وصحيحة.

إن مشروع العلامة أبو القاسم سعد الله يفهم منه إبراز تلك المواقف الحضارية التاريخية وإبرازها في المنظومة التربوية أو المؤسسات الثقافية والعمل على تطبيقها في الميدان في مختلف المجالات والمستويات.

أن التفتح على الحضارة الإنسانية يجعل من التربية أن تكون متحصنة من الداخل قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، وتكون في نفس الوقت مرنة تتعدل فيها الأهداف التربوية وترقب أولوياتها حسب الظروف وتتهيكل انطلاقا من الحاجة إليها، ومن أجل ذلك لابد من توفير الإمكانيات المادية والبشرية وتكون بطبع محافظة على أصالتها وتاريخها وهويتها.

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص16

مقومات المجتمع الإسلامي:

العهد الاسلامي (عصر النور):

منذ عهود عرفت الجزائر استقرارا وفترات اخرى عهود هزات عنيفة ولكن استقراراها كان ركودا فاثناء الحكم الروماني و الوندالي و البيزنطي لم يكن الهدوء و الاستقرار عامل تطور ونهو في فطيلة تلك العهود كان العطاء الحضاري غائبا او ظرفيا فظاهرة اوغسطين هي ظاهرة فردية لا اجتماعية

ان المجتمع الجزائري قد عاش هزة ايجابية نتيجة الفتح الاسلامي فقد تحرر الانسان عندئذ من ربقة الاستقرار المفروض بالحديد و النار و دخل الجزائريون (عصر النور) في الميادين السياسية و العلمية ويشهد على ذلك الدول التي اقاموها و العلماء الذين ابدعوا في مختلف المجالات و العواصم الحضارية التي انبثقت هنا وهناك.

إن النظام الإسلامي ليس هو الإقطاع ولا الرأسمالية ولا الاشتراكية ولا الشيوعية، إن النظام الإسلامي منفرد في مبادئه وغاياته ومقوماته الأساسية فمنهج التربية لا تصلح فيه البراجماتية ولا الماركسية والوجودية والواقعية... إلخ وذلك لبيان حقيقتها هذه الفلسفات وما يترتب عنها من أوضاع اجتماعية ليست تضاهي المعايير والقيم الإسلامية بحال قد تحقق نجاحا ونهضة ولكنها نسبية والقيم الإسلامية هي الضمان الوحيد لفهم حقيقة هذه الفلسفات وعدم الانبهار بها.

إذن فالقاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي هي أنه نظام رباني، عالمي يقوم على أساس القواعد العامة والأصول الكلية لشريعة الله، المنصوص عليها في كتاب الله وسنة رسوله (صل الله عليه وسلم)، ومن هذه القاعدة العريضة لنظام الاجتماعي الإسلامي تنبثق أربعة مقومات رئيسية يعتمد عليها البناء الاجتماعي كله وتؤثر في كل خلاياه

وجزئياته الداخلية، وهذه المقومات أو العمد الأربعة هي: العلم والعدل والعمل والحرية المنضبطة بقواعد منهج الله

مبادئ الحضارة الأمريكية

هناك تباين وتضاد بين مبادى التي قامت عليها الثورة الأمريكية حول الحرية والعدالة والديمقراطية ثم نجد أيضا أن الثورة الفرنسية وما تحمل من شعارات إنسانية أيضا مثل الحرية والإخاء والمساواة .

"إن مواثيق الثورة الأمريكية ودستور الدولة وقانون الحقوق وتصريحات الزعماء وأفكار الفلاسفة والشعراء كلها تمتلئ بعبارات الحرية والديموقراطية والعدالة والحقوق وغيرها من الشعارات التي تنص على احترام الانسان وتقديس القيم الأخلاقية والانسانية "[1]

ومازالت الجامعات الأمريكية وأقسام الآداب والعلوم الإنسانية والفلسفة والتاريخ تعلم طلاب هذه المبادئ السابقة وشعارات الثورة الأمريكية .

إن أفكار جيفرسون وفرنكلين و إيمرسون ومبادئ ويلسون وغيرهم لم تطبق وكذلك المؤرخون الأمريكيون (رومانتكين)، مثالين بقت تخضع لتعديل وتعديل وفي الأخير يذكر العلامة سعد الله مايلي .

"وبالرجوع إلى نقطة البداية نقول اننا حقا أمام تناقض صارخ بين المثالية والواقعية في سياسة الادارة الأمريكية نحو القومية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . فهل نصدق ما تعلمناه في الجامعات الأمريكية من مثل عليا في الحرية والعدل وتقرير المصير أو نصدق ما تعيشه قضيتنا الأولى (فلسطين) من ممارسات أمريكية قوامها العسف والتجاهل ومصادقة العدو بلا حدود ؟"[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 259.
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 267.

المشروع الحضاري عند سعد الله :

لقد سبق الثورة حراك نضالي وحدوي إصلاحي والثقافي ولكنه أهمل ولم يؤخذ بعين الاعتبار بعد 1956، كانت هناك تجربة الأمير عبد القادر الذي عمل على إقامة دولة حديثة وكان منهجه بين الوسطية أخذ بإيجابيات الحضارة الغربية متمسكا بدينه ولغته و ثوابته.

"قيادتنا متورطة في إفشال المشروع الحضاري الذي كانت الحركة الوطنية والثورة تعملان على تجسيده بعد الإستقلال ، فقد تخلت بالتدرج عن مطالب الحركة الوطنية في استعادة الهوية المعتدي عليها واكتفت بظواهر الاستقلال ورموز السيادة من علم ونشيد وعملة ومراسيم تستعملها حتى أصغر وأفقر الدول اليوم وأكثرها تخلفاً وأحدثها تكويناً ."[1]

مسار الثورة لم يبقى كما كان عليه حينما انطلقت الثورة ، كانت الكفة لصالح التيار الإستقلالي بالتحالف مع التيار التقليدي وبعد سنة 1956 بدأت الكفة تميل إلى التيار العلماني المتحالف من النخبة السياسية الوسطية ، وكانت هذه القوى تعمل على تحقيق جزائر علمانية تقدمية تتجه إلى فرنسا أكثر ولما جاء الإستقلال ربطه المستعمر بقيود من الصعب على تلك التيارات ان تعود إلى الساحة .

" وقد سارت عجلة الاستقلال عرجاء عوجاء يقودها في أغلب الأحيان أناس مندسون في الجيش والإدارة ومراكز القرار.ولما بلغت الدورة الخلدونية أجلها (ثلاثون سنة)ظهرت الحركة الإسلامية يقودها شبان متحمسون ناقمون على الوضع المنحرف في نظرهم عن منطلقات الثورة تصدت لهم قوات السلطة القوية فأبعدتهم عن طموحهم وفرقتهم شذر مذر بوسائل العنف التي قصمت ظهرها .وقد دخلت البلاد في ظلام دامس وأصبح العهد الذي حدث فيه ذلك الحدث يدعى بالعشرية السوداء "[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف .الجزائر عالم المعرفة 2011،ط1 .ص 88.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 90.89.

والخلاص في نظر العلامة سعد الله إلى اللجوء إلى المصالحة ، ورجوع إلى مبادئ الحركة الوطنية وشرعية الثورة ،وتصحيح ليس عيبا كما أننا يمكن القول بأن هؤلاء طلاب كراسي وان البقاء للأصلح .

"بذلك نصحح التاريخ بالعودة إلى مبادئ الحركة الوطنية وشرعية الثورة التي يثق فيها الجزائريون. وإذا كان هناك من لا يخاف من حكم التاريخ فليحذروا منه فإن كثيراً اليوم قد ندموا على ما فعلوا بالأمس وحتى على ما فعل آباؤهم وأجدادهم المنحرفون .ونحن نحاشي أصحابنا من أن لا يتعظوا بالأحداث وان لا يبالوا بقسوتها على أبنائهم وأحفادهم "[1]

إن التراث الحضاري للجزائريين كبير بقدر ما كان الإستعمار وجبروته كبير وإستعمال كل الوسائل بما فيها الانتخابات. إن تيار الوطني لم يمانع أن يمد يده إلى القوى الأخرى التي تمده بالعون والمساندة ، والبعض أراد أن يستند إلى واقع الجزائر الحضاري الإسلامي ومن جهته والنفوذ الأوروبي وتأثيره الحضاري على النخبة السياسية بواقع الإندماج القانوني وتكوين النخبة وسطية بين التيار التقليدي والتيار المتطرف أو الإنفصالي .

إلى أن تجربة دولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر هي أقرب إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة بين الدين والعلم وهي تجربة رائدة .

"كانت هناك تجربة الأمير عبد القادر الذي عمل على إقامة دولة حديثة إلى حد لا يمس بالشريعة الإسلامية ، فكان يرجع بمفهومها إلى عهد الخلفاء الراشدين وكان يستمد نموذجه من فعلها السياسي والإداري والإقتصادي ويقلدها في أهدافها البعيدة ، ولكنه لم يهمل ماتوصل إليه الفكر البشري من تجارب في الحكم واختراع الوسائل بما في ذلك السلاح وتحديث الجيش والعمل الوحدوي الوطني بدل العمل القبلي "[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 90.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق.ص 89.88.

المنهج العلمي في الحضارة الإسلامية :

المنهج العلمي والعقلي هي المناهج التي اعتمد عليها المسلمون الأوائل والدراسات التاريخية هي أحد الفروع المعرفة والتي يجب أن نستند إلى العلم في دراستها والمؤرخ أولى الناس بالتزام المنهج العلمي لأن الحقائق الكون ثابتة وهي قائمة على قوانين لا تختلف ومن جهة أخرى أن العقل الإنساني ينتج ويبدع بناء عللا التجارب وبراهين علمية والتاريخ لا ينفي ظاهرة التخلف ولكنه يدرس أسبابها وعللها المنطقية والخروج منها أيضا بعلل وأسباب.

"أفضل منهج هو المنهج العقلي المتسلح بالعلم، وأعني هنا العلم العملي بالخصوص، ذلك أن ديننا قائم على المعرفة العقلية والمنهج العلمي، ولكن عصور الضعف والتخلف جعلت المسلمين يتحولون من دعاة عقلانية وعلم وتأمل في ملكوت السموات والأرض واستنباط إلى دعاة خرافة كهنوتية ولا نظلم الغربيين في هذا المجال، ففي عصور نهضتهم كانوا يتعجبون من كون المسلمين الذين كانوا يؤمنون ويعملون بالعلم والعقل أصبحوا يمارسون الخرافة"[1]

أبو القاسم سعد الله يدعوا إلى كتابة التاريخ عن طريق أكاديميين ومختصين حتى تكون موضوعية في تاريخ أي علمية وذات مصداقية وكتابة تاريخ الثورة لعدة أسباب مازال الوقت في نظره لم يحن بعد بسبب

* قرب أحداث الثورة منا

* عدم توفر الوثائق الضرورية للموضوع

* لأن المؤرخ في هذه الحالة لا يستطيع أن يقول كل الحقيقة أحيانا لأنها تمس بعض الجهات والأشخاص وتزيد من تفكيك روابط المجتمع أو الفئات .

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، مرجع سابق ص 97.

" لكي لا يبقى المجال مفتوحا أمام المغرضين يجب في نظري كتابة تاريخ الثورة من طرف مؤرخين غير أكاديميين، أو غير اختصاصيين، لأن هذا أمر ممكن، وعلى أجهزة المكلفة بالدراسات التاريخية أن تلعب دورا في هذا المجال"[1]

عندما يتكلم الأستاذ ناصر الدين سعيدون هو زميل وصديق أبو القاسم سعد الله فيقول: " أما مايهم قضايا التاريخ، فإن التطور واضح والتغيير ملموس سواء في نوعية المعلومات أو قيمة الأحكام أو طريقة المعالجة، فالعرض المحايد في قضايا الحركة الوطنية ما لبث أن ترك مكانه لموقف أكثر احتكاكا بالأحداث وتعبيرا عن الواقع في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لينتهي إلى عرض المعلومات واستخلاص الأفكار وتأكيد المواقف في المسائل المتصلة بالمجتمع والمرتبطة بالثقافة والمعبرة عن الظروف التي تعيشها الجزائر" .

" ويستشف من كل ما سبق أن موقف الدكتور سعد الله في إحاطته بجميع الجوانب المتعلقة بقضية الحقبة العثمانية بالجزائر (سياسيا، ثقافيا، عسكريا...) فإنه لا يحوي أي تناقض، بل يصبو لأن يكون أكثر موضوعية بالحديث عن السلبيات والإيجابيات معا، بعيدا عن عناصر القطيعة والعاطفة والانغلاق والتزمت والتحيز، ولأجل الاقتراب أكثر من الحقيقة العلمية لذلك، فإنه لا يمكن مقارنته بغيره من المواقف، حيث أنه شامل متكامل، المحك الوحيد عنده هو الوثيقة الأرشيفية وضالته هي الحقيقة التاريخية"[2] .

إن المتأمل لحياة أبو القاسم سعد الله يجد أنه دائما البحث في كل ما يتعلق بالجزائر سواء في المكتبات أو الكتب أو الفنون مسرحيات فهو يشرح هنا وهناك عن الوضع في الجزائر عبر رحلاته المختلفة وهنا يحاضر وفي بعض الأحيان تجده يفكر في مشاريع مستقبلية وكان حبه للأمير عبد القادر معروف فنرى مثلا في يومياته يقول :

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ، ص 11.
[2]- مراد وزناجي ، مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله، ص 209.

" فطرت فولا ثم ذهبت إلى دار الكتب فاطلعت على فهرس الجزائر، فهرس طيب ولكنه ناقص جدا، كنت أظن أنه أفضل من ذلك، وجدت فيه بعض الكتب الجديدة على منها كتب الكولونيل تشرشيل عن الأمير القادر(بالانجليزية)، اتخذت الإجراءات لتصويره في المكتبة وأخذه معي، أرجو أن أوفق إلى ترجمته"[1] .

وفي يوم 29 أوت 1968 يواصل الكلام عن نفس الكتاب وبنفس العزيمة ونلاحظ مدى العناء الذي يجده من أجل الحصول مثلا على الكتاب من بيروقراطية.

" بعد الفطور توجهت إلى دار الكتب الإتمام الإجراءات لتصوير كتاب الأمير عبد القادر للكولونيل تشرشيل، مطلب من الورق الكبير امتلأ بإمضاءات المسؤولين، أعوذ بالله من البيروقراطية المريضة، إنهم لا يعلمون، كلهم يتحدثون، إنهم يشربون الشاي والقهوة ويأكلون الساندويتشات، ويتحدثون بصوت عال، هذا ما كان، طلبت كتابا بالعربية عن (حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر)، دمشق، ط، الترقي، 1918، أعجبت بالكتاب رغم أنه قيل في تأبينه ومليء بالمبالغات ولكنه مفيد كثيرا"[2]

الحضارة الامريكية هي امتداد للحضارة الاوروبية المعاصرة :

تعمقه في دراسات التاريخية :

لقد عمد سعد الله على التعمق في التريخ الجزائري لأسباب متعددة منها الوطنية وحب المعرفة وحاجة الجزائر إلى دراسات تاريخية حقيقية بأقلام جزائرية عوض الفرنسية.

و اخذ التعمق في الدراسات التاريخية لم يهمل المطالعة في المدرسة الفرويدية لان معظم المؤرخين المعاصرين الذين وضعوا اسس المدرسة التاريخية الحديثة كانوا متأثرين بأدبيات عصر الصناعة و التقدم في مجالات العلوم الفرعية المستحدثة كعلم الاجتماع و علم النفس

[1]- - أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009 ص 146.
[2]- - أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009 ص 148

وعلم الانثرويولوجيا و المذاهبية المادية و القومية ومن لم يدرس فاجنرو داروين وماركس وفرويد ورينان و اضرابهم لا يمكنه ان يفهم الحضارة الاوروبية المعاصرة التي تمثل الحضارة الامريكية امتداد لها.

التعايش و التعاون مع الغرب :

ان فكرة وحدة الاديان و الثقافات وشعوب فكرة قديمة وتتجدد بأسماء وعناوين ففكرة وحدة شعوب البحر الابيض ظهرت منذ عدة سنوات وتبناها بعض المثقفين العرب وكانت هناك اجتماعات مشتركة منها بين مالطة و ميلانوا وحضرها جزائريون المعروفون بولائهم الاوربي وبفكرهم الاندماجي واشاعو ضرورة تدريس مواد تاريخية تحمل عناوين غامضة مثل حضارات البحر الابيض المتوسط وهناك من اتى لتدعيم فكرة و موضوع التقارب المتوسط مثل روبير مونتران وجاك بيرك و المعروف ان الاول يتراس لجنة الدراسات العثمانية على مستوى اوربا .

وان الثاني يقوم لفرنسا في العالم العربي بما كان يقوم به المستشرق الشهير لويس ما سيبنون في الماضي .

" نحن لسنا دعاة تناطح بين الصفين بل نؤمن بان مفاهيم العصر الحديث في التعايش اصبحت تتطلب قدرا كبيرا من نبذ التعصب لذاته من الطرفين ومن نبذ التلويح بالعداء بالعكس نحن دعاة سلام وتسامح وتعايش لان حضارتنا ودیننا يحثنا على ذلك ولان الواقع العصر يقتضي ذلك ، ولكن من واجبنا ايضا ان تكون يقظين وان يكون شعبا عارفا بكل ابعاد المخططات التي تحاك من حوله وان يكون هو ايضا من اصحاب المبادرات وليس فقط من الذيول و التوابع " [1]

[1] أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص 89

الحضارة هو نتاج انساني مشترك ، ساهمت فيه الشعوب و الامم منذ العصور فنحن كعرب و مسلمين نفتخر اننا كنا منتجين لتراث الحضاري الانساني و الغرب يعرف هذا وعند دراستهم لتاريخ حضارتهم يبرزون ضمن فصولها دور العرب و المسلمين فيها ، فهم يدركون ان حاوصلهم من النهضة كان خلاصة للتجارب الحضارية لدى اليونان و الرومان و العرب و المسلمين ، فالشرق لم يندمج مع الغرب و لا الغرب اندمج مع الشرق .

" ان الحضارة الغربية نفسها تتألف من عدة فصول ايضا (يونانية و رومانية و اسلامية و مسيحية) فالتمايز الحضاري مفروض بطبيعة الاشياء و الواجب الا يكون تمايز عدائيا بل تكامليا وفي اعتقادي ليس هناك معركة حضارية ، بل تنافس يسميه القران تدافعا هو تعبير قوي وجميل فنحن واياهم نتدافع على الاسهام الحضاري و التفوق فيه كما تتدافع العطاش على المورد العذب و الشعب الاقوى و الاصح هو الذي يفوز بالنهلة الاولى " [1]

ثورة الحضارة :

بالإضافة إلى أن الثورة رسخت مفهوم الثوابت ، العربية ،الإسلام ولكن العربية ليست بمفهوم العرق والجنس بل هوية حضارية تقوم على أساس اللسان العربي والثقافة الإسلامية التي هي خليط من ثقافات كل الشعوب التي اعتنقت الإسلام .

" علمتنا الثورة أنها لم تنطلق من فراغ وأنها كانت تعبيراً عن حلم الأجداد في استعادة دولة قاعدتها الحضارية العربية الإسلامية وقمتها نهضة حديثة شامخة تقوم على الوطنية والعلم والتكنولوجيا. وكانت حركات المقاومة التي تفجرت غداة الاحتلال تستمد شرعيتها من حضارة عريقة انتفضت في وجه حضارة غازية"[2]

يقول: سعد الله إن الثورة علمتنا عدة نقاط أهمها الوحدة وأن الجزائر واحدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وعلى كل مناضل أن يقوم بدوره فالجزائر ساحة حرب .

[1] أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011. ص171

[2]-أبو القاسم سعد الله .خارج السرب ..مرجع سابق ص14.

"علمتنا الثورة الإيمان بالجزائر الواحدة بحدودها الحالية ومن جهاتها الأربع ، ذلك أن الثورات السابقة لم تتوحد ولم تحدث في وقت واحد ولم تستطع أن تبلغ مختلف جهات الوطن نداءها وبرامجها وأهداف نضالها، ولذلك لم يستجب لها إلا جهات معينة أو قبائل محدودة أو مريدون الطريقة صوفية معروف، وكان سبب هذا الخلل برجع إلى تباعد المجال وتفوق العدو وبدائية التنظيم وغموض مفهوم الوطنية. أما ثورة نوفمبر فقد علمت أبناءها أن الجهات الاربع للوطن كلها جهة واحدة أينما كان مولد وموقع المناضل"[1].

في فكر سعد الله يرى أن ثورة التي كانت عظيمة ، لا شك أن الذين فجروا الثورة كانوا يريدون حياة كريمة لأهلها وأمل مشرف في حياة أفضل للمواطنين لكن بالمقابل هناك أمال لحضارة ودولة قوية قادرة على حماية أراضيها ودفاع عن مقدسات البلد والأمل أن لا يرجع كابوس الاستعمار مرة ثانية ، فلهذا نجد في تكوين حضارة منبثقة من تلك الثورة التي شارك فيها الجميع يقول:" لو رجعنا الى بيان اول نوفمبر ، ولو سألنا روح ابن بولعيد و ابن المهيدي وزبانة وعميروش وأضرابهم من لأجابوا بأنهم كانوا يحلمون بجزائر غير التي قرأوا عنها في العهد العثماني أو التي عاشوها في العهد الاستعماري، جزائر العلم و القوة والاشعاع "[2] .

عن انطلاق الثورة الجزائرية لم يكن لينطلق ولتنجح لو لم تستفد من ثورات الجزائر السابقة ، وخلاصة تراكم لتجربة ثقافية عاشها الشعب الجزائري منذ أقدم العصور ، وحاولوا الأخذ بالإيجابيات وترك السلبيات من الأحداث السابقة ، حتى أصبحت الثورة أول نوفمبر موطن إعجاب أحرار العالم .

لقد استفاد جيل ثورة شيء الكبير منها في حين أن جيل الاستقلال ، لا يعرف أهمية وأبعاد تلك الثورة التي أصبحت تدرس في مواطن كثيرة في العالم .

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب .مرجع سابق ، ص11.10.
[2]. أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج4 . مرجع سابق.ص.12.

انتشرت الثورة وتجذرت في البوادي والمدن فكان الالتحام وفرضت نفسها على الواقع الشعبي والدولي .

" لقد بدأت الثورة بمجموعة صغيرة مؤمنة من المناضلين وانتهت بكونها ثورة جماهيرية وخلال سبع سنوات ونصف تطورت الثورة في الرجال والسلاح والعتاد و البرنامج والتكوين والمؤسسات حتى أصبحت دولة قائمة الذات، ولو توقف عند القادة الأوائل والبيان الأول والأسلحة الأولى لكان مصيرها هو مصير كل ما يتوقف عن النمو والتطور"[1]

أبو القاسم سعد الله واصلاحات جمعية علماء المسلمين:

عندما أصبحت الجزائر مستهدفه في هويتها وبعدها الثقافي بعدما استقر الفرنسيون واستوطنوا في البلاد وهمشوا الشعب بالتجهيل وطمس المعالم التاريخية والاستيلاء على المساجد والزوايا والمدارس الإسلامية، واعتبار اللغة الرسمية هي الفرنسية وجعل العربية لغة أجنبية وكل هذا جاء لتمهيد حتى تكون الجزائر بلاد الأندلس الثانية وإزالتها بالكامل وبترها من محيطها الطبيعي الإسلامي العربي فإذا به تنشأ جمعيه العلماء المسلمين، وخاصة احتفال فرنسا بمرور 100 سنه على الاحتلال (1830-1993) .

" إن نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترجع إلى شعور القائمين عليها بمسئوليتهم التاريخية والوطنية لقد كانت المؤشرات تدل على أن الجزائر العربية المسلمة ستختفي كما اختفت الأندلس إلى إذا لم يدركها أبناؤها قبل الأوان"[2] .

في العالم العربي والإسلامي كانت هناك عدة إصلاحات منها الحركة الإصلاحية التي يتزعمها محمد رشيد رضا ومحمد عبده تلميذه.

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق..10.
[2] - أبو القاسم سعد الله، حوارات ، مرجع سابق. ص .146

تأثر الجزائريين بالحركة الإصلاحية لمحمد رشيد رضا محمد عبده :

لقد تهيأت عدة ظروف جعلت من زيارة محمد عبده تلميذ رشيد رضا الممكنة للجزائر سنة 1903 والذي كان يحكم الجزائر هو وشارل جونار (حكومة الجزائر) وكونه انطلق في مشروع إصلاحي بهدف إلى المحافظة على ما بقي من الجزائر الإسلامية ومنح المسلمين فرص تعلم وإنشاء الصحف والجمعيات الدينية عكس الحاكم السابق الذي كان أكثر تشدد وهو (لويس تيرمان) اتبع سياسة التجهيل الرسمية مع الجزائريين وإغلاق بعض المدارس ومطاردة التعليم في الزوايا القليلة وتنفيذ سياسة عرفت بسياسة (الإلحاق)

" وقد كتبت الجريدة الفرنسية واسعة الانتشار في وقتها هي (لوطان LETENPS) أن الشيخ عبده قد (اكتشف) أن له حزبا من الأنصار والمؤيدين، ومن تلاميذه الذين (اكتشفهم) محمد بن مصطفى المعروف بابن خوجة الذي كان يطالع المنار منذ إنشائها لأنه كان محررا في جريدة (المبشر) الرسمية، وله مؤلفات حول التسامح الديني والمرأة والإسلام تصب كلها في تيار مدرسة المنار، وبالإضافة إلى ابن سماية، هناك عمر بن قدور الذي كان يراسل جريدة الحاضر بتونس والحضارة باسطنبول" [1] .

وعموما كان الإصلاح يرجع إلى عدة أسباب:

1- شعور المصلحين من العلماء بضرورة مواجهة الخطر الداهم.
2- عودة عدد من العلماء المصلحين الطيب العقبي من الحجاز والشيخ البشير الإبراهيمي (سورية) وغيرهم من الزيتونة والأزهر.
3- النهضة الصحفية والثقافية التي عرفتها الجزائر خلال (1900-1930).
4- عودة العديد الذين خدموا في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى ومن هؤلاء الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر.

[1] أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الاسلامي (ط خ)، مرجع سابق. ، ص 116.

5- جهود ابن باديس التي بدأها حوالي 1913 في شكل دروس للعامة والأطفال وأنشأ مدارس لتربية والتعليم والتجوال في القطر للاطلاع والاتصال بأعلام الدين وبقايا أهل الزوايا.

هذا المشروع تطور حتى أنه أسس مطبعة وصحفا، حتى سنة 1931 أنشأ الجمعية ليشمل جميع القطر الجزائري تقريبا

العوامل الخارجية:

1- نهاية الحرب العالمية أسقطت الإمبراطوريات وشجعت فكرة القوميات سيما في إفريقيا وأسيا.

2- قيام الثورة العربية في الحجاز سنة 1916 وظهور زعامة سعودية وهابية في الجزيرة العربية

3- تعدد انعقاد المؤتمرات الإسلامية بعد إلغاء الخلافة سنة 1924 منها مؤتمر القاهرة سنة 1926.

4- ظهور بعض العلماء كالزعماء لأحزاب مثل علال الفاسي في المغرب وتونس عبد العزيز الثعالبي، وفلسطين (أمين الحسيني).

اهتماماتها: حسب النصوص

1- تصحيح العقيدة التي شابها التخلف والخرافة .

2- نشر التعليم العربي.

3- إعادة للمجد دوره.

4- تثقيف الشعب في دينه ولغته وتاريخه.

وبذلك أعادوا شخصية الجزائرية إلى أصلها ما أدى إلى النزوع إلى الاستقلال والحرية.

وعندما حاول البعض التشكيك في الثقافة الشعب الجزائري وهويته قال ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم *** وإلى العروبة ينتسب

" ولا يختلف الناس حول دور جمعية العلماء في تحضير الشعب الجزائري حضاريا وذهنيا ودينيا ولغويا مما جعله يدخل ثورة التحرير سنة 1954 وهو على وعي تام بماضيه وشخصيته ومصيره."[1]

المشروع الوحدوي لابن باديس:

لقد كانت الوحدة أهم هدف يسعى إليه ابن باديس ، وذلك من خلال عمله ودروسه ومنهجه " ولكن إنجاز هذا المشروع أو (الأمة الجزائرية) لم يشغله عن العمل الوحدوي في المغرب العربي والوطن العربي والإسلامي، فقد كتب عن قناعته بأن خدمة وطنه الصغير أولا ستؤدي حتما إلى خدمة وطنه الكبير ثم الأكبر، وهو يرى في ذلك أن المرء يجب أن يبدأ بقومه المحيطين به والذين تتحكم فيهم ظروف واحدة ومباشرة، ولكن ابن باديس كان يتابع ويشارك في الحركات الاستقلالية والوطنية، ومن ثمة نجده قد احتضن جمعية طلبة شمال إفريقيا والتقى مع زعماء الحركة الوطنية أمثال عبد العزيز الثعالبي التونسي ومحمد إبراهيم الكتاني المغربي وانتصر لعمر المختار الليبي بكل قوة."[2]

مشروع الباديسي التربوي:

لقد كام واضحا اهتمام ابن باديس بالتربية والتعليم وذلك عبر إنشاء المعاهد والمدارس للجمعية ، " بدأ ابن باديس مشروعه (1912) بالتعليم والتربية وانتهى إلى تأسيس ما يشبه دولة داخل دولة، وذلك بإقامة مؤسسات حرة للدين والتعلم والثقافة والإعلام والإجماع ثم بالتحرك السياسي منفردا أو مع الأحزاب القائمة عندئذ، وكان حديثه وكتابته لا تخرج عن

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، ، مرجع سابق. ص 149.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 17.

(الأمة الجزائرية) ذات التاريخ الحافل بالأمجاد والحضارة شأنها شأن الأمم الأخرى، كما قال في رده على من نفى عنها صفة الوجود أصلا، وكان ذلك هو عنوان المشروع الباديسي الحضاري.[1]

سعد الله وشيوخ الجمعية :

العربي التبسي وأبو القاسم سعد الله

يظهر أن العربي التبسي كان كثير الشكوى خاصة بعد ذهابه إلى الحج وعندما أطال الإقامة في مصر فعندما رجع وجد أمور كثيرة تغيرت ووجد الشيخ خير الدين قد اتخذ خطوات تنظيمية في إدارة وسير الجمعية فهمها الشيخ على أنها انقلابا عليه حسب الشيخ على خال أبو القاسم سعد الله، ولقد أعلم أبو القاسم سعد الله العربي التبسي بذهابه إلى المشرق إلى الأزهر بضبط ومواصلة الدراسة فلقد شجعني على دراسة وطلب العلم وقال أنت مجاهد بل حتى أنه أمده بـ عشرة ألاف فرنك سنتيم مساعدة وأخبره بأنه مجاهد وأنه طالب علم، فالشيخ العربي التبسي يعتبر الرئيس الفعلي منذ سافر الإبراهيمي إلى المشرق في يناير سنة 1952.

" كانت شكوى التبسي من زملائه مريرة، ولو كان يجوز لي أن أحكم عليه نفسيا لقلت بأنه كان يعاني من مرض خطير هو الشك في قدرته على التحكم في القيادة والرغبة في المحافظة على الجمعية متماسكة في وقت اعترى الشقاق والانقسام صفوف الأحزاب السياسية، ولم أكن أدرك، لصغر سني وضآلة معلوماتي وعدم اهتمامي بالموضوع، ما كان يرمي إليه الشيخ العربي التبسي، وإنما كنت أجاريه بالصمت والاستماع دون إبداء الرأي، وأين رأيي مما كان يتحدث عنه الشيخ من قضايا يشيب لها الولدان؟ وكنت أستغرب كيف

[1]- أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015. ص 17.

يحدث ذلك بين شيوخ كنا ننظر إليهم نظرة احترام وتقديس، فإذا هم في الواقع مجرد بشر مثلنا."[1]

علاقته بأحمد التوفيق المدني

التوفيق المدني يتنبأ بمستقبل زاهر لأبوا القاسم سعد الله.

من ضمن الشيوخ الذين التقى معهم أبو القاسم سعد الله من الجمعية أحمد التوفيق المدني وكان المدني ينظر إلى أبو القاسم سعد الله نظرة إعجاب وتقدير فمن هنا تنبأ له بمستقبل واعد، وشجعه ونصحه خاصة في ما يخص مجلة البصائر إضافة إلى رسائل التي بعثها إلى الرئيس الجمعية في مصر البشير الإبراهيمي .

" أما الشيخ أحمد توفيق المدني فقد ذهبت إليه في مكتبه الخاص بشارع لالير (زنقة منه) وكان ذلك بطلب منه أيضا، وبعد جلسة قصيرة في حديث عن مشروعي وعن جريدة البصائر وأحوال الشرق، أعطاني رسالة إلى الشيخ الإبراهيمي في القاهرة وشجعني بكلمات رقيقة ومندفعة أيضا من مثل إننا سنراك غدا إن شاء الله علما من أعلام الجزائر، ومثل لا تنس البصائر، ثم رافقني إلى باب مكتبه مودعا."[2]

وسكن في جامع القصر سنة 1948 عندما عرض عليه عمه الحاج ذلك فقبل واستقر بهذا الجامع حتى أنهى دراسته سنة 1954 وبعد انتقاله إلى الجامع الحفصي وكان أيضا فرع من فروع الزيتونة المباركة، بعد ما كان في جامع صاحب الطابع وجامع الحفصي أسس على يد من علماء الزيتونة.

وفي هذه السنة 1948 نلاحظ تتبع لبعض الأحداث والشجارات التي تحدث بين حركة إنتصار الحريات (حزب الشعب) وجمعية علماء المسلمين فكان كل طرف تجنيد الطلبة

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حياتي ، عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015 ص 212.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حياتي ، عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015 ص 213.

لصفه فحدثت مناوشات بينهم وكان أبو القاسم سعد الله بعيد من هذا ولكنه يراقب في الأحداث وبفضل البعثات التي قامت بها الجمعية لطلبة في الزيتونة أصبح الطلبة أغلبهم من الجمعية.

وبعض الأسماء التي كانت معروفة بتحزبها مثل عبد الحميد مهري، مولود قاسم، محمد مرزاقة، وقاسم رزيق وكانوا أكثر نجاحا في دراستهم، فكانت الجمعية تأجل العمل السياسي أي بعد انتهاء الدراسة، أما الحزب فكان متعجلا ويريد تكوين الخلايا وتجنيد المناضلين من الطلبة من أجل تحرير البلاد، وكان أبو القاسم سعد الله في تلك الفترة لا يخالط كثيرا وغير منتم إلى أي طرفين.

ويظهر أن الخلاف بين حزب الشعب والجمعية ذو بعد إيديولوجي مثل.

إن مفهوم التاريخ عند حزب الشعب ليس هو بالضرورة مفهوم التاريخ عند جمعية العلماء فالحزب كان يستند على التاريخ القطري برواية أوربية، أما الجمعية فقد كانت تستند على التاريخ على أن الجزائر هي إسلامية عربية.

"وربما يفسر ذلك الاختلاف في الرؤى بعض الموافق التي تجلت خلال الثلاثينات وحتى بعض الأحداث التي وقعت زمن الثورة، ولعل بعد الاستقلال ولكن أبرز تلك الأحداث أيضا هو استئثار حزب الشعب بالتربية والثقافة بالتعاون مع التيار الفرنكفوني بينما استعدت جمعية العلماء من صوغ الاديولوجية الوطنية."[1]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف ،مرجع سابق ، ص 82.

هدف الجمعية هو استعادة الشخصية الوطنية :

من إعلانات الجمعية بالثورة :

بالرغم من أن الجمعية ذات طابع تربوي توعوي إلا أبنائها انظموا الى الثورة في عمومهم كانت العلاقة سرية ويعتقد أنها أيضا مغلقة أي مغطاة بدواعي وأسباب من أجل تشويه فمعظم أعضاء انخرطوا أو شجعوا الثورة التحريرية، وإن كان دورهم دعويا إلى أنهم وجدوا أنفسهم مدافعين عن هذا الوطن فأبو القاسم سعد الله يتكلم عن وضعية أحد الإخوة في البصائر وكان يتصل سرا مع الثوار.

" وكان شكيري معلما في معهد ابن باديس في قسنطينة، أما الغريب فقد كان ينشر مقالات قصيرة خفيفة في البصائر، وكان عنوان عمله هو المتجول البصائر، وهو بهذه الصفة استطاع أن يكون صلة وصل بين الثوار، وقد تعرفت على الشيخ حمزة بوكوشة وغيره من أدباء الوادي".[1]

يعتبر مصالي الحاج أول من طالب بالاستقلال ، تتفاوت الناس قدراتهم حول القيادة والزعامة وحتى العظمة فمنهم الزعيم والبطل والتابع فالموهبة الفذة والاستعداد الداخلي شيء مغروس في الإنسان وأحيانا حب الزعامة والظهور حالة نفسية مطبوعة في ذات، إضافة إلى هذا فروح التضحية والجهاد والكفاءة لا تتساوى، ومن هنا يكون بذل الإنسان وقدرته.

فمطالبة الجزائر بالاستقلال كان مبكرا فحمدان خوجة والأمير طالبا باستقلال الجزائر وكان ثوار القرن التاسع عشر كانوا يريدون الاستقلال دون ذكره بالاسم، الأمير خالد (الذي عاصره مصالي الحاج وتأثر به) طالب بالاستقلال في شكل تطبيق المصير على الشعب الجزائري حسب مبدأ (وودر ويلسون) المعروف، وهناك لجنة تحرير المغربي العربي في سويسرا خلال الحرب العالمية الأولى طالبت بالاستقلال الجزائر وتونس.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حياتي ، مرجع سابق ، ص 202.

" نعم مصالي الحاج كان أول من استعمل عبارة الاستقلال في مؤتمر ضد الاستعمار، فهل يستحق هذا اللقب الفخم جدا وبعد (الرجل الرمز) لعبارة (أبو الوطنية الجزائرية) تحمل دعوى كبيرة، وكانت قد استعملت من قبل عدد من الكتاب الجزائريين والأجانب، وفي الثلاثينيات والأربعينات كان مصالي الحاج هو (الزعيم السياسي) وغير منازع للجزائر عند أتباعه، ولكن في أخر الأربعينات بدأت شعبيته عندهم تهتز، لظهور نخبة جديدة تعتقد أنها أكثر معرفة ونضجا سياسيا، ولابتعاده عن الساحة ومكوثه في السجن أو الإقامة الجبرية، وأخير ربما غروره وعدم إدراكه أن الوقت حان لتغيير الفرسان".[1]

الذي يلاحظ تاريخ الجزائر يعرف أن في تلك الفترة هناك نوع من الديمقراطية وكثرة وتشعب الحركات الوطنية والجمعيات إضافة إلى تغير سياسة العالمية خاصة في اتجاه الاستقلال والحرية ولم تكن الجزائر في معزل عن هذا فوقوف مصالي الحاج ضد جبهة التحرير أثر على شعبيته وأخير علاقته مع حزب جبهة تحرير الوطني إلى غاية الاستقلال وما بعد الاستقلال.

خصوصية الثورة الجزائرية :

الحكم الجزائري بدأ من سنة 1962 ولم تكن لنا تقاليد في السلطة وتسيير شؤون الدولة ، كما هو الحال مثل جيراننا ، وحتى في ظل الدولة العثمانية كنا أقرب إلى رعايا الجزائريين في بلدهم .

"حتى الاستقلال الذي كان قبل 1830،كان في الحقيقة لدولة عثمانية تحت قيادة الباشوات

ونحن لا نريد ان نعود مثلا إلى حكم الداي حسين ولا إلى نوعية استقلاله ، فقد كان حكما عسكريا مستبدا وغريبا ، وكنا تحته نسمى رعايا ، وكنا مضطهدين ومهمشين اقتصاديا وسياسيا على الأقل ، بينما ثورات بلادنا كانت في أيدي عائلة بكري وبوشناق اليهودية ،

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حوار صريح ، مرجع سابق ، ص 124.

وهي العائلة التي كانت تمثل صلة الوصل بين الجزائر وأوروبا ،كما يقال اليوم على بعض اليهود الذين تتعامل معهم دولتنا "[1].

وكما يذكر أن الاستعمار لو كانت له إيجابيات لقلنا انه اخرجنا من القبلية إلى الوطنية ومن عهد الإقطاع على عهد الشعب ، وهذا رأي العلامة سعد الله في الحكم العثماني في أخر حكمه وإن كان قاس، لكنها الحقيقة التي يعتقدها سعد الله وينقلها لنا .

"وإذا كان للاحتلال الفرنسي من فضل علينا فهو إيقاظه لنا كي نخرج من عهد القبيلة إلى عهد الوطنية ، ومن عهد الإقطاع إلى عهد الشعب ، ولم تكن عملية التحول هذه سهلة أو قصيرة المدى ، انها كانت صعبة جدا وطويلة المدى ، انها عملية بدأها الأمير عبد القادر وختمها مفجرو ثورة نوفمبر ، لقد انتقلنا خلالها من حالة الرعية والاستبداد والغربة تحت حكم إسلامي في ظاهره ، إلى حالة الرعية والاستعباد تحت حكم صليبي في جوهره"[2].

أ- العلم والعمل :

في نظر الذين عايشوا الثورة ، و رأوا تلك العزيمة لشهداء ، علموا أن تلك التضحيات والجهاد لم يكن فقط للحرية ، بل هو جهاد مستمر وحركة لا تنتهي فالاستقلال ناقص إذا كانت دولة المستقلة ضعيفة ، وبنفس المنهج الثورة وفي كافة المجالات يرى سعد الله أن التفوق يكون بذلك

" وضعت الثورة نصب عينيها جزائر المستقبل فعلمت أبناءها أن يكونوا مستعدين لخوض معركة البناء عندما تنتهي معركة التحرير. ومعركة البناء تقوم كما تعلمنا . على العلم الحديث، وعلى الوطنية وعلى الثورية. فالتراث الحضاري يجب أن نعتز به ونستفيد منه، ولكن العلم الذي يرفع الجزائر من حضيض التخلف ويرقى بها إلى الانطلاق العلمي

[1]- أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائرج4 . مرجع سابق ،.ص.13.
[2]- أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائرج4. مرجع سابق ،. ص.13.

نحو المستقبل تحدوه الدوافع الوطنية التي تجعل كل عمل منجز يصب في خدمة الوطن والنهوض به ليلتحق بركب الإنسانية "[1].

ب –العمل الجماعي :

كانت هناك أحزاب جزائرية من قبل ولكنها وقعت في فخ الزعامة وتمجيد الأتباع ، والإشادة بموافقه ، ويحصل على الزعامة مدي الحياة ، وفي الأغلب تفشل تلك الأحزاب ، ومن هنا أصبح العمل الجماعي والتشاور مطلوب من أجل النجاح .

" وقد كان من الصعب على الثورة أن تتنشر مبدأ الثقافة الجماعية الجديدة بين المناضلين، فكان هناك العنف أحياناً والانقسام والضحايا أحياناً أخرى. كما حاولت جهات خارجية فرض أسماء على الثورة لأن هذه الجهات كانت لا تتصور أن حدثاً ضخماً في حجم ثورة الجزائر يمكنه أن يحقق هدفه دون بطل أو زعيم ."[2]

عندما اندلعت الثورة ، وبقت لسبع سنوات ونصف كانت شعبية مدفوعة بعبارة "الله أكبر" وكلمة الجهاد والذين فجروا الثورة كانوا مجهولين عند الناس في ذلك اليوم ، ومنذ البداية حيدت الثورة الزعامات المعروفة مثل مصالي وغيرهم ولم تكن لثورة فلسفة ولا صحيفة ماعدا القرآن الكريم .

"وفي أيام متشابهة التف الفيتناميون حول هوشي منه، والتونسيون حول بورقيبة ، والمراكشيون حول محمد الخامس ، والمصريون حول ناصر ، وهلم جرا .بينما أسقط الجزائريون مصالي الحاج من حسابهم ، وعاقبوا عبان رمضان على محاولته ، فيما يرى البعض ، تزعم الثورة وقبلوا فرحات عباس في صفوفهم لإنه ضعيف بماضيه ، وقد رفعوا

[1]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ،ص.17.16..
[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ،ص.14.

شعار ""الجماعية "" تمردا على كل الزعامات الفردية ، وخوفا في زعمهم ، وعلى انحراف الثورة عم مسارها إذا ألقت بزمامها إلى شخص بعينه" [1].

ج- نتائج الثورة :

لا شك أن ثورة خلقت لنا نتائج على كل الأصعدة منها سياسية التي هي تحرير البلاد ولكن على المستوى الثقافي والتربوي والمجالات الأخرى ما زالت تحتاج إلى إصلاح ومتابعة مستمرة نابعة من حجم تلك المعاناة التي يجب أن تنعكس بشكل سليم و صحيح على الواقع حتى تكون تلك تضحيات الكبيرة لم تذهب سدا.

" وقد أخصبت الثورة حتى الآن في ميادين التعليم والأفكار والفنون، وها نحن نشهد هزات في مجال الإصلاح السياسي والديني وربما يأتي بعد ذلك إصلاح اقتصادي ورؤية ثقافية جديدة".[2]

د- الثورة العلمية :

لقد كان لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين وغيره متعلق بمستقبل الجزائر ومتمسك بالثورة ويؤيدها ، والطلبة اجتهدوا ووضعوا شعار ثلاثي العبارة ، وطنية وثورية وعلمية ، واليوم بعد الاستقلال ماذا حدث فيطرح العلامة سعد الله سؤالا ماذا حدث لهذا الشعار .

"لم يتحقق شيء منه. فالمنظومة التربوية ابتعدت عنه، فكانت ثقافة الجزائر في عهد الاستقلال أبعد ما ورد عن الروح الوطنية، ولم تحافظ على البعد الثوري فكانت ابعد ما تكون عن الروح الثورية ولم تؤسس لفلسفة تعليمية عقلية فكانت ابعد ما تكون عن الروح العلمية فقد راحت منظومتنا التربوية تبحث في سوق الايدولوجيات عن فكرة تبني عليها منهجها

[1]- أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر .الجزائر .عالم المعرفة .2016 ط خ. ص14.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ، ص 130.

التربوي فأخرجت لنا مئات الآلاف من التلاميذ والطلبة ولكن القليل فقط من العلماء الوطنيين العقلانيين الأكفاء"[1].

لقد كانت لنا جولات موفقة في كثير من العلوم سواء الدينية أو العلمية أو غيرها ، فغفلنا عنها درسها غيرنا واستعملها ليطور نفسه وأصبحت سلاحا ضدنا .

فالتعريف العلم هو إدراك شيء بحقيقته وبرغم من اختلاف العلوم ومناهجها إلا أننا مازلنا لم نأخذ بأسباب العلم.

"وبعد، فبالرجوع إلى (المنجد) نجده يعرف العلم بانه إدراك الشيء بحقيقته ، أو هو اليقين والمعرفة، وقد جمع العلم على علوم و منها العالم الرياضي الحساب والموسيقى والمساحة، ومن العلوم أيضا العلم اللدنى والعلم النظري وعلم الفلك .... ومنها العلوم المدونة والمتعارفة والآلية .

ومن الأكيد أن لكل علم من هذه العلوم منهجية خاصة به. ورغم انني لم اطلع على برنامج المعهد، الجديد فإني أتصور أنه قد اهتم بمناهج هذه العلوم التي كانت لنا فيها جولات موفقة"[2].

إن اليوم كثير من دول تنعم بالثورة العلمية نذكر منها على سبيل المثال الصين الشعبية و اليابان وألمانيا برغم خسائرهم في الحرب العالمية الثانية ، أما البلدان التي هي ليست أقل منا شأنا لا سكانا ولا إمكانيات نجد سنغافورة ، ماليزيا ،إيران ، فيتنام، باكستان ، تركيا ، وسؤال يبقى هل فعلا هذه نتائج تضحيات الثورة الجزائرية ، مازلت عالقة في متاهات الهوية ولم نحدد طريقة التقدم .

[1]-أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق ، ص 110.
[2]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق ، ص 110

"إن الثورة العلمية التي عاشها الغرب منذ قرون ورأينا نحن آثارها في آراء الاستعمار، قد بلغت دولا وشعوبا ليست أكثرنا عددا ولا أنشطنا ذكاء، ولكنها أحسنت توظيف العلم والعقل فكان لها ما أرادت من الصدارة في وقت قصير – ربما هو أقصر من عمر استقلال الجزائر ، وأبرز مثال على ذلك إيران وفيتام وماليزيا واسرائيل وسنغافورة"[1] .

العلم و التكنولوجيا و البقاء للاقوى :

ان العالم الغربي اليوم يتمتع بعقلية علمية وحياة يغلب عليها المنطق و النظام و القوانين في حين نحن مازلنا نركز للعاطفة و الفوضى و التقاليد البالية وما زلنا في عالم التخلف عالم تراكمت عليه الخرفات و العادات الضارة و البدع الفاسدة ومن اجل الرجوع الى صفاء الاسلام ونقاء عقيدته والايمان بالعمل و بالعلم كما فعل اسلافنا فان كان التعاون معهم واجب بحكم الجيرة فانه ايضا لا يجوز يقوموا بخدمتنا ونحن ندفع لهم الاجر تنتفرج عليهم وحول سؤال :حول تحديات التي يمكن ان تواجه المجتمع الاسلامي الذي يريد رجوع الاسلام منهجا وعملا ؟

"ابرز التحديات في نظري هي معارضة القوى الاخرى لاي تجمع او وحدة اسلامية ويدخل هذا تحت عامل تنازع البقاء فعلى اية قوة اسلامية ان تاخذ في حسابها هذه الحقيقة ومن ذلك العلم و التكنولوجيا فنحن امة ماتزال متخلفة في هذا الميدان وفي العلم و التكنولوجية القوى الحربية و المعنوية وهاهم خصومنا يلوحون لتهديدنا بامتلاكهم القنبلة الذرية و الاسلحة السرية الخطيرة فعلى الامة الاسلامية ان تتعلم وان تتفوق في شتى العلوم وبدون ذلك سيظل الاسلام عابرا على فرض نفسه على خريطة العالم لان قوة العقيدة وحدها لا تكفي " [2]

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف . مرجع سابق ،.ص110.
[2] أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 81

قيمنا الحضارية و العلم:

هناك عدة لجان علمية مشكلة للبحث و مخابر من اجل دراسته دول البحر الابيض المتوسط و يتعاملون مع العديد من الخبراء و العلماء كام تضم اكاديمية بربرية تنفذ مخطاطات الفرنسية للجزائر وغيرها كل ذلك خوفا من الحكم الاسلامي ان وجد في الجزائر سنة 1990 وبالطبع ذهاب علمائنا الى فرنسا سيتم توظيفهم لاسترجاع مكانة فرنسا في الجزائر وهناك عدة اوراق ضاغطة على الجزائر منها اتفاقيات ايفيان ومشكل المهاجريين اذا فماذا تستطيع الجزائر ان تفعل ؟

" من المؤكد ذلك بقيمنا ولكننا اذا كنا واعيين ووطنيين مخلصين ومؤمنيين بقيمنا وحضارتنا فان كل المخططات ستسقط في الماء او تطير في الهواء اخطر شئ ان يتسرب الاستلاب الى نفوسنا ان تفقد هويتنا واصالتنا كما انه من الخطر نتجمد او نتوقف عن السير الى الامام ومن الواضح ان المعركة ليست معركة العضلات فقط ولكنها معركة العلم و الاختراع ايضا " [1]

الثورة الثقافية :

إن تحقيق الثورة الثقافية ، أمر ليس سهل فالجزائر وثورتها المتجذرة في تاريخ والأرض والدين وقسوتها وطول ضحاياها في المدن والريف ، مازلت تعاني من مشاكل الثقافية متعددة ، منها التعريب فلابد من عمل دائم لإسترجاع الشخصية الوطنية ، وكل ذلك بعقلية متفتحة ، وتوجه نحو تطور الإنسانية والاستفادة من إنجازات العقل البشري .

فالعلامة أبو القاسم سعد الله من أكبر المدافعين على هذه الثورة وربما الأصح أنها فرضت عليه في واقع يهدد الثقافة العربية الإسلامية .

[1] أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 95

"ويجب أن يكون واضحاً أننا لا نرفع الثورة الثقافية كشعار. إن ذلك أبعد ما يكون عن هدفنا ،إن الثورة الثقافية عندنا هي قبل شيء ايمان بضرورة التحول الجذري في المجتمع العربي .وهي ثانية عمل دائب صامت متواضع نراه في نتائجه ولا نسمع ضجيجه وغوغاءه، الثورة الثقافية على هذا الأساس لا يتبانها ويتحمس لإنجازها إلا مثقفون ثائرون"[1]

هناك من يشكك في هذه الدعوة بالأمس في عهده واليوم أيضا باعتبار العمل القوي والعربي صعب المنال أو أنه عصبية مقيتة والحقيقة هي أن العبرة بالمفهوم وليس بتسمية فإستعادة النخبة المهاجرة مثلا عمل يحمي الأمة والدولة ، وهذا يعني أن هناك حرية ،وشروط للعيش صالحة ثم أن الطبقية تتولد عندما يكون هناك وضع ثقافي معين يساعدها على البقاء، فكما يقول سعد الله فالروح العربية الجديدة يجب أن تكون قائمة وذلك بالإيمان بها وأيضا وأن نتبع العقل لا العاطفة هي التي تأتي بالعصبية والقومية السلبية ، وبذلك دافع سعد الله بقوة عن هذه القومية ومفهومها الحقيقي .

"وقد يقول قائل أنك تبني على الرمل وتسبح في الهواء لأنه لا وجود لمثقفين ثوريين في الوطن العربي إلا ما شذ. والجواب على ذلك أنني حذرت منذ البداية من الفكرة الطبقية في الثقافة لإنها خطر لا يقل حدة عن الرجعية في السياسة والردة في العقائد، وعلى الجيل الصاعد من المثقفين أن يعلنوا الحرب (الاجترارين) في الثقافة كما أعلنوا الحرب على المترددين في السياسة و (المنحرفين)في العقائد "[2] .

لعل سبب غموض هذه الكلمة يرجع إلى الفراغ الفكري الذي يعاني منه المثقفون في البلاد ، فأصبحت هذه الكلمة عامة .

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص24.
[2]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية.مرجع سابق ص24.

أول من طرح هذا الشعار هم الصينيون وحملوا شعارات الثورة القديمة ، فالعملية بالنسبة إليهم توعية وتشبع بالروح الثورية وهي في نفس الوقت ترهيب للجيل القديم الذي يريد تراجع أو الالتزام الثوري .

" والمعروف أن أول طرح شعار الثورة الثقافية هم الصينيون وكانت أوضاعهم السياسية والاجتماعية والايدولوجية تبرر ذلك على الأقل بالنسبة للماويين منهم. فكانت الثورة الثقافية عندهم تعني استمرارية المد الثوري الذي بدأته الثورة الصينية عل يد الجيل الحاكم ، وقد خشى زعماء هذا الجيل أن تذبل الروح التي قادت الثورة إلى النصر ، وأن تطغى على الجيل الجديد الروح البرجوازية التي يصفونها بالعفن والاستغلال "[1] .

[1]- - أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص84.

2/ البعد السياسي الوحدة والقومية :

بدايات الوحدة المغاربية :

دائما ما كانت الوحدة داعما قويا للقوة والغلبة ، وتزيد الثقة في النفس و الدولة ، وتبعد الخوف من الأخر وللوحدة أنواع إلا انها كلها خير سواء اتحادية أو إندماجية حتى ولو كانت شكلية ، وهي السبيل الأمثل للبقاء في ظل تحالفات دولية ، والنظم قوية وأسواق مشتركة بين الدول ، لقد كان للوجود العثماني دور في توحيد دول المغاربية في مرحلة من المراحل (الجزائر، تونس ، ليبيا).

" وهكذا شملت شعارات الوحدة بين أجزاء المغرب العربي المنطقة الخاضعة لفرنسا فقط (الجزائر ، تونس ، المغرب) حتى ان مؤسسي نجم شمال افريقية سنة 1926 لم يفكروا عندئذ في ادخال ليبيا وموريطانيا مثلا ضمن خريطة النجم . وكذلك كان الحال عندما اندلع الكفاح المسلح في البلدان الثلاثة المذكورة أو عندما انعقد مؤتمر طنجة سنة 1958. ونذكر أننا لم نكن نشاهد ، ونحن صغار، سوى معانقة الاعلام الثلاثة (الجزائر وتونس والمغرب) وزعماء البلدان الثلاثة "[1]

واليوم في الحقيقة المغرب العربي الكبير يضم حتى موريتانيا وليبيا وعلى كل فالدول العربية معرضة لتقسيم في ظل مشاريع تستهدف ، لا نقول الوحدة العربية بل حتى دول منها مثلا أخيرا سودان وقبلها سوريا وغيرهم إذا فالخطر قادم دوما ، فلهذا يدعوا سعد الله إلى ثورة علمية إبداعية .

"وفي اعتقادي ان وحدة المغرب العربي – دون أن ندخل في تفاصيل شكلها . ستحقق القوة السياسية التي تحفظ الثقة للمواطنين ، وترهب الأعداء وستوفر الأمن الاقتصادي وتفجر

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 163.162.

طاقات الانتاج عن طريق التكامل ، وستؤدي إلى ثورة علمية ابداعية يسهم بها أهل المغرب العربي في الحضارة الانسانية "[1]

واليوم لا توجد خلافة ولا أي مركز ثقل إسلامي كبير ولكن الأكيد ان البعد العربي الإسلامي وما يمثله المشرق من بعد مهم في الحضارة الإسلامية سواء من ناحية الجغرافية أو التاريخية يفرض علينا ، إذا أردنا نجاح الوحدة أن يكون العمل معه حتى تثبت القيادة والصلاح وتستقيم الأمور للأمة العربية ثم الإسلامية عموما

شروط الوحدة :

وسبب أهمية الوحدة فإن العلامة أبو القاسم سعد الله يدعوا إلى الوحدة ويقف بجانبها إلا أنه إشترط شرطية أي أن لا تكون ذات أبعاد شخصية أو ظرفية لمصلحة ما فقط ، وفي نفس الوقت ان تكون تعمل لوحدة أكبر وأشمل أي عربية .

"وأخيرا فإني شخصيا أقف إلى جانب كل محاولات الوحدة مغربيا ومشرقيا بشرط :

1-أن تكون مخلصة ودائمة (أي غير أنانية ولا طرفية)

2- ان تكون خطوة نحو تحقيق الوحدة الأشمل (الوحدة العربية)."[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 164.
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص165.164.

دور الإسلام في حماية المغرب العربي من الأخطار الخارجية :

لقد تعاون البربر والعرب في ظل الحياة الاجتماعية الإسلامية الجديدة .و وحد الإسلام سكان المغرب العربي ، فمن تكلم العربية فهو عربي ،وأبعد عنهم الحياة القبلية وأصبحوا يعيشون في حياة الجماعة ، بعد ماكانوا في حروب طويلة من أجل العيش ، أصبحت حروبهم مع عدو الحضارة والدين ، كما أن الإسلام بل أنهم دعوة إلى هذا الدين الجديد.

وبسبب صراع المتجدد بين دول المغربية فيما بينها ولم تتعايش مثل الزيانية والمرينية والحفصية جاء دور العثماني ليمنع الخطر الأجنبي .

"وعندما أضعفت تلك الدويلات نفسها بالحروب الداخلية وعجزت عن تحقيق الوحدة ، جاء الخطر من الخارج ، من اسبانيا والبرتغال ، ثم من فرنسا وبريطانيا . . . وكان لابد من الاتجاه نحو المشرق من جديد ، فكان الدور العثماني الذي حمل راية الخلافة الاسلامية وطلائع الانقاذ"[1]

لكن أمل الوحدة بقي عند دول المغاربية حتى في عهد الإستعمار كان العمل السياسي سواء بشكل مقاومة او الوعي سياسي بالوحدة لدى المناضلين موجود وخاصة منه الشعبي فتضامن كان كبير بينها ودائما ما كانت هناك أصوات تنادي بالوحدة .

" وعندي أن الظروف التاريخية والشروط الموضوعية كلها مهيأة لهذه الوحدة ، وتبقى الارادة ، وأعني الارادة الفاعلة لا الارادة السلبية إذ لا يكفي أن نريد الوحدة ، ولكن أن نفعل من أجلها ، وأخشى اننا إذا لم نطبق الارادة في الوحدة من تلقاء أنفسنا فستجبرنا الحوادث ، وربها دول أخرى ، على التوحد ، ولكننا في هذه الحالة سنفقد الكثير من خصائصنا وسنضحي بكرامتنا وقيمنا ، كما حدث لنا في عدة مناسبات تاريخية قديمة أشرنا إليها "2

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 176.
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 178.

الوحدة المغاربية :

يعطي لنا سعد الله نموذجا يوما كان طالبا لم يحس أبدا بالغربة في بلد الثاني تونس وغن كان في الحقيقة ترابط العربي كبير في ذلك الوقت ويظهر انه كان أشد في المدن الحدودية حيث لم يكن هناك حدود في الماضي وأيضا بعض الأحداث التي ساعدت على الوحدة في عهد الثورة ساقية سيدي يوسف لقصفتها القوات الفرنسية مدينة حدودية بين تونس والجزائر بالإضافة إلى تلاحم الدول العربية من مصر والمشارقة والمغرب وليبيا تشجيعا لثورة الجزائرية المباركة ،هذا يؤكد أن الوحدة أمر طبيعي وقابل لتنفيذ مهما كانت المعيقات .

" لقد كانت تونس أول قطر غير الجزائر أحل به بحثا منهل للعلم ، ورغم انني قدمت إليها من بيئة هي أقرب إلى البداوة منها إلى الحضارة ، فإنني يعلم الله ، قد شعرت أنني كنت . على حداثة سني . بين أهلي وقومي . وليس هذا ادعاء أو نوستلجيا إلى ماضي الصبا والشباب ولكنه تسجيل لانطباع كان ومايزال يعيش معي ، كنا في حلقات جامع الزيتونة نجلس الركبة حذو الركبة مع أبناء تونس ، نفكر نفس التفكير ونلبس عين اللباس ونطمح إلى نفس المستقبل ونحس التاريخ ، وكان شيوخنا يشجعوننا على هذه الأخوة المهنية التي ستصبح في نظرهم ، وقد كانوا على حق ، اخوة وحدوية "[1] .

دور المثقف في بناء المغرب العربي :

هنا يتكلم صراحة سعد الله على ان المغرب العربي هو واحد موحدا اصلا وللأسف السياسيين هم الذين يضعون الحواجز بين افراد المغرب العربي فالدين و اللغة و الوطن و المصير الواحد كلها متوفرة كما انه وبخطى ثابتة يحدد الوحدة التي يرمي اليها المغرب العربي ثم المشرق العربي هو في حاجة ايضا الى توحيد وله ايضا نفس الخصائص المتميزة.

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 170.

" ان وحدة المغرب العربي قائمة عمليا وهي تلقائية تاريخية ولغويا ودينيا ومصيرنا و القرار السياسي فقط هو الذي اذا شاء احضرها واذا شاء غيبها وهي في حالة حضور لا يحتاج الامر الى اكثر من رفع الحواجز السياسية القائمة و المصطنعة عنها ويجب ان نتجه بنفس الاهتمام و المعالجة لبناء المشرق العربي ايضا فنحن منه واليه وهو منا و الينا "[1] .

إن الطبقة المسؤولة عن إبداء الرأي في القضايا الأساسية والمصيرية هي المثقفون ويكون سيدا في قراره وقابل لتنفيذ ، وللأسف حالهم بين ساكت أو المنفي أو المعاقب أو المهمش.

والمثقف هو القائد في مفهوم العلامة سعد الله لأنه هو الأقدر على معرفة خبايا المور وأبعادها .

" من الناحية النظرية يعتبر المثقف هو صاحب الرأي في كل الأمور ذات الشأن ، أو المصيرية . ولكن الواقع يدل على ان السلطة السياسية هي صاحبة القرار . وعلى المثقفين ان يتبعوا أو ينافقوا أو يسكتوا .

ان المثقفين كمية مهملة ومبعثرة ، بعضهم لجأ إلى السلطة وأصبح مثل علماء السلاطين أو علماء السوء في الزمن الغابر ، وبعضهم بقي مهمشا يتفرج ويحوقل "[2] .

إن عوامل الوحدة متوفرة تاريخيا ودينيا ولغويا ومذهبيا ومصيرا ويظهر أن القرار السياسي فقط هو الذي بقي أما اليوم نجد بعض الظروف والقضايا ولكنها ليست خطيرة يمكن تجاورها وفيما يخص أيضا المشرق العربي لابدا من تواصل معه وحتى يدرك أن الوحدة هي المقصودة وليست تجزئة بين المشرق والمغرب ولكي تبقى مكانة المثقف هي هنا أو هناك.

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 22

[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ص 167.

"ان وحدة المغرب العربي قائمة عمليا وهي تلقائية . تاريخيا ولغويا ودينيا ومصيريا . والقرار السياسي فقط هو الذي إذا شاء أحضرها وإذا شاء غيبها . وفي حالة احضارها لا يحتاج الأمر إلى أكثر من رفع الحواجز السياسية القائمة والمصطنعة .

يجب أن نتجه بنفس الاهتمام والمعالجة لبناء المشرق العربي أيضا ، فنحن منه وإليه ، وهو منا وإلينا . والحديث عن المغرب العربي وحده نوع من التجزئة المكروهة"[1] .

الوحدة العربية :

كان حلم المثقفون ايام ضعف الدولة العثمانية عندما انفصلت عنها كل القوميات الاخرى بالثورات و التدخلات الاجنبية الا ان العرب كانت تغلب عليهم سمة الخرافة و الامية و الحياة القبلية او البدوة ، ثم جاء وعد بلفور وقيام اسرائيل وظهور الاقليمية في مصر و الشام وحتى في المغرب العربي ، لعبت الايادي الاجنبية دورها في التقسيم فكان بديل الوحدة القومية هو جامعة الدول العربية رغم بعض الايجابيات لكن سرعان ما انفجرت في دورها المشؤوم في حرب الخليج هكذا يقول العلامة سعد الله اما الطريقة العلاج فهو في الوعي و التعليم و الوعي السياسي ان صح

"ان طريقة الوحدة العربية ليس سهلا ، وهناك شروط لابد من توفرها لكي تتحقق واهمها الوعي و التعليم وتسيس الموطن العربي وتخليصه من عقدة الخواجة وعقدة التخلف وجعله يتطلع الى ضرورة التكتل و التقوى لمواجهة الاعداء وفي مقدمتهم الخطر الصهيوني و الامبرالي الظاهر و الباطن ان البعض يرى في التكتلات الاقليمية بديلا للوحدة الشاملة ولكن يبدوا لي ان هذا البديل ماهو الا نسخة من جامعة الدول العربية ان الوحدة لاتي لا تقتنع بها الجماهير ولا تفرضها هي فرضا على الحكام لن تدوم طويلا ولن تؤتي ثمارها " [2]

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 167.
[2] أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 170

أهمية الوحدة :

لقد كان للمغرب تاريخ طويل مرّ بعصر القبيلة والفرقة وجربوا عصر المجتمع والوحدة إلا أن التجارب دلت على ان سكان المغرب العربي فرديون جدا أي أنانيين إلى درجة التضحية بالمصالح الجماعية ،وحبهم الحرية سواء العرب أو البربر عدم خضوعهم لسلطة .

" ولذلك ظلوا عبر العصور معبرا للحضارات وليس مهدا لها أو منطلقا لاحداها ، على الأقل حتى التجارب الوحدوية في المغرب العربي كانت قصيرة المدى وغير قائمة على أسس حضارية ، بل على أسس شخصية – سياسية . ولذلك سرعان مازالت ورجعت الأمور إلى الفرقة ، كما كانت . ويبدو ان الوحدة لا يمكنها أن تتحقق وان تثمر إذا لم تكن قائمة على ايمان عميق وتربية شعبية وفردية طويلة الأمد "[1]

إذا فالوحدة تحقق أهداف كبيرة وتصد العداء وهي أيضا ضمان للاستمرارية وزيادة قوة ، وتبعد الأنظار وأيضا مخاطر الأزمة الاقتصادية وتقلل من الضغط التبعي وأيضا تساعد تحصيل العلمي والتكنولوجي .

" الوحدة قوة ، والقوة أمن وضمان لمستقبل زاهر . فمن يرفض فكرة الوحدة غير الجاهل بقيمتها . وقد علمتنا الأديان والتواريخ والتجارب القديمة والمعاصرة أن بالوحدة تتحقق أهداف عظيمة ، مادية ومعنوية ، لا يمكن للفرد أو القبيلة أو الشعب الصغير أن يحققها وحده " [2]

تعريف القومية العربية :

لقد أعطى سعد الله القومية بعد إيديولوجي واخر فلسفي وإنشائي وثقافي أيضا وليست لها حدود جغرافيا وليست شعار ، وأن القومية كمفهوم حديث يظهر إلا بعد الثورة الفرنسية ولم تنشر وتتقوى في أوروبا إلا بعد وحدتي ألمانيا وإيطاليا وفي العالم لم تظهر إلى بعد الحرب

[1]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ص 161

[2]-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ص 161.

العالمية الثانية أما القومية العربية في نظر سعد الله ظهرت بعد الاحتلال الفرنسي أي سنة 1830.

وهي تختلف بين الحركات الأخرى ذات طابع العصبي أو طائفي بل هي دفاعية إنسانية .

" من الممكن تعريف القومية العربية بأنها حركة ايديولوجية ، وعاطفية وثقافية وسياسية تستهدف توحيد جميع العرب بإعتبارهم ينتمون إلى أمة واحدة تشترك في التاريخ واللغة والحضارة والمصالح والمصير.

انها حركة ايديولوجية لان لها مضمونا فلسفيا وانسانيا وهي حركة عاطفية لأنها تقوم على رد فعل جماهيري وغيرة على التراث القومي وحماس روحي لتحقيق رسالتها . وهي حركة ثقافية لأنها تؤمن بإيجابية الحضارة العربية ماضيا ومستقبلا ، وتعتمد على لغة اثبتت قدرتها على ترجمة الافكار الانسانية في شتى صورها وعصورها "[1].

الجزائر وجذور القومية العربية :

في نظر سعد الله أن هناك خطأ كبير يقع فيه المفكرين والمثقفين العرب عندما يتكلمون عن بداية هذه الحركة وزمانها ومكانها، فيعتقد سعد الله أن جذورها الأصلية من الجزائر وذلك عندما قدم الإستعمار الجزائري فلجأ العلماء إلى المشرق من أجل الوحدة العربية ومن جملة الدلة التي يعرضها أن العرب كانوا يمثلون حدة متكاملة ، حتى سنة 1830 كان يخضع لنفوذ الروحي للخلافة الإسلامية ، إلى ذلك لم يتعرض أي هجوم عليه من طرف الخطر الأجنبي بشكل عنيف .

فلهذا يخلص إلى المعادلة الأولى والمعادلة الثانية في مقالته المعنونة الجزائر والقومية العربية في كتابه منطلقات فكرية .

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص111.

المعادلة الأولى :

أ. الجزائر جزء من الوطن العربي .

ب.أي اعتداء على جزء منه هو إعتداء على كله.

ج. الإعتداء على الجزائر هو إعتداء على الوطن العربي.

والمعادلة الثانية :

أ. المقاومة كانت رد فعل عن الاعتداء الخارجي .

ب.كل حركة مقاومة عرقية ضد الأجنبي هي حركة قومية .

ج. نتيجة المقاومة العربية في الجزائر حركة قومية.

" ومن هنا يظهر ان الجزائر كانت مركز ميلاد القومية العربية وان ذلك ان عام 1830 كان عاما حاسما في التاريخ العربي الحديث. لذلك أن المقاومة العنيفة المستمرة التي واجهها الاحتلال كانت مقاومة عقائدية وشعبية "[1].

فالمقاومة الجزائرية تمثل مقاومة عقائدية لإنها وجه من أوجه صراع بين حضارتين مختلفتين ومن الناحية الشعبية فهي تمثل قمة النضال الوطني (الشرف . الملكية . الكرامة) ومنه لقد كان لأفكار حمدان خوجة والأمير عبد القادر تمثل الدور العقائدي وثورة الفلاحين والآدب الشعبي دور العاطفي الوطني .

" وهكذا يمكن اعتبار أفكار حمدان خوجة والأمير عبد القادر تمثل الدور الاتجاه العقائدي وبينما تمثل ثورات الفلاحين والآدب الشعبي الاتجاه العاطفي .

ولكن لابد من تحذير حول هذه النقطة ، أن المقاومة العربية في الجزائر كانت تعبيرا عن القومية الإسلامية والعربية معا. فالنظر إلى أن الدين قد لعب دورا هاما في توجيهها وإن قادتها قد نادوا بالتضامن الإسلامي صد العدوان تعتبر حركة رائدة للجامعة الإسلامية

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق.ص111.

وبالنظر إلى أن من قاموا بها كانوا عربا ، وإن هدفها كان تحرير جزء من الوطن العربي تعتبر حركة رائدة للقومية العربية "[1] .

بعدما تكلم سعد الله عن القومية وذلك في محاضرة في جامعة الجزائر(25 جوان1966) ونشرته (الآداب) لبنانية جويلية تموز1966 ، جاء تعليق عبد الجليل حسن في مقال رد على سعد الله الجزائر والقومية العربية ونشر مقاله في (الآداب) اللبنانية نوفمبر 1966.ويذكر انه أهمل الخطر الأجنبي الفرنسي على مصر والشام فكان جواب سعد الله .

"إن الحملة كانت خطرا مؤقتا غير مباشر سرعان ما زال ، بينما كان الاحتلال خطرا دائما مباشرا، إن فشل الحملة قد أدى بالضرورة الى فشل اهدافها وبالتالي ضآلة مفعولها على الكيان القومي ، اما نجاح الاحتلال فقد أدى الى تحقيق أهدافه وهي خلع سيادة ، وانتهاك حضارة (لغة ، دين ، تقاليد الخ) و تشريد شعب واغتصاب ارض و بالتالي أدى الى رد فعل قومي" [2].

أما فيما يخص الصراع هناك أشبه هو قتال العرب دون أن تكون لهم مصلحة مباشرة في الحرب نفسها . كالعرب الذين أثناء الحربين العالمتين ولم تكن لهم مصلحة مباشرة ولم يكن تلقائي دفاعي .

" إن الحملة في الحقيقة (على الاقل بناء على المصادر الموجودة) كانت موجهة نحو مصر والشام لا باعتبارهما كيانا مستقلا قوميا ، ولكن باعتبارهما مسرحا للسياسة الدولية المتنازعة في ذلك الوقت . فالخصومة كانت أساسا بين الفرنسيين من ناحية وبين الانكليز والعثمانيين من ناحية أخرى وليست بين الفرنسيين والعرب هكذا "[3].

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص110.
[2]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص122.
[3]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص122.

أي بمعنى أن مقاومة الشعب العربي في مصر كان جزءا من مقاومة مدعومة من الإنكليز وحلفاؤهم العثمانيون للقضاء على عدوهم (ولم تكن ضد خطر أجنبي) كما كان الحال في الجزائر.

أما التهمة الثانية وهو قوله كل مؤرخي القومية العربية من عرب وأجانب قد أهملوا دور الجزائر في تشييد القومية العربية في الفترة التي تناولتها وذلك لاعتبارات التاريخية السياسية ليس هنا محل سردها وهنا يصرح سعد الله أنه مستعد عن تراجع عن نظريته ،وبهذا يصرح أن أتى بشيء جديد نظرية في القومية العربية إن صح كلامه يكون حمدان خوجة أول من عمل للقومية العربية والعلامة سعد الله أول من ينظر للقومية العربية .

ويؤكد سعد الله أنه لا يقصد الكفاح بمفهوم السياسي كما فهم الأستاذ حسن نضال السياسي والعسكري فقد تناوله المؤرخون المستعمرون أنفسهم بل تكلم عن تاريخ القومية العربية من فترة الاحتلال 1830 إلى نفي الأمير عبد القادر 1847.

" فما أزال اعتقد ، الى أن تظهر حجة جديدة بأن (كل) مؤرخي القومية العربية ، من عرب واجانب قد اهملوا دور الجزائر في تشييد القومية العربية في الفترة التي تناولتها ، وذلك لاعتبارات تاريخية وسياسية ليس هنا محل سردها . وقد كنت اود ان لو ارشدني الاستاذ المعلق إلى مؤرخ واحد يخالفني في رأيى بدل أن يطالبني بأن أذكر له هؤلاء المؤرخين . وأحب أن أؤكد له بأني مستعد أن أتراجع عن نظريتي اذا ظهر ما ينقضها تاريخيا وعلميا "[1]

أما إتهامه بالنزعة الإقليمية فيرجع إلى سبب كتابته للمقال يرجع إلى نزعة لأقلمة الثورة (جهويتها)لإن الإقليمية تعيش في عقول بعض الجزائريين ولقد كتب في مقدمة المقال سببا لي دعاني للبحث منها النزعة الغربية التي تروج الآن في الجزائر لأقلمة الثورة على أساس انها ثورة أحفاد يوغرطة(يوغرطة بطل نوميدي حارب الرومان)، ضد أحفاد الرومان وليست

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص123.

ثورة أحفاد الغامقي ضد أحفاد شارل مارتلّ (الغافقي بطل معركة توربواتي(732) ضد الفرنجة بقيادة شارل مارتل.) .

"حين القيت موضوع المقال المذكور كمحاضرة في جامعة الجزائر خرج الاقليميون ينعتونني بالقومية والشرقية ، والبعثية ، وغير ذلك من العبارات التي لها مدلولاتها الخاصة عند هؤلاء وكلها كانت تعنى انني لم اكن ، على الاقل في نظرهم إقليميا .

فاذا كانت محاولة تصحيح خطا تاريخي في نفس الوقت الاقليمية عند البعض والقومية عند الآخرين ، فيا ضيعة الحقيقة ! ويا ويح اهلها"[1].

والذي يهمنا هو الهدف النبيل العلمي ،وبمنهجية أكاديمية بغض النظر على صحة نظريته أم لا ، إلا أنه قدم مجهودات عظيمة على عدة مستويات على المستوى الفكري والوطني (الإقليمي)والفكري (توضح فكر علماء الجزائر) ومساهمتهم العلمية والعملية وفضلها على الحضارة العربية الإسلامية .

الأمير عبد القادر والقومية العربية :

للأمير عبد القادر دور مشهود له في مقاومة المستعمر ، لكن دوره البطولي في دفاع عن العروبة والقومية وتدعيها ليس مدروس فقد كان الأمير عربيا أصيلا يلقب بالهاشمي حفاظا على نسبه ، وسافر إلى المشرق العربي صحبة والده محيى الدين حاجا ومتعرفا على البلاد العربية (الحجاز سوريا العراق ومصر) ومن هذا نص نعرف فكره النضالي العربي ، ومن ذلك ذكر كلمة رومي التي يقصد بها الأجنبي والخطاب موجه لعرب الجزائر 1846.

" و لقد أصبحتم الآن تحت سلطة رومي يقاضيكم رومي و يدير شؤونكم رومي . لقد داس الرومي حرية مساجدكم واشترى أعراض نسائكم ، استولى على أجود أراضيكم واعطاها الى

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص124.

قومه لقد حان موعد استفاقتكم ! هبوا جميعا واستجيبوا لندائي ؟ . . إن الله قد وضع سيفه الملتهب في يدى . لنمض جميعا الى الأمام ونرو حقول وطننا بدماء المعتدين "[1].

لقد كان مؤلفا وكاتبا وشاعرا ولم يكن سيد سيف فقط وأهم مؤلفاته (ذكرى العاقل)و(وشاح الكتائب)، له فخرة بالعربية ومنه أي القومية العربية وذلك خلال الحروب ضد الأجانب حسب فكر العلامة سعد الله

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالمجد القديم علت قريش ومنا فوق ذا طابت فعال

ومنا لم يزل في كل عصر رجال للرجال هم الرجال

" أي عربي يقرأ هذا الشعر ثم لا يشطح به الخيال الى أيام قريش ومجد الأمويين وعز العباسيين ! وأي قارئ يغيب عنه ما في هذا الشعر من أفكار قومية و سياسية ؟ ومع ذلك لا نجد اسم الأمير يظهر حتى من بين المساهمين في بناء القومية العربية حين نقرأ كتابات أصحاب النظرية التاريخية الشائعة"[2].

فمن أجل أن نلتقي جميعا وأن نتوحد وبذلك تظهر الحركات العربية الثورية من زيف المستعمر ونتلقى جميعا إلى مستوى القومي وتجتاز الحواجز والمكنة أي الدول ونساهم في بناء الأمة العربية الموحدة وتؤدي رسالتها الإنسانية الخالدة .

يجب أن ننظر إلى هذه النقاط التي أشار إليها العلامة سعد الله في خاتمته بمقال الجزائر والقومية العربية .

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص118.
[2]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص119.

1- ضرورة مراجعة النظرية الشائعة عن تاريخ القومية العربية .

2-وجوب بحث القضايا العربية بطريقة شاملة متكاملة سواء حدثت في المشرق العربي او في المغرب العربي

3-حتمية تفسير القومية العربية على أنها رد فعل عربي ضد الخطر الاجنبي سواء كان هذا الخطر شرقيا أو غربيا .

4-ما دامت الجزائر أول جزء يقتطعه الأجانب من جسم الأمة العربية فإن مقاومة الشعب العربي هناك تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث.

5-ضرورة وضع حركة النضال السياسي لحمدان خوجة والنضال العسكري للأمير عبد القادر في مكانها من تاريخ القومية العربية على اساس آنها حركة رائدة على الصعيدين العقائدي والجماهيري .

3/دولة الأمير عبد القادر

الأمير عبد القادر لقد حارب الاستعمار الفرنسي بمقاومة عنيفة (1847.1832) وأنه أرغم في النهاية إلى التسليم إلا أنه يدل أن يسمح له بالهجرة إلى المشرق العربي كما اشترط حتى التسليم أخذه عدوه إلى سجون فرنسا حيث قضى 5 سنوات(1852.1847) ولم يطلق نابليون الثالث سراحه إلى بعد تدخل الرأي العام الدولي بما في ذلك اللورد لندن ديري الإنكليزي وبعد اطلاق سراحه ذهب إلى سوريا حيث مكث إلى وفاته عام 1883 وعرف عنه إصلاح ذات البين منها أزمة لبنان عام 1864 التي خلقها الاستعمار وإنه كان موضع احترام العرب والأوروبيين على السواء لشجاعته وشهامته ونضاله.

" ولكن حين أصبح الاحتلال الفرنسي خطرا على الشعب العربي في الجزائر أعلن الامير الجهاد (أي قبل أن يعلنه الشريف حسين بحوالي قرن) ضد الغزاة الاجانب وقد بايعه الشعب أولا كسلطان للجزائر ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين . والحق أن هذا لم يكن مجرد تلقيب شكلي فالتاريخ يذكر له أنه شكل أول حكومة عربية ديمقراطية في الجزائر و نظم جيشا شعبيا وأتخذ له مؤهلات السيادة التي اعترفت له بها فرنسا نفسها مدة من الزمن"[1]

بالرغم أن الاحتلال الفرنسي قد اقتطع الجزائر من الوطن العربي وأزال معالم الثقافة العربية ، واعترف بالدين الإسلامي لأهلها ، ومن ثمة أصبح الدين هو الوطن وهو القومية بالنسبة للجزائريين في عهد الاحتلال .

فالاحتلال الفرنسي يضع المواطنة الفرنسية وحقوقه مضمونة أما المسلم والإسلام فلا تجتمع عندئذ مع المواطنة، فالمواطنة الفرنسية تعني الرفعة والتقدم هذا وصل إليه قانون مجلس

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق .ص118.

الشيوخ الفرنسي الصادر سنة 1865 فكان قانون (الانديجينا) حالة الأهلية فكانت سوء المعاملة والإجحاف والحرمان في حق كل من إنحاز إلى الإسلام .

" ومن الطبيعي أن يختار الجزائريون الحل الثاني ، رغم ما فيه من سوء المعاملة والاجحاف والحرمان ، وعلى كل حال فهو حل يضمن لهم وجود فكرة يعيشون عليها ، وهي ، كما قلت سابقا ، تعنى بالنسبة اليهم الوطن والقومية وكل المقومات الأخرى. وباسم هذه الفكرة قاوم الجزائريون الاحتلال عسكريا وسياسيا . فالجهاد الذي أعلنه الامير عبد القادر مثلا لم يكن قاصرا على المفهوم الديني وحده ، وانما كان يعني بالدرجة الاولى الدفاع عن الوطن والقومية (اللغة والحضارة والمستقبل) "[1]

اختلاف العلماء والمفكرين في موقفه من الحضارة الغربية سواء عند مقاومته للفرنسيين أو عند استقباله لكبار الرواد في المشرق و أوروبا ، فنهم من أعتبره محافظ وزاهد ومتصوف في جميع مراحل حياته ، ومنهم من وضعه على رأس المصلحين القرن 19 أي من الذين تأثر بالحضارة الغربية إلى بلدانهم الإسلامية المختلفة .

إن تراثه كرجل محافظ لا يحتاج ربما إلى برهان وبيان لإن بيئته ودراسته كلها تقريبا تصب في هذا الاتجاه.

نشأ في زاوية القيطنة قرب مدينة معسكر وكان أحد أجداده قد أنشأ في القيطنة فرعا لطريق القادرية التي كان مقرها الرئيس في بغداد والتي كانت روحيا وسياسيا تدعم السلطة العثمانية فنشأ متأثرا بتقاليد أسرته ومحيطه السياسي والديني وتنقل مع والده إلى المشرق وهنا تعلم الفقه والكلام والحديث والتصوف والأدب والتاريخ وتثبت كتاباته أنه متأثر بالخلفاء الراشدين وكبار القادة المسلمين ، وكامن وهران إلخ سنة 1792 محتلة من طرف إسبانيا وكانت تجارة موجودة .

[1]-أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ص126.

"حقيقة أن المؤرخين لم يحدثونا عن مدى بقاء التأثير الإسباني في وهران بعد تحريرها، غير أننا نتصور أن العادات الإسبانية لم تنقطع من هناك لفترة طويلة، وأن مؤثرات التعليم والصحة والعمران والاقتصاد لم تختف باختفاء الحكم الإسباني وحلول الحكم الإسلامي في وهران، ومن ثمة فإن الشاب عبد القادر عندما ذهب إلى هذه المدينة دارسا لم يكن غريبة عن المؤثرات الأجنبية كما لم يكن غريبة عن مؤثرات الزوايا والمساجد."[1].

الأمير عبد القادر والعلماء:

لقد استطاع الأمير أن يوظف العلماء وأهل السيف وأهل العلماء كانوا في أغلبهم خريجي زوايا والمتعلمين عموما وكان عمر الأمير سنة 1837 حوالي 19 سنة ويذكر سعد الله أيضا ان دولة الأمير بالمفهوم القومي هي الأولى من نوعها ، فمحمد علي في مصر لم يكن مصريا ولم تكن بالمفهوم الدي قام به الأمير عبد القادر في الجزائر ، فالجزائر احتلت من بلد أجنبي ، وكان على القادة تأسيس دولة ونظام جديد.

"فإن ما فعله كان (محاولة) واجتهادا منه في وضع أسس دولة في فترة زمنية محدودة جدا دامت أقل من ثلاث سنوات (1837.1839) وهي فترة الهدوء النسبي الذي سمحت به معاهدة التافنة ، ولكي نكون منصفين نقول أن الأمير حاول إنشاء دولة تقوم على مبادئ دولة الخلفاء الراشدين وملامح النظم الأوروبية ، أي أن هيكلتها قديمة ووسائلها حديثة ،ونعني بالوسائل الجيش النظامي (غير القبلي)والسلاح المتطور والدبلوماسية الجديدة "2 .

الأمير محافظا :

لقد امتدت حيياته ككفاح ضد المستعمر في المرحلة الأولى الدفاع عن الإسلام والوطن والشرف ولم يبعث بعثات إلى أوروبا وفضل تعامل مع خبراء السلاح من الأوربيين على أن يرسل بعثة من الشباب الجزائري ليتعلموا صناعة السلاح بأنفسهم .

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص97.
[2]-مراد وزناجي ، حديث صريح ، مرجع سابق ص116.

"والمتتبع لسيرة الأمير يلاحظ أنه كان يعيش عيشة إسلامية محافظة سواء أثناء كفاحه أو سجنه أو مقامه في الشرق. فقد رفض عرض الإقامة عليه في فرنسا بإغراءات سخية مقابل نسيان التعهد الذي التزم له به الفرنسيون، وأصر على نيل حريته والتوجه إلى بيئة شرقية عرفها وعرفته . قبل وهي الإسكندرية أو عكا حيث يستطيع أن يمارس شعائره الإسلامية في بلاد عربية اللسان – مصر أو سوريا. وفي سجنه بفرنسا كان ملتزما بإقامة الشعائر الدينية بكل تفاصيلها مع تطبيقها على أولاده وأهله، كما كان ملتزما بتدريسهم الفقه والتوحيد والسيرة النبوية"[1].

ولقد ختم دراسة صحيح البخاري في الجامع الأموي وأحاط به علماء الشام وأعجبوا به كما أن العلامة سعد الله يميل إلى أن كتاب المواقف هو من ألفه الأمير لأن فيه كثير من الكلام حول هذا الموضوع وألف كتاب المقراض الحاد الذي رد فيه عن الملحدين والمشككين .

"بقي الأمير وفية للإسلام وقيمه الحضارية حتى بعد انتقاله إلى الشرق ؛ بل إنه ازداد تعمقه في الدراسات الإسلامية: فجلس للتدريس في الجامع الأموي حيث ختم صحيح البخاري، وأدى فريضة الحج مع المجاورة مرة أخرى، وأحاط به علماء الشام الذين عبروا له عن إعجابهم بطولته وجهاده في سبيل دينه ، وتشبع من أخبار الصوفية وحياة الزهاد، وأخذ الطريقة النقشبندية من شيخها خالد النقشبندي، والف – على ما يقال . كتابة في التصوف (المواقف)، ونظم الشعر الرمزي المفعم بالأسرار الروحانية، وأظهر تأثره بابن العربي الذي اتخذه وليا ونصير"[2].

وعرف عنه التسامح مع الأسرى الأوروبيين ويواصل العلماء في رأيهم الشرعي لبعض القضايا.

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص98.97.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص98.

أتيحت فمير فرصة المشاهدة ومقارنة الأثار الحضارية ومعايشة الأحداث عندما كان في السجن فما قام به أنه أعجب بالحضارة الغربية وكان كلامه سوى المجاملة وإطلاق بعض العبارات والأمثال التي تدل على الإعجاب.

"ومن جهة أخرى، فإن الأمر لم ينشئ وسيلة إعلامية في بلاده رغم اعترافه بأهمية الإعلام وإنما فضل أن يتلقى الأخبار الصحفية عن العال الذي حوله من كاتبه الفرنسي (ليون روش)، على أن ينشئ هو جريدة أو يؤسس مطبعة. وعن طريق روش وامثاله اطلع الأمير على الميثاق الدستوري الفرنسي وعرف النظام السياسي للدولة التي كان يحاربها وتحاربه ولكنه لم يحاول تطبيق مثل ذلك في بلاده ."[1].

الأمير حداثيا :

ومن بعض الباحثين مثل الدكتور وارنييه الذي تولى قنصلية فرنسا في مدينة معسكر أثناء هدنة التافنة والباحث أوريان بيريروجير مؤسس مكتبة الجزائر العمومية ،ومن بين الباحثين نجد أيضا صاحب كتاب عبد القادر والجزائريون رفائيل دنزيغر.

"وفي العصر الحاضر يمكن أن نعد منهم رفائيل دنزيغر مؤلف كتاب عبدالقادر والجزائريون، وألان كريستلو في بعض بحوثه المقدم في هذا الملتقى، والغريب في هذا الصدد أن ليون روش الذي كان ربما أقرب من هؤلاء إلى شخص وفكر الأمير لم يتناول – حسب علمنا – قضية الحداثة عند الأمير." [2] ، وقوله كذلك :

"فقد ذهب (دنزيعر) إلى أن الأمير قد تتلمذ بوهران على شيخ بارز من أرزيو ، يدعى محمد بن الطاهر، وهو شيخ كان في رأي دنزيغر منفتحا على عالم البحر الأبيض المتوسط،

[1] -- أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص100.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق .ص96.

ومن ثمة ظل يتعامل مع الأوروبيين حتى بعد انطلاق المقاومة ضد الاحتلال مما جعله يتعرض لعقوبة الإعدام."[1]

وفي مصر نزل الأمير عبد القادر ووالده محي الدين في مدينة الإسكندرية ولاحظ تلك الإصلاحات منها محاولة جعل ميناء الإسنكدرية ميناءاً رئيسياً مفتوحاً على أوروبا ، وكان يذكر لضباط الفرنسين إعجابه بإصلاحات محمد علي ، حتى أنه في معاهدة ديميشيل نص على حرية شراء المواد الحربية مثل الأسلحة البارود الكبريت في أول بند منها.

"وفي فترة الهدنة أيضا أعاد الأمير تنظيم جيشه، بإشراف خبراء أوروبيين، وسماه: «الجيش المحمدي»، وهو نفس العنوان الذي اختاره السلطان العثماني محمود الثاني لجيشه الجديد بعد تخلصه من الإنكشارية سنة 1826، فأنشا الأمير جيشا نظاميا مواليا مباشرة له، وهو الجيش الذي يتطوع أفراده للخدمة العسكرية ويتدربون بصرامة ويحصلون على رواتب قارة حسب تصنيفات دقيقة. ويرى بعض الكتاب أن هذا الإجراء الذي اتخذه الأمير كان بدافع تحديث جيشه على الطريقة الأوروبية." [2].

فالأمير عبد القادر كان مطلعا باهتمامات الأوروبيين العلمية وخاصة لوجود بعضهم لمعرفة الأعشاب والحيوانات لغض البحث والدراسة في ذلك الوقت ، وحاول تنظيم الدولة تنظيما لم يعرف عند العالم الإسلامي يشبه النظام الإداري الأوروبي.

"وإضافة إلى الجيش النظامي أسس الأمير نظاما إداريا جديدا لا عهد للبلاد به، وهو ما اعتبره البعض (دنزيغر) تقليدا للنظام الإداري الأوروبي فقد قسم الأقاليم الخاضعة له إلى وحدات إدارية على رأس كل منها خليفة ، وتحت كل خليفة آغا، وتحت كل آغا فائدة،

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص100

[2] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص102.103.

وتحت كل قائد شيخا. وكل مسؤول من هؤلاء له صلاحياته في القضاء والحرب والسلم والجباية والتعليم والتعامل مع الرعية."[1].

وعندما كان في الشام حيث تدخل هناك لحماية الرعايا النصارى حتى أن جمهور المسلمين إتهمه بموالاة الغرب المسيحي والقليل الذي رأى ذلك انه نابع من ضمير إسلامي متسامح ومن ذلك الموقف تهاطلت عليه الأوسمة والدروع ورسائل الشكر من عظماء وملوك أوروبا وأمريكا وفيها رسالة من المحفل الماسوني.

"بقى أن نشير إلى أن بعض التطورات حدثت في المشرق بعد حلوله به أخرجته من عزلته إلى مسرح الأحداث والأضواء، ومنها: حادثة الشام سنة 1860 التي قادته إلى التدخل لفض الفتنة والدفاع عن نصاري البلد ، مما جعل جمهور المسلمين يتهمونه بموالاة العرب المسيحي، وقليل منهم فقط فسر تدخله بانه استجابة للروح الإسلامية المتسامحة "[2]

وفي قناة السويس حضر الأمير للافتتاح هذه القناة وكان ضيفا علي الخديوي إسماعيل الذي إشتهر في عصره بتقليد أوروبا وهو محسوب عند سعد الله كأنموذج للحداثة في المشرق.

وتصور معه ووضعه واجهة ضد العلماء الذين أفتوا بعدم جواز حفر قناة السويس لماله من قيمة وأثر طيب على الجميع الشعب المصري والمسلمين عامة .

"كما حضر الاحتفال بفتح قناة السويس بدعوة من صديقه فردينان دي ليسى مهندس القناة وكان من بين الشخصيات الأوروبية التي حضرت الافتتاح الإمبراطورة يوجيني زوجة نابليون الثالث التي قيل إنها كانت معجبة بالأمير كثيرا. كما كان ضيفا على الخديوي إسماعيل الذي اشتهر في عصره بتقليد أوروبا وعمل على أن تكون مصر في زمنه نموذجا للحداثة في المشرق."[3]

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق ص103.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق.ص104.
[3] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف.الجزائر.عالم المعرفة.2011 ط خ .ص105.

وفي خاتمة بحثه يذكر سعد الله :

إن رسالة الأمير لخير الدين باشا التونسي في كتابه أقوام المسالك سنة 1867 ، فقد اتضح موقفه مؤيدا التيار المحافظ لا التيار الحداثي ، وأيضا امتدحه كمدافع عن الإسلام بدل دعوته إلى التجديد .

"وبأنه دعا إلى تقليد أوروبا فقط فيما ليس له علاقة بالشريعة الإسلامية. يقول الأمير في رسالة بعث بها إلى مؤلف أقوم المسالك:

(فلله درك ودر مابه ألمعت، وما قربت من فنون المعارف ولا بعدت، ثم إنك حميت ضمار الشرع المحمدي وعضدته وقطعت عنه ضرر الملحدين وخضدته، وذلك بما قررتموه من أن الشريعة المطهرة لائقة بكل زمان، صالحة للحكم بها في كل أوان)

وقد كان أصدقاء الأمير والمعجبون به من علماء الشام على شاكلته في هذا المجال أيضا."[1]

وتكلم سعد الله انه إذا أضفنا نوع تعاليمه الإسلامية الأولى لعرفنا بوضوح المدرسة التي كان ينتمي إليها ، أي أنه استفاد من الحضارة الغربية فقط في التسلح وكلامه الأخر عن الحضارة الأوروبية من باب المجاملة .

ولقد كتب هذا الموضوع في أكتوبر عام 2008 يعني هذا انه أقرب إلى حكم سعد الله الأخير على الأمير عبد القادر.

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف.الجزائر.عالم المعرفة.2011 ط خ .ص106.105.

4/ رؤية سعد الله للحضارة ومعالجة مشاكلها :

الحضارة القومية :

يعتز سعد الله بأن كونه موجودا في القاهرة 1955رزعت فيها :

1- الوطنية سياسة فكرية

2-القومية العربية حيث كانت القاهرة في قمة العطاء الثقافي والاعتداء الثلاثي على مصر زاده قناعة بذلك ، لقد نجح أصحاب القومية في زرع الوحدة بين مصر وسوريا وإن لم تصمد إلا أن أمال العربية بالوحدة والقومية لم تتبخر وحتى انه تعرف أمال وآلام الفلسطينيين القضية المشتركة بين العرب والمسلمين ولابد من حل القضايا العربية حتى نتمكن من تأسيس للحضارة .

"أما العاطفة الثانية التي تبلورت في نفسي خلال وجودي بالقاهرة فهي القومية العربية. فالوطن العربي لم يعد في ذهني ذلك الشريط التاريخي من الغزوات. والشيع الدينية والمدراس الأدبية وغيرها ولكن أصبح يعني تلك المنطقة الممتدة من الخليج إلى المحيط التي تسكنها أمة عربية واحدة يربطها تاريخ ومصير مشترك وتقوم على حضارة مجيدة. وقد كانت القاهرة أثناء اقامتي بها مركزا عربيا وعالميا حساسا مرت عليه أحداث كبيرة " [1]

الجانب الجمالي للحضارة :

التأثر الجزائريين بالفنون الفرنسية :

لقد كان تأثير الفن الأوروبي عموما موجود في الجزائر وإن لم يكن بنفس الحدة على ماهو عليه الآداب الفرنسي ، لقد انتقلت بعض لوحات على تشكيلية من فرنسا إلى الجزائر وفي ميدان الغناء لقد كان بعض شباب يحفظ العاني الفرنسية ومدراسها إن أن الغناء الأندلسي بقي مسيطراً والفن الإسلامي (المنمنمات)بفضل محمد راسم بدأ تأثيره واضح حتى في العالم

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية . مرجع سابق.ص48.

لقد كان في الحقيقة فنيا تأثر وتأثيرا لقد كانت الطبيعة الجزائرية مصدر إلهام للأدباء ورسامين الفرنسين وساعدت على إبداعهم .

" وبالإضافة إلى التأثر بالأدب الفرنسي تأثر بعض الجزائريين بالفنون الفرنسية ، فقد انتقلت إلى الجزائر لوحات دي لاكروا ، وفيرنيه ، وبيكاسو وأضرابهم . وظهر ذلك التأثر في الفنون التشكيلية ، وانتسب عدد منهم إلى أقطاب المدارس الفنية من تكعيبية وطبيعية وانطباعية . وردد الشباب أصوات المغنين الفرنسيين وحفظوا عن ظهر قلب أسماءهم وألحانهم ، ومدارسهم الموسيقية" [1].

الفنون :

السينما : تعتبر السينما أيضا من الفنون التي أثرت أعمالها في الثورة الجزائرية سواء في الداخل أو الخارج حتى بعد الإستقلال كان لها الأثر الكبير في توعية الشعب الجزائري بقضيته الأولى

"السينما من الفنون الجديدة التي عرفتها الجزائر ، وقد بدأ الفرنسيون في إنتاجها منذ وقت مبكر ، ثم طوروها حتى وصلت ، مع الإذاعة والتلفزيون ، إلى مرحلة متقدمة . وعندما نتكلم عن التلفزيون فإننا نتكلم عن مرحلة الثورة لأنه بدأ ، كما سبقت الإشارة ، يعمل أثناءها ، فالجزائر هي البلد العربي الأول الذي دخله التلفزيون . ورغم أنه مؤسسة فرنسية النشأة والتوجيه والإنتاج فإن الجزائريين سرعان ما استفادوا منه وظهر من بينهم من أخذ ينتج له أفلاما وبرامج وتمثيليات بالعربية الدارجة "[2] .

وكان أيضا من الفنون التي ساعدت على تشهير بالثورة مثلا الأعمال الفنية ذات البعد الجمالي ، وخاصة في المعرض فمثلا فيلم معركة الجزائر الذي نال الشهرة عام 1966 وهذا بمساعدة المصور الإيطالي فيتريغوا كونتينوا الذي أقام معرض بالمكتبة الوطنية الجزائرية

[1]-أبو القاسم سعد الله .بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .. مرجع سابق.ص524.
- [2]أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ،ج9. مرجع سابق.ص383.

بالحامة في ديسمبر 2004 وقال أنه يشعر انه سيكون شاهدا على ما ارتكبته جرائم الإستعمار وفي مساهمتهم لثورة يقول سعد الله

" وأثناء إعدادنا لهذا الكتاب اكتشفنا أن هناك جوانب لم نتناولها من حياة الرسامين لأنهم أضافوا أثناء حياتهم خلال الثورة نشاطا جديدا ، ووصلتهم الدعوة للتحرر والحرية كما وصلت جميع المواطنين فاهتزت مشاعر بعضهم وتبدلت أساليبهم وأنتجوا لوحات جميلة معبرة وأشكالا فنية جديدة تشير إلى العهد الجديد . ومن الطبيعي أن هذا الحكم لا ينطبق على كل واحد منهم ، ولكن علينا أن ندرس حياتهم وإنتاجهم ونقيم مساهمتهم حسب المستطاع ، من الأمور المتعلقة بالثورة والإعلام إقامة المعارض كجزء من الدعاية ضد الوحشية الاستعمارية . فقد جمع المصور الإيطالي فيتيريغو كونتينو مثلا حوالي ستين صورة كان قد التقطها في الجزائر سنة 1959 بالأسود والأبيض . وهي تمثل عينات فقط من معاناة الشعب الجزائري تحت القمع" [1]

ولقد كان للفنون التشكيلة الأثر البارز في رفع قيمة الجزائر الدولية بفضل الرسام مجمد راسم وافن المنمنمات خاصة ، وذلك عبر معارضه في الخارج .

" واشتهر اسم راسم في العالم وحظي بتقدير عظيم حتى أنه انتخب عضوا شرفيا في الجمعية الملكية الإنجليزية للتصوير سنة 1950. تأثيره أن بعض الفنانين في المشرق رجعوا إلى فن المنمنمات بعد أن أهملوه زمنا ، رغم أنه فن أجدادهم . وأصبح فن راسم يدرس عاليا في الشرق والغرب . " [2]

الذوق الجمالي :

إن مشروع بناء إنسان الحضارة بل حتى انه يمكن اعتبار التحضر هو فن الحياة مع الغير في مفهوم مالك بن نبي .

- [1] أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي.ج 9. مرجع سابق. ص395.
- [2] أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي 7.ج 9. مرجع سابق .ص400.

ذلك أن أي عمل يقوم به الإنسان لا يكفي أن يكون عملا إنسانيا متميزا إذا توقف عند حدود الإنجاز بل لا بد أن تتوفر فيه شروط أخرى تتجاور به صفة الإنجاز فليصبح فعلا جميلا ذا معنى ومغزى لا بدا من استحضار الهدف الأسمى فمثلا الإتقان هو نوع من الإحسان .

وهكذا فذوق الجميل راقي نجده في الآدب والتاريخ وأيضا ما يقوم به الإنسان المتحضر ويكون العمل نابعا من القلب .

وهكذا نجد أن الفنون تدخل في عالم الإنسان من كل زوايا اللباس ، الأناقة ، الكلام (اللغة) ترجمة الكتب والأدوات ووسائل نقل المناظر الطبيعية ، في هذا المناخ والعالم المليء بنزعة الجمالية وذوق عال وأدب جم هو الإطار الذي تتكون فيه الحضارة.

الكتاب عند سعد الله فن وصناعة:

الكتاب في الجزائر كما يقول سعد الله معجزة لأنه لا يوجد من يدعمك او يشجعك وعموم شعبنا يقرا و لا يكتب ومع ذلك فالكتابة عند العلامة سعد الله في وصناعة فهو كثير الكتابة و التاليف ومنه فله دراية بهذا الموضوع وان فيه عامل الابداعي يشكل ركن اساسي في عملية الكتابة فهي عضوية احيانا واخرى نفسية و جانب اخر الهامي احيانا اخرى ، ولها من صفات الصناعة شئ الكثير كالإتقان و التجويد وفي الحقيقة ان العلامة سعد الله لايصف لنا هذا من باب الوصف فقط ولكن من كونه يقوم لي هذه الادوار فعلا .

" كما قلت في احدى المناسبات ان الكتابة فن و صناعة وهي كإبداع تقوم على العفوية و الالهام و اللمحة الخاطفة ولكنها كصناعة تقوم على عنصر الاتقان و التجويد و الالهام و اللمحة الخاطفة ولكنها كصناعة تقوم على عنصر الاتقان و التجويد و المراجعة فليس كل ماتلده القريحة ويخطه القلم كتابة فعملية التزاوج بين العاطفة و العقل في الكتابة امر لابد

منه ولذلك نعرف ان العرب كانت تراجع حتى الشعر و وتمحصه و تشد به حتى يصبح حولية أو معلقة "[1]

التمييز العنصري:

فتكلم العلامة سعد الله عن التمييز العنصري وكيف أن هذا النظام القائم تدعمه إسرائيل لأن لها نفس القاعدة : أي التفوق على الأخرين ، فالضحايا في جنوب إفريقيا هم الأفارقة تمييز على أساس اللون والعرق أما الإسرائيلي على أساس الدين والتاريخ ففي جنوب إفريقيا النظام يكره أن يسوى بين الأبيض والأسود وفي النظام الإسرائيلي يكره أن يسوى بين اليهودي والعربي.

"ومن ناحية أخرى ومن ناحية أخرى فإننا نسمع ونرى تحركات شعب جنوب افريقية ممثلا في زعمائه وشبابه ، فنعجب بنضالهم واستماتتهم في سبيل الحرية والمساواة ، واننا نرى أن نضالهم هذا لا يعبر فقط عنهم ولكن عن الملايين المضطهدة في كل مكان ، وايماننا انهم سينتصرون كما انتصر دائما المكافحون من أجل الحرية. "[2]

الحوار الحضاري :

اليوم عالمنا نعيش فيه كقرية صغيرة العالم يصغر بين ايدينا فالطريقة الاتصال و المواصلات سهلت الكثير فعائق الزمان و المكان انحصر من كل بقاع العالم ليست القراءة و المطالعة هي المصدر الوحيد للمعلومة مثل ماسبق اليوم تستطيع ان تعيش وتتفاعل مع الاحدث مباشرة ومنه فالحواجز كثير منها ازيل هل التقوقع افضل او تواصل اجدى الينا

" ومن ثمة فان الكثير من الحواجز القديمة قد ازيلت بين الشعوب وهي الحواجز التي كانت تؤدي الى سوء التفاهم وحتى الى (الحروب) و التوقيع ليس هو الحل الامثل ورفض كل

[1] أبو القاسم سعد الله .حوارات . مرجع سابق ص83.
[2]- أبو القاسم سعد الله .ي الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 246.

ماعند الاخرين ليس هو ايضا الحل الامثل فعلينا اذن ان نكون في مستوى متطلبات العصر اي ان نساهم في تقدم عصرنا لا ان نستهلك منتجاته فقط و الخوف من الاخرين يكون لنا عقدة منهم وهي علاقة ضعف قد تؤدي بنا الى ان نقع فريسة لهم لان عقدة الخوف قريبة جدا من عقدة الاحترام و الاعجاب ومن ثمة نشل ذواتنا عن الابداع و المشاركة في صنع التاريخ"[1]

في الفترة الأخيرة نجد أن أمريكا تضرب المسلمين يمينا وشمالا وتهاجم دينهم مباشرة أو تلميحا وتصفنا بالإرهاب والتطرف ، في حين لا نجد في الجانب الإسلامي إلا دعوات خافتة للحوار مع الفلسطينيين والعرب عموما فنهم الأقوى ويملكون وسائل البطش والتدمير والطرف الأضعف هو الذي يسعى إلى الحوار.

وهكذا نجد الحوار الحالي بين الأديان والقوميات والحضارات فنحن الآن في عهد الإملاءات لا عهد الحوارات وكما يصف سعد الله هذا بقوله .

فهناك الحواريين للتقارب بين المذاهب حتى ولو في دين واحدا كالشيعة والسنة بين المسلمين والكاثوليك والبرستنت ، وغيرهم وبين الأديان السماوية (الإسلام والنصرانية واليهود) حتى أن اليهود استعملت العنف السياسي والإعلامي لضغط وتحصل على الاعتذار الرسمي والبراءة من الخطايا التي ظلت تطارد اليهود عدة قرون .

"حتى اليهود في فلسطين يرفضون الحوار الفلسطينيين ، والعرب عموماً ، لأنهم يملكون وسائل البطش والتدمير بينما لا تصدر همسات الحوار إلا من الطرف الأضعف . وهكذا طغى صوت السياسة وقوة التدمير العسكرية على الهمس بالحوار بين الأديان والقوميات والحضارات في مرحلتنا الحاضرة . فنحن في الواقع نعيش عهد إملاءات لا عهد حوارات ، وعهد فلسفة القوة لا عهد قوة الفلسفة . " [2]

[1] أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 91

[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق. ص62.

فعبارة حوار أكثر شيوعا لدى المثقفين ورجال الدين والسياسة والفلسفة ، وأصبح الحوار كعلامة على التحضر والتسامح والاستماع إلى الرأي ورفض الأسلوب المبني على القوة والرفض والتعصب والعنف .

أما تاريخيا فهي كلمة بديلة عن التقدم والديمقراطية في القرن العشرين .

"فقد حلت كلمة حوار عند الغربيين بالخصوص محل كلمة « تقدم » في القرن التاسع عشر ومحل كلمة « ديموقراطية » في القرن العشرين . فإلى أي مدى صدق الغرب في تصدير قيمه في الماضي حتى يصدق في تصديرها في الحاضر ؟ فأين مثلاً « المهمة الحضارية » التي طالما تشدق بها الفرنسيون و « عبء الرجل الأبيض » الذي طالما ردده الأمريكيون "[1]

فمن شروط الحوار من أجل نجاحه أن يكون متكافئ بين الأطراف أي القدرة على الحوار وثانيا الهدف من الحوار تحديده بدقة حتى لا يكون مضيعة للوقت وزيادة في التباعد وزيادة التباغض بين الأطراف حتى لا تسير في إتجاه إتهام الأخرين وهذا في حد ذاته مظهر من مظاهر العجز عن الحوار سواء باسم العولمة أو الترغيب أو الترهيب أو كما يسمى بثقافة العولمة .

"لذلك نرى أن من شروط الحوار التكافؤ بين الطرفين أو الأطراف المعنية ، في أن يكون الحوار بين قال الأنداد ، ولا نعني الندية في الطول والقصر أو التمذهب يكن الندية في القدرة الفكرية والنضج الثقافي ، فلا يكون طرف مشبعاً بثقافته أصلية وهموم حضارته المتجذرة والطرف الآخر أجوف الوفاض إلا من شقشقة بعض الأفكار المنقولة أو المستوردة أو المنهوكة بالمعاناة من مركبات النقص أمام أفكار صاحبه"[2]

ويتضح لنا الآن أن الثقافة العربية في حد ذاتها قادرة على مواجهة التحدي ، وما شهده اليوم من محاولات تفتيت الأمة وعناصرها الأساسية هو المقصود استنساخ التجربة الأجنبية

[1]-أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق ص59.
[2]- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب .مرجع سابق. ص61.

وفرض ثقافتها ، فلا بد من اليقظة والاستعداد حتى نصبح قادرين على حوار حضاري رفيع لا يكون إلا بثقافة واسعة راقية ولا يتأتى هذا أيضا إلا بمباشرة عملية لتربية والتعليم وتثبيت القيم الدينية والتقاليد الاجتماعية .

هناك قضايا بدات تطل في ساحة سياسية مثل احياء المذاهب الدينية و التنازع بين الفرق و اقامة دولة باسم الدين الا ان تلك القضايا بدأت تشعل الفتن في البلاد الاسلامية العربية و بدا الواقع يفرض نفسه من هذه المخططات فما راي العلامة سعد الله في القضاء على تلك الاختلافات وهل هي مشروعة ام مخطط لها

" من قال ان تنازع المذاهب قد اختفى ظ وما قيمة الحياة من غير هذا التنازع ، ان تنازع القوميات و الايديولوجيات العالمية ومحاولات المبشرين نشر المسيحة في البلدان الاسلامية ، وحتى الحرب الباردة التي سخنت هذه السنة بحرب الخليج وغيرها كلها ظواهر استمرار التنازع بين الافكار و الآراء و المذاهب الفرق هو الفتور و الحدة في اللين و الشدة هل بالاقتناع و الحوار او بالسيف و الاجبار "[1]

الحوار هو عملية لابد منها ولها كثير من الثمار الايجابية مثل تبادل الافكار بين الناس و تبادل الخبرات وتنمي التفكير وتهذب شخصية الافراد كما انها تسمح بتوليد الافكار الجدية وتساعد على تخلص من الافكار الخاطئة ونتيجة بالإنسان الى معرفة الحقيقة

ان ديمقراطية هي الفضاء الذي يستمد منه الحوار مكانته عند الغرب الا ان المسلمين لهم عدم اسس يعتمدون عليها مثل السوري و الاخلاق الحسنة واحترام الغير و الالتزام بكامل صفات الخلقية تأدي الى رفع مكانة الحوار .

[1] - أبو القاسم سعد الله . حوارات . مرجع سابق. ص122.

جامعة الحرية :

جامعة الجزائر تعتبر من أقدم الجامعات وقد شهدت تطور العلوم الإنسانية لقد كانت مبعث للأفكار والثقافة العنصرية في عهد الاستعماري أم الآن فبعد الاستقلال أصبحت مكان للأفكار الإنسانية التحررية في العالم وذلك في نظافة حضارتنا التي تعطي قيمة للإنسان وأيضا بتدعيم مبادئ ثورتنا العظيمة التي قامت ضد الظلم والاضطهاد.

" وأننا نحمد الله على اننا في رحاب الجامعة نطرح أفكارنا بحرية ، وتعلن رأينا في النظم والمذاهب بحرية ، ونحلل ونفسر الأحداث بحرية . وهذه ميزة يجب أن نتمسك بها وندافع عنها ، لأنها ترجع إلى تقاليدنا وديننا ومبادئنا . أقول هذا لأننا نعلم أن بعض الجامعات في البلاد الأخرى لا تسمح بحرية المناقشة ولا بحرية الرأي . ويا ويل من خرج فيها عن الخط المرسوم"[1]

فالعلامة سعد الله يؤكد أن جيل الاستقلال اليوم ينعم بنعمة العلم والمعرفة عكس جيل الثورة وعانى من الغربة في سبيلها وهم الآن بين أهليهم ووطنهم وذاق مرارة الجوع والعطش أما هذا الجيل فينعم بالحرية فعشنا بلا سيادة ولا وطنا ولا علما أما الآن فأكيد الأمر يختلف فبفضل العولمة أصبحت المعلومة ربما موجودة في بيتك لكن شبابنا لا يعرفون قيمة هذه النعمة .

فلهذا يجب على الشباب أن يراجع نفسه وماضيه وتاريخه فلهذا يجهل عدالة عمر ابن الخطاب ويعرف ديمقراطية الأجنبية وهل يعرف الثورة الفرنسية ولا يحسن معرفة الثورة الجزائرية .

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي. مرجع سابق. ص 247.

"هنا نحن نستقبل سنة ها نحن نستقبل سنة جديدة . وعلينا أن نعمل ، في رحاب الجامعة ، على أن تكون سنة الحرية والعدالة والمساواة بين – الشعوب ، وان نساند كل المضطهدين مهما كان لون وشكل الاضطهاد ، وبذلك نكون أوفياء لأنفسنا وحضارتنا وشهدائنا "[1]

الثورة الجزائرية و الحركات الاسلامية:

عندما نتكلم عن علاقة الثورة بالحركات الاسلامية هي علاقة التاريخ الجزائري بالاسلام واي اسلام ، اسلام جمعية علماء المسلمين او اسلام السعودي الوهابي او الاخواني او الصوفي وغيره فنجد شباب تائه ومرجعيته ثورية بدأت تنطفئ فلهذا نجد ان بعض شباب اتجه الى الحركات الاسلامية فيظهر انه يتكلم عموما الجبهة الاسلامية او غيرها فموقف سعد الله واضح هو ترقب تلك الاحداث حتى نعرف توجهات الحقيقة لأصحابها المبهمة لاي بلد هل هي فعلا الجزائر .

" انني اتحدث عن روح الثورية او عن شباب الثورة نفسها ام ما رايناه في بعض المناسبات من تحويل طاقة الشباب الذي ذكرته (70بالمئة) الى طاقة راقصة متفسخة مقلدة لتقليعات اجنبية لا يبشر بخير ويا ليتها كانت رقصة كرقصة (زوربا) اليوناني وهذا جانب فقط من شبابنا وانك تدرك ان هناك مجموعات اخرى تبحث لها عن بديل للثورة الجزائرية في حركات اسلامية هنا و هناك ومجموعات اخرى تبحث عن بدائل اخرى وهكذا " [2] .

تشكيل الجبهة الإسلامية للإنقاذ :

إن الأحزاب السياسية ظهرت في تونس قبل أي قطر من أقطار شمال أفريقيا ، فقد كانت تونس مفتوحة أمام الأفكار القادمة من المشرق ومن أوروبا ،بينما تأخرت المغرب وليبيا في تشكيل الأحزاب السياسية .

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق. ص 248.
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 50

أما الجزائر فكانت سنة 1912 شهدت تلك سنة ظهور عدة تنظيمات حتى انتهت بتشكيل جمعية علماء المسلمين ثم كانت الثورة الجزائرية .

وبعد الاستقلال كان البعض ينادي بضرورة إحتواء الدستور على تعاليم الشريعة الإسلامية وقد خاب بعضهم فأصبحوا معارضين لنظام سرا وعلانية وسموا ذلك بالأفكار المستوردة.

وفي سنة 1963 ظهرت جمعية القيم تضم بعض قادة جمعية علماء المسلمين وكانوا ينشطون في سرية واستعملوا في نشاطهم المساجد والمدارس والجامعات ونظموا الشباب كما كان الفيلسوف مالك بن نبي قد أسس حلقة أسبوعية في جامع جامعة الجزائر وأخرى في بيته.

" فالتيار الذي أصبح يعرف فيما بعد بإسم : الجبهة الإسلامية للإنقاذ (الفيس) كان قد شكل في الحقيقة من هذه الجماعات المتعددة ، مضافا إليها عناصر جديدة ، منهم بعض أتباع جمعية الإخوان المسلمين المصرية وأتباع الحركة الوهابية في السعودية ، وربما كان منهم أيضاً المعجبون بالثورة الإيرانية وجهاد الأفغان ضد التدخل السوفياتي . فما حدث في الجزائر منذ فاتح التسعينات من القرن العشرين يجب أن ينظر إليه في الحقيقة من خلال كل هذه هذه المعطيات والظروف.[1]

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. . مرجع سابق..ص50.

أزمة الجزائر (العشرية السوداء):

" يقول إيميل سكري :إن تاريخ الجزائر كله تاريخ ديني" ويعتبر ايميل سكري من اوائل الفرنسيين الباحثين في تاريخ الجزائر والمجتمع الجزائري.

إن العامل الديني كان دائما وراء الحداث في الجزائر منذ القدم ، أما منذ دخول الجزائريون الإسلام فقد قاموا بنشر الإسلام في أوروبا .

" وكان وما يزال مذهب أغلبهم هو مذهب الإمام مالك الذي يوصف من بين المذاهب الإسلامية الأخرى بالتشدد ، فهم من أهل السنة بامتياز ، ويمتازون بالمحافظة إلى حد التزمت والقسوة أحياناً" [1] ، ثم المقاومات في العصر الحديث وخاصة ضد فرنسا واستعملوا عنوان الجهاد لتحرير الدين والأرض .

وتولى قيادة الشعب رجال الدين والموحدون والأشراف والصوفية دفاع عن البلاد الأمير عبد القادر، عبد الله ، محمد الأمجد(بوبغلة)وموسى الدرقاوي وبوعمامة وحين فشلت إنتظروا المخلص المهدي وكانت مرحلة غيبوبة دامت عقود حتى صحت وظهرت بمظهر صوت دعاة النهضة والإصلاح و الوطنية بالمفهوم الأوروبي وليس بالمفهوم الجهادي ثم جاءت جمعية العلماء المسلمين ودعوا إلى تحرير الدين من شوائب فكان ابن باديس والعقبي .

ثم كانت ثورة وأكد بيان أول نوفمبر أن الهدف إقامة مجتمع ودولة في إطار المبادئ الإسلامية حتى جاء بيان طرابلس وحدوثه وحررته لجنة بعيدة عن تلك المفاهيم .

بعد الأزمة الاقتصادية (البترول1986) بدأ توتر يسود الجزائر من جديد انتفاضة 1988 بسبب الفساد وتدهور السياسي الاقتصادي ، والمهم أن التيار الإسلامي بدأ ينمو في الجزائر.

"ويمكن القول إن هناك عوامل ساعدت على دعم قوة الحركة الإسلامية منها : انحراف الثورة الجزائرية عن مسارها الإسلامي والاجتماعي ، وهو ما كانت الثورة قد وعدت به الجماهير .

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. . مرجع سابق..ص34.

ذلك أن معظم الشباب الإسلامي هم أبناء أهل الريف الذين ضحوا كثيراً أجل لثورة ، وفيهم أبناء الشهداء والمجاهدين . ثانياً جمود النظام سياسياً ورتابة الحياة السياسية، فالوزراء هم دائماً لا يتغيرون "[1].

ولما جاءت التعددية واقتصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ في تشريعات وتحصلت على الأغلبية وليس تصويت هنا بمعنى الانضمام الفعلي، والأغلب متعاطف أو ساخط عن الوضع في البلاد ولكن هناك اتجاه متفرنس مرتبط بالمصالح الفرنسية يعمل على دفع البلاد إلى الهاوية.

" كما كان هناك اتجاه متفرنس قوي (فرنكفوني) مرتبط بالمصالح الفرنسية التي لا تدعم كذلك الاتجاه الإسلامي ، لأنها تنظر إليه على أنه اتجاه أصولي يتبنى اللغة العربية ويعادي التأثير الفرنسي في الجزائر ، بل هناك من ينظر إلى الاتجاه الإسلامي على أنه في جوهره استمرار لثورة 1954. وقد جر هؤلاء جميعاً معهم أيضاً دعاة حرية المرأة الذين هم في أغلبهم من نتاج الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيات ، وكثيراً ما استعمل هؤلاء سلاح التخويف مع النسوة بأن الجبهة الإسلامية ستمنعهن من العمل وستفرض عليهن الحجاب وتجبرهن على استعمال اللغة العربية " [2].

الذي يهمنا حكم سعد الله عن التركيز عن العامل الديني في تاريخ الجزائر هل كان قويا بشدة .

" قد يكون التركيز على العامل الديني في تاريخ الجزائر قضية مبالغاً فيها . وقد تكون هناك عوامل أخرى ذات تأثير على مسيرة هذا التاريخ كحب البداوة ، وتدبير المعاش ، والتمرد على السلطة . ولكن فهم العامل الديني يساعد على إيجاد حل للأزمة الحالية . وهذا الحل يتمثل في رأينا في التقريب بين وجهات النظر المتنازعة عن طريق قوة ثالثة داخلية أو وساطة لا مصلحة

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق. .ص40.
[2] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. . مرجع سابق..ص42.

لها إلا إخراج البلاد من أزمتها"[1] ، أي استعداد الأطراف لتنازل عن بعض المطالب من أجل وحدة البلاد وأمان المستقبل .

الحركة السياسية في الجزائر:

اما التنظيمات السياسية خلال العشرينات ظهرت بعض منها مثل تنظيم الامير خالد و الذي يتمثل في جمعية المؤاخاة الاسلامية وهي ليست حزبا بالمعنى المتعاون عليه ولكنه تنظيم وطني ثم نجم شمال افريقيا وهذا ليس حزبا ايضا ولكنه تنظيم عمالي يخدم مصالح اهل شمال افريقيا في الغربة (فرنسا) ولم يكن هناك تنظيم شيوعي جزائري و المقتنعون بهذا اتضحوا الى الحزب الشيوعي الفرنسي .

وفي الثلاثينات ظهرت جمعية علماء المسلمين وحزب الشعب الذي رفع راية الاستقلال وكذلك حزب الاتحاد الشعبي وحزب الفرنسي وكلاهما يمثل تيار اندماجيا ثم الحزب الشيوعي ولم يساند ايضا فضل الجزائر عن فرنسا .

" وعشية الثورة كانت هذه الاسماء مثل حركة الانتصار التي هي التسمية الجديدة لحزب الشعب وحزب البيان الذي هو استمرار قريبا لحزب الشعبي كما ان عدد الجزائر بين في الحزب الشيوعي قد اخذ يتكاثر واصبح اهتمامه بالاتجاه الوطني يتبلور بصفة اكثر وضوحا " [2]

كما كانت هناك احزاب تنادي بالاندماج مثل حزب الاتحاد الشعبي وحزب التجمع الفرنسي الاسلامي وحزب البيان وشكل اخر لم يتحزب ولكنه ظل يساند هذه التيارات مثل تيار المثقفين (المطورنين) خصوصا اولئك الذين التقوا حول مجلة (صوت المستضعفين) وكذلك مجلة (صوت الاهالي) وحول هذه التيارات هل هي موجودة يقول سعد الله انها موجودة فكثرة الاحزاب اليوم (وهو يتكلم عن سنة 1991) وتنوعها تعدلت ارائها وقوت وضعفة اخرى وتنوع ايضا

[1] - أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف. مرجع سابق..ص43.
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 117

الاهتمام بين الاقتصاد القومية ، البربرية ، الليبرالية العلم و الانسان وكانت هذه العناصر مندمجة في تيارات اوسع .

" فهل هذه التيارات و الاحزاب كلها موجودة اليوم ؟ اعتقد ان الامر كذلك ولكن مع تكاثر التنوع وتعديل بعض المواقف وجهارة بعض الانتماءات ، وقوة او ضعف البعض الاخر ومن ذلك تحزب التيار الاستيلابي وتجنيده لمن كانوا قد قبلو بالتجنس وحتى الذين قبلوا بالتنصر ومن ذلك جرارة الحزب الشيوعي و احتضانه للوطنية في نطاق المنظومة العالمية طبعا و تعدد التيارات الاسلامية وطلبها الحكم باسم الشريعة الاسلامية و الجمع بين الدين و الدولة ، وكثرة الاحزاب اليوم ادى الى تنوع اهتماماتها " . [1]

امكانية قيام الدولة اسلامية حديثة:

ان قيام الدولة الاسلامية الحقيقية عند العلامة سعد الله تكون بالتدريج تخضع لعامل المرحلية لأنها سنة كونية ووحدة ثقافية ثم تليها الوحدة الاقتصادية وغيرها حتى تصل الى سياسية ثم تليها الوحدة الاقتصادية وغيرها حتى تصل الى سياسة فمن المغرب العربي الى المشرق العربي ثم الى العالم الاسلامي اما الفكر العروبي و القومية العربية ونزعة التي يمتاز بها اتجاه اللغة العربية هي مرحلة اولى في مشروعه وحول سؤال امكانية قيام دولة اسلامية أجاب " تسألني عن دور ‘مكانية قيام دولة اسلامية اجاب :

" تسالني عن " امكانية قيام الدولة الاسلامية الحديثة " واما دام السؤال عن الامكان ، فالجواب ان قيامها غير مستحيل يبقى ان هناك الواقع وهناك الامل ومن الامل وحدة كل العرب ، ووحدة كل المسلمين وقيام الدولة اسلامية ذات راس واحد وجيش واحد وراية واحدة ولكن من يسمح بذلك الان " [2]

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 118
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 123

الحركات الاصلاحية الاسلامية :

كل الحركات خاصة اذا تحولت الى سياسة تكون في حاجة الى دافع ومحرك لجلب العامة من الناس حولها وتوجه الى الهدف وهو في الغالب في بادئ الامر خاصة الحركات الاسلامية الحديثة هو تصفية الاستعمار اي السلطات الاستعمارية الغربية والتي ترفع شعارات منها الحضارة او التقدم او غيرها فهي هنا تختلف تلك الحركات في موقفها مثل تلك القضايا بين التشدد و التطرف و الغلو وبين الاعتدال هذا السبب الاول في اختلافها .

" وكان على الحركات الاسلامية الا تضرب كل ذلك دفعة واحدة فقد كان عليها ان تراجع موقف الاسلام من الحضارة ومن المسيحية ومن التقدم الخ . فكانت تتطرف او تعتدل بقدر تطرفها او اعتدالها ازاء العناصر المذكورة ، وهكذا كانت الحركة الوهابية غير حركة سيد احمد خان بالهند ، وحركة المهدي في السودان غير حركة ابن باديس في الجزائر بل ان مفهوم الافغاني للتحرر من ربقة الاستعمار الغربي غير مفهوم تلميذه محمد عبده " [1] .

في مصطلح النظم الغربية نجد انهم يستهدفون القيادات حتى ولو كانت اسلامية فتكون تساير مخططاتهم فالغرب اتضح اليوم مع الاحداث التي عرفتها الدول العربية خاصة في الربيع العربي انه لا يرفض الحركات الاسلامية بل يدعمها ان سايرت مخططاته فالعلامة ابو القاسم سعد الله يدرك هذا المعنى وهذا الاسلوب المعاملة من ترويض فهكذا نفهم موقفه من الاحداث الاخيرة في الجزائر ، وقد استعملوا فيما مضى ضد التمدد الشيوعي

" ثم ان ترويض القيادات الاسلامية كان جزءا من مخططات النظم الغربية ايضا فالغربيون اليوم مثلا لا يرفضون الاسلام في حد ذاته سيما عندما راوا فيه قوة ضد المد الشيوعي ولكنهم لا يريدون الاسلام المناضل الذي يطبق الاصول ويرجع الى السلف ويمارس القران في الحياة اليومية انهم يريدون الاسلام الذي لا يرفض المدنية الغربية في جملتها "[2]

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 78
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 78

ان الظروف و الواقع كثيرا ما يرفض على تلك النخب و الحركات الى التعايش مع الحركات الاخرى حتى تبقى موجودة في الساحة واستعمال الاسلام كشعار لجلب الاتباع واستغلال الدين في السياسة هو وجه من وجوه الفشل ثم روح الانانية و الزخامة التي تؤدي في الاخير الى الانقسام .

" وكثيرا من الزعامات الاسلامية بدأت مناضلة قد انتهت مدجنة تحت الحاح الحاجة و الظروف المشار اليها ولقد جربنا نحن في الجزائر انواعا من الثورات التي اتخذت الجهاد شعارا خلال القرن الماضي ، ثم انتهت تحت ضغط الظروف الى التعايش مع من كانت تحاربه " [1]

ومن هنا نجد ان سعد الله اوضح ثلاث اسباب لفشل تلك التيارات .

1/ التيه الحركة وقصورها على فهم الواقع وربما هي عاطفية اكثر من انها حركات تدرس الوقائع وتقوم بعمل علمي مخطط له .

2/ فقدان الروح الجماعية او العصبية الوطنية ان التعاون بين فئات المجتمع خاصة المثقفة وذات الاختصاصات المتعددة ضرورية .

3/ ضعف الوعي الاسلامي فهم الاسلام بصورة صحيحة وليس وضع شعارات وافكار معينة غير مدروسة وحتى الاتباع هم من محددي المعارف .

" اما الاسباب ذلك فترجع في نظري اولا الى انانية الحركة اي ان قيادتها لا تخطط لامد البعيد وانما لمرحلة قصيرة كثيرا ما تصاب بعدها الحركة بالفتور قبل الوصول الى الهدف ثانيا فقدان الروح الجماعية او العصبية الوطنية اذا ان معظم الحركات الاسلامية قائمة على زعامة شخصية تكون في الغالب محل شد وجذب من عدة جهات وينتهي الامر في العادة بتدجين

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 78

الزعيم او حتى القضاء عليه جسديا ، وثالثا الى ضعف الوعي الاسلامي نفسه عند قيادة الحركة فقد يكون الاسلام متخذا كشعار فقط لجلب الجمهور "[1].

الحلول التي يقدمها سعد الله لهذا النماذج

فالحركات يجب ان تستفيد من اخطائها اولا ثم من تاريخ الدول و الحركات من قبلها حتى تكون قادرة قابلة لتجند وتستفيد من تجارب حتى الاخرين فتثبت لها الاستمرارية به عموما هو لا يرفض الحركات الاسلامية من ناحية المبدأ ولكن عملهم يشوبه كثيرا من التساؤل و استغلال الدين قد يكون مضر بها .

" وتحضر في هنا فكرة ابن خلدون عن اعمال الدول و الشعوب وهو يجعل ذلك جدلية قائمة لا تختلف ولكننا نعلم ان بعض الدول اليوم قد استفادت من تجارب الامم الغابرة ، وهي تتجدد تلقائيا وذاتيا حتى تعيش اعمار عديدة بل حتى تكون خالدة وقادرة على رفض كل انواع الامراض المهاجمة للمناعة فلماذا لا تتعلم الحركات الاسلامية ايضا من تجارب غيرها وتعمل على تتجدد ذاتيا وتلقائيا فيكتب لها الاستمرار و البقاء وتتغلب على جراثيم الفناء " [2] .

العمل الجماعي الحضاري عند سعد الله :

عن ظاهرة العمل الفردي هي ظاهرة من ظاهر البوادي لا الحضاري فأهل المغرب في حاجة أن يعود إلى العمل الجماعي المستنبط من سيرتهم وتاريخهم حتى يستفيدوا من ذلك لابدا من التربية ستكون قصيرة المدى وعديمة الفائدة لأن هناك طامعين في ثرواتهم وأرضهم وخصوم موجودين دائما عبر التاريخ .

" وإذا كان العرب والبربر قد توحدوا بالإسلام واندمجوا بالثقافة العربية ، فان رواسب الفردية والأنانية ظلت قائمة ، لأن التربية على المبادئ الجماعية لم تعمل عملها في النفوس ، اللهم الا

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 78
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 79

عندما يصبح الخطر داهما على الدين أو العرض ، فتحدث الفورة باسم الجهاد أو الشرف ، ثم تنطفئ "[1] .

فيذكر سعد الله أن عوامل الوحدة هي التاريخ اللغة الدين والمصير المشترك سواء بين المشرق العربي أو المغرب العربي والوحدة ممكنة إذا عمل لها الجميع ، والقومية هي الأساس والرافعة حيث اللغة التي تجمع الجميع .

" وعليه فرؤيتنا الحضارية يجب أن تكون وحدوية قومية وليست اقليمية ، وذلك هو ضمان المستقبل . أما التكتلات الصغيرة الحجم فمآلها الفشل ، لأنه يكون من السهل على أعدائنا احتواؤها والقضاء عليها"[2].

العمل على ما يجمع الأمة لا ما يفرقها فالقومية التي يتكلم عنها خي قومية ذات طابع تاريخي ديني لا بمعنى اللغوي القبلي.

الإعتزاز بالتراث و قيمته :

ان جيل سعد الله و ما قبله خاصة في وقت الاستعمار حاول قد المستطاع التعلم و التثقف برغم من قسوة الحياة وقلة المؤونة وصعوبة الحياة و اليوم الجيل الجديد كل شيء متوفر و تسهيلات اكثر من ان تعد بما فيها طرق الحديثة التي تساعد على الانتاج الثقافي و بالتالي لا بد من على الشباب من استهلاك ثقافي كبير حتى يصبح منتجا فاهم تلك الوسائل التربية و التعليم على كل حال حتى يصبح يقدر و يعتز بتلك الشخصية فكل الشعوب تحافظ على تراثها ، فالشعوب المتخلفة تتمسك بالتراث لذاته اما المتقدمة فتعتز به ايضا من أجل هذا يقول : "ونحن كامة عربية اسلامية لنا تراث شامخ وعلينا ان نختار بين التثبت به لذاته او ننطلق منه الى افاق جديدة واسهامات انسانية اخرى واظن ان كلمة (التراث) تعني ايضا الاساطير و الخرافات و اشكال عديدة من مظاهر التخلف العقلي ولكن ذلك لا اعنيه هنا ولذلك ذكرت

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 162.161.
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي . مرجع سابق ص 168.

(التراث الشامخ) اي الذي يعبر عن اصالة الامة واسهامها الحضاري ولا شك اننا في مرحلتنا الحاضرة نحتاج الى التراث الايجابي لتحديد هويتنا ونحتاج ايضا الى الانطلاق نحو المستقبل لصنع تراث جديد تعتز به الاجيال القادمة "[1] .

ان تعزيز الهوية في اي وطن من البلاد العربية وابرز تلك المقومات لشخصيته الوطنية في بعدها التاريخي الثوري وتدعيمها بأبرز الجوانب الايجابية وصفحات النيرة من تاريخنا يساعدنا على الاعتزاز بالهوية و المحافظة عليها من كل الاخطار ، فقد يرى اللغة العربية الوطنية واستعمالها عبر المحافظة علة الارث التاريخي الثقافي الحضاري الذي تتمتع به الجزائر وهي عوامل وعناصر اساسية في وحدة و مقومات الشعب الجزائري

ان اعداد الاجيال الصاعدة على اساس العصرنة و الحداثة ومسايرة التطورات و التغيرات العالمية امر لا بد منه حتى تتعايش مع الوسائل الحضارية و التكنولوجية و الاقتصادية و السياسية و العالمية .

نظرتنا لتاريخ الجزائر:

فجيل الثورة درس التاريخ بتكوين ذاتي ولم يدرسه في منظومة تربوية موحدة، وعند حديث الحركة الوطني نجد ان التاريخ غير موحد وهذا الطبيعي لاختلاف توجهاتهم السياسية وراستهم التربوية ، فالتاريخ ليس ومنها حزب الشعب وجمعية علماء المسلمين ، فالحزب ينظر إلى التاريخ بزاوية قطرية أوروبية ، أما الجمعية بزاوية عربية إسلامية .

"وربما يفسر ذلك الاختلاف في الرؤى بعض الموافق التي تجلت خلال الثلاثينات وحتى بعض الأحداث التي وقعت زمن الثورة، ولعل بعد الاستقلال ولكن أبرز تلك الأحداث أيضا هو

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 32

استئثار حزب الشعب بالتربية والثقافة بالتعاون مع التيار الفرنكفوني بينما استعدت جمعية العلماء من صوغ الأيدولوجية الوطنية."[1]

الاستشارة في التعليم :

ويقول الله تعالى "**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**" فالاستشارة شيء ايجابي وبركة اذا كان دائما يؤخذ به في الامور المصيرية مثل التعليم و التربية و القضايا الثقافية المصيرية وحتى الاقتصادية .

لاشك ان العلامة ابو القاسم سعد الله استفاد من الفلسفة الامريكية التي تعلي من شان الخبرة على يد الفيلسوف جون ديوي كما انه يعلم اهمية الشورى في العهد الاسلامي الاول فجعله امر يرجع اليه اليه كل مصطلح اذا اراد الاصلاح فعلا .

" لقد كان الاستفتاء على المصالحة الوطنية نموذجا كان على الجزائر ان تحتذيه في كل الامور المصيرية الهامة لان الاستفتاء جنة (بضم الجيم) ووقاية للبلاد و الشعب وحماية المسؤولين والتزام من جميع الاطراف ، وكم نحن في حاجة الى تعميم هذه التجربة في اصلاح التعليم (ولانرى ان الاوان قد فات) " [2] .

ديمقراطية التعليم كمفهوم مبسط للشورى أمر ضروري ملاحظة سعد الله في الغرب الا أن جذوره موجودة بمفهوم الشورى وذلك بكافة الميادين.

الدراسات الاسلامية وحذف شعبة الشريعة :

ان اعادة النظر في دراسات معينة او عدد الطلبة او اعادة نظر في برنامج كله ممكن فإذا كان عدد الطلاب فهذا ايضا يجوز وحتى تغيير المناهج القديمة وإلغاء دراسة العشوائية نعم ولكن الغاء شعبة تعني الكثير من الجزائريين فهذا يرفضه العلامة بقوله:

[1]- أبو القاسم سعد الله ، حصاد الخريف مرجع سابق ، ص 82.
[2] - أبو القاسم سعد الله .مجادلة الأخر . مرجع سابق . ص13

" بل هو الواجب الذي تفرضه المنافسة وروح التقدم و التفوق ، لان الدراسة العشوائية و المناهج التقليدية لاجدوى منها للجميع ولكن الغاء شعبة الشريعة الذي يعني في النهاية نسف الدراسات الاسلامية من اساسها كما يتخوف البعض ، هو فعل غير حكيم ، كما ان منح عهدة التصرف في مثل هذه المسالة الحساسة الى اناس لهم ايديولوجيتهم الخاصة نحو الدراسات الاسلامية عموما وربما نحو الاسلام نفسه ، يعتبر تصرفا خاطئا من اساسه " [1]

الوضع الاقتصـــــادي :

ان الضبابية سياسية الاقتصادية تجهل من الاوضاع السياسية و الاجتماعية و التربوية على المحك خاصة اذا كان الوضع صعب اقتصاديا و الشباب هو مصدر قوة البلاد و الشعوب ، وان كل محاولة غرس الخوف في ابنائنا من اجل هدف قريب سيؤثر على مستقبل البلاد فيما بعد فإذا الفقر اذا تجاوز المعدل المسموح به لاشك انه سيدخل البلاد في متاهة .

" وبالتزامن فان معالجة الملف الاقتصادي ساهم في القضاء على اسباب التوتر و الخوف من المستقبل ولا سيما عند الشباب فبلادنا تزخر بالثروات البشرية و الطبيعية و بالطاقات العلمية و الفكرية ومع ذلك تشير وسائل الاعلام الى ان اغلبنا يعيش في حالة دون خط الفقراء وان ديوننا قد تجاوزت الحد المعقول ، ثم ان هناك تذبذبا في نوعية الخيار الاقتصادي " .

هناك سياسات في الجزائر تتغير سواء بتغير الوزراء كل مرة او تغير سياسة وتوجه بالكامل ثم نلاحظ احيانا ازدواجية الخطاب أي التناقض هذا كله يدل على سوء تخطيط وعدم مراعاة تنسيق الذي من المفروض ان يكون " ، فمرة يقال لنا : لا خيار الا الدخول في العولمة و في نفس الوقت يقال لنا ان العولمة ظالمة وإنها مضرة ببلادنا ، ومن جهة اخرى يتحدثون لنا عن الخصخصة ونظام التكافل الاسلامي " [2] .

[1]- أبو القاسم سعد الله .مجادلة الأخر . مرجع سابق . ص48.
[2] -أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . مرجع سابق . ص24.

إبعاد المنظومة التربوية عن السياسة :

خبراء التربية هم اولى بتوجيه و الاستشارة من غيرهم وليس دائما المنظومة هي حقل التجارب او تكون بين سياسيين او كل وزير يقوم بإصلاح و يموت الاصلاح معه : بتغير الوزير او غيره واهم الشروط لنجاح النظام التربوي هو الاستمرارية

" ليست من مصلحة المنظومة ان تسييس بحيث تصبح كرة بين ارجل الاحزاب السياسية للمنظومة التربوية رجالها المختصون وقد وضعوها منذ سنوات ووفروا لها الامكانات الضرورية وإذا كانت في حاجة الى الاصلاح فالأولى بذلك هم رجالها ايضا ، ولا باس ان يستفيد هؤلاء الخبراء من برامج بعض الاحزاب التي لها تصورات جدية في ميدان التربية و التعليم على ان يظل عمل هؤلاء الخبراء غير مسيس تماما . ذلك ان سياسة الاحزاب تتغير بينما المفروض في المنظومة التربوية الاستمرار و الشمولية و خدمة الجميع " [1]

الايديولوجية للجزائر :

ان الايديولوجية لم تك موجودة للحركة الوطنية قبل الثورة التحريرية ، فابرغم من الشعارات وتكرار ذلك في وسائل الاعلام وتحسن استغلالها مثل الاشتراكية و الوضع ينطبق على جزائر اليوم ولو ان الاحزاب و الجمعيات غير موجودة احب ان اقول لك بانني انطلقت من انه لاوجود لإيديولوجية للحركة الوطنية قبل الثورة التحريرية وهذا في نظري مايزال يستطيع ان ينسحب على الوضع الحاضر.

فبالرغم وجود الاتجاهات المختلفة و الاحزاب المتنافسة سواء اللبرالية او الشيوعية او المحافظة او الاصلاحية او قل حتى الاسلامية المعاصرة لم تستطيع توحيد الرؤى حول نوعية ايديولوجية وطنية كبرى للجزائر المعاصرة .[2]

[1] - - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ، ص 105

[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 31

قد تكون رواسب تاريخية واخرى اجتماعية وممكن ايضا سياسية كما لا ننسى التأثير الاعلامي العالمي . ونظرا لما تعرضت إليه الجزائر في تاريخها من الداخل والخارج أدى إلى اختلافات وتباينات لدى مفكريها وسياسيها نتج عنه عدم وجود الأيديولوجية ثابتة.

" قد يكون ما اشرتم اليه راجعا الى اننا لم نتكون في مدرسة واحدة ولم نتعلم بلغة واحدة وكان اساتذتنا خصوصا في الستينات و السبعينات من بلدان و اتجاهات مختلفة وقد يكون راجعا الى اننا منذ القديم شعب يميل الى الفوضى ونرفض الانضباط و النظام وما الالتزام بتقديس الرموز و احترام الاجداد الا ظاهرة من ظواهر الانضباط و النظام بالاظافة الى ذلك فيجب التاكيد على اننا شعب واقع تحت مطرقة الاعلام المضاد في كمجالات عديدة ، ولا نملك من سلاح الرد الا التأوهات " [1]

توحيـــد الجزائيين:

اذ كان الشعب الجزائري كان موحدا ضد الاستعمار لاشك ان اليوم تظهر بعض بوادر الفرقة حول منهج ولغة المنظومة التربوية ككل وهذا يهدد اهم امال و طموح المنظومة التربوية في الجزائر وعند العلامة ابو القاسم سعد الله وهي وحدة الشعب الجزائري

" اكبر فشل شهدته المنظومة التربوية عندنا انها لم توحد المتعلمين الجزائريين فاذا كان الاستعمار قد وحدنا بالجهل فان المنظومة التربوية قد فرقتنا بالعلم ، فنحن شعب واحد ولكن فكره شتات ... ومن مظاهر الفشل عدم البث و الالتزام باللغة الوطنية ، فنحن تارة نحاربها باللهجات وتارة نحاربها بالفرنسية وتارة نحاربها بالعولمة . . . و النتيجة اننا اخرجنا جيلا " هجينا " لا يتقن أي لغة ولا يحصل على علم متقدم " .

اليوم شهدت ظاهرة جديدة تزداد من سنة الى اخرى وهي المدارس الخاصة التي هي وان كانت ترمي الى اهداف نبيلة لرفع مستوى الطلاب الا انها تؤدي عيوب شتى مثل شجع المعلمين و

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 44

الاساتذة ثم عدم تقديم الاداء و العمل الذي من المفروض ان يكون في الحصة رسمية بدل تفكير في دروس الخصوصية ونفس الشئ لطالب الذي يركز على دروس الخصوصية فهو يرى المدرسة و المتوسطة و الثانوية مضيعة للوقت وهكذا ندخل في مجال و مرحلة صعبة .

" ونحن الان نسير نحو منعرج خطير وهو التعليم الخاص الذي سيخلف لنا مجتمع النخب ومجتمع المتعلم العادي و النخب هي التي ستقود البلاد بالتعاون مع الاجانب بحكم لغتها الاجنبية (الفرنسية) ومعرفتها بالأخر وتمكنها من المال وتفتحها على العصر اما التعليم العام فسيبقى على مستواه من الجانب الكمي في عدد الجامعات و عدد المتخرجين حملة الشهادات غير المعترف بها الا في الدوائر الرسمية عندنا اذا كانت هناك حاجة الى اصحابها "[1]

القيادة الملهمة :

فالشعوب في اغلب الاحيان نجدها منقادة للأعلام وبالتالي فتصفق للزعيم المصطنع ويذرف الدموع على القائد الراحل و الاسباب متعددة تجعل من الشعوب غير واعية بدورها منها الامية ،فقدان الوعي بالذات ولقد مرت اوربا في السابق بنفس الازمة ، اما اوربا اليوم هي التي تختار الحاكم وتقوم بمراقبته وتبقيه ام ترفضه حسب مقايس محسوبة .

" وكان لامتنا الاسلامية فضل السبق في هذا المضمار عندما كان الوعي قويا و العقيدة الدينية اقوى من المصلحة الشخصية او القبلية ، فكانت المعارضة شديدة عند نهاية الخلفاء الراشدين ،وقد ظهرت الاحزاب و الشيع وهي ظاهرة يمكنها ان تتطور الى نظام شوري (ديمقراطي) فريد ولكن سلطة النخبة وغياب (وتغيب) الامة حول التجربة الى نظام وراثي واستبدال في نفس الوقت ، وقد ظل ذلك هو النظام السائد في اوطاننا رغم اختلاف الازمنة و الظروف وصده من قال (كما تكونوا يولى عليكم) "[2]

[1] - مراد وزناجي .حديث صريح . مرجع سابق ..ص166.
[2] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 80

ان صاحب السلطة سواء كان نزيها او سفيها سيحاول ان يستمر في السلطة لمختلف الطرق ديموقراطيا او ديكتاتوريا فالتاريخ يؤكد هذا المعنى جاءت الخلافة التي ارست الشوري كانهم وسيلة في الحكم ولكن بالبث ان تحاول الحكم الى ملك عضود يعتمد الوراثة و اليوم تحاول الدول الاستعمارية زرع الزعماء وتصنيع الزعيم ذلك في بلده وذلك بواسطة الاعتقال واطلاق سراحه ونفيه وتسليط عليه وبالمقابل لتضمن بقاءه في الولاء تقوم بتكوين ملف عليه (ملف اسود) تستعمله في وقت الحاجة

" وها هي النتيجة تبرز في مدارس الاستعمار نفسها وقد اصبح محظوظا في كتب النظريات السياسية الحديثة ان الدول المستعمرة نفسها وقد اصبح محظوظا في كتب النظريات السياسية الحديثة ان الدول المستعمرة نفسها هي التي كانت "تصنع" الزعيم في البلد الذي تحتله وهناك " سيناريو" معروف لذلك فهي التي تعلم الزعيم في مدرستها ثم تأخذ في تسليط الاضواء عليه باعتقاله ثم اطلاق سراحه ثم بنفيه ثم بالدعاية له عن طريق المادحين او المهاجمين" [1]

إن إحياء التراث رغبة نابعة من الغيرة على الوطن لقد زار قسنطينة واجهه في محطة القطار تمثال يظهر أنه للإمبراطور قسطنطين وهو أول من اعترف بالمسيحية في دولته قديما كان له مبرر أما اليوم يتعجب من وجوده في حين كثير من رموز الوطنية ودينية ودويلات إسلامية غائبة عن تسمية لأهم المناطق وشوارع حتى التاريخ لم يضبط بعد الاستقلال وبدأت دعوات جديدة تمس المواطنة وتشكك في الهوية .

"إننا أضعنا خط السير الذي رسمه الأجداد والذي ارتضته الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية والثورة ، والعجب أن السلطة عندنا ومعظم النخب لم تكتف بهذا الطرح بل أدخلتنا في العولمة قبل الأوان فسارعنا إلى تغيير المنظومة التربوية بدون دراسة عميقة لضمان النتائج وعواقب التغيير "[2] .

[1] - أبو القاسم سعد الله ، حوارات، مرجع سابق ص 80
[2]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق .ص26.

إن الجزائر لها خصوصية في تاريخها ولم يمر على أي دولة مثل مرت به الجزائر من تسلط استعمار قذر هدم على شيء جميل في الجزائر وثورة عظيمة فذة فلهذا الجزائر لها تجربة رائدة يجب أن تكون كذلك ولا تقلد نماذج الغرب أو غيرها ولها رصيد تاريخي وحضاري واجتماعي يعنيها عن التقليد.

" إن تجربة الجزائر في الأمم فذة ، فإذا حاولت تقليد غيرها فشلت ، إنها فذة في نوع الحكم أثناء العهد العثماني . وفذة في شكل الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ، وفذة في ثورتها العظيمة ، فلماذا تقلد الجزائر غيرها وهي ليست هذه الطينة أو تلك ؟ لقد كان عليها أن تبني شخصيتها وترسخ قيمها إلى أن تنشأ أجيال في ظل سيادة وطنية وثقافة تاريخية واعية مستوحاة من تجربتها الخاصة ، ولكن أين القيادة الملهمة ؟"[1]

أهمية التربية في مشروع البناء الحضاري:

من الواضح ان تشخيص العلامة لأزمة المجتمع على أنها نابعة من التخلف ومن التقليد المتبع و أن الحل لا بد أن يكون شامل حتى يشمل كل القطاعات والمؤسسات ، إن المنظور الثلاثي لتربية والثقافة والحضارة هي عملية بناء وأن أي إخفاق يسجل في أحد المجالات سيؤثر على الباقي سواء فكري أو سياسي أو غير ذلك ،وتركيز سعد الله على المدخل الثقافي في تغيير الحضاري أو التخطيط لإحداثه يتلاءم مع دور مؤسسات التربية الثقافي كما أنه لا يخفى دور الدين في البناء أو المبدأ الثقافي وهو ليس الوحيد الذي ذكر ذلك فتجد على السبيل المثال عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر1864.1920) الذي قام بدارسة رائعة حول العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ، وثبت لديه دور المهم للقيم والأخلاق البروتستانتية المتعلقة بالعمل والجدية والمثابرة وإذا كان تغيير الإنسان هو أساس أي تحول اجتماعي فإنه منّ أجل تربية الإنسان لابدا من وضع بيئي جديد يساعد على النهوض وعلى التغيير الفعال.

[1]-أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. مرجع سابق .ص26.

الإبداع الحضاري :

لقد كان هم سعد الله دائما هو الحضارة ودور الجزائريين المهم الذي يمكن أن يلعبوه على الساحة فمثلا في كتاب حديث صريح أخر ما طلبه المؤلف (المجاور مراد ورناجي) قال بماذا تريدون أن تختموا كلامكم و حواركم رد قائلا بعد شكر المحاور وتمنى للقراء تحقيق أمالهم وطموحاتهم في الحياة .

" ثالثا أرجوا الله أن يهدي الجزائريين ليعودوا لي فهم تراثهم وروح هويتهم والعمل بمبادئ ثورتهم العظيمة وان يتخلصوا من عقدة التبعية لمن كان بالأمس يذلهم ، وأن يعوا دورهم الرائد في حوض البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا والمشرق"[1]

فبرغم أن مساهمة الحضارة الإسلامية الكبير في التقدم بل حتى الأثر على الحضارة الغربية نفسها إلا أن هذه الأخيرة بدأت أكثر عنصرية سواء بوجه ديني أو عربي ومنها الحروب الصليبية المدمرة وكذلك الطرد الممنهج للمسلمين في الأندلس وإجبارهم على تغيير دينهم إن النظرة الحضارية القائمة على أساس العنصرية هي من سمات هذه الحضارة الغربية ، فأفضلية بعض الأجناس كانت موجودة في القرن الماضي في أوروبا .

"وهكذا فان المنظرين والدارسين الأوربيين قد ظلوا منذ القديم يفسرون مسار الحضارة تفسيرا يكاد يكون عنصريا ويدخل في ذلك نفي . الابداع عن الحضارة العربية – الاسلامية . فرغم ان العرب هم الذين حافظوا وأبدعوا في التراث الاغريقي وقدموه في طبعة منقحة ومزيدة إلى العالم الحديث ، إلا أن هناك مدرسة ، ظهرت بعد تغلب أروبا طبعا ، تدعى ان العرب كانوا وسطاء فقط لا مبدعين . " [2]

[1] - مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008، ص 195.

[2] - أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ص 242.

خاتمة

وفي ظل الحضارة الرائدة المبدعة ، لابد من وجود القيادة الراشدة الواعية وهي القيادة التي تدرك مسؤولياتها في تصعيد الحضارة على المستوى العالي ويتطلب منها ذلك تفتح على الكفاءات ذوي الخبرة والمخلصة للبلد ويتم تدريبها على الاستمرارية لضمان العمل الحضاري المنتج .

وهي التي تتفاعل مع الدولة والأمة انتهاء بالعامل البسيط والقيادة هم النخبة أو الطليعة المفكرون هؤلاء يملكون من التأثير على سائر الأمة ويجعلهم بحق محط المسؤولية الكبرى لتحمل أعباء نمو الحضاري وصعود عدم التوقف وصيانة وحدة الأمة وتوحيد الكلمة ورص صف وتنظيم المجتمع ونعمل في اتجاهات وأنساق مختلفة حتى لا تتعرض المسيرة إلى انتكاسة جديدة .

والجزائر حسب العلامة أبو القاسم سعد الله وماتتوفر عليه من إمكانيات في كل المجالات وخاصة منها الإبداعية ومخلفات من تاريخ عظيم عرف تجاذبات مختلفة مع الحضارة الإسلامية من جانب وصراع مع الحضارة الغربية أحيانا ، واحيانا أخر متأثرا بها .

جعلت لها خبرة في تعامل مع الأحداث وهذا واضح في مسار دولة الجزائر اخرها معطيات والنتائج ما يعرف بربيع العربي فلجزائر فعلا كانت سباقة إلى ما يسمى الديمقراطية او الحرية وكلها تعمل على النمو والتقدم والازدهار لهذا البلد .

لكن المسيرة مرت بانتكاسات متعددة وهي منطقية أحيانا ومبررة في مرات أخرى إلا ان سعد الله الذي يهمه أن الجزائر عندما تمر بمراحل وكل مرحلةّ أفضل من أختها فنحن في طريق سليم وهذا مما لاحظه في الحضارة الغربية مرت بمراحل تاريخية كل منها يؤسس للمرحلة اللاحقة وأفضل منها بشكل مدهش .

إن هذه الثورة التي نجحت بسبب مشاركة الجميع والتحام الشعب بها من كل الطوائف والفئات وكذا التنظيم والبناء المنظم لقيادات الثورة هو سر نجاح الثورة بحد ذاتها .

وإذا اردنا النجاح في ثورات متعددة في العلم والثقافة والتربية كما يريدها سعد الله فإنه ينتظرنا عمل كبير بشكل نسق بنائي في جميع المستويات والمجالات حتى على مستو الطبقات الإجتماعية وتكون وظيفة المؤسسات محددة بدقة.

وفي ما يخص الوحدة فالمنطقة المغاربية مؤهلة علميا وتاريخيا ودينيا للتوحد وخاصة اليوم فالأوضاع الدولية والإقليمية مواتية كما أن وحدة المذهب واللسان والمعتقد متوفرة.

ولم يكن هناك تداخل الطوائف فيما بينها وتشعبها مثل المشرق وضف الى ذلك روح المقاومة والشراسة التي يتصفون بها ضد الأجنبي عموما.

أما القومية فمفهومها ناقص عند الشباب خاصة ام العرب فهم الرافعة الحقيقية للدين فبالتالي لهم القدرة ومؤهلين لحمل الراية من جديد ولكن على مبادئ اسلافهم.

والجزائر عندما نلاحظها نجدها انها مرت بمراحل نحو الاستقلال التام مثل تربوي وثقافي وسياسي فإذا نجحت فيعني انه لم يبقى لها إلى الأشواط الأخيرة وهي تعتبر امتداد لثورة عظيمة أعجب بها العالم والعدو قبل الصديق .

وفي الأخير يمكن القول أن مشروع سعد الله نجده مهيكل بشكل انه يستوعب القديم ويستجيب لمتطلبات الحديثة وطارئة ، ومبني أيضا على أسس علمية ممنهجة ، وذلك بكشف جوانب القصور وعمل على تجاوزها على أساس فهم تجارب الأخرين مع إيجاد الحلول المناسبة من أجل تنمية حضارية خالدة لجعل من الجزائر بلد يزخر بمجالات الإبداع والتجديد الحضاري.

الباب الثاني:

الجانب الميداني للدراسة

الفصل السادس : الأسس المنهجية للدارسة

- تمهيد

1 أهمية الدراسة الاستطلاعية

2- فوائد الدراسة الاستطلاعية

3- أدوات الدراسة الاستطلاعية

4- عرض نتيجة الدراسة الاستطلاعية

5- إجراءات الدراسة الأساسية

- المنهج المستخدم
- مجالات الدراسة
- العينة
- أدوات جمع البيانات

6- صدق إطار تحليل المحتوى

- متغيرات الدراسة
- خصائص العينة

تمهيد:

لاختيار صحة الفرضيات المقدمة في الجانب النظري، نقوم في هذا الفصل باستعراض الخطوات التي تربط الجزء النظري بالجزء الميداني، مرورا بالتراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله والعينة التي تم تطبيق عليها طريقة تحليل المحتوى، ثم تحديد ودراسة كما نشير إلى مجالات البحث وأساليب التناول الإحصائي، ثم توزيع البياني وتحليل معطيات الدراسية.

وهذه الدراسة من دراسات الوصفية التحليلية وتنطلق من تساؤلات المحددة وتتناول المشروع التربوي الثقافي عند العلامة أبو القاسم سعد الله وكانت تساؤلات محددة حول أنواع التربية في هذا المشروع وأبعاد التربية الثقافية وأخير دور هذه المؤسسات التربية في تنمية الحضارية كما تعد الدراسة الميدانية الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها الباحث في الوضع الإطار الافتراضي لبحثه منذ بداية، وهذا اعتمادا على الجانب النظري ووصولا إلى النتائج المستخلصة من البحث، كما تعتبر الأدوات المنهجية الوسيلة التي تمكن الباحث من تحقيق أهداف الدراسة وهنا تكمن قيمة النتائج التي يتوصل إليها الباحث في دراسته ومدى صحة هذه الدراسة على الإجراءات التي اتبعها وعلى الأساليب التي تم اختيارها من طرف الباحث أثناء معالجته لموضوع دراسة ويتطلب هذا الموقف عرض هذه الإجراءات والأساليب وتوضيح كيفية إتباعها وطرق استخدامها.

حيث قامت هذه الدراسة على المنهج الوصفي من خلال دراسة مؤشرات أنواع التربية انطلاقا من تراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله وباعتماد بشكل كبير على سلسلة المشهورة المسماة (تاريخ الجزائر الثقافي) بالإضافة إلى كتاب منطلقات فكرية.

1-1 أهمية الدراسة الاستطلاعية:

هي العملية التي يقوم بها الباحث قصد تجربة رسائل البحث لمعرفة صلاحيتها وكذلك لضمان دقتها وموضوعية نتائجها المحصل عليها في النهاية وهي تستبق العمل الميداني، ولذا قمنا بمراجعة التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله وتمكنا من معرفة مجمل أرائه التربوية وعلى أساس ذلك تم معرفة أدبيات الأساسية لثقافة عند سعد الله وعلى أساس كتابه الشهير تاريخ الجزائر الثقافي اعتمدنا عليه أساسا لأنه سجل فيه معظم التراث الجزائري من زاوية الثقافية ولم يهمل فيه أي جانب تقريبا إضافة إلى كتاب منطلقات فكرية سواء ما يتعلق ببعض التوجهات الخاصة لسعد الله مثل القومية العربية وكتاب الأمير عبد القادر في الأخير.

1-2- فوائد الدراسة الاستطلاعية:

من خلال إطلاعنا للتراث المعرفي الكامل لأبو القاسم سعد الله استطعنا أن نحدد الإشكالية والتساؤلات الفرعية والتي أثارة فضولنا خاصة من الجانب التربوي وقدرة تلك المؤسسات الثقافية على مواكبة التجديد والتطور الحاصل في كل المجالات.

1-3- أدوات الدراسة الاستطلاعية:

تمثلت في البداية أدوات الاستطلاع في التوعية إلى مكتبات مثل مكتبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة زيان عاشور بالجلفة ومكتبة المركز الإسلامي ومكتبة مسجد عبد الرحمان بن عوف حيث تحوي المكتبة على عدد كبير من مؤلفات العلامة أبو القاسم سعد الله، وعن طريق الاستعانة بالمشرف البروفسور سحوان عطاء الله بالإضافة إلى الاستعانة بالمجلات التي وفرتها لنا الشبكة العنكبوتية فساعدنا على ذلك على توجيه البحث والموضوع.

1-4- عرض نتيجة الدراسة الاستطلاعية:

بعد تأملنا لمجموع التراث الثقافي الذي خلفه سعد الله نجد أن كلامه في التربية والتعليم متنوع ومشتت فتارة يتكلم باسم المثقف ويعطي انطباع بالإرشاد والتوجيه في بعض الكتب مثل

منطلقات فكرية، وتارة آخرة نجده يكتب باسم المؤرخ مثل كتاب تاريخ الجزائر الثقافي وكتابه هذ الأخير اعتمدنا عليه كثير لكونه يمثل عصارة ما أنتج سعد الله ويخدم موضوعنا في كبير خاصة في الإشكاليات الفرضية الأولى والثانية، كما كان لتوجيهات الأساتذة البروفسور بن العربي محمد والأستاذ زرواقي رشيد والأستاذ بوسعادة رشيد دور كبير في عملية بناء الإشكالية والفرضيات وتوجيه البحث.

2- إجراءات الدراسة الأساسية:

2-1- المنهج المستخدم:

استعملنا المنهج الوصفي والتاريخي والأداة هي تحليل المحتوى لمضامين الكتب المختارة للعلامة ابو القاسم سعد الله الذي يركز على اللغة كأداة تفسر لنا توجه العلامة أبو القاسم سعد الله في ميدان التربية والثقافة عموما وأبعاد التربية الثقافية في فكره انطلاقا من التاريخ الجزائر الثقافي خصوصا، ولمعرفة كيفية بناء المشروع التربوي للعلامة أبو القاسم سعد الله استعملنا مختلف الأساليب لفك تلك الوسائل من خلال دراستنا.

" كما يعتبر المنهج وموضوع الدراسة في العلوم الاجتماعية شيئين متلازمين، إذ أن طبيعة الموضوع وخصوصيته هي التي تحدد المنهج المناسب والملائم، والمنهج هو مجموعة منظمة من العمليات التي تسعى لبلوغ الهدف"[1] ، وكان المتغير الوحيد هو المشروع التربوي الثقافي.

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي بقصد تحديد المفاهيم وتبرير بعض المعطيات ذلك أن بعض جوانب المنهج التاريخي تستخدم في التحليل ، حيث أن الظواهر في كل الأحوال زمانية أي لها زمان معين تقع فيه ، وبهذا فهي لا يمكن أن تنفصل عن حياة المجتمع الماضية ، وعليه يستفاد من الرجوع إلى الماضي لتعقب حدوث الظاهرة منذ بدايتها (مولد ونشأة وتكوين سعد الله) ، والوقوف على المتغيرات المؤثرة فيها ، وبالرغم من أن المختص في التاريخ

[1]- مورس إنجرس، ت بوزيدي صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2004، ص 98.

يستخدم هذا المنهج لوصف الأحداث في الماضي ، إلا أنه بالإمكان أن يوظفه لغرض الوصول إلى المبادئ والقوانين التي يمكن عن طريقها تفسير الظواهر ، وبذلك فإن هذا المنهج يمكننا من ربط الحاضر بالماضي ، ومحاولة فهم العوامل والظروف التي ساهمت في تكوين ظاهرة معينة سواء في الحاضر أو الماضي ، فالمنهج التاريخي يستند على عرض وتحليل الاتجاهات والوقائع والأحداث السابقة بالنسبة لظاهرة معينة وربطها بالواقع الحالي ، أي الإفادة من الماضي في فهم وتحليل الحاضر ، ومحاولة وصل الحوادث وذلك بربطها في سياق زمني ، ومن ثم استقراء تلك الحقائق . فقمنا بوصف واستعراض مسيرة كما اعتمدنا على المنهج هذه الشخصية ، كونه الأنسب لسرد الأحداث وتقصيها وربطها زمانيا ومكانيا .

ومن أجل الإحاطة بالموضوع كان اختيار المنهج الوصفي وذلك من خلال مجموع مؤلفات الدكتور العلامة أبو القاسم سعد الله وكما هو معلوم أن معظم تركيز سعد الله في فكره على الجانب الثقافي و من خلال كتاب التاريخ الثقافي الجزائري يمكن التعرف على أساسيات التربية الثقافية وأبعادها ومن هنا كان اعتماد كليا على المستوى الفرضية الأولى والثانية على هذه السلسلة.

والمنهج الوصفي هو "طريقة في البحث عن الحاضر وتهدف إلى تجهيز بيانات الإثبات فروض معينة تمهيدا للإجابة على تساؤلات محددة سلفا بدقة تتعلق بالظواهر الحالية، والأحداث الراهنة التي يمكن جمع المعلومات عنها في الزمان إجراء البحث وذلك باستخدام أدوات مناسبة"[1]

كما هو معلوم أن الظاهرة الاجتماعية معقدة ومن أجل وصف تلك الظاهرة لابد من تركيز عن زمان إجراء البحث، وتوفير المعلومات الكافية والدقيقة قدر الإمكان مع توضيح زمان تأليف الكتب حتى نتعرف أكثر عن أدبيات مشروع أبو القاسم سعد الله وذلك من أجل الحصول إلى

[1]- رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته وممارسته العلمية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ب ط ، 2000، ص 183.

نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، فيكون هناك انسجام وتكامل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي (الميداني) وكل ذلك يتلائم مع معطيات الفعلية لظاهرة المدروسة.

كما أن المنهج الوصفي يهتم بوصف ظاهرة تصويرها في الوضع الراهن وتحديد العلاقات والتغيرات الموجودة كما أنه لا يغفل عملية التحليل والتقييم من أجل الاستفادة منها وليست وظيفته جمع الحقائق فقط.

قمنا بوصف مجتمع البحث وجمع المعلومات وحقائق عن التربية عموما وأنواعها أيضا إن وجدت وهو لم يذكرها بالاسم ولكنها موجودة داخل بطون كتبه، لقد كان لتاريخ والأدب والثقافة والوطن والقومية والإسلام والحضارة الأثر الكبير في توجيه التربية من جانب في حين أن التربية أيضا تؤثر على تلك العناصر ثم نجد نموذج الدولة الذي يبحث به انطلاقا من تراثه المعرفي ونقصد به دولة الأمير عبد القادر وهي الأقرب إليه وهي محطة إعجاب وتقدير ليس له فقط ولكن للجزائريين عموما.

كما كانت خطوات هذا المنهج كالتالي:

- تحديد العينة
- تحديد فئات التحليل
- تحديد وحدات التحليل
- جدول الفئات (وحدات السياق)
- حساب تكرارات الفئات
- تفسر النتائج

2-2- مجالات الدراسة

مجال الكتاب:

- سلسلة "تاريخ الجزائر الثقافي" (10 أجزاء) للعلامة أبو القاسم سعد الله

- كتاب منطلقات فكرية للعلامة أبو القاسم سعد الله

- كتاب الأمير عبد القادر. ترجمة أبو القاسم سعد الله . المؤلف: تشرشل

- وكل الكتب خاصة الفكرية(المنطلقات الفكرية، افكار جامحة ،خارج السرب، بحوث في التاريخ الاسلامي ، حصاد الخريف، الجدل الثقافي) .

المجال الزماني:

نظرا لشمولية البحث واتساعه وترابطه ووجود بعض تعقيدات مثل شتات المقالات والعناوين، بحيث لم يكتب العلامة أبو القاسم سعد الله عناوين واضحة بل في معظم كتبه خاصة الثقافية الفكرية هي عبارة عن جمع لمواضيع مختلفة مثل كتاب حوارات وغيره فتطلب ذلك وقتا كبيرا من جانفي 2017 إلى جوان 2017.

2-3- العينة

تمثلت في كتاب " تاريخ الجزائر الثقافي" بضبط الأجزاء التالية

1 – 2 – 3 – 4 – 5 – 6 – 7 – 8 – 9

إضافة إلى كتاب "منطلقات فكرية" وكتاب "الجدل الثقافي" .

2-4- أدوات جمع البيانات

قمنا بالتصميم إطار لتحليل المحتوى موزعة على المحاور التالية

الفصل الأول: بيانات الكتب

الفصل الثاني: البيانات المتعلقة بالفرضية الأولى

الفصل الثالث: البيانات المتعلقة بالفرضية الثانية

الفصل الرابع: البيانات المتعلقة بالفرضية الثالثة

3- صدق إطار تحليل المحتوى

1-1- الثبات عبر الزمن

لتأكد من ثبات التحليل لأداة الدراسة قمنا بإعادة التحليل بعد أسبوعين من التحليل الأول وذلك بإعادة تحليل مواضيع فصول الكتاب كعينة ممثلة للتطبيق عملية التحليل وبعد ذلك قمت بحساب معامل الاتفاق باستخدام معادلة هولستي وهي :

$$\text{معامل الثبات} = \frac{\text{عدد نقاط الاتفاق}}{\text{عدد نقاط الاتفاق + عدد نقاط الاختلاف}} = 100\ \%$$

جدول رقم01 : يبين معامل ثبات التحليل عبر الزمن

من كتاب	نقاط الاتفاق	نقاط الاختلاف	المجموع	معامل الاتفاق
تاريخ الجزائر الثقافي	775	81	856	% 90.53
أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر (ج1. ج 2)	66	05	71	% 92.95
بحوث في تاريخ المغرب العربي الاسلامي	74	02	76	% 91.36
في الجدل الثقافي	160	13	173	% 92.48
أفكار جائحة	140	11	151	% 92.71
منطلقات فكرية	300	18	318	% 94.33
حصاد الخريف	96	04	100	% 96
خارج السرب	64	03	67	% 95.52
المجموع	1675	137	1812	% 92.43

يتضح من النتيجة السابقة أن معامل الاتفاق بين التحليلين كان عاليا ،فقد بلغ (92%) وهي نسبة عالية تدل على ثبات عملية التحليل ،وهذا مقبول في الدراسات لاستخدام إطار تحليل المحتوى.

جدول رقم02 : يبين معامل ثبات التحليل عبر الأفراد

من كتاب	نقاط الاتفاق	نقاط الاختلاف	المجموع	معامل الاتفاق
تاريخ الجزائر الثقافي	778	82	856	% 90.88
أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر (ج1. ج 2)	67	04	71	% 3692.
بحوث في تاريخ المغرب العربي الاسلامي	75	01	76	% 91.86
في الجدل الثقافي	160	13	173	% 92.48
أفكار جائحة	139	12	151	% 92.05
منطلقات فكرية	299	19	318	% 94.02
حصاد الخريف	95	05	100	% 95
خارج السرب	63	04	67	% 94.02
المجموع	1672	140	1812	% 92.27

ج- الثبات عبر الأفراد:

للتأكد من ثبات التحليل عبر الأفراد قمت بإعطاء الكتاب المراد تحليل محتواه إلى طالب جامعي لما بعد التدرج (سنة أولى دكتوراه)تخصص علم الاجتماع التربوي ، من جامعة زيان عاشور بالجلفة قام بتحليله بنفس الطريقة التي اتبعتها،ثم قمت بحساب معامل الثبات وفق **معادلة هولستي التي تم استخدامها سابقا.**

الجدول يبين معامل ثبات التحليل عبر الأفراد يتضح من النتيجة السابقة أن معامل الاتفاق بين التحليلين كان عاليا ،فقد بلغ (92%) وهي نسبة عالية تدل على ثبات عملية التحليل ،وهذا مقبول في الدراسات الإنسانية والاجتماعية لاستخدام إطار تحليل المحتوى.

جداول الفرضية الأولى :

1/ المجال الديني

التصوف

3- 1/ في العصر الذهبي للعلماء في الجزائر (ف 5) (ص 39 -56)

ج 1 (1500 – 1830) (ت ج ث)

4- 2/ في عصر التخلف (القرن 16) ص (459 – 483)

ج 1 (1500 – 1830) (ت ج ث)

5- 3/ مقاومة الاستعمار ص (301 – 325)

ج4 (1830 – 1954) (ت ج ث)

التعليم القراني :

6- 1/ وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين (تدريس القران الكريم) ص (9 – 25)

بحوث في تاريخ العربي الاسلامي

7- 2/ التعليم الابتدائي (القراني) ص (338 – 350)

ج 1 (1500 – 1830) (ت ج ث)

8- 3/ التعليم في المدارس القرانية (ص 36 – 46)

ج3 (1830 – 1954) ' ت ج ث)

2/ المجال اللغوي الأدبي والاجتماعي:

9- 1/ النثر والشعر ج 2 (ق ج ث) (ص 155- 173)

10- 2/ النثر ج 9 (ت ج ث) (437 -448)

11- 3/ القصة ورواية ج 9 (ت ج ث) (469 – 480)

12- 4/ تعاملي مع اللغة (أفكار جائحة) (189 – 193)

3/ المجال العلمي :

13- 1/ من حضارة الشعر الى حضارة العلم (منطلقات فكرية) (ص 18- 26)

14- 2/ العلوم والمنطق (ق 15) (ج 1) (ت ج ث) (ص111-120)

15- 3/ العلوم والمنطق في عهد الاستعمار ج 7 (ت ج ث) (145-157)

16- 4/ بعض الممارسات العلمية في الجزائر في عصر التخلف (ص 185 – 193)

ج 3 (أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر)

4/ المجال الوجداني :

17- 1/ الفنون ج 2 (ت ج ث) موسيقى (ص 437 – 445)
18- 2/ الفنون ج 8 (ت ج ث) الرسم (ص 429 – 433)
19 – 3/ السينما ج9 (ت ج ث) (ص 383 – 394)

جداول الفرضية الثانية :

1/ الدور الفكري :

20-1/ نماذج من التفكير النقدي (منطلقات فكرية) (ص 65 – 82)

21 – 2/ دور المؤسسات الثقافية الفكري ولثقافي (ص 12- 30)

(بحوث في التاريخ العربي والاسلامي)

22- 3/ دراسات حول الاسلام والاصلاح (ج 7) (ت ج ث) (ص 157 – 180)

23 – 4/ ظهور مالك بن نبي (ج 7) (ت ج ث) (ص 211 – 220)

2/ الدور العلمي (التقني)

24- نحو جامعة وطنية (أفكار جائحة) (ص 163 – 169)

25- الأديب العربي والثورة التكنلوجية (منطلقات فكرية) (ص 27 – 43)

26- النشاط الطبي في عهد الاستعمار (ج 7) (ت ج ث) (ص 224 – 242)

27- النشاط الطبي خلال الثورة (ج 9) (ت ج ث) (ص 628 – 636)

3/ الدور التاريخي :

28- 1/ حول الجامعة الاسلامية بالجزائر – أفكار جائحة – (ص 157 -161)

29- 2/ رأي في دور جمعية العلماء المسلمين – أفكار جائحة – (ص 47 -54)

30- 3/ علمتنا الثورة – خارج السرب – (ص 9- 17)

31- اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية – حصاد الخريف – (ص 194 – 207)

4/ دور العلماء وأهل النخبة :

32- 1/ مشاكل الثقافة – منطلقات فكرية (ص 143- 155)

33- 2/ التقليد والتجديد ج2 (ت ج ث) (ص 9 – 24)

34- 3/ العلم بين العلماء والسلاطين – حصاد الخريف – (ص 107 – 111)

35- 4/ دور المثقف في بناء وحدة المغرب العربي في الجدل الثقافي(ص 16 – 167).

جداول الفرضية الثالثة :

1/ البعد الثوري :

36- 1/ الشخصية والثقافة في الجزائر – منطلقات فكرية (ص 83 – 85)

37- 2/ تأميم الثقافة الوطنية – منطلقات فكرية – (ص 156 – 162)

38- 3/ الثورة الجزائرية في الفكر العربي – في الجدل الثقافي (ص 75 – 85)

2/ البعد السياسي :

39- 1/ حدثونا عن الوحدة – أفكار جائحة – (ص 9- 22)

40- 2/ وحدة المغرب العربي – في الجدل الثقافي – (ص 169 – 179)

41- 3/ الجزائر القومية العربية – منطلقات فكرية – (ص 109 – 120)

42- 4/ حول الجزائر والقومية العربية – منطلقات فكرية – (ص 121 – 124)

3/ البعد الجمالي الحضاري :

43- 1/ المتاحف ، الخط ج8 (ت ج ث) (ص 409 – 428)

44- 2/ الرسم والمعارض الفنية (ت ج ث) (ص 395 – 404)

متغيرات الدراسة: لدينا متغير واحد وهو المشروع التربوي الثقافي

1/أبعاد المتغير في الفرضية العامة :

تتمثل أبعاد المتغير على أساس مبادئ جمعية علماء المسلمين وعلى مبدأ التجديد والإبداع والذي تم تفكيكه إلى مركبات أساسية :

1-1/الوطن 1-2/التاريخ

1-3/ اللغة 1-4/التراث

1-5/ الإصلاح 1-6/ التجديد

1-7/ الإبداع

2/أبعاد المتغير في الفرضية الاولى:

يتمثل المتغير التابع في المشروع التربوي الثقافي لسعد الله

1/ التربية الروحية 2/ التربية الوجدانية

3/ تربية علمية 4/ تربية إجتماعية

بالنسبة للفرضية الثانية :

1/ دور فكري 2 /دور العلمي

3/دور تاريخي 4/ دور العلماء وأهل النخبة

بالنسبة للفرضية الثالثة :

1/ البعد الثوري 2/ البعد السياسي

3 / البعد الجمالي

إجراءات الدراسة وجمع المعلومات

-1/إجراءات الدراسة وجمع المعلومات المتعلقة بتقويم المحتوى:

- الحصول على مؤلفات العلامة أبو القاسم سعد الله

- تصميم الإطار العام لتحليل المحتوى

- توزيع الاستبانة

- دراسة نتائج وملاحظات الاستبانة

-2/إجراءات الدراسة وجمع المعلومات المتعلقة بتحليل المحتوى

- قراءة كتب " العلامة أبو القاسم سعد الله "قراءة متأنية.

-تحديد فئات التحليل،ووحدات التحليل الخاصة بكل فئة تحليل(أنظر الملحق رقم1)

-التوصل إلى النتائج وتفسيرها ومناقشتها والخروج بمجموعة من التوصيات.

/المعالجات الإحصائية:

-التكرارات والنسب المئوية، لمعرفة عدد الحالات الموجودة في ضوء المتغيرات المستقلة .

- معادلة هولستي لحساب معامل ثبات التحليل.

فئات التحليل ووحدات التحليل :

جدول 01: فئة التحليل :الدين (التصوف) (يقابله جدول 14 في المذكرة)

وحدات التحليل :-الاستقرار السياسي

- التضامن الاجتماعي
- مستوى تعليم
- احترام علماء الدين

جدول 2: فئة تحليل : الإصلاح

وحدات التحليل : – نشر الأخلاق وقيمه

- تربية روحية
- طرق صوفية
- فساد الصوفية
- تربية نفسية (تزكية النفوس)
- تربية الجهادية

جدول 3: فئة التحليل (الوطن)

وحدات التحليل :– وظائف إيجابية

- تربية روحية
- تربية دينية
- تربية جهادية
- دعوى إلى الجهاد

جدول 4: فئة تحليل : اللغة العربية

وحدات التحليل : – تعليم القرآني

- علوم اللغوية
- تعليم القرآني عند الجالية الإسلامية
- الإعتناء بالقرآن الكريم

جدول 5: فئة التحليل :الوطن (القيم الاجتماعية)

وحدات التحليل :– تربية الأسرية

- تعليم المرأة
- الإحترام والنظام داخل الكتاتيب
- دور الأولياء

جدول 6: فئة التحليل : الدين

وحدات التحليل : – سياسية الفرنسية

- الفرق بين المدن والريف
- منهج تعليمي الحفظ دون الفهم

- المحافظة على الدين

جدول 7 : فئة التحليل : التراث

وحدات التحليل : - إهتمام بالنحو والصرف

- إنتشار علم النحو
- العلماء ، التأليف

جدول 8 : فئة التحليل : الثورة

وحدات التحليل : - الآداب السياسي

- الفن الأدبي
- الأدب الديني
- الأدب الاجتماعي
- الأدب التاريخي
- كتابات أخرى

جدول 9 : فئة التحليل : الوطن

وحدات التحليل : - تربية وجدانية القصة الخيالية

- تربية وجدانية القصة الواقعية
- القصة والبعد التربوي

جدول 10: فئة التحليل : الإبداع (الإبداع اللغوي)

وحدات التحليل : - علوم اللغة

- الإبداع في اللغة
- تطور اللغة

جدول 11: فئة التحليل :الإصلاح (يقابله جدول 24 في المذكرة)

وحدات التحليل : - تحديات العصر

- البحث العلمي
- الاستفادة من النخبة
- الاكتشاف والإبداع

جدول 12: فئة التحليل :تاريخ

وحدات التحليل : –علوم الفلك

- الطب النبوي
- علم الفلك
- رأي الدين في المنطق

جدول 13: فئة التحليل : الدين

وحدات التحليل : – علم الكلام والمنطق

- علم الكلام والعقلنة
- المنطق

جدول 14: فئة التحليل : التاريخ (التراث)

وحدات التحليل :– التخلف

- الأثر على العلماء والمنظومة
- علم الحساب والفلك والطب
- أهمية التراث

جدول 15: فئة التحليل : الإبداع (الفن)

وحدات التحليل :– رأي الدين

- الصوفية والموسيقى
- التذوق الموسيقى
- مواضيع الإنشاد

جدول 16: فئة التحليل : الإبداع (الفن)

وحدات التحليل :– البيئة وأثرها

- مجالات الإبداع
- المعارض والجوائز
- تأثره بالفن الإسلامي

جدول 17: فئة التحليل : تاريخ والثورة

وحدات التحليل :– حالة سينما في الجزائر

- أقلام فرنسية

- تسجيل الأناشيد والخطب
- الأفلام القديمة (الأبيض والأسود)
- الأفلام الحديثة (ملون)

جدول 18: فئة التحليل : التجديد

وحدات التحليل :- تجديد في الفقه

- تجديد في النظم
- الإصلاح الديني و الاجتماعي
- التجديد في طب

جدول 19: فئة التحليل : التاريخ (التراث)

وحدات التحليل :- دور الزوايا

- دور المساجد
- دور المدارس
- دور المكتبات

جدول20 : فئة التحليل : الإبداع الفكري

وحدات التحليل :- دراسات فكرية فلسفية

- الاجتهاد
- الدعوة والحضارة

جدول 21: فئة التحليل : الإبداع الفكري (يقابله جدول 34 في المذكرة)

وحدات التحليل :- استقلالية فكر مالك بن نبي

- البيئة والمحيط
- العوامل المساعدة على الإبداع
- إبداعات مالك بن نبي

جدول 22: فئة التحليل : التجديد (الفكري)

وحدات التحليل :- مدرسة وطنية

- تنظيم الجامعة
- الحركة النقابية في الجامعة

- توحيد اللغة (العربية)

جدول 23: فئة التحليل : اللغة العربية

وحدات التحليل :- البيئة (المحيط)

- أولوية العلم على الأدب
- الجو العلمي (ترجمة ...)
- دور المؤسسات والجامعة

جدول 24: فئة التحليل : تاريخ في عهد الإستعمار

وحدات التحليل :- الثورة الطبية الفرنسية

- الوضع الطبي في الجزائر
- الطب الشعبي
- دولة الأمير والطب

جدول 25: فئة التحليل : الوطن (الثورة)

وحدات التحليل :- الطب والصحة العامة

- أطباء الثورة
- الأعمال والمؤلفات الطبية

جدول 26: فئة التحليل : التاريخ (..... الإسلامية)

وحدات التحليل :- الدين والثقافة

- علماء المسلمين
- المشروع الجامعة الرفض والقبول

جدول 27: فئة التحليل : (التجديد) الإصلاح

وحدات التحليل :- الجمعية والمجتمع

- الخطاب العقلي الروحي
- دور العلماء في الإصلاح
- دور في استقلال البلاد

جدول 28: فئة التحليل : التاريخ (الثورة)

وحدات التحليل :- حب الوطن ووحدته

- الحرية
- التضامن
- العلم والعمل

جدول 29: فئة التحليل : اللغة العربية

وحدات التحليل :- مابين سنة 1830-1919

- مابين سنة 1919-1930
- مابين 1930-1954

جدول 30: فئة التحليل : الوطن (الثقافة)

وحدات التحليل : - الدوق العام

- اللغة
- الأمية
- التعليم
- السينما والتلفزيون
- الكتاب الوطن
- الصحافة

جدول 31: فئة التحليل : (التجديد) (التراث) (يقابله جدول44 في المذكرة)

وحدات التحليل : - التقليد

- التجديد
- الثقافة في العهد العثماني
- التدريس والتأليف (التفسير)

جدول 32: فئة التحليل : الثورة (الثورة العلمية)

وحدات التحليل :- العلماء

- السلطة والعلماء
- التخلف العلمي
- العلماء والثورة
- الثورة العلمية

جدول 33: فئة التحليل :التاريخ ، التراث (القيم الاجتماعية الوحدة والتضامن)

وحدات التحليل :- الوحدة المغاربية

- التربية على مبادئ الوحدة
- حوافز الوحدة
- دور المثقف في الوحدة

جدول 34: فئة التحليل : الوطن (الشخصية والثقافة)

وحدات التحليل :- القيم الاجتماعية

- إكتشاف التراث
- اللغة الوطنية
- ثورة ثقافية

جدول 35: فئة التحليل : الوطن (القومية)

وحدات التحليل :- الثقافة والقومية

- الجزأرة (ثقافة جزائرية)
- التأميم الثقافي

جدول 36: فئة التحليل :تاريخ (الثورة)

وحدات التحليل :- الفكر العربي المعاصر

- الفراغ الفكري السياسي
- الثورة الجزائرية
- الأدب والثورة الجزائرية

جدول 37: فئة التحليل : الوطن (الوحدة الوطنية)

وحدات التحليل :- الشعور العقلي

- إعداد الوحدة
- الماسونية الجديدة
- أهمية الوحدة

جدول 38: فئة التحليل : العربية (الوحدة المغاربية)

وحدات التحليل :-إتجاه الحركة الوطنية

- وحدة لسان واللغة
- الوحدة السياسية

جدول 39: فئة التحليل :العربية (القومية العربية)

وحدات التحليل :- التاريخ العربي

- مفهوم القومية
- حمدان خوجة والقومية العربية
- الأمير عبد القادر والقومية

جدول 40: فئة التحليل : العربية (القومية العربية)(يقابله جدول 53 في المذكرة)

وحدات التحليل :- اتهامات الأستاذ عبد الجليل

- حجج أبو القاسم سعد الله

جدول 41: فئة التحليل :الإبداع (الفن)

وحدات التحليل: - المتاحف

- أبو القاسم سعد الله
- المؤلفات في الخط

جدول 42: فئة التحليل :الإبداع (.....)

وحدات التحليل :- الرسم والمعارض الفنية

- المنمنمات(محمد راسم)
- إبداعاته
- الثقافة عند محمد راسم

المؤشرات :

الفرضية الاولى :التصوف التعليم القرآني اللغة القصة المنطق الرسم السينما ...الخ.

الفرضية الثانية : الإصلاح التكنولجيا الثورة الأخلاق التجديد والتقليد....الخ.

الفرضية الثالثة: الشخصية الوحدة القومية المتاحف المعارض الابداع ...الخ.

خصائص العينة:

جدول 03: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي (المرحلة الأولى 1500-1830) جزءان

رقم الجزء	الفصل	عنوانه	عدد الصفحات	%
الجزء 01	الفصل 1	تراث القرن 15 م	98	% 10.62
	الفصل 2	التيارات و المؤثرات	89	% 9.65
	الفصل 3	المؤسسات الثقافية	85	% 9.21
	الفصل 4	التعليم و رجاله	73	% 7.91
	الفصل 5	فئة العلماء	71	% 7.70
	الفصل 6	المرابطون و الطرق الصوفية	68	% 7.37
الجزء 02	الفصل 1	العلوم الشرعية	81	% 8.78
	الفصل 2	علم الكلام والتصوف	65	% 7.04
	الفصل 3	علوم اللغة والنثر	81	% 8.78
	الفصل 4	الشعر	81	% 8.78
	الفصل 5	التاريخ والتراجم و الرحلات	79	% 8.56
	الفصل 6	العلوم و الفنون	51	% 5.53
المجموع			**922**	**% 100**

التحليل الإحصائي :

كما نرى في الجدول نجد أن الفصل 1 هو أكبر نسبة حيث يقدر ب10.62% بعدد صفحات تقدر ب 98 مقابل الفصل 2من الجزء الأول أيضا يقدر بنسبة 9.65 من مجمل الجزئين 1و2.

التحليلي السوسيولوجي :

ومن الجدول نستنتج أن كلام سعد الله كلن معظمه في الجزء الأول من كتاب تاريخ الجزائر الثقافي عن تراث القرن 15م والذي يعتبر ذهبي في العهد العثماني ويليه في الفصل التيارات والمؤثرات والتي يقصد بها العلاقة مع دولة العثمانية والحديث عن المؤسسات الثقافية والتي كانت مزدهرة يعني نسبيا والحديث عن المدن وفئات المجتمع التي كانت متنوعة .

جدول04: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي

(المرحلة الثانية 1830 – 1954) (من الجزء 03 الى الجزء 05)

رقم الجزء	الفصل	عنوانه	عدد الصفحات	%
الجزء 03	الفصل 1	التعليم في المدارس القرآنية والمساجد	155	% 9.81
	الفصل 2	التعليم في الزوايا والمدارس الحرة	109	% 6.89
	الفصل 3	التعليم الفرنسي المزدوج	175	% 11.07
الجزء 04	الفصل 1	الطرق الصوفية 1	183	% 11.58
	الفصل 2	الطرق الصوفية 2	153	% 9.68
	الفصل 3	السلك الديني و القضائي	195	% 12.34
الجزء 05	الفصل 1	المعالم الاسلامية والأوقاف	203	%12.84
	الفصل 2	المنشآت والمراكز الثقافية 1	113	% 7.15
	الفصل 3	المنشآت والمراكز الثقافية 1 2	154	% 9.17
	الفصل 4	الجزائر في المشارقة والمغاربة	149	% 9.43
المجموع			**1580**	**% 100**

التحليل الإحصائي :

كما نلاحظ في الجدول أن الفصل 1من الجزء 5أكبر نسبة في الأجزاء 3و4و5 بنسبة تقدر 12.84% ويليه الفصل 3 من الجزء 4 من سلسلة وذلك بنسبة تقدر 12.34% مقابل نسبة 6.89% من الفصل 1الجزء 3.

التحليل السوسيولوجي :

معظم الحديث في الأجزاء التالية 5،4،3 من سلسلة تاريخ الجزائر الثقافي كان الحديث فيها عن المعالم الإسلامية والأوقاف ب203 صفحة وهذا رقم كبير وذلك في الجزء 5 حيث تكلم عن المساجد في العاصمة وقسنطينة ووهران ثم زوايا والأضرحة والأوقاف والمكاتب الخيرية وجمعيات الإغاثة في حين كان الحديث في الفصل 3 من الجزء الرابع عن السلك الديني والقضائي والقضاة فالمساجد هي اهم المؤسسات في العهد العثماني وفي كل دول الإسلامية أما السلك القضائي راجع ربما الزواج المختلط فئات المجتمع في ذلك العصر .

جدول05: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي(المرحلة الثانية 1830 – 1954) (من الجزء 06 الى الجزء 08)

رقم الجزء	الفصل	عنوانه	عدد الصفحات	التكرار
الجزء 06	الفصل 1	الاستشراف و الهيئات العلمية و التنصير	135	% 9.74
	الفصل 2	الترجمة و ظهور النخبة الاندماجية	125	% 90.2
	الفصل 3	مذاهب و تيارات	185	% 13.35
الجزء 07	الفصل 1	العلوم الدينية	106	% 7.65
	الفصل 2	العلوم الاجتماعية	109	% 7.87
	الفصل 3	العلوم التجريبية	77	% 5.55
	الفصل 4	التاريخ والتراجم و الرحلات	179	% 12.92
الجزء 08	الفصل 1	اللغة والنثر الأدبي	183	% 13.21
	الفصل 2	الشعر	161	% 11.62
	الفصل 3	الفنون	125	% 9.02
المجموع			1385	% 100

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نجد أن الفصل1 من الجزء 8 من الموسوعة كان الحديث فيها عن اللغة والنثر الأدبي مقابل 5.55% للفصل 3 الجزء 7 والذي يتكلم عن العلوم التجريبية .

تحليل سوسيولوجي :

من الجدول نرى أن معظم العدد كان في اللغة والنثر الأدبي في الفصل1 الجزء 8 وتكلم عن الدراسات البربرية والنحوية العربية والمعاجم وبعض الأدباء منهم بلقاسم بن سديرة والمقالة والرسائل وحالة الأدب في العهد الإستعماري ولا ننسى ميول سعد الله للغة العربية وتذوقه لها وكل ذلك جعل لها الأهمية الكبرى .

أما العلوم التجريبية فالإهتمام بها ناقص وهذا طبيعي في بلد مستعمر تكلم عن طب والتقاليد وللأسف حتى شعر .

جدول 06 : فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي

(المرحلة الثالثة – الجزء التاسع 1954 – 1962)

رقم الجزء	الفصول	عنوانه	عدد الصفحات	التكرار
الجزء 09	الفصل 1	عشية الثورة	63	% 10.21
	الفصل 2	الثقافة في نصوص الثورة	45	%7.29
	الفصل 3	الهوية الثقافية والأدباء بالفرنسية	35	% 5.67
	الفصل 4	الاعلام في الثورة	61	% 9.88
	الفصل 5	التعليم و التنظيمات الطلابية	67	% 10.25
	الفصل 6	المسرح والموسيقى و الغناء	55	% 8.91
	الفصل 7	السينما والرسم والمكتبات والخطاطة والمتاحف	53	% 8.58
	الفصل 8	أنواع النثر	53	% 8.58
	الفصل 9	الشعر	65	% 10.53
	الفصل 10	كتب وكتابات	79	% 12.80
	الفصل 11	مواقف واراء	41	% 6.63
المجموع			617	% 100

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر سنة هي 12.80% وهي للفصل 10كتب وكتابات في الجزء و نسبة 5.57% في الفصل 2 من نفس الجزء والحديث فيه عن الهوية الثقافية والأدباء بالفرنسية .

تحليل سوسيولوجي :

من الجدول نجد أن أكبر نسبة هي فيها الحديث عن كتب وكتابات الفصل 10وفيها الحديث عن التاريخ والدراسات التاريخية وكتابات ابن نبي وتاريخ الجزائر والجزائر الثائرة والأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ونستنتج أن سعد الله في الاختصاص الذي يجد فيه سهب الحديث عن ذلك مثل اللغة والتاريخ

جدول 07 حول سلسلة (أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر أربع أجزاء)

رقم الجزء	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
الجزء 01	الفرنسيون والجزائر (الثورة – الاستعمار – الحركة الوطنية ....) الأمير عبد القادر ...	160	% 21.36
	التراث الجزائري (مخطوطات ، ورحلات) بعض الأعلام	93	% 12.41
	الجزائر وعلاقتها بالإنجليز والولايات المتحدة و ما تعلق بها	101	% 13.48
	مواضيع مختلفة (حول افريقيا والحرب الجزائرية الاسبانية)	30	% 4.00
الجزء 03	الحركة الوطنية الجزائرية ونجم شمال افريقيا ومحمد الخامس في بعض الصحف الجزائرية	85	% 11.34
	نظرة الأمريكية لتاريخ الجزائر والوثائق التاريخية في جامعة مينسوتا أمريكا	83	% 11.08
	بعض الممارسات العلمية في عصر التخلف والعلاقة بين علماء الجزائر وعلماء اسطنبول	24	% 3.20
	رسائل العلماء الجزائريين في القرن الماضي	108	% 14.41
		65	% 8.67
المجموع		**749**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أكبر نسبة كانت لعنوان الفرنسيون والجزائر في الجزء الأول من كتاب أبحاث وأراء وذلك نسبة 21.36% مقابل نسبة 3.20% من عنصر بعض الممارسات العلمية في عصر التخلف وذلك في الجزء الثالث من سلسلة أبحاث وأراء .

تحليل سوسيولوجي :

من عرض الجدول نشاهد ان نسبة الأكبر كان الحديث فيها بحوالي 160صفحة في الجزء الأول من سلسلة والحديث فيها عن الثورة الإستعمار الحركة الوطنية وهذه المواضيع عايشها سعد الله في حياته وليس قرأ عليها فهو متأثر بها وتدل على عمق حبه وتضحيته لهذا الوطن.

جدول08: حول كتاب بحوث في التاريخ العربي الاسلامي

وحدات	عناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين ومنهج ابن خلدون في البحث التاريخي	61	% 11.70
02	التأليف ورحلات وتأثير الفكر المشرقي والاصلاح في المغرب العربي	242	% 46.44
03	الثقافة والسياسة في البحر الأبيض المتوسط	10	% 1.91
04	اليقظة العربية في المشرق ومواضيع في اليقظة العربية ورحلات الى المشرق واليمن	127	% 24.37
05	قضايا القدس والوعد الفرنسي لليهود بإقامة وطن قومي	31	% 5.95
06	الأسطول الجزائري ومدينة الجزائر في القرن 16	50	% 9.59
المجموع		**521**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة هي 46.44% من الوحدة 2 والتي تتكلم من التأليف ورحالات وتأثير الفكر المشرقي على الجزائر مقابل نسبة 1.91% وهي الأضعف للوحدة رقم 03 والحديث فيها عن الثقافة والسياسة في البحر المتوسط .

التحليل السوسيولوجي :

فمن الجدول نجد أن معظم الكلام والكتابة بـ61 صفحة في كتابه بحوث في التاريخ العربي الإسلامي كل الحديث عن التأليف والرحلات وتأثير الفكر المشرقي والإصلاحات وهذه المواضيع كثيرا ما كانت من اهتمامات سعد الله وحتى الأدباء والمؤرخون قديما وفيها من المتعة شيء الكثير .لا شك في أن سعد الله كان يبحث عن جديد تراث الجزائري في مثل هذه الإختصاصات منها رحلة لإن العلماء كانوا أكثر ترحالا في القديم

من عرض الجدول نشاهد ان نسبة الأكبر كان الحديث فيها بحوالي 160صفحة في الجزء الأول من سلسلة والحديث فيها عن الثورة الإستعمار الحركة الوطنية وهذه المواضيع عايشها سعد الله في حياته وليس قرأ عليها فهو متأثر بها وتدل على عمق حبه وتضحيته لهذا الوطن.

جدول09 :يمثل مواضيع في كتاب في الجدل الثقافي

الوحدات	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	من أعماق الجزائر والأوراس في واد سوف وفي مجمع الخالدين	70	% 24.91
02	الثورة الجزائرية في الفكر العربي	12	% 4.27
03	الفكر الفرنسي واللغة الفرنسية في الجزائر	66	% 23.48
04	حول وحدة المغرب العربي والوطن العربي ودور المثقف فيه	27	%9.60
05	تساؤلات في المنظومة التربوية	18	% 6.4
06	الشعر و الأدب والثورة وجريدة البصائر	34	% 12.09
07	الحضارة الغربية (فلسطين العنصرية) السلطة الاستعمارية وعلاقتها (بتركيا الفتاة)	54	% 19.21
المجموع		**281**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة هي 24.91% وهي تمثل الوحدة 01 بعنوان من أعماق الجزائر مقابل نسبة 23.48% من نص الوحدة رقم 03 وهي بعنوان الفكر الفرنسي في الجزائر .

تحليل سوسيولوجي :

تكلم المؤلف في كتابة الجدل الثقافي نسبة كبيرة على الجزائر والأوراس وواد سوف بحوالي 70صفحة عن حول قضايا إتفاقية تشغل المواطن والطالب الجزائري ،وهو يلاحظ ما يقع للجزائر المستقلة من مشاكل مختلفة لا ترقى بأي حال إلى ثورته العظيمة وحاول تنوير الرأي العام في تلك الفترة .

جدول10 : يبن مواضيع كتاب أفكار جامحة

الوحدات	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	قضايا ثقافية وفكرية متنوعة منها الوحدة	16	% 25.23
02	ما تعلق بحياة أبو القاسم سعد الله وأدبه وتعامله مه الشعر	22	% 8.59
03	ذكريات مع الأستاذ عمر الدسوقي والشيخ محمد الطاهر التليلي	16	% 6.25
04	الندوة الثقافية في الكويت وتكريم الأدباء في جزيرة العرب	26	% 10.15
05	المؤتمر العربي العثماني في تونس وقصد ثورة عربية منسية عن الثورة الجزائرية	25	% 9.76
المجموع		**256**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة هي 65.23% من الوحدة 1 التي هي تحت عنوان قضايا شائكة متنوعة مقابل نسبة 10.15% من الوحدة 4 التي تحث فيها عن الندوة في الكويت وتكريم الأدباء في الكويت .

تحليل سوسيولوجي :

تكلم المؤلف في هذا الكتاب على قضايا ثقافية وهي التي تعني المثقف خاصة عن الوحدة ومحاربة التفرقة والتعصب العرقي عموما مستدلا برأيه في جمعية علماء المسلمين والإتجاهات الفكرية لدى الحركة الوطنية وهي كلها تسير وفق نسق واحد .

جدول 11 : الكتاب منطلقات فكرية

الوحدات	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	الوطن العربي و الثقافة	09	% 4.50
02	الأديب والثورة التكنلوجية	26	% 13
03	الفكر التقدمي والجهاد الثقافي	39	% 19.5
04	الثورة الجزائرية والقومية العربية	42	% 21.00
05	مواضيع ثقافية وطنية دولية	84	% 42.00
المجموع		**200**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

نلاحظ من الجدول أن أعلى نسبة هي 42.00% وهي تمثل العنصر الوحدة 05 التي تحمل عنوان مواضيع ثقافية وطنية دولية مقابل نسبة 41.00% للوحدة 04 ثورة الجزائرية والقومية العربية .

تحليل سوسيولوجي :

ومن الجدول نلاحظ أن حوالي 84 صفحة من الكتاب منطلقات فكرية يتحدث فيه عن ثورات العالمية وكذلك دور الجامعة في العالم الثالث ومخلفات الإستعمار وأثرها الثقافي وكيف نتخلص من تبعات ذلك .

كما تكلم عن القومية العربية بعدد صفحات يقدر 42 صفحة دفاعا عنها وأن ثورة الجزائري يجب أن تحافظ على توجهاتها الأساسية .

جدول12 : جدول للكتاب حصاد الخريف

الوحدات	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	قضايا تخص الجزائر اعلامية وعلمية أدبية	48	% 14.50
02	أزمة كرة القدم الجزائر و مصر	28	%8.45
03	التاريخ اميته حركيته	19	% 5.74
04	العلماء و السلاطين والهجرة الأمير عبد القادر و الحداثة	34	% 10.27
05	فن الترجمة وترجمة واد سوف	33	% 9.96
06	مواضيع سياسية (غزة ، ليبيا ، قضية البوسنة)	19	% 5.74
07	أمور تخص اللغة العربية (المجاميع اللغوية ، رؤية نقدية للمجامع اللغوية)	47	% 14.19
08	أدباء ومثقفين (عمر راسم ، بوزيان تلمساني ، محمد ناصر ، ابراهيم زهودي ، عمر دردور..)	103	% 31.11
المجموع		**331**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة هي 31.11% الحديث فيها عن الأدباء والمثقفين والرسامين وذلك في الوحدة رقم 08 مقابل نسبة 14.50% للوحدة رقم 01 بعنوان قضايا تخص الجزائر (اعلامية وعلمية أدبية) ومقابل نسبة 14.91% للوحدة رقم 07 مواضيع اللغة العربية .

تحليل سوسيولوجي :

فمن الجدول نلاحظ أن عدد صفحات التي تبلغ 103 وهو ما يقارب 1/3 الكتاب من حصاد الخريف يتحدث فيها على شخصيات مميزة في الجزائر تاريخيا فنيا وأدبيا تكلم عن عمر راسم ، أحمد معاش ، إبراهيم مزهودي الأديب ، الشاذلي زوكار ، محمد الصالح الجابري وأيضا الدكتور عباس الجاري وهي كلها شخصيات جزائرية حاول تسليط ضوء لما قدمته في تلك الميادين الثقافية والأدبية

جداول 13: جدول لكتاب خارج السرب

وحدات	العناوين	عدد الصفحات	التكرار
01	تخص الثورة و التاريخ	49	% 18.28
02	مواضيع ثقافية مختلفة تخص الجزائر	36	% 13.43
03	ذكريات و تكريمات لشيوخ وأساتذة	18	% 6.71
04	أدباء و علماء وحياة مؤلفين	95	% 35.44
05	أناشيد للوطن و الشعر	18	% 6.71
06	تاريخ الجزائر وبعض الجزائريين في الثورة العربية في الحجاز 1916 – 1919	26	% 9.7
07	العربية و الفصحى العربية والانسانية	26	% 9.7
المجموع		**268**	**% 100**

التحليل الإحصائي:

من خلال الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة هي 35.44% وهي تمثل الوحدة 04 بعنوان أدباء و علماء وحياة مؤلفين مقابل نسبة 18.28% من نص الوحدة رقم 01 وهي تخص الثورة و التاريخ

تحليل سوسيولوجي :

نلاحظ أن حوالي 95 صفحة تتكلم عن سيرة أدباء و علماء وحياة مؤلفين ، و49 صفحة لثورة والتاريخ في كتابة حصاد الخريف ومنه فسعد الله يركز دائما على العلماء والمثقفين والثورة .

الفصـــل السابـــع

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الأول

الفصـــل السابـــــع :

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الأول

- عرض وتحليل جداول الفرضية الأولى
- نتائج الفرضية الأولى

جداول الفرضية الأول :

جدول رقم 14– يمثل علاقة التصوف بقضايا العصر في العهد العثماني

فئة التحليل : الدين والتصوف			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الاستقرار الاجتماعي والسياسي	03	% 4.34
02	الإضرابات السياسية والصراعات المستمرة	14	% 20.28
03	تدخل الأجنبي للجزائر	03	% 4.34
04	التضامن الاجتماعي لدى الشعب الجزائر	07	% 10.14
05	مستوى تعليم والتأليف في قضايا العصر	24	% 34.78
06	العلماء والمرابطون وقيادتهم ودعوتهم للجهاد	03	% 4.34
07	احترام علماء الدين (الصوفية)	06	% 8.69
08	المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وظهور البدع ونزعة للعزلة والزهد	09	% 13.04
المجموع		69	%100

التحليل الإحصائي:

نلاحظ من هذا الجدول أن 34.78% من هذا العنصر مؤثرات في الحياة الثقافية تتطرق إلى مستوى التعليم والتأليف في قضايا العصر مثلما توضح ذلك وحدة رقم 05، مقابل 20.28% من نص مخصص للإضرابات السياسية والصراعات المستمرة مثلما هو مبين في الوحدة رقم 02، ومقابل 13.04% من نص للمبالغة في الاعتقاد في الشيخ وظهور البدع ونزعة للعزلة والزهد مثلما هو مبين في وحدة التحليل رقم 08، ومقابل 10.14% من نص لتضامن الاجتماعي لدى الشعب الجزائري مثلما توضح الوحدة رقم 04، مقابل 8.69% تخص احترام العلماء الدين مع وحدة التحليل رقم 07.

في حين حصلت ثلاث مؤشرات لهذه الفئة على النسب متعادلة ومتساوية وهي 4.34% وتخص الاستقرار السياسي والاجتماعي مع وحدة التحليل رقم 03، وكذلك العلماء والمرابطون وقيادتهم ودعوتهم إلى الجهاد مع وحدة التحليل رقم 06.

تحليل السوسيولوجي:

في هذا التحليل سنحاول أن نركز على دور العلمي والأخلاقي لعلماء الصوفية في الفترة الذهبية بالنسبة لتاريخ الجزائر منذ نهاية الموحدين.

لابد أن نذكر على أن الاتجاه الصوفي نشأ من منطلقين اثنين حسب معرفتنا وثقافتنا البسيطة

1/ هي اتجاه إصلاحي بهدف إلى الرجوع ما كان عليه الخلفاء الراشدون ومن أخلاق وآداب

2/ عندما بدأت تتفرع العلوم الإسلامية من فقه وعقيدة وسيرة وتراجم وتفسير والأحاديث هناك من العلماء من اهتم بما يسمى الإحسان وهي مرتبة إيمانية وذلك عبر مجاهدة النفس ورياضة روحية حتى يغلب على المسلم الجانب الروحاني، هذه من ناحية وناحية ثانية هي تهتم بالأخلاق والتربية في جانب مهم يهم المجتمع الإسلامي.

هذه المقدمة مهمة حتى نفهم دور الصوفية في تلك الفترة الغامضة من تاريخ الجزائر وخاصة في القرن التاسع الهجري (15م) وما خلفته الحضارة الموحدية بحكم الاستقرار والأمن وإزدهار التعليم كثير من العلماء هنا في الجزائر والمغرب العربي عموما.

يعتبر إنتاج القرن التاسع أوفر إنتاجا الجزائر الثقافي ومن أخصبها (عدد العلماء ومؤلفاتهم) حيث وجد سعد الله أسماء المنتجين العلماء خلال القرن التاسع يفوق إنتاج العلماء للقرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر لعدة أسباب سنذكرها فيما بعد.

يعتبر الوضع السياسي متدهور بشكل كبير بعد سقوط دولة الموحدية، والحدود السياسية غير مضبوطة بين دول الرئيسة الثلاث المرينية والحفصية والزيانية ثم زاد ذلك تطاحن الإقليمي وأيضا الداخلي بين العائلات الحاكمة بين بعضها البعض.

ومن سوء الحظ تدخلت الدول الأجنبية (الإسبانية والبرتغالية) بعض المناطق منها عنابة وبجاية وهران، وبدأ في تدخل شؤون داخلية للأقاليم.

وأمام هجرة المسلمين من الأندلس بأعداد كبيرة ودعوة العلماء على تضامن وتكافل الإسلامي وجدوا رعاية والاهتمام بل انخرطوا في كثير من الأعمال والاختصاصات ومنها التعليم.

وفي ذلك العهد كان معظم العلماء هم من الصوفية أو المتعاطفين معها على العموم، وهناك من العلماء من اهتم بأحداث وروح العصر الذي عاشه مثل المازوني الذي تكلم عن الظلم والفساد واللصوص وتهريب السلاح والأوبئة والمجاعات والحروب أرعبت الناس على الهجرة قبل العلماء.

وفي ميدان الجهاد نجد رسالة عبد الرحمان الثعالبي في الجهاد وأمام ضعف القادة السياسيين بعث بالرسائل إلى العلماء إلى القيام بدور المنوط بهم أمام الله وأمام الناس لصد غارات الأجانب أو (بني الأصفر) كما كان يسميهم.

نلاحظ في بداية القرن هذا كثرة العلماء ولكن بعد تلك الأحداث والاضطرابات بدأت الأمور والأوضاع تتغير إلى الأسوأ.

لكن كان هناك بعض المدن تزدهر تعليميا وروحيا وعقليا مثل تلمسان وقسنطينة وهناك عائلات اشتهرت بالزهد والتصوف ومنها عائلة المقري والعقباني في تلمسان وعائلة ابن باديس والقنفذ في قسنطينة وغيرهم، فحتى قيل أن مدارس تلمسان وصلت إلى 50 مدرسة، وكان كل أستاذ مشهور سواء في المدرسة أو الجامع أو زاوية هي المنبع الذي ظل يغذي أجيال المتعلمين.

وغلبت على التعليم روح النظرية كعادة المغاربة عموما وبعدما كان الموحدين يشجعون العلوم العقلية والفلسفية وتأخر فقهاء المالكية، إلا أن الأمر اختلف فيما بعد وأفسح المجال أمام الفقهاء المالكية وأنشأت مدارس لهم والعلوم العلمية مثلا كالطب بقت في تلمسان.

وبخصوص الهجرة الأندلسية لقد احتكروا ميدان التعليم في المغرب العربي ولا سيما في الحواضر ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم وعدم الاقتصار على التعليم الأطفال حفظ القرآن بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد المختلفة العامة.

ويعتبر محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الثعالبي من أكبر الزهاد والعلماء القرن التاسع قد جمع بينهما الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي وانتفع بكل منهما خلق كثيرا، ورغم شهرتهم فكل منهما كان يحث العزلة والهروب من الدنيا وعلومها والاهتمام بعلوم الآخرة والتفرغ لها.

عموما كان الوضع يسوء والعلماء بين الهجرة وبين تحول إلى العزلة وتدريس في أماكن مخصصة ومعلومة، فجاءت دعوة الفكون إلى الإصلاح بعدما اتضح أن أدعياء الصوفية والمرابطون انحرفوا على الجادة في حين بقى كثير من طبقات المجتمع تثق في الولي الصالح وفي العلماء فانتشرت كثير من زوايا والقباب والمقامات والمظاهر الغريبة بشكل مبالغ فيه.

وبالتالي انحرف التصوف بالنسبة كبيرة عن أصوله الأولى وقد أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ إلى نتيجتين خطيرتين أولهما بسيط المعرفة وثانيتها غلق باب الاجتهاد يقول العلامة أبو القاسم سعد الله

(وهكذا تدهور مستوى التعليم وهذه المنافسة بين العالم والمرابط أو الجامع والزاوية قد أجبرت أيضا علماء المساجد والمدارس على تبسيط أرائهم وطرقهم في التعليم ومحتويات دروسهم حتى لا يفر الطلبة إلى الزوايا والمرابطين)

أما كثرة التأليف فترجع إلى كثرة العلماء في الفترة الأولى خصوصا.

وهكذا أصبح التعليم لضمان لقمة العيش لا من أجل رفع مستوى التعليم أو المساهمة في ترقية الحياة الفكرية عموما برغم من تدهور الذي حصل في كثير من المجالات إلا أن الجزائر كما يميزها تاريخيا ظهور الحواضر العلمية بين الفترة والأخرى ما إن تتأخر واحدة تتقدم الأخرى لكن عموم المستوى التعليمي والسياسي والاقتصادي بدئ في تأخر كبير.

أما بالنسبة للمجتمع من ناحية روابط الروحية كان أكثر تمسك بالقيم الاجتماعية والأخلاق والاحترام المتبادل وإن انحرف إلى القدسية الأفراد والمشايخ نوعا ما، لكن عموما بقى عصر الصوفية واتجاهها هو المسيطر على العلماء وعلى الساحة عموما، وبهذا تصور العقائدي نضجت تلك القيم وفق نسق عوامل مختلفة في وسط مجتمع الإسلامي وفئاته عموما.

وهذا يؤكد ما ذهب إليه سعد الله في بداية الكلام السابق أن أي أولوية لمشروع نتكلم عنه لابد أن يسبقه دراسة للوضع الاجتماعي والسياسي والأمني والاقتصادي، أما التأليف وكثرته فهو تحصيل حاصل لمنظومة متكاملة.

جدول15 : يبين إنحراف التصوف ودعاوي التجديد

فئة التحليل: انحراف الصوفية ودعوى الإصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	– عصر الذهبي لصوفية (اجتماعيا وسياسيا)	07	13.20
02	– العثمانيون والصوفية (تكوين روحي، ديني ...)	04	%7.5
03	– دعوة علماء الصوفية للجهاد	04	%7.5
04	– الطريقة القادرية والشاذلية في الجزائر	07	%13.20
05	– الصوفية ونشر العلم والأخلاق الفاضلة (من المدن إلى الأرياف)	06	%11.32
06	– إكثار الهدايا والعطايا من طرف العثمانيين إلى المرابطين وتدعيمهم	08	%15.09
07	– فساد أدعياء الصوفية وأثرها على الدين والأخلاق والمجتمع والسياسة	07	%13.20
08	– دعوة الإصلاح للعلماء	05	%9.43
09	– إصلاح النفس وتدريس كتب التصوف وانتشارها	05	%9.43
المجموع		53	%100

القراءة الإحصائية:

نلاحظ من الجدول وجود 9 وحدات تحليل تعبر عن مدى انحراف الصوفية على أهدافها على عدة مستويات، إذ أن 15.09% من نص يبين تحالف الذي وقع بين العثمانيين والطرق الصوفية وإكثار الهدايا والعطايا لتدعيمهم وبالمقابل ذلك رضا أقطاب الصوفية وإعطاء الشرعية للعثمانيين وذلك في الوحدة رقم 06، بالمقابل نجد نسبة 13.20% نسبة متكافئة بين الوحدات التالية وحدة 01 عصر الذهبي لصوفية ووحدة رقم 04 الطريقة القادرية والشاذلية في الجزائر ووحدة رقم 07 التي تخص فساد أدعياء الصوفية وأثرها على الدين والأخلاق والمجتمع والسياسة بالمقابل أيضا نجد نسبة 11.33% أي الصوفية ونشر العلم والأخلاق الفاضلة وانتقالهم من المدن إلى الريف في الوحدة رقم 05.

وكذلك نجد نفس النسبة 9.43% للوحدة 8 في دعوة إلى إصلاح الصوفية والوحدة رقم 09 إصلاح النفس وتدريس كتب الصوفية وانتشارها.

التحليل السوسيولوجي:

نلاحظ تاريخيا أن ظهور دولة العثمانية على المسرح السياسي تزامنت مع ظهور أقطاب الصوفية المعروفين مثل الغزالي الحلاج وابن العربي وابن الفارض وجلال الدين الرومي وعبد القادر الجيلالي وتبعه ظهور علماء لهم الأثر البارز في التصوف وهم أبا الحسن الشاذلي وابن مشيش وأبا مدين (بجاية) وأحمد زروق (المغرب العربي) وفي الجزائر وجد العديد من هؤلاء قبل مجيء العثمانيين فعند الرحمان الثعالبي ومحمد الهواري وإبراهيم التازي وأحمد بن عبد الله ومحمد بن يوسف السنوسي كانوا ألمع أولئك الرجال فالحركة الصوفية قبل العثمانيين كانت مزدهرة.

أما الترك فهم في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية، فالطريقة البكداشية كانت منذ ظهورهم تقودهم وتؤثر فيهم وتحميهم وتدفع بهم إلى الجهاد والمغانم وتبارك

أعمالهم، فكانوا يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون، ويعلنون الولاء لها قبل المعارك خاصة، فوجودهم في الجزائر يرجع إلى سبب الحروب الصليبية وبسبب ضعف الولاة والانقسامات المعروفة تحالفوا مع الطرق الصوفية فقبل مجيئهم كانت طريقة الشاذلية والقادرية ذات نفوذ كبيرين.

وفي هذه الفترة انتشر التصوف والتعليم والتربية بشكل ملفت والأدب الشعبي في ذلك العهد يدل على ذلك مثل كتاب (البستان)، وانتشر التصوف بداية في المدن الكبيرة بجايةن تلمسان، وهران الجزائر وبسبب ضعف الإدارة انتقل إلى الريف بسبب كثرة الظلم والفساد فأصبحت هي نفسها ملتقى لنشر العلم وبث الأخلاق الفاضلة والتحريض على الجهاد ضد العدو ومنه تولت عبئا كبيرا كان من قبل اختصاص الدولة.

فكان هناك تحالف بين الطرق الصوفية والعثمانية وكانت الهدايا والعطايا لا تنقطع عن الصوفية من طرف العثمانيين خاصة في ظل نجاحهم، ويسهلون العثمانيين عمل المرابطين وكانوا يغطونهم ويعفونهم من الضرائب، وظهر أدعياء الصوفية وأيضا الصوفية الحقيقية من المشرق والمغرب لأن المجال مفتوح هنا في الجزائر وانتشرت طرق الصوفية بكثرة وزاد عدد الأضرحة والزوايا والمشاهد والحضرة والذبائح بشكل، وهكذا غرقت الجزائر في هذا الاتجاه وحتى الفقهاء أصبحوا يتباهون بالطرق والأذكار وأخذ الخرقة والسبحة والمصافحة لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا.

أما العامة فلا تسأل عن عقائدها ومستواها الخلقي والاجتماعي وأما أخطاء الأتراك والعثمانيون والظلم الذي قاموا به انقسم العلماء بين المعارض والمؤيد والمحايد، فمنذ أواخر القرن التاسع (15) بدأ العلماء رجوع إلى التربية النفس أولا علماء الصوفية حيث حث محمد السنوسي على العناية بالأولياء والصلحاء المعاصرين بدل الاهتمام بالغابرين منهم، وقد نقل عنه أنه قال (إن النفوس في هذه الأزمنة المتأخرة قد يمنعها من الاجتهاد في العمل الصالح ورياضة النفس عنها أن الولاية قد طوي بساطها فترى أن الاجتهاد لا فائدة منه)

وبدأ ظهور التأليف والاهتمام بالمعاصرين على الخصوص ابن صعد والملالي والصباغ وابن مريم صحاب كتاب (البستان) والفكون وغيرهم فكتبوا عن الأولياء والصلحاء في مختلف العصور وبدأ التدريس كتب الصوفية (الحكم) و(التنوير) لابن عطاء الله.

ظهر ابن فكون ونادى بالإصلاح ويذكر أن الغزالي ذكر انحراف متصوفة زمانه وخصالهم الخارجة عن التصوف الحقيقي قال:(هذا في زمنه فكيف بزماننا) وكان أقوى رد لانحراف الصوفية هو صوت عبد الكريم الفكون في (منشور الهداية) وتبعه عدد من العلماء والمتصوفة الحقيقيين.

ويتضح من ذلك أن التصوف في عهد العثماني شمل مختلف القطاعات وجذب إليه العامة وهذه الظاهرة امتدت مابين القرن 10 (16م) إلى أوائل القرن 13 (19م) والذي يدرس الوضع الاجتماعي والسياسي والمداحون يعرف أثر ذلك كله.

ويذكر العلامة أبو القاسم سعد الله ذلك متألما عن الوضع العلمي والعقائدي والاجتماعي بقوله " ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه علماء أوربا ينادون بالحرية العقلية لتحرير العامة من ريقة الخرافات ويبدعون علوما وفنونا للنهوض بالإنسان كان مرابطو الجزائر يلبسون على العامة ويستغلونها أشنع استغلال ويغرقون في ظلام دامس"[1]

والذي يمكن قوله عموما كما أن الصوفية أثرت بالطريقة الروحية على أتباعها سياسيا (دولة العثمانية) أو تربوية علمية (العلماء) وكانت عماد الجهاد والتربية والتعليم والمحافظة على الدين غلى أنها أصابتها هي الأخرى شوائب أثرت في نسق المجتمع ككل وخاصة في جانبه الروحي الذي كان مصدر قوة وأساس لتعلم والتربية أصبح معول هدم العقول العامة وسيطرة عليهم باسم الدين ومن أجل الاستفادة من متاع الدنيا المادي تارة أو السلطة تارة ثانية وأيضا وربما المركز وثقة عند المواطن فأصبح المجتمع فاسد في كثير من المجالات إلا أن دور تعليمي بقى محافظ

[1]– تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 482.

على روحه الأولى ولو أن العلماء بدأو يلجئون في أغلبهم وراء المادة، حاصة بعد رواج التجارة بسبب قوة الأسطول الجزائري.

وهكذا بدأ العلماء في المناداة إلى الإصلاح والتجديد مرة أخرى، وهذه المرة على يد عبد الكريم الفكون في منشور الهداية ولقد قام العلامة أبو القاسم سعد الله بعملية التعليق وتعريف وتلخيص لهذا الكتاب، فمن خلال استنطاق التاريخ للعلامة أبو القاسم سعد الله وجد أهمية الإصلاح والتجديد في النفوس والتعليم والسياسة.

أيضا يمكن معرفة أن الجوائز والهدايا لا تسلم من أجل مصالح ذاتية شخصية أو لمصلحة فئة أو طريقة ما ولكن للذي يكون أهلا لها ويستحقها، فنتيجة ما حدث في العهد العثماني من أهم مساوئه عدم الاستفادة من خيرات الشعب واقتصاده وتجارته رائجة، بل ترك مجال التربية والتعليم مفتوح للعامة، وأهل البلاد لا شك أنهم رضوا بذلك أو شجعوه فكانت النتيجة عكسية انتشار الفساد بأنواعه.

جدول 16:يظهردور الطرق الصوفية والزوايا في التربية والجهاد في العهد الإستعماري

فئة التحليل الصوفية بين الجهاد والتربية مع بداية الاستعمار (تربية روحية)			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	دراسات فرنسية حول خطورة الطرق الصوفية	12	% 20
02	التراث الديني الهام الموجود في زوايا المساجد و خاصة الحواضر	07	% 11.67
03	تنظيم والانضباط وجمع المال عند زوايا المرابطين من اجل الجهاد	10	% 16.66
04	وظيفة اجتماعية ودينية للزوايا	06	% 10
05	حاجة فرنسا لدعم الطرق الصوفية وتحالفها معهم	14	% 23.33
06	عملية التطهير والتجديد عند العلماء	04	% 6.66
07	تأثير روحي للصوفية في الوحدة والتفاهم والمقاومة	02	% 0.30
08	عرقلة الاستعمار بسبب ثورة أصحاب الطرق الصوفية	05	% 8.33
المجموع		**60**	**% 100**

القراءة الإحصائية:

نلاحظ من الجدول وجود 08 وحدات تعبر عن تأثير الصوفية وعلاقتها بالجهاد اذ أن نسبة 23.33 % من نص تبين حاجة فرنسا لدعم الطرق الصوفية وتتحالف معها وذلك في الوحدة رقم 05 مقابل 20 % للدراسات حول خطورة صوفية في الوحدة رقم 02 مقابل 16.66 % من نص يبين تنظيم وانضباط في جمع الأموال عند زوايا والمرابطين من أجل الجهاد في الوحدة رقم 03 ، ومقابل أيضا 11.67 % لأهمية التراث الديني الهام الموجود في زوايا والمساجد وخاصة الحواضر وذلك في الوحدة رقم 02 ، وكذلك لدينا 10 % تبين وظيفة الاجتماعية والدينية للزوايا في الوحدة رقم 04 ، ومقابل هناك 8.33 تمثل عرقلة الاستعمار بسبب ثورة أصحاب الطرق الصوفية في رقم الوحدة 08 ، وأيضا نجد نسبة 6.66 % عملية تحديد وتطهير للعلماء الصوفية في الوحدة رقم 06 .

وكذلك نجد 0.30 % من نص تاثير روحي والاجتماعي للصوفية في الوحدة رقم 07 .

التحليل السوسيولوجي :

تاريخيا نقول ان التصنيف الفرنسي يصنف الاحتلال الى ثلاث مراحل(1830 – 1860) وهي قوة عاتية وثورية ثم يأتي مرحلة المملكة العربية (1860 – 1870) تضاءل دور كبار الأعيان وحكام الخيام الكبيرة ثم عادت قوة الاحتلال بعد ثورة 1871 فضربت فرنسا في عمق الجزائر .

ونشئت قوانين جائرة في حق السكان ، فكان رجال الزوايا والمرابطين والطرق هم الملجأ الآمن للناس الى أن انتهجت فرنسا طريقة أخرى في تعليم تعتمد على تشجيع الفرنسة (تعليم بلغة المستعمر) وتشجيع العلماء الرسميين ، وفتحت النوادي وعندما ظهرت الحركة الإسلامية (ج ع م) في العشرينات والثلاثينات حاولت فرنسا تشجيع الطرق الصوفية لإعادة توازن دعاة الوهابية والعروبة والإسلام السلفي .

وهناك من يؤرخ على ثلاث مراحل أيضا (1830 – 1900) خلالها كانت الطرق الصوفية معارضة للاحتلال ومابين (1900 – 1920) تبنت فرنسا سياسة جديدة واعتمدت عليهم بطريقة مكشوفة ثم ظهر جيل الاصلاح للجمعية في ظاهرة دورية .

بعض دراسات ترى أن طرق الصوفية حلوا مكان زعماء العشائر ما بين(1863 – 1873) وبالتالي نادت الدراسات الفرنسية بمحاولة ميل طرق الصوفية بالوظائف والتحكم في مداخيلهم وإعطاء امتيازات لهم ، لكن مابين (1882 – 1891) حدثت ثورة بوعمامة وبدأت ضغوط على بعض الزوايا .

وبفضل دراسات متعددة للمستشرقين أعطوا عدة اقتراحات مثل نشر المدارس الفرنسية لتتخلص من رجال الدين ومضايقتهم ماليا وسياسيا واجتماعيا ، لكن الذي وقع أن الزوايا المستهدفة من طرف الاستعمار زادت قوتها وتعاطف المجتمع معها مثل الرحمانية (الشمالية) و الدرقاوية برغم ميل الطريقتين الى التقشف منها الى الحياة الرغدة .

ومرة أخرى عملت فرنسا من اجل الحد من تأثيرهم عرضت عليهم الوظائف بكل الطرق والمساعدات فبدأت تعمل على تهدئة الأوضاع لصالح السلطة الاستعمارية ، لكن فرنسا ذهبت أبعد من ذلك هندما استعملتهم ووظفتهم لمعارضة التيارات الإصلاحية التي ولدت في الجزائر منذ 1920 مثل حركة الأمير خالد ونجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين 1931 .

وبالرغم من ذلك نجد أن الأوضاع و التحولات الاجتماعية كانت كبيرة فمن أجل التوازن بدأت في استعمالهم مرة أخرى ، وجاء الإصلاح من طرف الصوفية نفسها مثل الشيخ احمد بن مصطفى بن عليوة الذي اعتبروه الفرنسيين نموذجا جديدا للتصوف العصري ، وهي تختلف في أسلوبها عن طرق الصوفية الأخرى فالإدارة الفرنسية راضية عنها اذ لم تكن مشجعة لها ثم بدأت الهجومات من الاتجاه الإصلاحي على ظاهرة المرابطين والشعوذة والبدع والخرافات والعقائد الضالة وتخدير الناس .

لقد راهنت فرنسا على أن جمعية العلماء المسلمين عندما قبل اعتمادها على انها تقضي على النشاط الشيوعي الذي كان مسيطرا على الأوساط في الأهلية في نظر الإدارة ، فنشأت عدة مؤتمرات وجمعيات لإحياء الصوفية (رابطة طرق الصوفية) (مؤتمر رؤساء الطرق الإسلامية) .

لكن كل هذا العمل الذي كان مواز لعمل جمعية العلماء المسلمين لم ينجح في عرقلة الإصلاح المأمول من طرف الصوفية .

على العموم يمكن أن ندرك بسهولة أن دور الطرق الصوفية غي المقاومة لن تستطع أن تواجه ذلك مباشرة فالسلطة الفرنسية عسكريا أقوى ثم الوحدة بين أبناء طرق الصوفية كان صعبا .

مع ذلك نجحت في عرقلة الاستعمار وجمع شمل المسلمين الذين يرفضون التدخل الأجنبي أكثر من مرة ، ثم تفشى داء الجهل والخرافة الذي زعزع ايمان الجزائريين بزوايا خاصة المدن

لعلاقتهم بالعلماء وأيضا الحضارة الغربية العلمية ، ولكن بقي دور التضامني والتعليمي وحفظ القران الكريم والتعريف بالإسلام ومبادئه عند الناشئة يرجع لها الفضل في ذلك .

أما جهادها فهو مشهود من الأمير عبد القادر الى مقاومة الشيخ بوعمامة ولا لا فاطمة نسومر

فبالرغم من السلبيات فان معظم الذين قاموا حركات التحرير والإصلاح تخرجوا من هذه الزوايا معظم الشيوخ العلم تلقوا التعليم فيها مثلا منطقة الجلفة وبوسعادة فزاوية الهامل كانت هي المعقل الأساسي للعلم والدين واللغة وكان منهم الأدباء والمدرسون والقضاة .

لقد كان للدراسات الفرنسية الدور الكبير في توجيه السياسة الفرنسية فاستطاعت بمكرها أن تحيد الزوايا من صراع .

فلهذا نجد كثير أما ينادي أبو القاسم سعد الله بالمنهجية العلمية .

جدول 17: يمثل علاقة العربية في التعليم الديني والتواصل الإسلامي

فئة التحليل : القران واللغة العربية			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**اللغة**
01	انتشار الإسلام والاهتمام بالقران الكريم وحفظه	04	% 17.39
02	القران الكريم ودراسة اللغة العربية	05	% 21.73
03	علوم اللسان لفهم الشريعة وأحكام القران	06	% 18.75
04	الجالية الإسلامية بالغرب والقران الكريم	02	% 8.69
05	الكتاتيب و زوايا والمساجد والاعتناء بالقران الكريم	06	% 18.75
المجموع		**23**	**% 100**

القراءة الإحصائية :

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن 21.73 % من نص مخصص للقران الكريم ودراسة اللغة العربية لفهمه وذلك في الوحدة رقم 02 ، في حين حصلت الوحدة 03 علوم اللسان لفهم الشريعة وأحكام القران مع وحدة رقم 05 الكتاتيب وزوايا والمساجد والاعتناء بالقران الكريم على 18.75 علوم اللسان لفهم الشريعة وأحكام القران لكل منهما .

مقابل 17.39 علوم اللسان لفهم الشريعة وأحكام القران انتشار الإسلام والاهتمام بالقران الكريم وحفظه في وحدة رقم 01 في حين لم تكن للوحدة رقم 04 الجالية الإسلامية بالغرب والقران الكريم سوى 8.69 % .

القراءة السوسيولوجية :

ان اللغة هي الوسيلة لفهم القران ومعرفة أحكامه بل هي تعتبر عن الثقافة الاسلامية عموما وباعتبار القران الكريم هو ركيزة الأساسية الأولى التي يقوم عليها الإسلام ، فنجد أن المسلمين أول ما يبدؤون في تعلمه هو القران الكريم .

فعادة ما تلجأ المناطق التي يشملها الإسلام في حفظ القران الكريم وفهمه ومعرفة الأحكام المتضمنة فيه ولا يكون ذلك إلا بمعرفة علوم اللغة أيضا .

وسريعا ما تسربت العربية في تلك المناطق الى التعليم والقضاء والادارة والجيش فأصبحت لغة رسمية .

فمن أجل فهم أبعاد الآيات والإعجاز العلمي والبيان الروحي والعقائدي لابد من الرجوع الى اللغة ومعرفتها فمن هنا كانت أهميتها في التعليم والثقافة عموما وحتى على المستوى الرسمي ثم على مستوى الحياة اليومية ، فهي لسان الحال الناقل للوحي وبيانه ولعبت هجرة القبائل العربية من أجل الفتح والاستيطان الى المناطق الأخرى كالمغرب العربي وأيضا مصر والسودان . وباعتباره قوة المسلمين جعلت الشعوب وأهل الذمة لتتطلع الى التخلص من الجزية والتمتع بما ينعم به المسلمين من امتيازات اجتماعية وسياسية واقتصادية .

ولما جاء الدخيل الذي لا يحسن العربية ولا يعرف قراءة القران وبمخالطة العجم للعرب فتأثرت ملكتهم العربية ، فاعتراها الفساد ومن أجل وضع قواعد خوفا على سوء فهم القران الذي هو دقيق ، وفيه كثير من الوصف البديع والبيان المعجز لا يمكن تحريفه ، وأول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي وغيره من العلماء اللغة كسيبويه فعلم البيان اشتهر به المشارقة واعتم به المغاربة بعلم البديع .

فبعض دراسات تقول أن الجزائريين قاطعوا الفرنسية في سنوات الأولى خوفا على أبنائهم الابتعاد عن لغة القران والإسلام .

فاليوم الجاليات الإسلامية بدون استثناء فهي تجعل اللغة العربية ودراستها موضع العناية من أجل الحفاظ على هويتها في الخارج .

لقد كان التعليم في البداية شفويا وكان الهدف منه نشر تعاليم القران الكريم والسنة النبوية وعلومهما وكانت أداة تعلم هي العربية ، ولقد حافظ هذا التعليم الديني على ثقافة العربية الإسلامية .

كما كان دور الكتاتيب والزوايا والربط والمساجد والمدارس دور كبير على المحافظة على اللغة ، ومن هنا نجد من المعالم الكبرى التي يعتمد عليها العلامة سعد الله في مشروعه التربوي الثقافي اللغة والمؤسسات كما هو واضح .

فيقول ابو القاسم سعد الله :

" ورغم ما يوجه إلى الزوايا من نقد فإنها حافظت على تعاليم القران الكريم واللغة العربية ، ولاسيما في المناطق التي لم يدخلها الإسلام عن طريق الفتح " .

جدول 18 : يظهر علاقة الكتاتيب في ترسيخ القيم الاجتماعية

فئة التحليل : القيم الاجتماعية (الأخلاق)			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	الأسرة و التعليم القرآني	5	% 18.51
02	تضامن الأسر مع المؤيدين وعلاقتهم بحافظ كتاب الله	7	% 25.92
03	تعليم المرأة	2	% 7.40
04	الاحترام و النظام ودراسة الجماعية تعاونية داخل الكتاتيب	7	% 25.92
05	العقوبة والتأديب لطالب ودور الأولياء	4	% 14.81
06	الطريقة البيداغوجية الجيدة في تعليم القران	2	% 7.4
المجموع		**27**	**% 100**

القراءة الإحصائية :

نلاحظ من الجدول ان نسبة 25.92 % من نص ترجع إلى الاحترام والنظام ودراسة الجماعية وتعاونية داخل الكتاتيب في الوحدة رقم 04 وبنفس النسبة نجد تضامن الأسر مع المؤدين و علاقتهم بحافظ كتاب الله في الوحدة رقم 02 بالمقابل نجد نسبة 18.51 % تخص الأسرة والتعليم القرآني في الوحدة رقم 01 كما أن نسبة 14.81 % تعني بالعقوبة والتأديب لطال ودور الأولياء وذلك في الوحدة رقم 05 ، وكذلك نجد أن وحدة تحليل رقم 03 تعليم المرأة بالنسبة 7.4 % وهي نفس النسبة للوحدة رقم 06 طريقة بيداغوجية جيدة في التعليم القرآني .

التحليل السوسيولوجي :

ان كلام أبو القاسم سعد الله عموما عندما يتكلم عن القران الكريم وربطه بالتعاليم وبالمنظومة التربوية الثقافية للمجتمع عموما نجده يؤكد دائما في كتاباته ، ودارس التاريخ الحقيقي هو الذي يعرف حقيقة أبعاد الظواهر سواء الاجتماعية أو التربوية من بعد روحي وأخلاقي ونفسي ، وطالب القران يعيش في هذا الجو وخاصة إذا ما تأملنا وضعية الطلبة في الكتاتيب بشكل دائري ، هذا ما توارثته الأجيال فهو إحدى المظاهر التي تتكلم عنها ، فمن مظاهر التضامن الأسري مع معلمي ومؤدبي التلاميذ نجدهم يعطونه الأجر وان لم يجدوا ذلك فالنقود أسبوعيا ، وان لم يكن فيرسلون أشياء أخرى مالية الى المؤدب كالثياب والحطب و الزيت والقمح وهكذا .

والغالب في سن تلاميذ هو السادسة الى رابعة عشر حتى يختم القران الكريم مرة أو عدة مرات ثم يتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين في الغالب .

كما أن تضامن المجتمع مع المؤدب باستدعائه لحقل الطفل الحافظ للقران وتكريمهما ويشترك الجيران في تبادل التهاني والأفراح ويقدمون الهدايا لطالب المؤدب الذي بفضله نجح التلميذ .

وفي دراسة يشترك الجميع غي القراءة فتختلط الأصوات ويحدث الضجيج ،أما في خصوص العقوبة نجدها أحيانا بالكلام ومرة بتسليط ما يعرف (الفلقة) عليه فيضرب ضربا مبرحا أحيانا ، وأغلب الآباء راضون بتصرف المؤدب وهو موضع ثقتهم ويوجهون اللوم الى التلميذ .

كما أن التعليم المرأة لم يكن لها نصيب في العهد العثماني ولم يهتموا بها لكن توجد نماذج يقول سعد الله كما ذكر محمد بن سليمان أن العالم الصوفي عبد الوهاب بن حميدة كان شيخا لأمه ، وأخبر أبو نواس أن أمه كانت كرابعة العدوية علما وتقوى أما الورتلاني الذي طالما هاجم سفور المرأة حتى الريفية ، كما فعل مع نساء الزمرة فقد ذكر أن إحدى زوجاته كانت تحفظ ربع القران والوظيفة الزرقاوية "

ونحن يمكن أن نفسر ذلك بإسقاط واقع الاجتماعي والاتجاه العام الذي كان غالبا هو التصوف ، فلا عجب أن تظهر من نساء من يحسن هذا المجال خاصة إذا وجدوا الذي يدعمهم أو الوسط الملائم .

وهناك من المؤلفين من أشاد بالطريقة البيداغوجية التي كانت متبعة في ذلك الوقت يقول سعد الله :" وكانت العلاقة جيدة بين التلاميذ والمؤدب ، وعي تقوم على مبدأ احترام الصغير للكبير القائم عليه المجتمع كله ، وعلى مبدأ أخر هو احترام حفظة القران ورجال العلم " ، فطبيعة الاحترام موجودة في ذلك المجتمع .

وبإسقاط ذلك مرة أخرى على مجتمعنا نجد أن الفرق أصبح شاسعا في هذا المجال صحيح أن الظروف تغيرت والوسائل تبدلت والبيئة مختلفة والتغير سريع ، لكن أن تتقلص تلك القيم وتنتقل إلى مفهوم آخر وهو العنف ، في حين نجد أن الدول الغربية يتمسكون بكثير من المبادئ التي كنا نحن كنا نقوم بالدعاية لها هذا يعني الكثير .

إذا فلابد من الرجوع إلى الأبعاد النفسية العاطفية الحيوية لروابط اجتماعية وانطلاقا من القران الكريم .

فمن هذه المبادئ الأساسية لهذا المشروع هو إحياء تلك القيم الإسلامية الأخلاقية المستمدة من الثقافة الإسلامية .

جدول 19:يبين علاقة المدارس القرآنية بالمحافظة على الدين

فئة التحليل : خدمة المدارس القرآنية للدين			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	السياسة الفرنسية اتجاه المدارس القرآنية	14	% 25.92
02	التعليم القرآني بين المدن و الريف	10	% 18.51
03	حفظ القران وربطه بالبرنامج التعليمي	08	% 14.81
04	اعتماد التعليم القرآني على الطريقة التقليدية (الحفظ دون الفهم)	09	% 16.66
05	أهمية المدارس القرآنية	13	% 24.07
المجموع		54	% 100

القراءة الإحصائية :

من خلال الجدول نجد أن نسبة 25.92 % من نص ترجع إلى السياسة الاستعمارية اتجاه المدارس القرآنية وذلك في الوحدة رقم 01 ، مقابل نسبة 24.07 % لأهمية المدارس القرآنية في المحافظة على الدين الإسلامي ومقوماته في ذلك في الوحدة رقم 05 ، في حين ان نسبة 18.51 % من نص ترجع الى واقع التعليم القرآني في المدن والريف ، وذلك في الوحدة رقم 02 مقابل نسبة 16.61 % من نص تتكلم عن اعتماد الكتاتيب على طريقة التقليدية في الوحدة رقم 04 ،كما أننا نجد أقل نسبة وهي 14.81 % تتكلم عن علاقة التعليم القرآني بالبرامج التعليمية الأخرى في الوحدة رقم 04 .

القراءة السوسيولوجية :

كما ذكرنا سابقا أن مشروع العلامة سعد الله دائما ينطلق من الوضع السياسي ثم الى واقع التعليم وأخيرا الى معالجة ذلك الوضع .

ونحن بذلك نجده يركز على واقع التعليم القرآني انطلاقا من السياسة الفرنسية التي تضع أهم أهدف لها هو القضاء على الدين والتقليل من أهميته .

لقد ذكرنا أيضا ذلك سابقا تلك الدراسات التي أعطت أولوية كبيرة يظهر إلى التدريس عموما ، وبشكل أساسي التعليم القرآني ورأوا أنه تعليم قاعدي تبنى عليه الدراسات الإسلامية في البلاد وفي العالم الإسلامي كله ، فإذا حاربوه ومنعوه ثارت عليهم ثائرة سكان فاتفقت كلمتهم على الإبقاء عليه مع تجريده من مؤسساته في المدن ، والتحكم في المؤدبين من الناحية المالية والفكرية وقطع تواصل بينهم وبين التعليم المتوسط والثانوي ومنع المؤدبين من تجاوز الحفظ إلى الفهم أو مواد دراسية أخرى والغرض تجميد الفكر والعقول.

وتبنوا سياسة الهدم والعزل لتلك المدارس ووضع مدارس فرنسية موازية كل مرحلة فيها أكثر خطورة من الأخرى ، في البداية سمحت بدراسة القران في تلك المدارس الفرنسية ثم نزعتها ثم سمحت بتوغل الآباء البيض ، وفي هذه المرحلة حاولت أيضا القضاء على التعليم القرآني في الريف وذلك منذ بداية 1871 بسبب الثورات .

بالمقابل هذا كله نجد أن المجتمع الجزائري حافظ على التدريس القرآني وخاصة في زواتيا ويرجع ذلك الى تضامن الشعب الجزائري ، فتدريس صحيح بالأجر ولكن للفقراء كثيرا ما يكون فيه تسامح من طرف المؤدب .

وكانت الدراسة تعني الأسس الأولى للقراءة والكتابة ن صحيح انه تقليدي لكنه في هذه المرحلة يهدف الى المحافظة على الهوية والدين خصوصا.

يقول العلامة أبو القاسم سعد الله :

" وتقوم المدارس القرآنية بتعليم وتحفيظ القران وتعليم القراءة والكتابة والرسم القرآني ، إلى جانب التربية الدينية كالعقائد وحفظ بعض الأحاديث وأداء الصلوات وحسن الأخلاق ، ومن الخطأ حصر دور المدارس القرآنية في تحفيظ القران الكريم لأنه في الواقع يمتد إلى التربية الدينية والأخلاقية ، وهذا هو الجانب الذي أراد الفرنسيون القضاء عليه مع احتفاظهم باستظهار التلميذ للقران فقط " [1] .

ومن هنا يمكن القول أن طبع الإنسان الجزائري يفضل الدراسة القرآنية التي لها أبعاد روحية ودينية على المدارس الغربية في حد ذاته ، إلا أن مغريات الحياة المدنية ورواجها اليوم جعلت من المدارس القرآنية أقل اهتماما .

ومنه يتأكد للعلامة أبو القاسم سعد الله كحقيقة ثابتة أن الجزائريون مستعدون للتطور لو وجدوا من يأخذ بأيديهم إليه وذلك بتنظيم المدارس القرآنية وربطوا بين أجزاء التعليم ومناهجه ،ولقد نجحت مدارس الإصلاحية في عهد ابن باديس من ان تأخذ العلوم الأخرى كمكملة له بتدريس العلوم العملية واللغات في مرحلة لاحقة ، وتكون الرابطة بين المساجد والمؤسسات التربوية عموما والمدرسة القرآنية عموما قوية ، فالدين يمثل التدريس القرآني في التعليم والقران الكريم كمصدر أساسي للتشريع ، هوله بالفعل تأثير روحي كبير على الفرد والمجتمع.

ومنه نستطيع القول أن القران قد أسس ورافق نشأة الأمة وأرسى أيضا قيم وقواعد اجتماعية أي أيضا ممارسة السوسيولوجية انطلاقا من التحولات النابعة من مجتمعه في مسار الانحطاط أو الإصلاح أو التغيير أو المقاومة تقصد بها الفكرية والروحية وهو أداة تدفع الى ذلك ، وكان احد أهم الأسس التي اعتمد عليها المجاهدون إبان الثورة التحريرية المجيدة .

[1]- أبو القاسم سعد الله (ت ج ت) .مرجع سابق ، ج 3 .ص57

جدول 20: يمثل علاقة اللغة وعلومها بالمحافظة على التراث

فئة التحليل: اللغة والمحافظة على التراث			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	اهتماماتهم بكتب النحو و الصرف	15	%37.5
02	تأثير أهل الأندلس في علم النحو	05	% 12.5
03	العلماء و التأليف	14	% 35
04	كتب التراث النحوية والاهتمام بها	06	% 15
المجموع		**40**	**% 100**

التحليل الإحصائي :

نلاحظ من الجدول كما نرى وجود 04 وحدات تحليل تعبر عن أهمية التراث الوطني في اللغة العربية ، اذ أن 37.5 % من نص تبين الاهتمام بكتب النحو والصرف في رقم الوحدة 01 مقابل 35 % من نص العلماء والتأليف في رقم الوحدة ، رقم 03 كما نجد نسبة 15 % للاهتمام بكتب التراث والاهتمام في الوحدة رقم 04

في حين لم تحصل الوحدة رقم 02 الا على نسبة 21.5 % والذي هو تأثير علماء الأندلس في علم النحو في الجزائر .

التحليل السوسيولوجي :

عموما في ظل الدولة العثمانية لم تزدهر الثقافة الإسلامية في الجزائر ومن ضمن ذلك كما تكلمنا عن الأسباب عدم اهتمام العثمانيين بالثقافة وأيضا التعليم ومنه بقى ذلك على الجهود الفردية وإرادة المجتمع في التعليم وخاصة في ظل تنافس اللغة التركية وبعض اللغات الأجنبية التي يتكلم بها الباشوات كل حسب أصله .

كل ذلك أثر على اللغة العربية وعلومها وبالرغم كذلك نجد هناك اهتمام ببعض الفروع منها النحو ، ويذكر ابو القاسم سعد الله أن هناك أيضا بعض اللهجات قديما كانت تستعمل للمدح ، مثلا في منطقة جرجرة والأوراس هناك بعض اللهجات المحلية التي كانت أيضا تزاحم اللغة العربية ، ولم يكن مقصورا على الطبقة العامة بل كان موجودا عند العلماء أيضا فالورتيلاني يحثنا أن هناك من كانوا يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام ويتناولون التصوف باللهجة المحلية ، وقد تمنى انيكون كلامهم بالعربية حتى تدرك حلاوته وطلاوته وقوة الإبداع أصحابه ، وضرب لذلك مثلا بعلي بن درار وسعيد الفاني ".

وفي هذه الفترة لم يؤلفوا الجزائريين كثيرا في ميدان اللغة إلا أن النحو تركوا لنا إنتاجا طيبا .

فالذي نستطيع أن نفسر به ذلك اجتماعيا حاجة الجزائريين الى أصول اللغة لأن أغلبهم يظهر أنهم مازالوا متمسكين بلهجتهم ولحبهم لهذا الدين الذي حاولوا معرفة النحو ، فكان الإنتاج غزيرا وخاصة غياب التشجيع من طرف الإدارة العثمانية .

ومن العلماء نذكر يحيى بن معطي الزواوي وذلك في زواوة باعتبارها مدرسة هاتمة لعلم النحو في ذلك الوقت وأيضا أبو جميل زيان بن قائد زووي القسنطيني.

وحاول الورتلاني توجيه التعليم الى التوحيد لأنه صلب الدين والعقيدة الى أنهم حاجوه وبينوا له فضل العربية وأصولها ، وعرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح ، ومن لكتب التراثية التي اهتموا بها مثل الأجرومية وألفية ابن مالك ، وكانت تأخذ الحيز الكبير في مناهجهم ، فألف محمد الصباغ القلعي (الدرة الصباغية في شرح الأجرومية) .

حتى أن العلامة الفكون ألف عدة كتب في النحو والصرف وكذلك في العلوم العقلانية الذي كشف عنه في كتابيه (منشور الهداية) و (محدد النسيان)

وفي نفس الوقت برغم أهمية وجود الأشعار وفي ذلك الوقت إلا أن تأليفهم لقواعد العروض كان قليل جدا ، ومنه عبر تحليل لتلك الفترة من التاريخ الجزائري نستطيع أن نكتشف وبسهولة

أهمية الحفاظ على التراث لدى الجزائريين وبقوا أوفياء للتدريس التقليدي أما التجديد فكان عارضا فقط .

جدول 21: يمثل علاقة أنواع الأدب العربي بالثورة

فئة التحليل : وطنية الثورة			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الأدب السياسي	09	% 17.64
02	الفن الأدبي	14	% 27.45
03	الأدب الديني	07	% 13.72
04	الأدب الاجتماعي	06	% 11.76
05	الأدب التاريخي	10	% 19.60
06	كتابات تربوية	05	% 9.8
المجموع		51	% 100

الفقرة الإحصائية :

مايلاحظ من هذا الجدول أن 27.45 % من النص هي في الفن الأدبي وذلك لطبيعة العنوان العنصر وهو أنواع النثر وهو لغوي وذلك في الوحدة رقم 02 ، مقابل 19.60 % من نص الأدب التاريخي في الوحدة رقم 05 ، وكذلك نجد نسبة 17.64 % من نص للأدب السياسي في الوحدة رقم 01 ، مقابل 13.72 ر نص للأدب الديني في الوحدة رقم 03 ، مقابل نسبة 11.70 % من نص للأدب الاجتماعي في الوحدة رقم 04 .

كما نجد أن نسبة 9.8 % وهي الأقل للكتابات ذات البعد التربوي في الوحدة رقم 06 .

التحليل السوسيولوجي :

في هذه الفترة بذات كانت تشهد الجزائر الثورة والعلامة أبو القاسم سعد الله عايش تلك الفترة وبالتالي درايته بالمقالات والكتابات والأدب عموما حتى تاريخ الاجتماعي والديني منه يعرفه بشكل جيد ويعايشه ومنغمس فيه ، فلهذا نجد أن تأثير الأحداث واضح حيث الكتابات أغلبها أدبية ذات طابع سياسي ثوري تحرري لكن ذلك لم يمنع بأن يوصف لنا مثلا للمشهد الجزائري في المقالة بقوله :

" من أبرز من تخصص في المقالة الأدبية هو الشيخ الإبراهيمي ، وأن أبرز من تفنن في المقالة السياسية هو أحمد التوفيق المدني ، وأن أشهر من كتب المقالة الدينية هو الشيخ أحمد سحنون ، وأن أحسن من عبر بالمقالة الاجتماعية هو الشيخ باعزيز بن عمر " ، حتى أنه يذكر فيما بعد المتخصص في المقالة التاريخية متعددون منهم محمد علي دبوز وعبد الوهاب بن منصور :

" أما اذت نظرنا اجتماعيا ومدى تأثير المجتمع بذلك تلك الفنون الخطابة مثلا نجد أن الخطابة كانت محدودة لقلة المناسبات وضعف جهودها والخطب الثورية لم تكن شائعة في الجزائر خاصة الأرياف حيث قادت الثورة ، ولكنها بعد حلول قيادة الثورة الى البلدان العربية وخاصة الإذاعة وصوت عيسى مسعودي كان مؤثرا كما ذكرنا سابقا في القسم النظري " .

وأيضا من الملاحظات التي نلاحظها هو أن التقدم الذي حصل في المقالات والشعر والاتجاهات الأدبية هو في الحقيقة أيضا يرجع الى الاتجاهات الأدبية في الدول الغربية .

ومع ذلك نقول أن للوضعية الأدبية العربية خصوصية والجزائر أيضا كانت تستعد لأهم حدث في تاريخها وأعظم انجاز لها يعتز به العلامة أبو القاسم سعد الله وهو ثورة الحرية والاستقلال .

ومن ذلك يمكن أن نستنتج أن جيل أبو القاسم سعد الله تجذرت فيه الثورة وروحها بالرغم من الاتجاهات المختلفة التي تكونها الحركة الوطنية الجزائرية ، ومن أعظم أسباب نجاحها هو

الوحدة ، فلا عجب أن نجد العلامة أبو القاسم سعد الله يركز في مشروعه على الوحدة ويعتبرها من أهم العناصر التي ساعدت على انتشارها سريعا ونجاحها .

جدول 22 : يمثل أثر القصة في ترسيخ الوطنية

فئة التحليل: الوطن			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	القصة الخيالية (الأدبية و الاجتماعية)	04	% 9.09
02	القصة الواقعية (ثورية إسلامية)	10	% 22.72
03	تطور القصة	07	% 15.90
04	القصة القصيرة	06	% 13.63
05	رواد القصة في الجزائر	09	% 20.45
06	القصة ذات بعد تربوي وجداني	08	% 18.18
المجموع		**44**	**% 100**

القراءة الإحصائية :

يعطينا إذن تحليل محتوى نص فئة (الوطن) و 06 وحدات التحليل ، فنلاحظ من هذا الجدول أن 22.72 % تخص من نص القصة الواقعية وتبيين ذلك في الوحدة رقم 02 مقابل 20.45 % من نص تخص رواد القصة في الجزائر مثلما تبين ذلك وحدة تحليل رقم 05 ، ومقابل 18.18 % من نص القصة ذات بعد تربوي وجداني مثلما يوضح الوحدة رقم 06 مقابل 15.90 ر من نص يمثل تطور القصة في الوحدة رقم 04 مقابل 13.63 % من نص تعرض للقصة القصيرة .

في حين أن أقل نسبة 9.09 % من نص تتكلم عن القصة الخيالية (الأدبية والاجتماعية) مثلما توضح الوحدة رقم 01 .

التحليل السوسيولوجي :

ان موضوع القصة هو من المواضيع الأدبية وعايشه أبو القاسم سعد الله بشكل كبير في شبابه خاصة ومنه نجد أن تأثير البيئة والنشأة والتعليم واضح في هذا نص وان كان طبيعة نص تاريخية الا أن معالجته كانت بطبيعة أدبية محضة عند العلامة أبو القاسم سعد الله فهنا نجد ابو القاسم سعد الله الأديب المربي ركز على الواقع الحياة وما يشاهده من القصص في الشارع والسوق والمدينة والفئات الاجتماعية إضافة إلى وحي الخيال هذا أن كانت القصة خيالية ذات بعد رومانسي مثلا .

أما إذا كانت اجتماعية فنرى دور الوطنية وروح الثورة والإصلاح بارزا على يد مجموعة أعضاء من الحركة الوطنية ويبدؤوا تأثير القصة الواقعية الثورية الفنية هي المسيطرة على الواقع الجديد حسب رأي عبد الله ركيبي الذي هو من مواليد بسكرة متحصل على درجة ماجستار في (القصة القصيرة الجزائرية) يرى أن الثورة عملت وأحدثت طفرة في القصة وموضوعاتها ويجب أن يكون تجديد في تعبير والموضوع والمضامين .

والذي نذكرهم من رواد القصة أحمد رضا حوحو ، عبد الله الركيبي الذي تكلمنا عنه ، والذي ألف مجموعة من القصص عنونها نفوس ثائرة وأيضا أيد الظاهرة الأدبية التقدمية ، وغالبا ما تعالج مواضيع اجتماعية الاغتراب الهجرة الفقر ، ظاهرة الالتزام ومعاناة الفلاحين ومشاركة المرأة في الحياة العامة ، ولا شك أن القيم التي نستقيها من الوطنية والثورية نجد مفهوم الفداء وتضحية والإيثار وحب الوطن كلها في القصص فتتناول بعض القصص الثورية عن الجندي المضحي أو الذي فر من جيش المستعمر الى جيش التحرير الوطني كله يدل على التوق الى الحرية .

كما تعتبر القصة أيضا عن التفكير الجماعي وروح التفاؤل والانتصار وأحيانا نجد الحوار الهادئ الذي ينتقض الضمير ويزيد من تيار الوعي .

وحتى وجدانيا مثلا في مشروع أبو القاسم سعد الله نجد تلك الوحدة العضوية في القصة ورموزها والإيحاء والوصف كلها لا تخرج عن التربية والتعليم ومعرفة النفس البشرية متأثرا بالمحيط الاجتماعي والثقافي متشبع بالمبادئ الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية ن كما أن الثورة هي نشاط وإيثار وعمل جماعي لتحرير الوطن .

في الحقيقة نحن نحاول أن نفرق بين معالم وأسس مشروع العلامة سعد الله ولكنه في الواقع متكامل بشكل بديع .

جدول23 :يبين علاقة اللغة بالإبداع

فئة التحليل : الإبداع عند أبو القاسم سعد الله			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	علم وتواضع	04	% 15.38
02	الكتابة	03	% 11.53
03	اللغة عنده بين الأمس واليوم	04	% 15.38
04	احترام اللغة وتطويرها واثرائها	07	% 26.92
05	اللغة فن وابداع	08	% 30.76
المجموع		**26**	**% 100**

القراءة الإحصائية :

من خلال الجدول المبين نلاحظ نسبة 30.76 % من نص تمثله اللغة فن وإبداع وذلك يتبين في الوحدة رقم 05 ، مقابل 23.92 % من نص الاحترام للغة وتطويرها واثرائها ، ونجد ذلك في الوحدة رقم 04 ، مقابل نسبة 15.38 % لكل من علم وتواضع للعلامة أبو القاسم سعد الله في الوحدة رقم 01 وبنفس اللغة بين الأمس واليوم في الوحدة رقم 03 .

وكما تحصلنا على أقل نسبة وهي الكتابة عند العلامة أبو القاسم سعد الله وذلك في الوحدة رقم 02 .

التحليل السوسيولوجي :

نلاحظ أن اهتمام العلامة أبو القاسم سعد الله بالفن والإبداع أمر أساسي في معظم أوقاته فهو حتى أنه يذكر مرة أنه يكره تقليد أو نقل الألفاظ أو الفكرة ، وفي نظره أن اللغة العربية مليئة بالألفاظ والمعاني ، ويكفي أنها احتوت معاني وألفاظ القران الكريم وجلت رسالته العليا إلى الناس كافة وفي جميع العصور .

وهي تحوي على أسرار لا يعرفها كل الكتاب ونحن نقول لاشك في ذلك فهي لغة القران فلا عجب ومن يدرك تلك المعاني والأسرار يجد نفسه متعبدا والها في محرابها لا يرضى لها بديلا ولا عنها محيدا .

مقابل هذا يذكر أنها تمثل الماضي والتراث والحضارة ، وهي تملك من العلوم شيء الكثير في البلاغة والبيان وغيرها ، ويطلب العلامة أبو القاسم سعد الله أن تكون دائما في تطوير وتجدد وان نعمل على أن تكون لغتنا العربية تساير ركب التقدم والعلم والسرعة والتقنيات لان جمودها جمودنا وازدهارها حياتنا .

يقول بكل تواضع ما معناه انه في وقت من الأوقات كسر قواعد اللغة لأنه كان يرى أنها تعيق التعبير خلجات النفس وفي شبابه مال الى التمرد والطيش ، ولكن الممارسة جعلته يتأدب معها أي اللغة ويراعى أصولها وقيما ، تعامل المتذوق المختار ، وبالتالي فهو يفرق بين الأدب في الشباب والشيخوخة وعامل الزمن والخبرة وضرب مثلا لشاعر امرئ القيس شعر شبابه يختلف عن شيخوخته .

وهنا نجد أن عامل الخبرة بكل أنواعها اجتماعية وتربوية ولغوية اللفظية والأحداث والعامل النفسي في الزمان والمكان يلعب دور في نطق الألفاظ وهذا ما قاله ولكن بصيغة أخرى ، ومن

تواضعه أيضا يقول :" واني لم أوت من العلم والأدب إلا قليلا " وهذا الكلام قد تتقبله لتواضع أما في الواقع فمقام العلامة أبو القاسم سعد الله كبير وكيف لا وهو عملاق من عمالقة الجزائر صحيح أن ليس له ضجيج إعلامي أو مناسبة تخصه مثلا ابن باديس أو المفكر ابن نبي لكنه ترك بصمات كبيرة في عدة اختصاصات وعلوم حتى أننا تصعب علينا أين نضعه في المثقفين والمؤرخين والشعراء والكتاب والأدباء وهكذا لقد اثر عدم ظهور ورفض تولى مناصب كبيرة من أجل أن يبقى في عالم الكتابة في وسط لا يعترف بقيمة الكتاب ولا المكتوب ولا الكاتب كما يقول هو :

" والذي نريد أن نذكره أن الإبداع وروح الجمالية في اللغة العربية وطريقة توظيفها وتبسيطها هي من اختصاصه إلا أن الإبداع هذا هو ما يميز مشروع سعد الله ككل حيث التذوق والروح والوجدان والعاطفة حتى أنه عندما يكتب تحس بصدقه ، كما نجد أن كلامه يلخص كل هذا .

" وأنا بدأت نظم الشعر برصيد لغوي محدود ثم أخذت أضيف اليه من المحفوظات ومن تجارب الحياة ما جعله رصيدا غنيا إلى حد ما ، ومعنى ذلك أن تجربتي مع اللغة مرت بمراحل حياتي أيضا .وأعتقد أن لكل مرحلة رصيدها اللغوي ، والمرء يظل يكتسب من هذا الرصيد ما بقي على قيد الحياة لأن الاختراعات والمصطلحات والقدرة على تطويع اللغة للتعبير عن الحاجة الإبداعية ، كل ذلك ظل ينمو مع الأيام "[1]

والذي يمكن أن نعرفه عن شخصية العلامة أبو القاسم سعد الله أنه سريعا ما يرجع عن خطئه وإذا عرفه هذه صفة أخلاقية تميز العلماء والعظماء .

[1]- المرجع السابق ، أفكار جامحة . ص 191

جدول 24: يبين أثر اللغة في العلم

فئة التحليل : الاصلاح			
رقم الوحدة	وحـــــدات االتحـــليـل	التكرار	%
01	تحديـات العصـــر	10	25.64
02	البحث العلمي و الجمود الفكري	04	10.25
03	ثورة ثقافية عربية (اصلاح)	14	35.89
04	استعادة النخبة المهاجرة و افساح المجال لها للعمل	03	7.69
05	الاستفادة من اللغات الاخرى	02	5.12
06	العمل الذاتي و الاكتشاف و الابداع	06	15.38
	المجمـــــوع	39	100

القراءة الإحصائية:

نلاحظ من الجدول وجود 6 وحدات تحليل إذ أن نجد نسبة 35.89 % من البحث يتكلم عن ثورة ثقافية عربية باسم الإصلاح و التجديد وذلك من الوحدة رقم 03 ، مقابل نسبة 25.64 % لتحديات المختلفة المعاصرة التي تواجه المثقفين العرب في ذلك في الوحدة رقم 01، مقابل نسبة 15.38 % من البحث يدعو إلى البحث و الابتكار و الإبداع و ذلك في الوحدة رقم 02.

مقابل كذلك نسبة 7.69% للعمل على استعادة النخبة و العلماء في المهجر و إفساح لهم الطريق و ذلك في الوحدة رقم 05.

كما انه لم تتحصل الوحدة رقم 05 الاستفادة من اللغات الأخرى إلى نسبة 5.12 % و هي أضعف نسبة .

القراءة السوسيولوجية:

ألغى البحث في مؤتمر الأدباء العرب الذي انعقد بدمشق خلال شهر ديسمبر 1971 ، ولكن المثير هو أن سوريا و الجزائر إلى حد سواء يظهر أنهم كانوا في نفس الخط و الاتجاه السياسي القومية العربية و ربما ثورية أيضا.

و العلامة ابو القاسم سعد الله نجده لم يخرج على نطاقه و لكن من منطق المخلص لوطنه و لأمته و معتقدا أهمية الوطن العربي و العلم على سواء.

و كما أنه وضع أسس لبناء ثورة ثقافية كما كانت تود الجزائر في تلك الفترة حيث قال العلامة سعد الله أن الثورة الثقافية حديث الساعة في الجزائر ، و الذي يهمنا هو أرى ثلاث أسس لهذه الثورة العلم الصادق ، التواضع الخلاق و الجدية و البناء.

و هنا كما نلاحظ أن البنية السياسية و الاجتماعية تكلم عنها أبو القاسم سعد الله و أوضح ان لدينا القدرة على تحديد الاولويات يدل تمسك في نقاط الخلاف التي نخدم مصالح أجنبية فقط.

وللاسف هذا الذي يحدث اليوم سواء على مستوى نظام الدول العربية او على مستوى الصراعات المستمرة على ارضنا و ربما ما زلنا ندفع الثمن.

كما نجده يدعو الى المنهج العلمي و التجديد بل حتى النقد الذاتي و توجه الى التقدم العلمي و الدعوة الى العملية و يؤكد دور العقل الانساني و قدرته على صنع المعجزات والبلاد العربية منها الجزائر ليست فقيرة ي هذا المجال و كعادة العلامة ابو القاسم سعد الله يجدد دور العامل الوجداني في التربية و التعليم و العمل الذاتي و الاكتشاف و البحث و الابداع صحيح انه يتكلم عن دور العلماء الى ان ذلك ينطبق أيضا على المنظومة التربوية و التعليمية سواء على مستوى التوجيه و الارشاد .

و الثورة التي يريدها تكون شاملة تربوية، عليمة ، عملية ، عربية .

جدول 25: يبين علاقة الدين بأنواع العلوم

فئـة التحليل: الديـــــن			
رقم الوحدة	وحدات التحلييل	التكرار	%
01	علوم الفلك و المنطق	08	29.62
02	علوم الطب	07	25.92
03	الطب النبوي	05	18.51
04	علاقة الفلك بالتوقيت و المواقيت الشرعية	05	18.51
05	علم المنطق و فتاوي المسلمين بالاخذية (تجديد)	02	7.40
	المجموع	27	100

القراءة الاحصائية :

نجد في الجدول وجود 05 وحدات لتحليل هذا العنصر " العلم و المنطق " اذ نجد أن نسبة 29.62 من النص تتكلم عن علوم الفلك و الطب و ذلك من خلال الوحدة رقم 01 ، مقابل 25.92 % من النص تمثل علوم الطب و ذلك نجدها في الوحدة رقم :02 كما أننا نلاحظ أن الوحدة رقم 03 و الطب النبوي مع الوحدة رقم 04 التي تتكلم عن علاقة الفلك بالفرائض و المواقيت بنفس النسبة 18.51 أي متساوية .

كما أن اقل نسبة سجلت لي موضوع الفتاوي بين الاخذ بعلم المنطق أو رفضه بالنسبة 7.40% في الوحدة رقم 05 .

القراءة السوسيولوجية :

كما نلاحظ عموما فإن الإنتاج في علم الطب و المنطق و الفلك كان ضعيف خاصة اذا ما علمنا أن علماء الطب و المنطق و الفلك يعد قليلا إذا ما قارناه بعلم التصوف و الفقه، و بالرغم من ذلك لم يمنع من وجود علماء في الطب مثل ابن فشوش أو التالي فيه كالثغري و السنوسي أما في علم الحساب و الفرائض و الفلك مثل الحباك و ابن القنفذ و هؤلاء لم يختصوا بالحساب أو الطب كإختصاص الونشريسي في الفقه و الثعالبي في التصوف.

و الغالب في التأليف راجع إلى سبب ديني بحت أو نابع من التراث الشعبي في طب كالاهتمام بالأعشاب كمعجم إبراهيم بن احمد الثغري التلمساني معجم صغير يهتم بأسماء الأعشاب وله رسالة أخرى في الطب تتكلم عن الادوية ومنافعها .

و الملاحظ عموما ربط الدين بطب الشرعي ، الطب النبوي مثالا الحديث الشريف { العلم علمان علم الأديان و علم للأبدان }

و { المعدة بين الداء و الحمية رأس الدواء }

و تكلموا عن طريقة الهضم و أنها ثلاث أنواع في المعدة أولا ثم في الكبد و اخيرا في سائر الأعضاء و نصحوا بأكل و تقديم الطعام اللطيف الخفيف على الغليظ و هكذا فإنها في الغالب لا تخرج من تلك الصفة و الاهمية .

في حين نجد نفس الملاحظة فيما يخص علوم الفلك و ما يربطها بمصالح المسلمين و اوقات اقامة الصلاة و حركة الشمس و حركة الافلاك و الكواكب و ظهورها و اختفاءها .

في القرن التاسع اشتهر الجزائريون بعلم المنطق و قد نسب إلى احمد بن يونس القسنطيني ، و بعض المؤلفات وايضا ابو الفضل المشدالي الذي ألف شرحا على جمل الخونجي في المنطق ايضا .

كما نجد ان أهم عنصر الذي يهتم به العلامة ابو القاسم سعد الله و هو تجديد فنجد ان هناك رسالة بين العلامة السيوطي و محمد بن عبد الكريم المغيلي حول الاخذ بعلم المنطق و اخذ علوم غير المسلمين ، إلا ان المغليي رد بفتوى الأخذ بعلوم الغير اذا كانت مفيدة ننقل كلام العلامة سعد الله و رؤية في ذلك و تنبيه مهم ننقله .

" لكن المغيلي رد حججه و قال ان المطق هو الحق و ان اخذ الح يجوز من غير المسلمين لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد و ليس معرفة الحق بالناس ، و بذلك يظهر لنا من جديد تحرر عقل المغيلي و بعد نظره في عصر سيطرت فيه آراء السيوطي و امثاله ، و للمغيلي مؤلفات و أثارت في المنطق أيضا منها (شرح الجمل)، و مما يدل ايضا على تحرر المغيلي العقلي و نقده لأدعياء التصوف عندئذ " [1]

و في الحاشية يقول أن للمغلي ايضا كتاب (تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين)، و هو عنوا يذكرنا بكتاب عبد الكريم الفكون في نفس الموضوع و هو (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية) و للمغيلي ايضا تأليف في نفس المعنى و هو (فتح الوهاب في رد الفكر الى الصواب)

و مما ذكر نعرف قيمة التجديد في الدين و العلم و المجتمع .

[1]- أبو القاسم سعد الله ج 1 (ت ج ث). مرجع سابق ص 119

جدول رقم 26: يمثل علاقة العلوم بالعقيدة الإسلامية

فئة التحليل :الدين (العقيدة)			
رقم الوحد	وحدات التحلييل	التكرار	%
01	علم الكلام و العقيدة	14	58.33
02	علم الكلام و الفلسفة (المنطق)	06	25
03	المنطق	04	16.66
	المجموع	24	100

القراءة الاحصائية :

نلاحظ من الجدول

وجود 03 وحدات فقط ، إذ أن نسبة 58.33 % من نص ترجع الى علم الكلام و العقيدة و ذلك في الوحدة 01 ، مقابل نسبة 25 % من نص تمثل علاقة علم الكلام الفلسفة (المنطق) و تمثله الوحدة رقم 02 كما نجد أن أقل نسبة هي 16.66 % و التي تمثل المنطق و ذلك في الوحدة الاخيرة رقم 03 .

القراءة السوسيولوجية :

كما نلاحظ أن معظم الكتب تتناول كتب العقيدة و علاقتها بعلم الكلام و الكتب التي كانت متداولة هي و التي اشتهرت عقيدة السنوسي المعروفة بأم البراهين و ظلت منتشرة عند المتاخرين ايضا و قد اشبعوها شروح و حواشي ، و المرشد المعين على ضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن العاشر و كتاب الارشاد لإمام الحرمين المعروف بعبد الملك الجوني عمدة الطلبة في علم الكلام ، و هناك من قام بشرح و بنظرة معاصرة مثل قاضي تلمسان شعيب بن علي الجليلي ، و الهاشمي بن بكار و عبد القادر المجاوي .

فكان التكرار و النقل و التعليم التقليدي الإ ان جاء ابن باديس و مالك بن نبي، يقول العلامة ابو القاسم سعد الله " و مع ذلك فإن التكرار و التقليد ظلا السمة الغالبة على هذا التاليف و المنظومات ، ولم تدخل العقائد حيزا جديدا في الفكر و العلوم الاجتماعية الا بن باديس و انصاره و تلاميذه من العلماء الذين مزجوا بين العلوم الدينية و الدنيوية و فسروا العقائد الاسلامية في ضوء العلم الحديث و من تلاميذ هذه المدرسة مالك بن نبي الذي تعمق في الفلسفة و الدين و العلم " .

نذكر بعض المؤلفات منها شرح على أم البراهين تاليف أحمد الطيب بن محمد الصالح العيسوي الزواوي و اسم الشرح (تكملة الفوائد في تحرير العقائد) و اوضح أنه تعليق و تفسير لعقيدة السنوسي .

تعليقات على حاشية عبد القادر بن خدة في علم الكلام وضعها الأمير عبد القادر و ابن خدة حده و كان الأمير مولعا بتدريس أم البراهين لسنوسي أيضا ، و ميوله للفلسفة و المنطق منذ نعومة أضافره فكان أيام مقاومته للإحتلال برغم ضيق وقته يستغل أوقات الفراغ و أداء الفرائض فيتصب لتدريس في علم الكلام .

و من ذلك انه انشأ أثناء إقامته بالمدية بعد معاهدة التافنة (1837) درسا جامعا يحضره الأعيان م العامة و من الجيش و ختم بذلك تدريسه لكتاب ام البراهين.

ليذكر الناس أن الحاكم ليس فقط رجل السيف و جمع الضرائب و لكنه عالم و مدرس و متكلم و يذكر ابنه محمد ابن الامير في (التحفة) أنه يوم ختم أم البراهين كان يوما مشهودا حضره كثير من العلماء في القطر الجزائري و قدموا له المدائح .

و من الكتب أيضا تحفة الأخبار في الجبر و الاختيار تأليف عبد القادر المجاوي .

الكلام في علم الكلام لأبي يعلي زواوي، و مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة ، تأليف محمد بن احمد الهاشمي التلمساني اما في علم المنطق نذكر مثلا :

- اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع ، ألفه محمد السعيد بن محي الدين (و هو اخ الأمير عبد القادر ، و هو كتاب في المنطق و الحكمة يبدو انه شرح به الرسالة العضدية (عضد الدين الايجي) ..

كما توجد رسالة في المنطقق : تاليف محمد بن أبي شنب ، و كان ابن أبي شنب من اعيان العلماء في أول هذا القرن كما يقول العلامة ابو القاسم سعد الله نشر كتاب سنة 1928 قبل وفاته بسنة واحدة .

و مقابل هذا نستطيع أن نقول عن سبب تأليف يبقى دينيا يخص العقيدة لماذا ؟

حسب ما نعرف يظهر أن هناك سببين أولا النقاش الحاصل في أمور العقيدة بين الملحدين و المسلمين خاصة بعد دخول الفرس الى الاسلام و ايضا انشار كتب الفلسفة المترجمة و تأثير على الأعاجم ، و الروم و خاصة الفلسفة (أفلاطون ، أرسطو) .

فنجد صراع و المجادلة الفلسفية بين ابن رشد ، و الغزالي التهافت ، و غيرها من الكتب و أيضا انتشار التصوف ، صحيح أن تصوف الغزالي أميل الى السنة اذ لم نقل انه سني إلا ان العلامة ابن العربي المتاثر بالفلسفة هناك من يبوبه على اساس التصوف فلسفي .

كل هذا انعكس على انتشار تلك العلوم ضف صراع بين العقائد الأميل من أهل السنة و الخوارج و الشيعة في اختلافات قد تمس أحيانا الدين بشكل أساسي ، ثم انتقل الخلاف و العصبية الى العامة و بسبب غموض و صعوبة هذا العلم و إشكاليته حول الحرية و القدرية (المعتزلة ، اهل السنة ، الجبرية).

انتقل الى العامة و بسبب جهلهم الديني مرة اخرى بدأوا يقعون ي المحضور بالاشتغال بالكرامات بدل من الدين و العمل الصالح و العمل النافع .

و في الخلاصة يمكن بهذا فهم هذا الاهتمام بالرغم من قلة فلعدم الحساب و المنطق مازال طلبتنا الى اليوم يعانون منه و يشكون صعوبته.

جدول 27 : يظهر بعض الممارسات العلمية في عهد التخلف

فئة التحليل : المحافظة على التراث (تراث علمي)			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الوضع السياسي الثقافي و الاقتصادي	07	20
02	أثر ذلك على العلماء وزوايا	05	14.28
03	علم الحساب و الفلك و الطب	10	28.57
04	التجديد العلمي و التحرر العقلي	07	20
05	أهمية التراث العلمي	06	17.14
	المجموع	35	100

القراءة الإحصائية:

في هذا الجدول لاحظ أن هناك 05 وحدات تحليل ي هذه الفئة ، إذ أن نسبة 28.57 % من النص تبين وضعية علم الحساب و الفلك والطب و اهتمامات علماء المسلمين بهم و ذلك في الوحدة رقم 03 مقابل 20 % من نص تخص الأوضاع السياسية و الثقافية و الاقتصادية في الجزائر ما بين (ق 15 – 19) وذلك في العنصر رقم 01 ، و نفس النسبة تحصلت عليها الوحدة رقم 01 و هو عامل التجديد العلمي و التحرر العقلي بنفس النسبة وهي 20 % مقابل

17.14 % من نص تتكلم عن أهمية هذا التراث العلمي في الغرب و للعالم الإنساني عموما و للجزائر خصوصا و ذلك في الوحدة رقم 05 .

و كذلك نجد أن أقل نسبة سجلت و هي 14.28 % في اثر الحياة السياسية الاقتصادية على العلماء و دور زوايا و الأليف و ذلك في الوحدة رقم 02 .

التحليل السوسيولوجي :

من خلال الجدول نجد أن الحديث عن الوضع السياسي و الاقتصادي و الثقافي هو من ضمن كلام العلامة أبو القاسم سعد الله في هذا البحث الذي القي في الملتقى الدولي الأول لتاريخ الرياضيات عند العرب الذي نظمته المدرسة العليا للأساتذة ديسمبر 1986 .
إذا هناك التغلف عقلي و سياسي ، ففكريا يقول العلامة أبو القاسم سعد الله هو أن التخلف السياسي هو الذي قضى على قوة الخلافة و الانفصال و هذا الذي جعل أطماع آل عثمان تزيد في المشرق و بني الأصفر (الاسبان) في المغرب و منه يدل تكلم عن أسباب تدهور و التخلف السياسي و غياب الوحدة (الوحدة التي هي أهم مبادئ مشروع سعد الله) ، فتكلم عن تواجد الدولة العثمانية هل هو احتلال أو انقاذ للبلاد و العباد.

اما اجتماعيا فالحكام أهملوا مصالح الرعية فالجهاد كان شعبيا تلقائيا و وجدنا علماء مثل الشيخ الثعالبي و الشيخ المجاجي ، و عدم االاستقرار في القرن 15 م جعل العلماء يرون ، وجود الدولة العثمانية لم يشجع العليم ولا العلم و لا أهل الثقافة .

و غياب مراكز علمية قوية مثل الأزهر و الزيتونة أدى الى ملئ الفراغ من طرف الطرق الصوفية ثم انتهاءا بالخرافة و الانزواء و الابتعاد عن شؤون الحياة: وشاع التقليد فعلماؤنا مثلا في الرياضيات لم يقلدوا الخوارزمي في الرياضيات بل قلدوا بعض المتأخرين أي الفرع بدل الاصل لم يقلدوا الخوارزمي و ابن الهيثم و لكن ابن البنا و في الفلك لم يكن لابن سينا و الرازي لانطاكي و اختفت اسماء العلماء الكبار .

اما فيما يخص الذين عرفوا بالحساب مثل عيسى الرتيمي و المعروف امزيان و كان يدرس في تلمسان ومنهم الشيخ احمد بن يونس القسنطيني المعاصر له ايضا و كذلك تاليف احمد بن القنفد القسنطيني (المتوفي سنة 810) و ذكرناه سابقا خصوصا (تلخيص اعمال الحساب) و قام شرح بعض اعمال ابن البنا في الحساب ، من الذين اهتموا بالحساب و الفرائض عبد الرزاق بن حمادوش في القرن 12 هـ .

وفي الفلك و خاصة في العهد العثماني تجد عبد الرحمان الاخضري من جديد نظم رجزا في الفلك سماه (السراج) ، و اعمال الطب و الصيدلة و الجراحة او التشريح فهي متنوعة نذكر فقط ما كان يخص الاوبئة و الطواعين ، و التي تشبه المرض المنتشر اليوم عندنا تاريخيا موجودة في كل العصور .

عبد الرزاق بن حمادوش : كتاب في الطاعون

ابو راس الناصر (ما وراء الواعون في اخبار الطاعون)

احمد بن سحنون (منظومة)

محمد بن رجب الجزائري (الدار المصون في تدبير الوباء و الطاعون)

ان قيمة هذا التراث العظيم كبيرة فتجد ان الاوربيين قاموا بترجمة بعض الكتب خاصة الفرنسيين الذين ترجموا و قاموا بدراسات للعالم ابن حمادوش و التيفاش (عالم طبيعي مغربي).

و هنا يكمن دور العلماء و دور المؤسسات ، و كما نلاحظ هناك قيمة تحفيزية للعلماء كما للتلاميذ و الطلبة فبدون تشجيع لا يتقدم العلم و يكون صاحبه كما يسميه العلامة ابو القاسم سعد الله مناضلا فهؤلاء مناضلين لم يشجعهم احد اما الجزائر في عهد الاستقلال على الاقل هناك من يساعدهم على طلب العلم و البحث فيه و يقدم الجوائز و الهدايا .

اما هؤلاء عاشوا في فراغ علمي و وصفهم بالمناضلين لانهم لم يسمحوا بالراية ان تسقط ولا بالنهر ان يجف رغم كل العراقيل.

فغرس حب العلم و التضحية من اجله عند الناشئة و تشجيعه لا شك انه يجعلهم يضحون من اجله كما ضحى جيل الثورة، و من اجل ذلك يكون البحث في التراث العلمي اسهل ما يكون لمن يعرف قيمة هذا التراث و اهميته .

جدول 28: يظهر فن الموسيقى والإنشاد في العهد العثماني

فئة التحليل : الإبداع			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	فتاوي الموسيقى	10	23.25
02	الصوفية و الموسيقى	04	9.3
03	التذوق الموسيقي	10	23.25
04	اغراض الموسيقى	09	20.90
05	مواضيع الانشاء	05	11.62
06	الرقص و الغناء	05	11.62
	المجموع	43	100

القراءة الإحصائية :

من هذا الجدول نلاحظ انه مقسم الى 06 وحدات التحليل ، اذ ان نسبة 23.25 % من النص تعبر عن فتاوي العلماء بين الجواز و الحرمة وذ لك في الوحدة رقم 01 ، كما ان نفس النسبة نجدها في التذوق الموسيقي و ذلك في الوحدة رقم 03 ، مقابل 20.93 % لأغراض الموسيقى و ذلك في الوحدة رقم 04 ، كما ان نسبة 11.62 % تحصلت عليها كل من الوحدة 05 مواضيع الانشاء و وحدة رقم 06 الرقص و الغناء .

كما ان اقل نسبة و هي 9.3 % تحصل عليها موضوع الرقص و الغناء و الذي تمثله الوحدة رقم 02.

التحليل السوسيلوجي :

كما نلاحظ من الجدول و من النص على أن الفتاوي تنقسم بين علماء الصوفية و علماء الفقه فعلماء الفقه أكثر تشددا لكن هذا لا يعنيان الفقهاء كلهم حللوا الغناء و الموسيقى ، اما الصوفية فنجد أن طبيعة اعتمادهم على الجانب الروحاني ، و الحب الذي يغمر المريد اتجاه الله سبحانه و تعالى او إلى الرسول (صلى الله عليه و سلم) و من المدائح النبوية الكثيرة فترك بعض الميول اكثر الى تحليلها و يحتجون بقولهم ان هذا العلم يجمع بين علم المعاملة و الكشف و مايسمونه ايضا الوجد .

اما من ناحية التذوق فمن ناحية سماع الاناشيد و تاثير الموسيقى و انغامها ما يؤثر على النفس خاصة في حالات الفتور و يتمتعون بها ، و منهم من يغرق تحت تاثير الموسيقى اللذيذ.

ومن الذين اجازوا سماعها نذكر من الزهاد و العلماء امثال ابي مدين و ابي القاسم الجموعي ، و ابي الحسن الشاذلي و الشطي و غيرهم .

لكن ما يقوله العلامة ابو القاسم سعد الله عنها " و يظهر انه رغم اختلاف وجهة نظر العلماء حول الموسيقى و الغناء ان المجتمع كان لا يستغني عنهما ، و هناك ثلاث مناسبات على الاقل تشيع فيها الموسيقى و الغناء و الرقص : المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج و لقاء السيدات في الحمام و الختان .

و المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف و تجمع ركب الحج و ليلة القدر و المناسبات الرسمية كتولي الباشا الجديد و حفلة الدنوش و الاحتفال بانتصار كبير على الاعداء" [1] .

و تكلم العلامة ابو القاسم سعد الله عن سماعه لأم كلثوم و هو في مصر و كلام شيق على هذا في كتاب حديث صريح مع مراد ونزاجي حيث اور ابو القاسم سعد الله اسمها في جريدة البصائر الا انهم اعترفوا ببراعتها غنائيا .

و كتابه تاريخ الجزائر الثقافي جمعها مع الرسم التاريخ و الرحلات احيانا كفن من الفنون ، وهذا فقط لتوضيح اهميتها كعامل وجداني روحاني للطلبة و التلاميذ لكن يبقى تحفظ عليها لأن سهل نقلها الى المحرمات الا ان الانشاد الوطني مثلا او ديني الذي عهدت عليه الجزائر لا اشكال فيه حسب علمنا.

اما المواضيع في الغالب مدائح دينية و سيرة الصحابة و السلف و القصص العربي البطولي ولا شك ان فائدتها عظيم على عامة افراد المجتمع .

و فيما يخص انواع الموسيقى الاندلسية و موسيقى البدو و موسيقى العثمانيين .

فمن ضمن اغراض الموسيقى قديما تداوي بها وداووا بها المرضى يتكلم العلامة سعد لله بقوله انه نالها من الاجحاف و الجهل بقيمتها و تاريخها العثماني كباقي الفنون.و كما نجد سواء في التاريخ او ي كتب العلامة ابو القاسم سعد الله اهتماما خاصة بالجانب التذوق بانواعه و منه التذوق الموسيقي، وحتى الجمالي (الفني) و الذي يستطيع في الطالب و التلميذ عبر المؤسسات التربوية ان يبدع في ذلك.

[1]- أبو القاسم سعد الله ج 2 (ت ج ث) مرجع سابق ، ص 440

جدول 29: يبين علاقة الفن التشكيلي بالإبداع

فئة التحليل: الابداع الفني			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	بيئة محمد راسم و اخوه	05	18.51
02	مجالات ابداع محمد راسم	07	25.92
03	المعارض و الجوائز	07	25.92
04	تأثير الفن الاسلامي و التراث	08	29.62
	المجموع	27	100

القراء

ة الاحصائية :

نلاحظ في هذا الجدول 04 وحدات التحليل اذ نجد ان نسبة 29.62 % من النص تتكلم عن تاثر محمد راسم و عمر راسم بالفن الاسلامي عموما التراث الجزائري ي الوحدة رقم 04 مقابل نسبة 25.92% لكل من موضوع مجالات ابداع محمد راسم في الوحدة رقم 02 و كذلك نفس النسبة للمعارض التي قام بها و الجوائز التي تحصل عليها في الوحدة رقم 03 بن النسبة.

كما نجد ان نسبة 18.51 % لعامل بيئة و محيط محمد راسم وذلك تبنيه الوحدة رقم 01 .

التحليل السوسيلوجي:

لا شك أن تاثير البيئة و المحيط عل الفنان و مساعدته في ابراز موهبته ، امر ضروري اضافة الى امكانياته و ميوله و قدراته الذاتية .

هذا ما حدث مع الفنان محمد راسم الذي هو اشهر رسام في الجزائر خاصة في فن المنمنات.

فكان اخوه فنانا سعيد راسم ، و من الذين اشتهروا في هذه العائلة اولا عمر راسم وكان مناضلا في الادب و الصحافة و ايضا بعض الخطوط و الرسوم .

فمن ضمن اعمال عمر راس هو عمل لوحة لغلاف كتب الجزائر لأحمد توفيق المدني و منه اثر ذوقه العربي و الاسلامي اما محمد راسم فكان يرسم وينقش وينحت على الزجاج كما كان يرسم على الورق و نقاشا على الخشب و كان محمد و عمرر والدهما اسمه علي راسم كما ظهرت لوحات بارزة تدل على براعته و ابداعاته الكثيرة اما عمر راسم فكان ايضا يكتب بالخط العربي و منه الكوفي خاصة .

و محمد راسم اشتغل ايضا بنماذج الزرابي و انواع االمطروزات ثم توسعت صلاته بدوائر الانتاج الفنيي مثله مثل يوسف بن الحفاف .

و ذهب الى فرنسا و تعرف على الاثار المشرقية ثم الى اسبانيا و الاندلس حيث وجد العصر الذهبي للفن العربي الاسلامي و بالخصوص في قرطبة و غرناطة فتعمقت معارفه ة اتصل بالماضي الفني و نشطت موهبته في الابداع .

و بدأ محمد راسم في الظهور و شارك في عدة معارض في العالم منها العربية و الاجنبية و من الجوائز التي تحصل عليها ميدالية المستشرفين سنة 1924 و الجائزة الفنية الكبرى للجزائر سنة 1933 و قد ظل متواضعا .

الذي يهمنا هو ما قاله النقاد على موهبته الابداعية و خاصة في فن المنمنات الذذي يكاد يختص به فاطلق عليه اوغسطين بيرك اسم " اميرفن المنمنات " و قال انه يمزج في اعماله بين اصالة الفن الفارسي و نارية المزاج الجزائري .

إذا و كما نجد انه محسوب على المهتمين بالتراث الاسلامي مثل تمام ، غنائم ، حميمونة ، و صحراوي و بلكحلة و كربوش.

ان الابداع الفني صحيح موهبة و لكن للبيئة و الرغبة و دفع و تشجيع امر تربوي تعليمي لابد منه و منه فالجانب الفني الجمالي الحسي هو احد ركائز مشروع العلامة ابو القاسم سعد الله .

جدول 30: يمثل فن السينما وعلاقته بالثورة

فئة التحليل : الوطن (ثورة)			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	حالة سينما الجزائر	08	21.05
02	افلام فرنسية في الجزائر	07	18.48
03	تسجيل الاناشيد و الخطب و المحاضرات و عرضها	04	10.52
04	عرض نماذج في الافلام بالأسود و الابيض	14	36.84
05	عرض نماذج من الافلام بالالوان	05	13.15
	المجموع	38	100

القراءة الاحصائية:

نلاحظ من الجدول ان نسبة 36.84 % تمثل من نص عرض نماذج من افلام بالاسود و الابيض و ذلك في الوحدة رقم 04 ، مقابل 21.05 % من نص تعرض حالة سينما ي الجزائر ابان العهد االاستعماري و تمثله الوحدة رقم 01 ، مقابل 18.42 % من نص تتكلم عن الافلام الفرنسية التي انتجت في الجزائر و تمثلها الوحدة رقم 02 ، مقابل نسبة 13.15 % من نص تعررض نماذج للافلام بالالوان (في العهد الاستعماري) و ذلك في الوحدة رقم 05.

كما نجد ان اقل نسبة هي 10.52 % و النني تمثل الاشارة لى عمل الاناشيد و الخطب و المحاضرات و سينما و عرضها و تمثلها الوحدة رقم 03 .

التحليل السوسيولجي:

السينما هي فن لكنه يتطلب و يحتاج الى خبرات و تقنيات دقيقة لذلك تأخر ميلادها عند الجزائريين فالجزائر تعتبر تاريخيا اول بلد دخله التلفاز الاذاعة و التلفزيون برغم ان منشأها فرنسي الا ان الجزائريين شرعان ما استفادوا منه ، و وظفوه لصالحهم .

اذ اخذنا الموضوع ن زاوية تاريخية نجد ان الانتاج الجزائري قليل جدا خلال سنوات الاولى فالميدان كان حكرا على فرنسا .

و غالبا ما كانت المواضيع الثورية تتكلم عن ابعاد و خلفيات الميدانية و الانسانية ، و تبين مأساة الشعب الجزائري و لما عرفت الثورة اهمية الاعلام والاخبار و السينما انشأت قسما خاصا بهذا عام 1959 .

فالأفلام الاولى كانت وثائقية و معظمها ترصد الواقع الجزائري واحداث التاريخ و تقدم صورة الرأي العام العالمي ، و كانت تعتمد على الشهود و على ماحدث للاجئين و ما قام به جيش

تحرير و من اهم لك الافلام " الجزائر الملتهبة " مدته 23 دقيقة ،لاجئون ساقية سيدي يوسف ،، جزائري ....الخ بالأبيض و الاسود ، و في سنة 1962 يعرض فيلم بالألوان بعنوان خمسة رجال و شعب و غيرها من الأفلام و البقية بالالوان .

اما الافلام الفرنسية فكانت تصور الجزائري على انه متوحش يجب تخليصه من تلك الرذائل الذي هو فيها و تحريره .

نحاول ان نتتبع اثار تلك الافلام على المشاهد من خلال فيلم جزائرنا و من كلام العلامة ابو القاسم سعد الله " و الحق اننا شاهدنا من غيرنا هذا الفيلم في مناسبتين و نحن طلاب في القاهرة و امريكا فكان له وقع كبير علينا و على غيرنا من المشاهدين ، فقد شد انظارنا و ابكر على قلوبنا قبل عيوننا و اختلط عندنا الاعجاب بالبطولة و المقاومة الشرسة بالمناظر الطبيعية الخلابة .

وعادت (جزائرنا) فعلا الينا بعد أن كنا نعيش الواقع الاستعماري الذي حاول أن ينزع منا هويتنا ، فكنا نحس بالتلاحم و وحدة الحاضر و المستقبل ".[1]

جزائرنا فيلم وثائقي لا يتجاوز عرضه 25 دقيقة و هو من عيار 35 ملم ، و ناطق بالعربية وساهم في اخراجه جمال شندرلي و الاخضر حمينة .

و منه نجد أن موضوع سينما يتجاذبه الهدف الاعلامي ترويجي و لأهداف محددة مثل الحرية و الاستقلال و هدف فني جمالي و لكن في مثل هذه اللحظة يفقد المعنى الجمالي و يهتم بالمضمون كعادة الفن الجزائري السنيمائي في الحروب الاجمالية و لكن روح المقاومة و حب الوطن .

[1]- أبو القاسم سعد الله ،ج 9 (ت ج ث) المرجع السابق ، ص 385

إنها المبادئ التي يحيا من اجلها الانسان و يعيش و الحرية التي افتقدها الشعب الجزائري لمدة من الزمان ولما لاح بريقها اجتمع عليها زعماء الحركة الوطنية فكان التضامن و روح التضحية و هذا ما يميز الشخصية الوطنية الي هي دعامة الثقافة الجزائرية .

فالصور و التعبير و المعنى و الموسيقى كلها عوامل تنمي في الفرد روح الشعور و تغمس الشخصية و تأثر بالمشهد و ربما كان عمل لفيلم او مشهد أقوى من معركة في الميدان و نحن نعلم دور هيئة الامم اين انسحب ممثلو الادارة الفرنسية من هيئة الامم المتحدة يوم مناقشة القضية الجزائرية .

نتائج الفرضية الأولى

بعد تحليل الجداول الفرضية الأولى كتالي :

فيما يخص التصوف عند ما كانت الجزائر في العصر الذهبي كان التأليف ومستوى تعليم في قضايا العصر من أهم مايشغل المربون في ذلك الوقت أي نسبة 34.79% كما كانت القيم وروح التضامن عالية . برغم وجود عدم الاستقرار وهذا يدل على أهمية التربية الروحية (التصوف)في العهد الأول .

وفي العهد العثماني عرف التصوف نوع من الإنحراف والدخلاء الذين أصبح همهم هو جمع الأموال أو غايات دنيوية وهذا أثر على العامة هو عموما وعلى تعليم روحي ثانيا فكانت نسبة تكلم سعد الله عن أدعياء التصوف نسبة 13.20% إذا قرنت بالوحدات الأخرى فبرغم من دعوات الإصلاح أي أنها لم تنجح في إدراك الأهداف السامية لتصوف ، أصبح يلعب دور سياسيا في الخير أكثر منه تعليمي .

اللغة العربية :

دراسة وتعليم العربية بجانب القرآن الكريم مثلت نسبة 21.73% في كتابة مقال وسائل الإتصال والتواصل بين المسلمين وهذا لإرتباط اللغة بالقرآن الكريم .

فتوحيد اللغة في أقطار المغرب العربي ساعد على التضامن والإتحاد والإحساس المشترك في الدين والمعتقد وحتى المستقبل الواحد، هذا قبل الإستعمار طبعا وهذا يدل على أهمية اللغة العربية في تاريخ المغرب العربي عموما والجزائر خاصة .

وجدنا أيضا ان روح الإحترام والتضامن الجماعي داخل الكتاتيب شكلت نسبة 25.92% من دور التعليم وخاصة الكتاتيب في غرس قيم الاجتماعية وأهمها الأخلاق

ومنه فالبنية الاجتماعية كانت قوية في العهود الإسلامية وكانت طبقات أكثر تضامن .

وفي العهد الاستعماري تراجع التأليف والتعليم اللغوي وأصبح التأليف أكثره في الآدب الفني وحتى السياسي موجود وبدأ الفرد والمجتمع الجزائري في تخلي عن تلك المقومات وأهمها اللغة بسبب المستعمر الذي حاول القضاء على الكتاتيب والمدارس والزوايا فيلجأ الأديب إلى القضية وهي نوع من المقاومة ضد المستعمر

وسعد الله يعتبر اللغة فن وإبداع وذلك بنسبة 30.76% في مقالته تعاملي مع اللغة وهذا يدل على ان اللغة عند سعد الله هي أساس من أسس التربية وهو خاصة مر بها في حياته وأثناء طفولته أول ما أبدع في اللغة .

أما للعلوم فكانت دراسة للمنطق والفلك الحصة الأكبر في العهد الذهبي بنسبة 29.62% وكذلك علوم الطب والطب النبوي.

وفي العهد الاستعماري كان الاهتمام بعلم الكلام والعقيدة (فلسفة) وذلك تأثر بعلم التصوف

كما عرف في العهد الذهبي اهتمام متزايد بالموسيقى مع ملاحظة التذوق الهائل لها وبرغم من اختلاف العلماء عن حكمها إلا أنها كانت رائدة وموجودة، وتكلم عنها سعد الله بنسبة 23.35% وهذا يدل على أهمية العامل الوجداني في الناشئة وتربيتها ويقصد به تاريخيا حتى أن سعد الله لم يكن يعارض ذلك وتكلم عن دور سينما في الجزائر والأناشيد في تحفيز الناشئة والجماهير لدعوة إلى ثورة

وهذا يدل على توجيه أن المؤسسات التربوية قادرة على توجيه طاقة الإبداعية لتلاميذ إلى الأهداف السامية ويلعب فيه دور الوجداني دور البارز .

ومنه فإن التربية هي عملية متكاملة ومستمرة عند سعد الله حسب الأوليات والأهداف والزمان والمكان .

الفصـــل الثامن

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثانية

الفصـــل الثامن :

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثانية

- عرض وتحليل جداول الفرضية الثانية
- نتائج الفرضية الثانية

جدول 31: يبين دور الفكر التقدمي لبعض الجزائريين

فئة التحليل : التجديد الإصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	التجديد في الادب و الفقه	10	18.86
02	التجديد في النظام الجند و الجيش	10	18.86
03	التجديد في النظال السياسي	11	20.75
04	الاصلاح الديني و الاجتماعي	09	16.98
05	التجديد العلمي لمشروع الدولة الفريد من نوعه	06	11.32
06	التجديد الطبي	07	13.20
	المجموع	53	100

القراءة الاحصائية :

من هذا الجدول نلاحظ ان هناك 06 وحدات موزعة على فئة التجديد ، اذ ان نسبة 20.75 % من هذا البحث يتكلم عن التجديد في النضال السياسي و ذلك في الوحدة رقم 03 مقابل نسبة 18.86 من النص لصالح كل من الوحدة رقم 01 التجديد في الفقه و الادب و الوحدة رقم 02 و ذلك في التجديد في نظام الجند و الجيش .

كما أننا نجد نسبة 16.98 % للإصلاح الديني و الاجتماعي في الوحدة رقم 04 ، مقابل 13.20 % من النص لتجديد الطبي وذلك في الوحدة رقم 06 ، مقابل نسبة 11.32 % لتجديد العملي الذي قدمه الامير عبد القادر في دولته في الوحدة رقم 06 .

القراءة السوسيولوجية:

هذه المحاضرة القيت في ملتقى السادس لتعرف على الفكر الاسلامي المنعقد بالجزائر صيف 1972 .

كما تعد ودنا دائما دراسة الوضع الاجتماعي و السياسي و الثقافي و العسكري قبل تكلم عن أي اصلاح او تجديد .

حسب ما فهمنا ان الجزائر تعرضت عبر تاريخها الى اضطرابات شديدة نذكر منها ان الجزائر كانت تعتبر نفسها دائما في حالة جهاد ضد اوربا و بالاخص اسبانيا و ليس الحرب الصليبية فقط و لكن ايضا تواجدها في منطقة وهران حتى اواخر القرن 18 م .

ولم تنعم بذلك حتى دخلت في استعمار فرنسي بغيض اضافة الى ان الحكم العثماني ايضا امتاز بثورات سياسية و دينية و ايضا في العهد الفرنسي كان كله تقريبا ثورات زعمائه أهل الدين و عموده الفقري هو الشعب .

و هكذا نجد ان عدم الاستقرار و الجهاد هو سمة الغالبة في التاريخ الجزائري ، مخالطة الجزائريين للأوربيين في ظل الحضارة الغربية يظهر انه اورثهم فكر التقدم و التجديد و الاصلاح امام الفساد الناتج عن الراعي و الرعية .

للأسف ايضا ظهرت ظاهرة الهجرة للعلماء و الاعيان و المفكرين نتكلم اولا عن نضال سياسي الذي يركز عليه ابو القاسم سعد الله:

فنجد تأثير حمدان خوجة على الحركة الوطنية الجزائرية عموما حيث اصبح خوجة زعيم المقاومة السياسية للإحتلال و يكتب عرائض الاحتجاج و يقدمها للفرنسيين .

و يتصل بقيادة المعارضة امثال الحاج احمد باي قسنطينة و يؤلف لجان مقاومة و عندما نفاه المستعمر الف كتابه المشهور (المرآة) الذي هو عبارة عن تاريخ سريع للجزائر العثمانية و وقائع الاحتلال الفرنسي مدعما بالوثائق و البراهين و يعتبر مرجعا حقيقيا في التاريخ للجزائر و استند الى مفهوم القومية و دافع عن التشريع الاسلامي وله ايضا (مذكرة) حمل آرائه السياسية و الاصلاحية و قارن بين المسلمين و الفرنجة فوجد انهم مهروا في الطب و الصنائع و الرياضيات و اولئك اعتنوا بالعلوم الشرعية و الادب فتمنى على قومه ان يغيروا من شأنهم في العلوم و الصنائع .

كما نجد أحمد بن عمار مجددا في الادب و الفقه كما ان العلامة ابو القاسم سعد الله يقول انه بعد القائه للمحاضرة وجد ان ببن عمار هاجر الى تونس سنة 1195 هـ و وضع كتابا في التاريخ عن علي باي حاكم تونس في ذلك الوقت (وهذا في هامش صفحة) و تكلم عن رحلته

الحجازية وسماها (نحلة اللبيب في اخبار الرحلة الى الحبيب) فيها ادب و اشعار و تقاليد اجتماعية و هو يعتبرعلما من اعلام الادب القرن 18 م و كان مجددا في الادب و الشعر و ايضا في الرأي و الاجتهاد و دعا الى تحرر العقل وانتقد الجمود و تمسك بالنقل و التقليد رغم ظهور الحق .

و في ميدان الجند و للجيش نجد دعوة العالم و المفكر محمد بن العنابي و كا له الاثر الطيب في التجديد و التطوير في اكثر وضوحا واودفع منطق (في اواخر القرن الثاني عشر هجري) و اهم كتاب له هو (السعي المحمود في نظام الجنود) .

و تكلم في ترتيب العساكر و تصنيفهم و اكد عل اهمية التفوق العسكري الاوربي خاصة بعد الثورة الفرنسية و حذر من اهمال الجيش و اموره و انتصار الاوربيين في مختلف المعارك ورفع صوت مناديا بتطوير الاوضاع و الكتاب يحتوي قسمين :

1-قسم الامور العسكرية 2- قسم في الامور السياسية .

و نادى بمجاراتهم في ادوات الحرب و صنائعه ، و في الميدان الطبي ذكر عبد الرزاق ابن حمادوش و لانريد الاعادة كما كتبنا عليه فيما سبق و لكن نذكر انه ايضا لم يكتفي بالنقل العلوم بل كانت تجرب ذلك و يلاحظ الماء العذب و المالح و معرفة الخصائص و ايهما اثقل وزنا و درس مزاج الانسان و تاثيرات العوامل الخارجية عليه و حتى هناك من نال درجة دكتوراه على ترجمته لاعمال ابن حمادوش و دراستها .

كما نذكر اهمية تجربة دولة الامير عبد القادر التي كثيرا ما يذكرها العلامة ابو القاسم سعد الله و نذكر ما قاله عنه " إن الامير قد ساهم عمليا ي تدعيم ونهضة العالم انه الحق و عن بيضة الاسلام خلال فترة طويلة و ضد قوة كبيرة تكل دونها الهمم و تضعف العزائم و قد احتذى حذوه عدد من مجاهدي العالم الاسلامي و لكنهم لم يبلغوا انشاؤه " [1]

لقد وضع دعائم دولة عصرية حسبه و لذلك سنتكلم عنه ايضا في اخر البحث .

و أيضا تكلم عن دور المولود بن الموهوب و أثره في الحركة الوطنية الجزائرية ولد في قسنطينة سنة 1908 م و كانت له آراء جريئة في إصلاح و النهضة الإسلامية و تأثر بحركة الجامعة الإسلامية و أصبح من زعمائها كما دعا إلى اليقظة الشاملة و دعوة إلى العمل و الاجتهاد و دعا إلى القيم الاجتماعية المودة الصادقة بين الشعوب و ان المسلمين بعيدين كل البعد عن التعصب و دعا إلى اكتساب المعارف.

مقابل هذا نستطيع إن نلاحظ و بسهولة مدى حيوية الفكر الجزائري و تفاعله مع حاضره و أحوال عصره، يمكن القول ان العلماء كثيرا ما نادوا بالإصلاح و التجديد لك هناك حملة من الأوضاع لم تساعدهم على النجاح منها سياسة خاصة مع تفاعل النخبة مع أوضاع مجتمعهم.

و لقد حارب المستعمر تلك الأقلام و قام بنفيها في الخارج و استطاع البعض منهم الاندماج في بعض الشعوب الإسلامية الأخرى منهم ابن العنابي و ابن الكبابطي في مصر و الامير

[1]-أبو القاسم سعد الله منطلقات فكرية- مرجع سابق ، ص78

عبد القادر و الشيخ الطاهر في المشرق و حمدان خوجة في اسطنبول ، و ابا حامد المشرقي في المغرب و اشتركوا أيضا في الجهاد و منهم العالم الشيخ اباراس الناصري الذي عاد من تونس ليشترك بنفسه في تحرير وهران من الاسبان ان حركة الجامعة الإسلامية في المشرق و حركة الإصلاح الديني و الاجتماعي في الجزائر هما وجهين لعملة واحدة و في مفهوم و فكر ابو القاسم سعد الله " و اذا كانت الجزائر بحكم اتصالها المبكر بالاستعمار الغربي و قد سبقت الى كثير من أفكار النهضة الإسلامية" .[1]

و هكذا نجد إن التجديد الذي يعنيه العلامة أبو القاسم سعد الله يشمل العلوم العقلية و العلمية (كالطب نموذجا) و حتى بتمحور بمفهوم أكثر علمي في بناء دولة نموذجية في ظل مشروع محكم المجالات و الأدوار للمؤسسات العلمية التي هي من المفروض تكون دعامة اساسية لهذا التجديد و التي قد يمثلها البحث العلمي مثلا في الجامعة .

كما نلاحظ دور العلماء الجزائريين في الخارج كما داخل وذاك من استمرارية المبادئ و الدفاع عنها و يمكن أن نذكر مثلا مساهمة بعض المؤسسات التعليمية في نشر الكتاب و مثل المكتبات و هي كثيرة بيت الحكمة، خزانة الحكمة ،دار الحكمة ، و أحيانا بيت العلم و الخزانة العامة و الى الآن يطلق اسم الخزانة على المكتبة الوطنية بالرباط (المغرب).

[1]- أبو القاسم سعد الله منطلقات فكرية- مرجع سابق ص82

جدول 32: يظهر دور المؤسسات التربوية في الجزائر

فئة التحليل : مؤسسات التربوية (التاريخ)			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	دور الزوايا	07	13.20
02	دور المساجد	21	39.62
03	دور المدارس	19	35.84
04	دور المكتبات	06	11.32
	المجموع	53	100

القراءة الإحصائية:

كما نلاحظ ان الجدول مقسم الى 05 وحدات واذ ان نسبة 39.62 % من نص تمثل دور المسجد و هي اكبر نسبة و ذلك في الوحدة رقم 02 مقابل نسبة 35.84 % من نص تمثل دور المدارس و ذلك في الوحدة رقم 01 .

كما سجلت اقل نسبة 11.32 % من نص في دور المكتبات و ذلك كما يتبين في الوحدة رقم 04.

التحليل السوسيولوجي :

ان دور المؤسسات التربوية الثقافية تكلما عليه فيما مضى في الجانب النظري الآن نركز فقط على الجانب التاريخي ان زوايا حلت محل الرباط الذي كان في الأصل مركزا متقدما لدفاع عن حدود الدولة ضد غارات الأعداء و كانت تعلم القرآن و علومه و كان مركزا للجهاد و التعليم في آن واحد و بمرور الوقت أصبحت مخصصة لتربية و التعليم أكثر من الجهاد و الغالب انها تقترن برجل صالح أساسها رباط للجهاد و نشر العلم و التربية الروحية.

و منذ ظهرت طرق الصوفية أصبحت مقرونة بالتصوف إلى احد الشيوخ لطريقة ويقوم الشيخ بعملية التعليم و أعمال أخرى خاصة بالتصوف كذكر و أعمال اجتماعية كالإصلاح بين الناس و تامين الماء و الغذاء للقوافل التجارية .

و الملاحظ أن التعليم ففي زوايا أكثر شيوعا منه في الكتاتيب فيه علوم الدين و علوم اللسان والأخبار و التصوف و مناقب الصالحين .

و معظم أهل الفكر و القضاة و المدرسون و الأدباء تلقوا تعليمهم فيها .

أما المساجد فأول مسجد هو مسجد النبي صل الله عليه و سلم و مكان العبادة و تعليم الاسلام و أحاكمه في عهد النبي

تم تجمع الخلفاء على نشر القرآن و علومه و تبعه المساجد الكبرى ي نفس الدور كدمشق و بغداد و القيروان و قرطبة و فاس فالمساجد قديما هي معاهد للعلم في الجزائر نجد مسجد سيدي بومدين بتلمسان و تجد فيه ايضا الحلقة و دروس العلم و معه ايضا مجالس القضاء و مجلس الفتوى و مجلس الشورى و مجلس الادب و اكثر اهتماما كان الفقه و العلوم الشرعية وفي الغالب المدرس هو الامام و قد و قد تتبعه عدد من زوايا مثل جامع الاموي او عمر بن العاص في مصر.

و في العهد الفاطمي تأسس الجامع الأزهر كما اهتمت الدولة العثمانية ببناء المساجد ولكن معظم أموالها كان من أهل الخير و في المغرب مسجد عقبة بن نافع المعروف بجامع القيروان (50هـ) و كان جامع القيروان مفتوحا لمختلف العلوم و المذاهب و جامع الزيتونة بلغ مكانة عالية في العهد الحفصي (7هـ) و يعتبر ابن خلدون من تلاميذه .

أما المدارس فقد ظهرت في القرن الخامس عندما شيدت في بغداد المدرسة النظامية و التي كانت نموذجا احتذى به بناة المدارس في المدن الإسلامية الأخرى و ظهر لان العلوم الدنيوية لا يجوز تدريسها في المسجد و غير مريح لطلابه و أيضا تنوع العلوم و ازدهارها ، و اختصت المدرسة بالتعليم العام بما فيه العلوم الشرعية و المدرسة بالعلوم الأجنبية كالطب و الفلك و الرياضيات ...الخ.

ثم ظهرت مؤسسات اخرى مثل دار (دار الحديث) بدمشق حيث اصبح منصب استاذ يضاهي منصب استاذ الشريعة و دار القرآن ايضا و غيرها .

و مدرسة بغداد المدرسة المستنصرية و هي اقرب إلى الجامعة و تدرس الفقه اللغة و الحساب الفرائض و الهندسة و التاريخ و الشعر و الصحة و العناية بالطب أيضا.

و لما اتى الجمود و التخلف العقلي و خاصة في القرن التاسع عشر فكان لدعاة الإصلاح أهمية خاصة بالمدارس ذات طابع تعليمي يجمع بين التعليم الإسلامي و التعليم الأوربي نفس الشئ بالمشرق و مصر

أما المكتبات : اهتم بها المسلمون بكثرة لأنها خزانة الأساسية لتعلم و تزويد بالعلم بعد المدرس و أخذت تسمى مسميات متنوعة بيت الحكمة ، خزانة الحكمة ، الخزانة العلمية ، وكانت مفتوحة للزوار و فيه ايضا تقع المناقشات العلمية أما الحلقات فقليلة .

وانتقل الكتاب و المخطوط بفضل رحلات الحج و انتقال العلماء و زاد اهتمام المستشرقين بالعلم و الوثائق و الكتب و سبب الحروب و عدم الاستقرار زاد انتقال الكتب والمخطوطات العربية إلى باقي بقاع الدنيا لأنها كانت مصدر العلم و المعرفة .

و قد زاد اهتمام المستشرقين في العصر الحديث بالمخطوطات العربية و الدراسات الإسلامية من رحلة الكتاب إلى المكتبات الأوربية و الأمريكية و غربته عن موطنه الأصلي و هذا الذي سبب تجريد عدد من البلدان العربية من ثروتها الثقافية و خاصة في الجزائر .

و هكذا نجد أن قيمة التراث اليوم تزداد أكثر من السابق .

فالمستعمر الفرنسي لقد ذهب و لكنه أخذ موروث ثقافي كبير يمثل في الوثائق و المخطوطات بمختلف أصناف العلوم .

جدول 33:يظهر بعض الدراسات الفكرية الإصلاحية في الجزائر

فئة التحليل: الإصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	دراسات فكرية فلسفية	09	17.30
02	الشريعة و الاجتهاد	08	15.38
03	الأوضاع الاجتماعية و حالة المسلمين	10	19.23
04	الدعوة و الحضارة	19	36.53
05	دراسات عقائدية	06	11.53
	المجموع	52	100

القراءة الإحصائية:

الجدول يحتوي على 05 وحدات لتحليل إذ أن نسبة 36.53 % النص تتحدث عن دراسات حول الدعوة و الحضارة و في ذلك في الوحدة رقم 04 ، مقابل نسبة 19.23 % من النص أيضا دراسات عن الأوضاع الاجتماعية وحالة المسلمين و ذلك في الوحدة رقم 03 ، و مقابل نسبة 17.30 % تدور حول دراسات فكرية فلسفية و ذلك في الوحدة رقم 01 ، مقابل ايضا نسبة 15.38 % لدراسات حول الشريعة و الاجتهاد وذلك في الوحدة رقم 02 .

كما نلاحظ ان اقل نسبة هي 11.53 % هي عبارة عن دراسات عقائدية في الوحدةرقم 05 .

التحليل السوسيولوجي:

ضمن الجدول نجد أن اغلب الكتابات و دراسات تتناول الدعوة و الحضارة و هذا نابع من أن صلات الجزائريين بالعالم الأوربي و بالاستعمار الفرنسي و قبله الاسباني إلى ضرورة معرفة الحضارة الغربية و سبل الارتقاء بالمسلمين إلى الحضارة إلا أن دراسات الأوضاع الاجتماعية هي أيضا كان لها القسم الأكبر و لا يمكن النهوض و التكلم عن النهضة بدون معرفة أنفسنا كما أن عمليات التبشير التي قام بها المستعمر جعلت من الجزائريين الاهتمام ايضا بالدعوة و حقيقة الإسلام و قضاياه كالاجتهاد .

كما لا يخفى تأثير حركة الجامعة الإسلامية من جهة و القومية العربية (العروبة) من جهة أخرى أدت إلى بلورة الفكر العربي الإسلامي .

عموم البحوث تتكلم عن الإسلام و قابلية النهضة و مسايرة العصر و موضوع الإصلاح الاجتماعي و الديني و الدعوة إلى تجديد دور الزوايا و مناهج التعليم الإسلامية و نبذ الخرافات و البدع و كان الاجتهاد م هؤلاء عبد الحميد بن باديس ، مالك بن نبي ، عبد الرحمان بن الحفاف، المبارك الملي ، و قد كان هؤلاء يريدون مواكبة العصر و المحافظة على تعاليم الدين.

و أيضا اشتغلوا بقضايا فلسفية معاصرة كما لا ننسى تأليف الأمير عبد القادر كتاب ذكرى العاقل و تنبيه الغافل و كتاب علاقة الدين بالفلسفة ، بحث لعبد الحليم بن سماية قدمه سنة 1905 إلى مؤتمر المستشرقين 14 بالجزائر ، و كان عبد الحليم معروفا في الساحة الفكرية منذ أخر القرن الماضي.

و أيضا دراسة لعبد الرحمان ب الحفاف تحت عنوان تمهيد لدراسة الإسلام درس فيه حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و تطور المدينة الإسلامية و رد على بعض المستشرقين ، و المؤلف من أسرة ابن الحفاف الشهيرة في الجزائر و لعل والده أو جده هو علي بن الحفاف

مفتي المتوفى سنة 1890 (1307) و مؤلف احد الكتب في القراءات و له أيضاس كتاب يخص الحضارة (منابع الحضارة العالمية) .

كما لا ننسى كتاب رسالة الشرك و مظاهره لمبارك الميلي و هو كتاب في أصول الإصلاح الاجتماعي و العقائدي و تعتبر مصدرا أساسيا لمعرفة الاهتمام الذي بنت عليه جمعية العلماء حركتها الإصلاحية و الذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية في المشرق كما قرظ الشاعر محمد العيد رسالة الشرك بقصيدة مطلعها :

شرع الإله الدين للإتباع و دعا إليه الخلق بالإقناع

و حارب البدع و الخرافات و الطرق الصوفية التي بلغت إلى درجة الضلال و منها أنه ذكر أتباع التجانية عندهم يوم يسمى (يوم النظرة) و نادي الجموع لمن رآه من أتباعه و ضمان الجنة لهم و لي سبعة أجيال و ذكر بعض الأحداث الأخرى منها طريقة الحنصالية و فيه أيضا أن شيخهم أباح لهم الملاهي و هذا أمر صريح بخروجه عن مظاهر الدين الحنيف.

وإذا كما نجد أن معظم هذه الدراسات تدخل في عمق القضايا الاجتماعية و الدينية المعاصرة التي عالجها العلماء و المفكرون و أهل الدين في الجزائر و لها قيمة تراثية كبيرة و غرضها الإصلاحي بدرجة أولى تستحق منا الإشارة و الاهتمام ، كما انه من المفروض أن تكون موطن عناية و اهتمام من طرف العلماء و المؤسسات المختصة في ميدان الفكر و الدين و الحضارة على العموم

جدول34 : يمثل الإبداعات الفكرية لمالك بن نبي

فئة الموضوع : الإبداع			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	استقلالية فكر مالك بن نبي	10	29.41
02	البيئة و المحيط	09	26.47
03	العوامل الفكرية في فرنسا	05	14.70
04	إبداعات مالك بن نبي	10	29.41
	المجموع	34	100

القراءة الإحصائية :

نلاحظ من الجدول أن هناك 04 وحدات لتحليل ، اذ ان نسبة 29.41 % من نص تتقاسمها الوحدة 01 التي تعني استقلالية فكر مالك بن نبي و بالنفسه السنة ايضا للوحدة رقم 04 تحت عنوان ابداعات المفكر مالك بن نبي و التي تمثلها الوحدة رقم 02.

كما نلاحظ أقل نسبة هي 14.70 % من النص للعوامل الفكرية المساعدة عل ظهوره في فرنسا وذلك في الوحدة رقم 03 .

التحليل السوسيولوجي:

نلاحظ من الجدول ان فكر مالك بن نبي يتميز على كل المدارس الفكرية التي عرفتها الجزائر منذ الحرب العالمية الاولى فلا هو من تيار المدرسة الاستعمارية ولا م النخبة الاندماجية ولا من النخبة الاسلامية التي رضيت بالوظيفة بعد الخروج ولا من اتباع الامير خالد و لا نجم شمال الافريقية ثم حزب الشعب و حتى ابن جلول و فرحات عباس لقد وصفهم بالمنحرفين و هو يمتاز بكثرة النقد و ان يحس بطبيعة انه من تلاميذ ابن باديس فانه ايضا بيدا عنهم و كان كثير لنقد المدرسة الاصلاحية لابن باديس و العقبي و التبسي و اجتماعيا في ميدان تربيته نلاحظ في التبسة تلك القبائل البدوية و ايضا معالم الحضارة الاوربية التي تمثلها في مدرسة السيدة بيل و البلدية المختلطة .

و في هذا يجد ايضا بعض العائلات الغنية كانت " تتصعلك" حسب تعبير بن نبي نفسه أما الفقراء فكانوا يزدادون خطرا و في الحقيقة ان مالك بن نبي كان يلاحظ ذلك بكل دقة في المقاهي و الاسواء زيارة المسؤولين و كل ذلك كانت تحكي له جدته ابن نبي و تروي له ما عاشته اثناء هجوم الاستعمار الفرنسي على قسنطينة و ما اصاب العائلات من هلع و من سلب و نهب و تشريد و هكذا تشبع بالوطنية و ان الجزائر مغتصبة .

و تحدث ابن باديس على تاثير رجلين في حياته الاول هو محمد الصالح بن مهنة الذي كان مدرسا في احد مساجد قسنطينة منذ الثمانينات من القرن الماضي و كان ميالا الى الاصلاح الذي اعتنقه في المشرق عن دراسته بالازهر ، ولكنه كان مصلحا معتدلا ، اما الرجل الثاني فهو عباس بن حمانة الذي ترك بصماته على الحياة السياسية و الاصلاحية في تبسة اوائل هذا القرن.

اذا مقابل هذا نجد أن مالك بن نبي و امام عبقريته كباقي المصلحين نجده ناقم عن الوضع السائد على السياسين و على رجال الدين بعد ما يذكر القاضي سكير و الصوفي دجال و

الفساد الحاصل يقول ابو القاسم سعد لله " لا تسال عن نفاق الزعماء السياسين سواء كانوا من مدرسة الاندماج أو مدرسسة الاسقلال .

ولكن ابن بني وجد عزاءه في صفاء النفس لدى المواطنين العاديين و بساطة عيشهم و بقائهم على الفطرة في حديثهم و كرمهم وسلوكهم ، انه المواطن نفسه في ريف تبسة و في ريف افلو ذلك الانسان الذي رغم مما اصابه من ظلم و تعسف من الادارة الفرنسية ما يزال محتفظ برصيده الاخلاقي و التراثي الانساني " [1] .

واذا اسقطنا هذا الكلام ماذا نقول عن مجتمعنا اليوم هل هذه القيم مازال يتمسك بها الانسان الجزائري ، و في فرنسا ساعده الجو الثقافي هناك خاصة في منتدى الوحدة المسيحية الذي اشترك فيه و نشط فيه و تفاعل مع غيره و بكثرة المطالعة في الادب و التاريخ و الاسلام و حضارته و عن الفكر البشري عموما .

وقرأ الكثير من الكتاب الفرنسيين و العرب ايضا ، فكان مشبع بالفكر الاصلاحي و الفكر القومي آمن بالوحدة العربية و حارب الانشقاق و يقول عن نفسه انه وطني و لم ينتمي الى أي حزب او هيئة و هكذا احتفظ باستقلاله الفكري حرية النقد .

و نحن عندما نلاحظ تلك الافكار و نقارنها بمبادئ جمعية علماء المسلمين و فكر العلامة ابو القاسم سعد لله نجد انها متقاربة .

و في كتب مالك بن نبي (لبيك) و الظاهرة القرآنية و في مهب المعركة و شروط نهضته تجد عمق الأفكار وكثرة قراءته جعلته يستطيع تكلم عن الاعجاز القرآني و النبوة و التوحيد باسلوب تحليلي جديد على القارئ و أهم ما يبرز كتابات مالك بن نبي استخدام التحليل النفسي في الموروث الاجتماعي.

[1]- أبو القاسم سعد الله ج 7(ت ج ث)- مرجع سابق ،ص 215

و ايضا من ابداعاته مسيرة الحضارة الانسانية وضع لها قواعد خصها الباحثين بدراسات شاملة مع نظرية نظرية ابن خلدون و توينتي و نظرية شينقلر جديدة و ابن نبي يرى الحضارة تمر بدائرة و تعبرها جديا .

و كما نجد ان مالك بن نبي لم يكتفي بتمثيل البعد التنظيري و لم يقتصر على جانبي التشخيص و التفسير فقط ، بل شمل الحلول المقترحة لمشكلات العالم الاسلامي ممن طرف.

و هكذا فكلا من العالمان مالك بن نبي و ابو القاسم سعد الله لم يكتفيا بعرض المشاكل بل بتقديم الحلول ففكر ابو القاسم سعد الله هو ايضا يتميز بتلك الصفات فمشروعه التربوي الثقافي يبني على نسق من العلاقات و القواعد و الظوابط برؤية متكاملة و هذا في حد ذاته ابداعا .

جدول 35: يوضح علاقة التجديد في الجامعة الجزائرية

فئة التحليل: التجديد			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	مؤسسة وطنية (وضعيتها)	08	30.76
02	تنظيم المنظومة الجامعية	07	26.92
03	تقسيم الجامعة	04	15.38
04	تشجيع الحركة التفاعلية بين الجامعات	05	19.23
05	توحيد لغة اللتعليم (اللغة الوطنية)	02	7.69
	المجموع	26	100

القراءة الإحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ ان هناك 05 وحدات ، اذ ان نسبة 30.67% من النص تتكلم عن ان الجامعة مؤسسة وطنية وذلك في الوحدة 01 ، مقابل نسبة26.92 % من نص تتكلم عن تنظيم المنظومة الجامعية وذلك في الوحدة رقم 02 ، مقابل نسبة 19.23 % من نص تتكلم عن تشجيع الحركة التفاعلية بين الجامعات وذلك في الوحدة رقم 04 ، مقابل نسبة 15.38 % من نص تتكلم مشكلة تقسيم الجامعة وذلك في الوحدة رقم 03 .

كما نلاحظ ا اقل نسبة هي 7.69 % من نص تتكلم عن توحيد اللغة تعليم باللغة الوطنية و ذلك في الوحدة رقم 05 .

التحليل السوسيولوجي:

من الملاحظ من الجدول نجد ان العلامة ابو القاسم سعد الله ينظر الى الجامعة كمؤسسة وطنية قبل ان تكون مؤسسة اكاديمية و من هنا يجب ان نقدم ادوار كبيرة في خدمة الوطن منها الوحدة و العلم و بالتالي تجمع ولا تشتت .

و للأسف حسب الملاحظ أن الجامعات المركزية اصبحت تتجه نحو القبلية او الاتجاه الانفصالي حتى من الجامعة المركزية .

و يقول " استغللت العناصر التي جاءت للصيد في الماء العكر هذا الشعور الجهوي المنحرف و زادت تغذي المشاعر العرقية و اللهجات المحلية و ما اسمته بالفنون الشعبية و تناسقت النغمات و تألفت حتى خرجت من الجامعة الدعوة الى الانفصال و الدعوة الى الانفصال ي الجامعة تعادل في نظري حركة التمرد في الجيش كلتاهما تستوجب الموقف الحازم و العقاب الصارم "

فواضح انه من المفروض ان تكون الجامعة في خدمة الوطن لا الجهة او الجماعة و منذ اصلاح جامعي سنة 1971 ظهرت فكرة زرع الجامعات في كل الوطن و كان من الافضل وضع ضوابط لذلك وجود جامعة الوطنية الام التي توجه و ترشد من اجل توفير الاطار الوطني الكفء عوض اعطاء الشهادات بشكل مبالغ فيه .

و ايضا حتى زرع الجامعات من المفروض يكون مدروسا في زمان و المكان حتى اصبحت بعض المراكز تتعامل مع الجامعات الاجنبية مباشرة.

ثم يقترح ابو القاسم سعد الله على ان يكون الاختصاص في الجامعة الجديدة في دراسات معينة لا يوجد من غيرها حتى تكون الجامعة مفتوحة لمجموعة من الولايات و ينموا فيهم الانتماء الوطني ، وكذلك عملية دمج هيئة التدريس في بعضها و ابعادها عن الجامعة المحلية حتى

يبعد التفكير القبلي و الانتماء الضيق و بفضل تشجيع الحركة بين الجامعات في اطار الطلاب و الاساتذة ان هذه الحركة و النشاط و تفاعل يزيل حواجز اللهجات و العادات.

كما يجب توحيد لغة التدريس و هي بالطبع العربية فالازدواجية في التدريس قد تؤثر في شخصية الفرد الجزائري .

و هكذا كما نجد ان الانتماء الوطني حسب مفهوم العلامة ابو القاسم سعد الله يغرس عبر المؤسسات و ليس دروس تقدم فقط . و ان الهدف الاسمى هو توحيد الوطن و عدم تهاون في الانقسام او ترويج له و ان اللغة و الدين و الوطن لا يمكن المساس بهما في مفهومه .

جدول 36 : يظهر أثر اللغة العربية في التقدم التكنولوجي

فئة التحليل: اللغة العربية			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	المحيط الاجتماعي و السياسي للأدب و الأديب	17	30.90
02	العلم يسبق الادب	09	16.36
03	الهجوم على اللغة و الادب	12	21.81
04	الجو العلمي الملائم (الحرية–الترجمة)	08	14.54
05	دور المؤسسات و الجامعات	09	16.36
	المجموع	55	100

القراءة الإحصائية:

نلاحظ في هذا الجدول 05 وحدات تحليل ، اذ انه نسبة 30.91 % من البحث تتكلم عن المحيط الاجتماعي و السياسي لادب و الاديب وذلك في الوحدة رقم 01 ، مقابل نسبة 21.81 % من النص تتحدث عن الهجوم على اللغة و الادب و ذلك في الوحدة رقم 03 .

كما نلاحظ ان هناك نسبة متساوية تقدر ب 16.36 % لكل من الوحدة 02 العلم يسبق الادب و الوحدة 05 دور المؤسسات و الجامعة اى متساوية .

و اقل نسبة سجلت هي نسبة 14.54 % من نص تخص الجو العلمي الملائم(الحرية ، الترجمة .....) و ذلك في الوحدة رقم 04 .

التحليل السوسيولوجي :

هذا البحث القاه العلامة ابو القاسم سعد الله في المؤتمر التاسع لاتحاد الادباء العرب الذي انعقد بتونس في شهر مارس 1973 و قد نشر في مجلات عربية منها (الثقافة) " عدد مارس مايو 1973 "

فالمحيط السياسي و الاجتماعي للادب هو ليس وقت ازدهار العلوم عند العرب عقل الرازي و البيروني و غيرهما و لكنه عصر فيه التدهور و الاندثار شئ الكثير فالهروب من مواجهة العلم و الانكماش السياسي و الديني و التقوقع داخل الحدود المعروفة ثم الحروب الصليبية و في الاخير وقع في قبضة اقوام اشداء في الحرب لكن متخاذلين امام الانتاج الفكري .

و نعني بم ال عثمان و بذلك انتشرت الشعوذة و الخرافات و السحر و القدرية و التصوف.

والملاحظة التي يشير اليها العلامة سعد الله و هي استبقه العلم على ما يسميه العطفة و يعتبر ادق ان العلم كان يسبق الادب نلم تزدهر الاداب العربية الاسلامية الا بعد الانتاجات العلمية العالمية.

ولم تزدهر المذاهب الادبية الحديثة الا بوجود ثورات علمية عل يد قليلي و نيوتن و كوبر نيكس و باستور و انشتاين و اضرابهم.

فالحكم اليوم في العالم العربي مادر و اراء و هي تشن حربا على التعبير الحر و النقد السياسي وهذا يجعل الاديب يعيش في قلق و غربة و خوف ، وهم الآن واقعون أي المجتمعات تحت الدعاية النفسية و تحذير الشعوب باللف و الدوران ول التهريج و الافلام و المقابلات و غيرها .

اذا الاديب العربي يعاني من الاغتراب و الاضطهاد السياسي و الاجحاف الاجتماعي ، و هناك من يقول في الوطن العربي انه يرفض التقنية بدعوى انها غير انسانية و انها مستوردة و يعتمد اصحاب هذا التيار على هبوط الاخلاق في المجتمعات المتحضرة و سيتشهدون بضياع الشباب و الادباء و الفنانين في هذه المجتمعات.

كما يستشهدون بمقالات و ابحاث تندد بها وصلت اليه الحضارة الغربية من عنف ولا اخلاقية وقياس هؤلاء اراء شينغلر في كتاب (تدهور الحضارة) و بعض اراء المؤرخ توينتي و غيرهما و لكن هؤلاء ينسون ان هؤلاء لا يرفضون الحضارة في نفسها ولكن بعض مظاهر الدنيا و يحذرون مواطينهم منها لانه لا احد من مفكري الغرب قد رفض الحضارة كظاهرة من ظواهر تطور الفكر الانساني .

فالاديب اذا اردنا ان ينتج لابد من توفير بعض شروط الموضوعية منها الحرية المطلقة و الديمقراطية مع تحقيق العدالة الاجتماعية ولابد ايضا من نشر التعليم .

كما نجد ان العلامة ابو القاسم سعد الله دعا الى تعليم المرأة و لا نستطيع الاستغناء عن مشاركتها في القطاعات الحيوية .

اذ كانت المدرسة الجديدة هي التي ستخلق لنا الاديب الجديد ، فان الجامعة هي التي تكون هذا الاديب تكوينا ادبيا و علميا في نس الوقت ، وقد يكون هذا القول بعض التناقض لان الجمع بين العلم و الادب يكاد يكون مرفوضا عند الذين ما يزالون ينظرون الى الاديب على انه شخص الذي لا يخضع لقواعد علمية و منطقية ، غير اننا نطالب بضرورة التكوين العلمي للاديب ايضا يجعله يخضع للعقل الرياضي اذا صح التعبير اليس هو الذي سيصف لنا المصنع و المخبر و الطائرات و الحافلات .[1]

فالثقافة العلمية للاديب اصبحت لا غنى له عنها فهذا عهد التكنولوجيا و العلم و التقنية .

[1]- أبو القاسم سعد الله ،منطلقات فكرية، مرجع سابق ، ص83.

و الحديث عن الجامعة برغم بعض الجامعات قديمة التي من المفروض ان يتقدم بها البحث العلمي في مجال الذرة و الفضاء و التقنية بمختلف عناصرها ما زالت تحت المستوى و ما زال الكل يدرس نظري فقط و تتخبط فيي مشاكل انعدام الوسائل وقلة الاهتمام بالبحث العلمي و سؤال ما دور الاديب ؟ و هو ابن البيئة و المناخ ؟

فالتلفزة و الافلام و الاذاعة و الصحافة اصبحت وسائل مباشرة لنقل المعارف وبث التوعية لدى الجماهير و ازالة الحواجز بين اللغات و الثقافات المعاصرة.

فيطرح العلامة ابو القاسم سعد الله مجالا اخر و هو مهم ايضا و هو الترجمة ترجمة الكتب العلمية و الاثار الهادفة العلمية و ليس الاهتمام بالقصص و نحوها ، و ايضا طرح موضوع اصدار المجلات المتخصصة في العلوم و الاختراعات الحديثة .

واذا كما نجد و نلاحظ ان العلامة ابو القاسم سعد الله يؤكد اهمية نقل العلوم و الانتفاع بها و لو كان اليوم بيننا لاعطى اهمية ايضا لعالم الانترنت و دوره في تقليص هذه الفجوة و الاستفادة منها و يمكن الاستفادة من الوحدة العربية كما يطرحها ما دام هناك تفاوت علمي و حضاري موجود فالوحدة تعطي تكاملا بين العرب في سبيل النهضة العلمية .

فبهذا نلخص ان دور الجامعة و المدرسة و المؤسسات الثقافية ينتظرها دور كبير على المستوى العلمي او دفع به الى الامام عن طريق اللغة العربية ولا باس بالترجمة او الاستجاد باللغة مساعدة مؤقت .

جدول37 : يمثل مسار الطب الجزائري تاريخيا

فئة التحليل: التراث			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الثورة الطبية الفرنسية	12	19.67
02	الوضع الطبي في الجزائر	17	27.86
03	اهتمام الجزائريين ببالطبب في عهد الامير عبد القادر و القيادة الوطنية	12	19.67
04	الطب الشعبي	08	13.11
05	ترجمة التراث الطبي الى الفرنسية	12	19.69
	المجموع	61	100

القراءة الإحصائية:

نلاحظ ممن الجدول وجود 05 وحدات لتحليل قيمة الطب في تراث الجزائري خاصة إبان الاحتلال إذ أن نسبة 27.86 % من نص تعود إلى الوضع الطبي في الجزائر (الأمراض) وذلك في الوحدة رقم 02 كما نلاحظ انه هناك 03 وحدات متساوية نسبة 19.67 % و هي الثورة الطبية الفرنسية في الوحدة رقم 01 ، و كذلك اهتمام الجزائريين بالطب في ذلك العهد و نجدها في الوحدة رقم 03 .

كما نجد نفس النسبة في النص لترجمة الأعمال الطبية إلى الفرنسية في الوحدة رقم 05 ، كما أن اقل نسبة سجلت هي 13.11 % و ترجع إلى تكلم عن الطب و ذلك في الوحدة رقم 04 .

التحليل السوسيولوجي:

نلاحظ أن الوضع الطبي في الجزائر عموما قد تخلف كثيرا و ان الاكتفاء بالتداوي بالاعشاب و اللجوء الى ما يسمى بالطب النبوي و كتابة الآيات القرآنية و الحروز (الاحجبة) و ما الى ذلك .

و الملاحظ ايضا االمسؤولين الاتراك قبل الاستعمار كان لهم اطباء من الاجانب يستفيدون منهم خاصة بعد عمليات الاسر (اثناء الجهاد البحري) يعني هذا ان المسلمين عامة ليس ضد الطب كعلم ، اما عامة الناس فكانت تلجأ الى " الحكماء " المحليين او العارفين بخصائص الاعشاب و العقاقير، و لكن الاغلب كانت تلجأ الى الدراويش و السحرة و يعالجون عن طريق التمائم و الرقي و العزائم و نحوها

ولقد مضت عقود الاحتلال حتى اصبح عامة الناس يتداون عند الاطباء الأوربيين ، على العموم ان منذ الثورة الفرنسية حيث ايضا شملت الطب اصبح معروف ان الطب انتقل الى الاوربيين كما نلاحظ ذلك ابن العنابي في كتابه (السعي المحمود)

وبداوا ينقلون أطباؤهم و وسائلهم الى المراكز التي احتلوها من البلاد و فتحوا المستشفيات العسكرية و المدنية و العبادات و حاولوا التعرف على امراض البلاد و وسائل علاجها بالطرق التقليدية .

وتبين للقرشين منذ البداية ان البلاد كانت صحته بهوائها وقلة امراضها و مناعة سكانها فقد ذكر السيد جنتي دي بوسيه الذي حل بالجزائر حوالي 1932 انه سأل اوربيين قطنوا بالجزائر سنوات طويلة قبل سنوات طويلة قبل الاحتلال فاجابوا جميعا بأن بصفة عامة بلاد صحبة و انه باستثناء الاراضي القريبة من المستنقعات فان الني الخطيرة غير معروفة تقريبا.

كما حاول المستعمر نشر الاحصاءات و اجراء التجارب و وضع دراسات الطبية و ترجمة الافكار الطبية الجزائرية و العربية عامة و الذي يرجع الى المجلدات التي صدرت بعنوان المنشآت الفرنسية في الجزائر سيجد كثر من الاحصائيات حول الصحة و الامراض و المستوصفات و المتداوين فيها و هو تقليد لم تكن تعرفه الجزائر من قبل .

صحيح انهم مهتمين اكثر بالاوربيين و لكن فيها ايضا بيانات هامة في الوضع الصحي في مختلف المناطق وعن الاهالي ايضا حتى سنة 1908 تقريبا كان الجزائريين كان الجزائريين مبتعدين عن الفرنسيين في مجال الطب لان فكرة العداء و الخوف كانت هي المسيطرة و بالمقابل ذلك نجد ان الاسستعمار بدأ يدفع بالاطباء الى علاج المرضى الجزائريين حتى ولو ي بيوتهم لان ذلك يساعد على ادماجهم مع الفرنسيين.

ومن الامراض التي كانت موجودة عند الجزائريين الجدري الذي كان يشوه الوجوه و يتسبب في وفاة الكير و ينتشر عن طريق العدوى و الكوليرا ما بين سنة 1849 – 1851 انتشر هذا المرض في بجاية وحدها مثلا اصيب ببيه حوالي 300 شخص و يبقى تأثيره على الأوربيين ضعيفا نظرا لنصائح الطبية و العلاج الأوربي لهم إضافة إلى الحالة الاقتصادية الجيدة عندهم .

وكذلك ظهر مرض الإسهال و الحمى و فقر الدم و مرض المفاصل (الروما تيزم) و أمراض الكبد و الطحال و المسالك البولية و الضعف الجنسي وفي صحراء حيث امراض العيون و التيفوس و الجنون و الحمق و الاجهاض عند النساء .

حاول الفرنسيين دراسة طب و أوضاعه في الاوراس و القبائل صحيح للجانب العلمي و لكن في طياته ايضا هو سياسي ثم لا نطوا الأعشاب المستعملة في الطب الشعبي بكثرة و انتشارها في نطاق واسع و نزع الأسنان بطريقة جيدة و يحسنون استعمال الحجامة ايضا و ايضا في تجبير العظام المكسورة.

و في عهد الامير عبد القادر و القيادة كان هناك اهتمام متزايد لهم بالعلوم الطبية خاصة الغربية استعمل الاطباء المهرة عنده مل استخراج الرصاص من العضو المصاب بوضع عشب على مدخله فيخرج بعد بضع ساعات من موضعه بسهولة و دون الم.

اذا كما نجد أن المبادئ التي ينطلق منها طبيب الجزائري و المواطن الجزائري من مبدأ ديني و اجتماعي فالدين يحث على معرفة الطب و الوقاية من الامراض ويحث على العلاج و حفظ الصحة أي صحة الابدان اما من الناحية الاجتماعية فالممارسات للطب العلاج لم تتوقف او تضعف منها ما هو من النوع العلمي قائم على التجربة و الملاحظة و استخدام المنهج العلمي و العقلي و منه ما هو مبني على الجهل و التخلف حتى استعمال السحر بعيد عن الدين والعلم .

و كما نجد أن تأثير السياسة كان واضحا في توجيه طب نحو الاندثار في الجزائر حتى أن كتب الطب العربية لابن سينا و ابن حمداش مترجمة و موجودة في فرنسا و أصبحت مفقودة عندنا هنا يعني ان هناك عمل ممنهج لقطع صلة بين التراث الجزائري العلمي عموما و أبناءه و على العموم نجد أن العلامة أبو القاسم سعد الله يقدم عدة نماذج لكتب قيمة في هذا المجال منه طبي مثلا و هو تراث تطبيق علمي بامتياز يحق للجزائريين رجوع إليه في ظل مشروع كامل من اجل النهضة.

أما أساس عملية الانقطاع و الفصل بين ماضينا و اليوم سيأثر علينا و في شخصيتنا ايضا.

جدول 38: يظهر علاقة الطب بالكفاح المسلح

فئة التحليل: الوطن (الثورة)			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الطب و الصحة العامة	05	18.51
02	اطباء الثورة	08	29.62
03	النشاط الطبي اثناء الثورة	08	29.62
04	أعمال الجزائريين و مؤلفاتهم	06	22.22
05	أعمال الطب الجزائري خارج الحدود إبان الثورة	05	18.51
	المجموع	27	100

القراءة الإحصائية:

من الجدول نلاحظ ان هناك 05 وحدات تحليل اذ ان نسبة 29.62 % من نص تتكلم عن اطباء الثورة وكذلك نفس النسبة لنشاط الطبي اثناء الثورة وذلك في الوحدة رقم 03 و مقابل نسبة 22.22 % من نص تتكلم عن اعمال الجزائريين ومؤلفاتهم وذلك في الوحدة رقم 04.

وكذلك نجد نسبة 18.51 % من نص تتكلم عن الطب و الصحة العامة وذلك في الوحدة رقم 01 و نفس النسبة لعامل طب الجزائري خارج الحدود ابان الثورة و ذلك في الوحدة رقم 05 و تعتبر هذه اقل نسبة .

التحليل السوسيولوجي:

نلاحظ من الجدول انه كان هناك اطباء في عهد الثورة مثل جمال بن سالم في بوسعادة و سطيف حيث تلقى التعليم الابتدائي و الثانوي ثم واصل دراسته في الطب بجامعة مونبلييه في فرنسا كما ان والده الدكتور عيسى بن سالم كان عضوا في حزب البيان و يوجد ايضا الدكتور دباغين و الدكتور فرنسيس و ايضا احمد الطالب .

و في الولاية اشتغل جمال بن سالم في المنطقة الأولى مع الضابط سي حميمي كان ذلك بطلب من القائد عميروش نفسه.

ومن الدراسات التي كتبت في ذلك و تعني بتاريخ الطب نجد نور الدين عبد القادر قد ترجم لحياة عمر الخيام (الجانب الطبي منه) و ارجوزة ابن سينا في الطب مع الطبيب الفرنسي هنري جاهيي و قد نشرت الدراسة عن الارجوزة في باريس 1954 ثم قدمها نور الدين في مجلة هنا الجزائر.

كما يقول او القاسم سعد لله و ذكر من كتب ابن حمادوش كتاب تعديل المزاج و كشف الرموز ايضا وقال ان الاول يقع في نحو اربعين صفحة و اما الثاني فهو مطبوع و متداول و ان ابن حمادوش قد توفي في اخر القرن الثاني عشر منن الهجر عن نحو ثمانين سنة .

ولاحظ نور الدين ان الادوية التي دونها ابن حمادوش هي التي كانت يتداوى بها اهل الجزائر و انها معروفة اليوم (في وقته) عند العشابين .[1]

و أما عن اهتمامات الاطباء و في ذلك الوقت منها :

1-اكتشاف نقل الامراض و لا سيما المزمنة و إن التبفوس موجود في القملة نفسها .
2- النجاح في علاج مرض السل .
3-عرف مرض (القرع) و اسبابه
4-امراض العين
5-اختراع مصل العلاج بسم العقرب

[1]-أبو القاسم سعد الله ،(ت ج ث) ج 9مرجع سابق ص 631

عموما في عهد الثورة نظمت الامور الصحية بالتدرج من قبل مصالح جيش التحرير مع التنسيق في وضع شبكة سياسية و عسكرية و ادارية في كل الولايات .

وفي نشاط الخارجي انعقد المؤتمر السابع و العشرون للاطباء العرب في دمشق سنة 1959 و شارك فيه وفد جزائري برئاسة الدكتور علي مرداسي.

كما إن مؤتمر الصومام وضع برنامج لتنظيم المصالح الصحية تشمل جراحين ة اطباء و صيادلة ليكونوا على اتصال بعمال المستشفيات

- تنظيم العلاج و الحصول على الادوية و الضمادات.

كما نجد عموما ان هنااك اهتمام لا بأس به من طرف الثورة بالميدان الصحي سواء داخل الجزائر أو خارجها و حتى على مستوى المؤتمرات و الندوات و هذا الذي ساعد على انتقال الجرحى و مداواتهم خاصة بالدول القريبة و الصديقة مثل تونس و المغرب كما انه و بكل سهولة نستطيع ان نستنتج ان الجزائريين لم ينفصلوا عن الطلب العلم الطبي و الاهتمام به في وقت الثورة و ذلك بوسائل مختلفة سواء في فرنسا او مناطق العالم الاخرى بحكم ان الثورة بدأت تلقى تدعيم من طرف الدول العالم .

جدول 39:يوضح علاقة البحث العلمي بالعلماء والباحثين

فئة التحليل: الدين (الإصلاح)			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	المؤسسة الدينية و المشكل الثقافي	06	28.57
02	حاجة الوطن إلى العلماء و الباحثين الإسلاميين	04	19.04
03	المشروع بين رفض و تأييد	06	28.57
04	رأي العلامة ابو القاسم سعد الله	05	23.80
	المجموع	21	100

القراءة الاحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ ان هناك 04 وحدات التحليل اذ ان نسبة 28.57 % من نص تتكلم عن مؤسسة الدينية و المشكل الثقافي في الجزائري وذلك في الوحدة رقم 01 ، كما ان نفس نسبة من نص يتحدث عن حجج المؤيدين و المعارضين للمشروع وذلك في الوحدة رقم 03 مقابل نسبة 23.80 % من النص برأي العلامة ابو القاسم سعد الله في الجامعة الاسلامية بالجزائر وذلك في الوحدة رقم 04 .

كم ان اقل نسبة سجلت هي 19.04% من نص بحاجة الوطن الى العلماء و الباحثين الاسلاميين وذلك في الوحدة رقم 02 .

التحليل السوسيولوجي:

(نص منقول من جريدة الشعب بتاريخ يوم 15 جويلية 1982)

نلاحظ من الجدول أن العلامة أبو القاسم سعد الله يربط عدم وجود مؤسسة دينية قوية منذ القدم مثل الأزهر و الزيتونة و القيروان بربع اولا الى عدم الاستقرار و ثانيا لعدم اهتمام العثمانيين بالمراكز الثقافية العلمية الدينية .

و عرض المؤسسة الدينية نجد انه كانت ما يعرف بالحواضر او زوايا شهيرة ولقد تفطن علماءنا لهذا من قبل لهذا نقص فارادوا تلافيه بانشاء نواة للدراسات العليا الاسلامية و هو معهد بن باديس .

عموما بقي الوضع على ما هو عليه بين المد و الجزر و هذه الدعوة هناك من يؤيدها لاننا في حاجة شديدة لفهم التعاليم الاسلام و تحصين الشباب ضد الانحراف و الافكار الغازبة و الفئة الثانية متخوفة من المد الاسلامي و فيه ايضا سيخرج طاقات و كفاءات يعتقدون انها تهدد و الاتجاه الاشتراكي في البلد او انتاج العنف او التعصب .

اما راي العلامة ابو القاسم سعد الله ان بلد بحجم الجزائر فوجود مؤسسة بهذا شكل امرر حتمي وذلك من اجل الحفاظ على العقيدة الاسلامية .

و يقول فيما معناه اذا كان العدو استراح من وجود مؤسسة تعليمية متقدمة فان جيل الثورة و الاستقلال يشعر بقيمة و حتمية هذه المؤسسة مركز اشعاع حضاري للقارة الافريقية و العالم العربي.

و ايضا من تجربتته التاريخية نصح بان لا تكون مرة اخرى لافكار الدراويش و المرابطين بل العلم و حرية العقل أي التجديد و حس اختيار الطلبة و انتقاء الاساتذة و اختيار المناهج المناسبة و توفير الامكانيات بانواعها هذا يسمح بان تتكفل بتخريج اساتذة و باحثين و الدعاة في الدراسات الاسلامية و تجعل المؤسسة مركز اشعاع حضاري يتلاءم مع تجربة الجزائر الرائدة في الجمع بين الدين و العلم .

جدول 40: يظهر دور جمعية العلماء في إصلاح المجتمع

فئة التحليل: الإصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	علاقتهما بالطبقات الاجتماعية	06	19.35
02	استعمالها للخطاب العقلي الروحي	07	22.58
03	دور العلماء و المؤسسات و الإصلاح	11	35.48
04	دورهما في الاستقلال و قضايا العالم العربي و الاسلامي	07	22.58
	المجموع	31	100

القراءة الإحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ ان هناك 04 وحدات ، اذ ان نسبة 35.48 % من نص تتكلم عن دور العلماء و المؤسسات في الاصلاح وذلك في الوحدة رقم 03 مقابل نسبة 22.58 % لكل من استعمالها للخطاب العقلي الروحي وذلك في الوحدة رقم 02 و بنفس نسبة لدورها في الاستقلال و قضايا بالعالم العربي و الاسلامي و ذلك في الوحدة رقم 04 كما ان اقل نسبة هي علاقتها بالطبقات الاجتماعية و ذلك في الوحدة رقم 01.

التحليل السوسيولوجي:

اذا نلاحظ من الجدول ان اهم عامل في وصول الجمعية الى افئدة الناس و الى كل الطبقات الاجتماعية و لم ينحصر دورها في المدن بل توغلت حتى الارياف فهزت المجتمع الجزائري هزا عنيفا و لكنها حسب العلامة ابو القاسم سعد الله استعملت الخطاب العقلي الروحي (الدين – اللغة – التاريخ – العلم) و هذا هو نفسه المبادئ الاساسية التي وضعها سعد الله او مالك بن نبي كلهم تاثروا لهذا الفكر الواعي العقلي الجذاب الروحي.

و جمعت على اسلوب خيرة العلماء في الجزائر و اهتمت بالانسان فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها .

خاطبت عقله بالعلم و الاصلاح و الوطنية و خاطبت عاطفته بالدين و الخطابة و التاريخ و انشات لذلك جمهرة من الدعاة و الخطباء و المؤرخين و الصحفيين و الشعراء و المعلمين و وفرت لهم المراكز و الوسائل و النوادي و الصحف و المساجد و المدارس و الكتب فكانت من ناحية الفكرية دولة داخل الدولة و اعضائها كانوا يحسون بصدقه أهمية المعركة و انهم جنود فيها فإن انتصروا فهو نصر لعزة الاسلام و العروبة .

و ان كان الاصلاح نشأ مع حمدان خوجة و اعمال الامير عبد القادر و كتابات عبد القادر المجاوي و عبد الحليم ابن سماية و المولود ابن الموهوب و حديث المكي ابن باديس الا ان الجمعية و علماءها مثل البشير الابراهيمي و الطيب العقبي و عبد الحميد بن باديس كان لهم الاثر الاقوى .

فدورها في احياء علمي تاريخي و تراثي و من اصلاح اجتماعي و عقائدي هو الذي هيأ النفوس و وحد الشعب و ايقظ الحس الوطني و اهتمت بقضايا العالم الاسلامي و الحركات الاسلامية في مختلف بقاع العالم الاسلامي و لها اثر طييب فيما يخص الفكر القومي و الجامعة الاسلامية و الانعاش الادبي.

و يبقى اثرها في الفكر الوطني و نشرها للتعليم و القيم الروحية الفاضلة و غيرت وجهة الجزائر ممن تغريب و الفرنسة الى العروبة و الاسلام .

و الذي نحن نخلص اليه هو ان التأثير الدين على الشعوب قوي اذ ما احسنت الدعوة اليه وذلك الذي حصل في جمعية علماء المسلمين التي امتازت بخطاب عقلاني وسطي و ان كان طابعه ديني فكان تأثيرها عميقا و نتائجها كبيرة جدا و هي تعتبر الممهد الحقيقي للإصلاح الثورة و الحرية

جدول 41: يظهر أثر الوطنية في دعم الثورة

فئة الموضوع: الوطن			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	حب الوطن و حدتها	10	28.57
02	الحرية و الاستقلال	07	20
03	التضامن الاجتماعي	09	25.71
04	العلم و العمل	09	25.71
	المجموع	35	100

القراءة الاحصائية:

من خلال الجدول نجد ان هناك 04 وحدات تحليل لهذه الفئة اذ ان نسبة 28.57 % من نص تتحدث عن حب الوطن و وحدتها و ذلك في الوحدة رقم 01 مقابل نسبة 25.71% من نص للعلم و العمل و ذلك في الوحدة رقم 04 بنفس النسبة لعنصر التضامن الاجتماعي (الاخلاق ، و الديمقراطية، و روح الجماعة) وذلك في الوحدة رقم 03 .

كما انه اقل نسبة هي 20 % من نص لصالح الحرية و الاستقلال وذلك في الوحدة رقم 02.

التحليل السوسيولوجي:

(هذا الموضوع نشر في جريدة الشروق اليومي 18 اكتوبر 2004) – كما كتب يوم الجمعة 13 اغسطس 2004 –

و من الجدول نلاحظ ان اهم ما يميز الثورة هو حب الوطن و روح الجماعة لا زعامة لها حتى لا يستطيع العدو القضاء عليها و يظهر ان نفس شئ حدث مع الحراك الجزائري لسنة 2019 فقبل الثورة كانت هناك روح الزعامة و كان من الصعب نشر هذا المبدأ الا ان الثورة استطاعت ان تصل برغم من كل التضحيات التي اراد ان يقوم بها المستعمر كما يذكر العلامة ابو القاسم سعد الله ان الثورة علمتنا ان نسعى لحل مشاكلنا بالحسن.

و ان عقيدة الثورة و الاخلاق يبدأ ب (اللله اكبر و ممارسة شعائر الاسلامية و كما علمته الانضباط الكامل و الاعتزاز بالثورة و عدم الانضمام الى أي تنظيم غير جبهة التحرير و جيش التحرير و من الجدول ايضا نجد حب الحرية و حيثث عبارة (مليون و نصف مليون شهيد) التي اصبح الجزائر علماا عليها عند الشعوب الاخرى عبارة مقدسة انها بحق شعارر ثورة تقدس الحرية و تتخذ من التحرر وسيلة لها.

أما التنظيم الذي ربط الوطنية بالتراث و التاريخ فهي جمعية العلماء التي كانت تعلم في مدارسها حب الجزائر في الاطار العربي الاسلامي المتميز عن اطار الثقافة الفرنسية و حتى كان بيان اول نوفمبر و تحدث عن دولة جزائرية في اطار المبادئ الاسلامية.

و نلاحظ ان العلم ايضا كان له حصته و ان ثورة كانت تعبر علم الاجداد في استعادة دولة قاعدتها الحضارية العربية الاسلامية و قميتها نهضة حديثة على انسان الوطن و العلم و التكنولوجيا .

اما الثورة فقد علمته ايضا ان حب الجزائر هدف يستحق التضحية و الفداء فالوطنية في طار الانجاز و هي المحرك لكل فعل لصالح الشعب إن غرض حب الوطن و الناشئة و جعله عمدة تدريس في المؤسسات سواء التربية و الثقافية له من الايجابيات شئ الكثير .

جدول 42: يبين علاقة اللغة العربية بالحركة الوطنية التاريخية

فئة الموضوع: اللغة العربية			
رقم الوحدة	وحدات الحليل	التكرار	%
01	المرحلة الاولى 1830 – 1919	05	12.19
02	المرحلة الثانية 1919 – 1930	16	39.02
01	المرحلة الثالثة 1930 – 1954	20	48.78
	المجموع	41	154

القراءة الاحصائية:

من خلال الجدول نجد ان هناك 03 وحدات تحليل فقط اذ ان 48.78 % من المقال تتكلم عن المرحلة الثالثة من 1830 – 1964 من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وذلك في الوحدة رقم 03 مقابل نسبة 39.02% من المقال يتحدث عن المرحلة الثانية 1919 – 1930 من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وذلك في الوحدة رقم 02 .

كما ان اقل نسبة هي 12.19 % يتحدث فيها المقال عن المرحلة الاولى 1830 – 1919 من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وذلك في الوحدة رقم 01 .

التحليل السوسيولوجي:

(كتب هذا المقال بتاريخ الجزائر في 3 نوفمبر 1992)

و كما نلاحظ من الجدول انه بدأ التاريخ المرحلة الاولى منذ الاحتلال 1830 حيث وصف ان اللغة العربية هي التي كانت سائدة في المدارس و المساجد و الزوايا و المحاكم الشرعية و المراسلات الرسمية و توثق بها العقود عقود الاوقاف و الموازين و حتى محاضرر الادارات و المنازعات اضافة الى انه كانت لغة الادباء و الخطباء .

في حين نجد ان اللغة العثمانية كانت قليلة الاستعمال و لا نكاد نسمع بها خارج العاصمة و تستعمل بضبط ديوان بجانب اللغة العربية كما ان الثكنات الجيش الانكشاري تستعمل اللغة العثمانية .

اما الفرنسيين حاولوا ان يتعلموا اللغة العربية حتى يعرفون تعامل و نجاح مع الجزائريين ففرضوا تعليم اللغة العربية على الضباط و المسؤولين بالجزائر و شجعوهم على تعلمها إضافة الى تقديمهم عن غيرهم في ترشح المناصب و تعليم كان هنا المقصود العربية دارجة .

اما المرحلة الثانية من 1919 – 1930 الا ان العربية تدهورت بشكل كبير ابان الاحتلال بعد هدم كثير من المدارس و المساجد و هجرة العلماء و االمؤدبين و كثرة الحروب وو اتبعوا الفرنسيين سياسة التجهيل سبعين سنة فلم ينشروا بين الجزائريين لا الفرنسية و لا العربية و ربما اهم سبب هو معاقبة الجزائريين على ثورات متتالية و خوف فرنسا من ان الجزائريين اذا تعلموا رما يستيقظون و يطالبون بحقوقهم المهضومة .

الا ان التعليم بقي ليس في المدن أي البيوت ة لكن ايضا فيي زوايا في الريف و حاولوا ادخال اللغة الفرنسية الى المدارس القرآنية ففرض الشيخ مصطفى الكبابطي هذا بشدة مفتى الجزائر سنة 1843 و سانده المواطنين فجردوه من منصبه و نفوه من وطنه بحجة العصيان و المقاومة و لما احتاج الفرنسيين الى تعاملهم مع الجزائريين الى موظفين في القضاء الاسلامي و في الترجمة العسكرية و العدلية انشأوا مدارس (فرنسية سلامية و يسمح بالقليل من الجزائريين يتعلم هناك و لكنها اخرجت وجوه بارزة في اللغة) .

منهم بن موهوب – بن بريهمات و ابن شنب و بن سماية و الحفناوي و الكمان و بقيت ايضا زوايا تدرريس برغم من المضايقات و هناك من تكون في الازهر مثل صالح بن مهنة اومن القيروان عيد القادر المجاوي و هو من هوى التاليف و سعة الاطلاع و الدعوة الى الاصلاح و هناك ايضا من ساهموا ي دفاع عن العربية المؤلف محمد بن عبد الرحمان الديسي و الشاعر و المدرس عاشور الحفني و بدات المطالب باحترام اللغة العربية سنة 1891 ثثم وجود وسائل اعلام عربيية مثل صحف بن باديس و صحف ابي اليقضان.

كما ان نجم شمال افريقيا قد ولد في فرنسا و اهتم باللغة العربية و طلب بانشاء مدارس عربية قدمها باسمه الحاج احمد مصالي ي مؤتمر بروكسل 1927 ولكن ما لبث ان حلته السلطات الفرنسية سنة 1929 .

المرحلة الثالثة 1930 – 1945

تكون حزب الشعب الجزائري على انقاض النجم سنة 1937 و طالب بالتعليم الحر تدعيما للحركة التعليمية لجمعية علماء المسلمين ، اما جمعية علماء فموقفها واضح من اللغة العربية و المطالبة احترامها و انشاء الصحف بها و كان المبدأ (الجزائر وطننا و الاسلام ديننا و العربية لغتنا) و اغلب صحفها بالعربية.

و من الاحزاب المؤيدة لهذا نجد الحزب الديمقراطي للبيان الجزائر بزعامة فرحات عباس و كذلك الشيوعيين انشأ صحف بالفرنسية و اخرى بالعربية و اغلب الطلبة الجزائريين في فرنسا كانوا حريصين بترسيم اللغة العربية و امام الضغط اعترفت فرنسا باللغة العربية و استعمالها في مختلف المجالات سنة 1947 .

كما نجد مما سبق ان معظم موقف الحركة الوطنية و جمهورها كان مع تأييد ترسيم اللغة العربية و المطالبة بها و الدفاع عنها و الافتخار بها برغم كل الجهود التي فعلتها فرنسا لمدة تفوق القرن .

و ما كان هذا ليحدث لولا لم تكن لها مساندة شعبية و كما لاحظنا رد الاهالي المؤيدة لهذه المطالب .

جدول 43: يظهر مشاكل الثقافة في الجزائر المستقلة

فئة التحليل: الاصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الذوق العام	04	11.67
02	اللغة	08	23.52
03	الامية	05	14.70
04	التعليم	04	11.67
05	السينما و التلفزيون	05	14.70
06	الكتاب الوطني	04	11.67
07	الصحافة	04	11.67
	المجموع	34	100

القراءة الاحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ ووجود 07 وحدات تحليل اذ ان نسبة 23.52 % من نص تتحدث عن اللغة العربية كاحد ابرز مشاكل الثقافة في الجزائر وذلك فيي الوحدة رقم 02 مقابل نسبة 14.70 % من نص لمشكل الامية وذلك في الوحدة رقم 03 كما ان هذه نفس النسبة التي تحصل عليها مشكل السينما و التلفزيون و ذلك في الوحدة رقم 05.

كما ان نسبة 11.67 % من نص تحصلت عليها اربع وحدات و هي على التوالي الذوق العام و ذلك في الوحدة رقم 01 و ايضا التعليم في الوحدة رقم 04 و كما تحصلت على نفس النسبة الوحدة رقم 07 لمشكل الصحافة وكذلك ايضا للوحدة رقم 06 مشكل الكتاب الوطني نفس النسبة.

التحليل السوسيولوجي:

(كتب يوم 14 نوفمبر 1966 نشر المقال في جريدة " المجاهد " الجزائرية بتاريخ 15 جانفي 1967 عدد 350 – 351)

كما نلاحظ اهم مشكل كان يتمحور عن اللغة الوطنية ويراها لا يمكن الفصل بين تاريخ الشعب الجزائري و طبيعته و نضاله التحريري بدون ربط كل ذلك باللغة العربية و هاجم حتى من يقول بأن هناك من الجزائريين من يتحدث الفرنسية فقط مع ذلك لا يقل وطنية عن حسس العربية لقد كانت هذه نغمة شائعة لكي تبرر الفصل بين الوطنية و اللغة و هذه مغالطة يقول العلامة سعد الله " و هذه في الحقيقة مغالطة ذلك أن أولئك الوطنين الذين كانوا يحسنون الفرنسية فقط اضطروا المتابعة المد الشعبي قبل ان يجرفهم تياره العنيف لقد كان عليهم ان يصبحوا وطنيين او تسحقهم الثورة بالاندماج و التآخي بين الشعب الجزائري و

الفرنسي و لولا مذبحة ماي و ثورة نوفمبر لاستمر اولئك الوطنيون في مطالبتهم بوحدة الجزائر مع فرنسا ".[1]

و انطلاقا من هذا نلاحظ ان العلامة ابو القاسم سعد الله عندما اراد ان يعالج تلك المشاكل رجع الى ما يلي :

ضرورة وجود مثقفي العربية على راس الجهات المسؤولة على التعريب و الثقافة و التعليم و وسائل الاعلام.

و هذا ما يتمحور عليه دور المؤسسات الثقافية و هو اعداد الفرد الكفئ او بالاحرى المثقف مما الجدير بالمنصب و يذكر ايضا وجود الثقة و التعاون بين جميع المناضلين الجزائريين لتحقيق هذه الحلول و من ضمن الحلول ايضا القضاء على شبح الاستعمار و يقول العلامة ابو القاسم سعد الله

" كل توان في التخلص من الاستعمار ينتج عنه تخليد و قبول الحالة الراهنة ...و ان اهم مظهر من مظهر البناء الثوري و عدم تجميد الاوضاع حتى لا تصبح مقبولة لدى الجيل الصاعد و كأنها شئ وطني في حد ذاته ولذلك فإن على السلطة الثورية ان تستمر و تضاعف من مجهوداتها في مكافحة مخلفات الاستعمار بشتى الوسائل"[2]

و كما نجد انه اقترح وزارة للثقافة الوطنية و يكون في مشروعها احياء التراث القديم و كما يشمل الاشراف على المكتبات و الصحافة و كما شدد على دور وزارة التربية فيي محو الامية و تعميم التعليم .

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية مرجع سابق ص 145

[2] -- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية مرجع سابق ص 150

و عن اهمية المدرسة يقول:

" اننا جمعيات ندرك اهمية المدرسة و في هذه المرحلة من حياتنا و لكن هذه الأهمية ستتأكد حين نجدد جميع مسؤوليات نشر التعليم تحت وزارة خاصة بينما نغطي جميع مسؤوليات خدمة الثقافة الى الوزارة المقترحة "[1]

و عن الصحف يقترح تشجيع الصحف العربية و الاكتفاء بصحيفة او صحيفتين بالفرنسية و هذا الكلام بالطبع في 1966 اما اليوم فان كان دور يبقى الا فان الاهداف تغيرت بعض شئ فتأثير اللغة الفرنسية تاخر بفضل اجيال اليوم المعربة تدرس في الجامعات ثم يقترح ايضا رربط العربية بالفكرة الوطنية و وحدة النضال للشعب الجزائري .

و هكذا نجد ان مشروع العلامة ابو القاسم سعد الله تمنى ان تبقى روح الثورة و روح شعلة 1نوفمبر في ابناء الشعب الجزائري فيقدم النموذج الحضاري المأمول .

و في ظل حرية و ديمقراطية متفتحة تجد فيها جميع العناصر الوطنية المناضلة مجالا لطاقاتها و مواهبها الابداعية

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية مرجع سابق ص 151

جدول 44: يبن التقليد والتجديد في العهد العثماني

فئة الموضوع : التراث			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	ظاهرة التقليد	06	% 19.35
02	التجديد	04	% 12.90
03	الثقافة في العهد العثماني	04	% 12.90
04	التفسير تدريسا	09	% 29.03
05	التفسير تأليفا	08	% 25.80
المجموع		**31**	**%**

القراءة الإحصائية :

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك 05 وحدات للتحليل ، اذ أن نسبة 29.03 % من البحث هي حول تفسير القران الكريم تدريسا وذلك في الوحدة رقم 04 ، مقابل نسبة 25.80 % من النص تتكلم عن التفسير تأليفا وذلك في الوحدة رقم 05 ، مقابل نسبة 19.35 % من النص تتحدث عن ظاهرة التقليد وذلك في الوحدة رقم 01 .

كما نلاحظ ان أقل نسبة وهي 12.90% من النص تتحدث عن التجديد وذلك في الوحدة رقم 02 ، وبنفس النسبة نجد الحديث عن الثقافة في عهد العثمانيين وذلك في الوحدة رقم 03 .

التحليل السوسيولوجي :

وكما نلاحظ من هذا الجدول أن موضوع تفسير القران الكريم تدريسا وتأليفا وحتى تعليما وحفظا هو دعامة أساسية في التعليم هموما وخصوصا في الثقافة أثناء العهد العثماني وقبله

فالعلوم الشرعية الأكثر تدريسا مثل أيضا القراءات والحديث النبوي رواية ودراية بما في ذلك الاثبات والاجازات والفقه ، ومن هنا كان أغلب انتاج الجزائري في ذلك الوقت يدخل في اطار وهو علاقة الدين بالعلم الشرعي ثم الثقافة المنتشرة .

يقول أبو القاسم سعد الله " وقد كثرت هذه الدراسات بين الجزائريين خلال العهد العثماني حتى أنه يمكن القول بأن أغلب انتاج الجزائر خلال العهد العثماني يكاد ينحصر في العلوم الشرعية وكان يفتقر الى الأصالة والجدة ، فان كثرة التأليف فيه يبرهن على سيطرة العلوم المذكورة على الحياة الفكرية عندئذ ، ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى الى كون القران والحديث كانا المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياتهم " .

وكان غالب انتاج في تلك العلوم يتسم بالتقليد والتكرار ، والذي يبدا في الاجتهاد أو الاستقلالية اجتمع عليه المجلس الشرعي والذي تتدخل فيه الدولة فيعزل من منصبه .

فيعني أن تدخل الدولة سلبي للغاية وان كان في ظاهره ترك الأمور التعليمية لأهل البلاد وعدم تدخلهم ، الال أن في حالة الفكرية العلمية يكونوا سلبيين ، وأيضا يمكن القول أن هناك تدعيم من طرف بعض المسؤولين لتمكين بعض الطرق أو زوايا لأغراض سياسية دعائية فقط ، وأحيانا يرمونه بالزندقة والتكفير .

ومن المصلحين نذكر مثلا : عبد الكريم الفكون في القرن الحادي عشر 17 م واحمد بن عمار في القرن الثاني عشر ، ومحمد بن العنابي .

ومن جراء هذا التقليد وجدت ظاهرة الحفظ والحفاظة وفيها اشارة الى غزارة العلم ، وفي نفس الوقت هي دلالة على ظاهرة الجمود ، فعبد الكريم الفكون يتكلم مرة على صديقه أحمد المقري على دقة علمه واعتماده على الحفظ بكلام أبي بكر بن العربي من أن " دور العلم ليس بكثرة الرواية وانما هو يظهر عند الحاجة اليه في الفتوى بين الدراية ، وأن السرد المعلومات انما حدث من فساد القلوب بطلب الظهور والتعالي عن الأقران وكثرة الرياء في الأعمال " وهو في الحقيقة يعبر عن واقع الجزائر ، و الفكون نادى بتقديم الاجتهاد العقلي (الدراية) على التقليد (الرواية) فهم كانوا يرددون أقوال المتقدمين يحفظونها سطحيا بلا عقل فيه ولا تفكير .

ظاهرة التقليد بالإضافة الى تخلف الثقافة عموما ، كانت مسؤولة عن الندرة الانتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج الى ثقافة واسعة عميقة كالتفسير ، وذلك أن المفسر للقران الكريم يحتاج الى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية قوية لكي يتمكن من قدم عمله ، بالإضافة الى استقلال عقلي كبير وهذا مالم يتوفر للجزائريين خلال العهد العثماني .

ومن ضمن العلماء الذين درسوا علم التفسير نجد محمد بن علي أبهلول ، وابن للو التلمساني ، وعبد القادر الراشدي القسنطيني ، وأبو راس الناصر ، ورغم أننا لا نملك الوثائق الان فان أمثال سعيد قدورة ، وأحمد بن عمار ، وسعيد المقري ، ربما تناولوا أيضا التفسير في مجالسهم .

ومن العلماء الذين ألفوا في التفسير خلال القرن الثاني عشر أحمد البوني ، وحسين العنابي ، وعنوان تأليف البوني هو (الدر النظيم في فصل آيات من القران العظيم) ، وهناك عالمان معاصران ألف كلاهما في التفسير وهما أبو راس الناصر ومحمد الزجاي ، وكلاهما أيضا جمع الى الثقافة الدنيوية ثقافة صوفية ودينية قوية .

ومن هذا كله نستطيع أن نقول أن العصر هو عصر الدين وعصر الصوفية ، فان كان التجديد في تأليف وتفسير ضئيل وتقام الدنيا ولا تقعد على خروج عالم على رأي العلماء أي بمعنى لا وجود للحرية الفكرية أو التجديد عموما ، صحيح أن التجديد يخضع لعوامل معينة لا

يتم الخروج عنها مثل أصول الدين ، الا أن يظهر أن العوامل النفسية كحب الزعامة والشهرة والتنافس بين العلماء وغيره خاصة في وقت علم فيه فساد الراعي والرعية في هذه الحالة لا يمكن لتكلم عن ابتكارات واختراعات وأراء علمية في ظل فساد منتشر في منظمة حكم مثل هذه ، والمؤسسات فيها نوع من التوجيه السياسي ، أما العلماء فأصبح دورهم مشبوه فيه وأكثرهم ذوي مطامع فردية .

جدول 45: يظهر أثر العلم والعلماء

فئة الموضوع : الوطن			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	العلم و العلماء	04	% 18.18
02	العلماء و السلطة	03	% 13.63
03	التخلف العلمي	04	% 18.18
04	الجزائر و الثورة	05	% 22.72
05	الثورة العلمية	06	% 27.27
المجموع		**22**	**% 100**

الفقرة الاحصائية :

من الجدول نلاحظ أن هناك 05 وحدات للتحليل ، اذ أن نسبة 27.27 % من النص تتحدث عن الثورة العلمية وذلك في الوحدة رقم 05 ، مقابل 22.72 % من النص تتحدث عن الجزائر والثورة ، وذلك في الوحدة رقم 04 مقابل نسبة 18.18 % من النص تتحدث عن العلم والعلماء وذلك في الوحدة رقم 01 ، ونفس النسبة من النص تتحدث عن التخلف العلمي وذلك في الوحدة رقم 03.

كما أن أقل نسبة 13.63 % من النص تتحدث عن العلماء والسلطة وذلك في الوحدة رقم 02 .

القراءة السوسيولوجية :

(ألقي يوم ماي 2007 معهد المناهج)

من الجدول نجد أن معظم الحديث كان يتناول عن علاقة العلم والعلماء بشورة العلمية التي يمكن أن تكون تخدم البلاد والعباد .

فان كانت بعض الدول استعملت الشركات الاحتكارية والجيوش للسيطرة على العالم ، فان حضارتنا قادرة بواسطة البحث العلمي والتكنلوجيا وأساس التعلم هو تعلم العلو والرحلة وتعليمه من أجل اسعاد الأخرين وذلك في سبيل الله الى معرفة الله والسعادة في الدنيا قبل الاخرة ، والمتعلم هو مجاهد يستحق الثناء الجميل والخلود العظيم ، هكذا ينظر العلامة أبو القاسم سعد الله الى العلم والعلماء ووظيفتهم .

ان تكريم القران الكريم للعلم والعلماء كبير ، والذي يهمنا هو تاريخيا كيف كانت العلاقة بين العلماء والسلاطين في ظل وظيفة ومهنة ورسالة عظيمة لأهل العلم والعلماء ؟

أول مرحلة في تاريخ الاسلامي كانت هناك نوع من الاستقلالية من كبار العلماء عن السلطة والزهد فيها وكانوا يضطهدون من أجل نيل منصب ثم بعد ذلك جاءت مرحلة أخرى ثانية كانت بين شد وجذب منهم من يقبل ومنهم من يكون مستقل ، وذلك صراع بين صاحب السيف وصاحب القلم والفكر يسميه العلامة أبو القاسم سعد الله .

بين السياسيين والمثقفين بالمفهوم المعاصر ، أما المرحلة الأخيرة فهي انقياد تام لأهل السلطة واستسلموا لأمر الواقع ، وهذه المرحلة هي التي فتحت المجال لعصر التخلف لما كان العالم الغربي يتقدم ويتطور بقي المسلمون جامدين خوفا من أفكار الكفار والملحدين أو الأفكار الدخيلة ، فقام بعض المصلحين وهم كثر منهم الأفغاني والكواكبي .

مع العلم أن القران هو ايضا يحث على التغيير لأنها سنة من سنن الله ، ومن أن نتعلم من الأصدقاء و الأعداء .

والجزائر كباقي الدول عرفت تخلف وجمود الا أن بعض المصلحين مثل ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين ، كانوا يحملون مشروعا فكريا مستنيرا ، وشعورا وطنيا وعزيمة قوية ، وكان طلاب ملتفون حولها ويرددون وطنية ثورية علمية .

وللأسف فان الثقافة بعد الاستقلال بعيدة عن الروح الوطنية ولم تحافظ على المد الثوري ولا على الروح العلمية والتعلم من الاخر ، ومازلنا ضحايا المدرسة الاستعمارية التي شككت في هويتنا وفي حتى ديننا .

والملاحظ أن اهتمام أبو القاسم سعد الله بالعلم والعلماء ودورهم كذلك مثل المؤسسات الثقافية يعتبر اساسي في عصر البحث العلمي وتطوير المناهج والأليات ، وهو بذلك ينبه الى دور المناهج في العلوم وذلك لأن المعهد الذي كرم فيه هو معهد المناهج وذلك لخدمة لوطنه الجزائر .

جدول 46 : يوضح دور المثقف في تقوية الروابط الاجتماعية

فئة الموضوع : الوحدة (المغاربية)			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	تجارب الوحدة المغاربية	04	% 17.39
02	التربية على مبادئ الوحدة	04	% 17.39
03	حوافز الوحدة	06	% 26.08
04	دور المثقف في الوحدة	05	% 21.73
05	موانع الوحدة	04	% 17.39
المجموع		**23**	**% 100**

القراءة الاحصائية :

من خلال الجدول نلاحظ 05 وحدات ، اذ أن نسبة 26.08 % من النص تتكلم عن أهمية الحوافز الوحدة وذلك في الوحدة رقم 03 ، بالمقابل 21.73 من النص نجدها تتحدث عن دور المثقف في وحدة المغرب العربي وذلك في الوحدة رقم 04 .

كما نلاحظ من ثلاث الواحدة الباقية أنها متساوية في النسبة المقدرة ب 17.39 % للوحدة رقم 01 حول تجار الوحدة المغاربية والوحدة رقم 02 التربية على مبادئ الوحدة وأيضا الوحدة رقم 05 وهي موانع الوحدة .

التحليل السوسيولوجي :

(الحديث الأول انتهى منه في 10 يونيو 1988 و الحديث الثاني يوم 04 ديسمبر 1987)

(نشر في مجلة المسار المغربي (بدون ذكر رقم العدد) والثاني في جريدة الجمهورية نشرها في عدد 6 ، ديسمبر 1987)

اذا كما نلاحظ دائما كان العلامة أبو القاسم سعد الله يدعوا الى الوحدة ويعتقد أنها تحقق أهداف كثيرة وعظيمة سواء على المستوى المادي أو المعنوي أو الاجتماعي أو السياسي .

فالقبيلة أو الشعب الصغير لا يستطيع أن يحقق الآمال العريضة التي يحلم بها المثقفون ولا على أهمها الحضارة ، وفي معظم ما مرت به تجربة المغرب العربي في الوحدة كانت لمدة قليلة ولزعامة زائفة وليست ذات أسس حضارية يقول العلامة أبو القاسم سعد الله :

" وقد جرب أهل المغرب العربي عصر القبيلة والفرقة وجربوا عصر المجتمع والوحدة ولكنهم اذا قيسوا بشعوب أخرى نجدهم قد تخلفوا في هذا الميدان – ميدان الوحدة – ولذلك ظلوا عبر

العصور معبر للحضارات وليس مهدا لها أو منطلقا لا حداها على حتى التجارب الوحدوية في المغرب العربي كانت قصيرة المدى وغير قائمة على أسس حضارية [1].

اذ ومن كلامه نستطيع أن نقول ان تربية وخاصة شعبية والجماهيرية مثل الاعتماد على أساس الاعلام والمؤسسات من جانب والدعوة اليها من طرف المثقفين لا يمكن أن تتحقق الا بالإيمان العميق .

ودلت تجربة على أن سكان المغرب العربي فرديون عموما ويضعون بالمصلحة الجماعية من أجل ذلك ، وقد تكون هاته الصفة هي من ظواهر البداوة سواء عند العرب أو البربر ووان توحد البربر والعرب واندمجوا باسم الاسلام فان روح الأنانية والفردانية مازالت قائمة ، ولعلاج ذلك يشير العلامة أبو القاسم سعد الله الى تربية الاجتماعية بقوله :

" واذا كان العرب والبربر قد توحدوا بالإسلام واندمجوا بالثقافة العربية ، فان رواسب الفردية والأنانية ظلت قائمة ، لأن التربية على مبادئ الجماعية لم تعمل عملها في النفوس اللهم الا عندما يصبح الخطر داهما على الدين أو العرض ، فتحدث الثورة باسم الجهاد أو الشرف ثم تنطفئ [2].

وأيضا نجد صعوبات في الوحدة بسبب الضغط الشعبي ومخاطر الأزمة الاقتصادية و الخوف من الاخر .

أما فيما يخص دور المثقف فانه من المفروض هو صاحب الرأي والمشرة في كل الأمور ذات الشأن ، لكن الواقع يطرح أن السلطة السياسية هي صاحبة القرار والباقي مثل المثقفين يجب أن يتبعوا أو ينافقوا أو يسكتوا .

كما يجب أن يكون دورهم وأن يصبروا على هذه الوضع المؤسف واختار البعض الهجرة الى دول الأجنبية وهم الأغلبية .

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي ، مرجع سابق،ص 161 .
[2]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي ، مرجع سابق،ص 162 .

الا أن المغرب العربي عموما يشترك في عدة عوامل أهمها التاريخ واللغة والدين والمصير ، وقائمة أيضا مع العرب المشارقة ومكانة المثقف واحدة .

وحسب ما نلاحظ نجد أن الوحدة في نظر العلامة أبو القاسم سعد الله تؤدي الى ثورة علمية أساسها تفجير طاقات الانتاج والاستفادة من ابداعات المواطنين والعلماء عمل متكامل منسجم يساهم في حضارة عالمية هكذا نجده ينظر الى مشروعه يقول :

" وفي اعتقادي أن وحدة المغرب العربي دون أن ندخل في تفاصيل شكلها ستحقق القوة السياسية التي تحفظ الثقة ن هب الأعداء وستوفر الأمن الاقتصادي وتفجر طاقات الانتاج عن طريق التكامل ، وستؤدي الى ثورة علمية ابداعية يسهم بها أهل المغرب العربي في الحضارة الانسانية "[1] .

[1]- أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي ، مرجع سابق،ص 164 .

نتائج الفرضية الثانية :

لقد كان للجزائر بعض نماذج في الإصلاح والتجديد وذلك حتى في العهد العثماني .وحسب مقال سعد الله نماذج تفكير النقدي لقد كان لتجديد بمعنى النضال السياسي بنسبة 20.75% وهي أكبر نسبة في مقاله المعنوي نماذج من التفكير النقدي عند بعض الجزائريين وربما يرجع ذلك لكون أن الدولة العثمانية كانت تعاني في أخر أوقاتها بعدما طغى تصوف سلبي الذي يمتاز بالبدع والجهل وخاصة ما يعرف أدعياء التصوف وهكذا أصبحت دولة العثمانية تعيش في وضع صعب في الجزائر مما حمل الجزائريين على الإصلاح وتجديد الفكري ويعتبرها سعد الله في ذلك أنها سياقة أليه.

وفيما يخص دور المؤسسات نجد ان نسبة 39.62% كان لدور المساجد في مقاله عن دور الزوايا والمساجد والمكتبات الفكري فالمؤسسات التربوية والثقافية لها دور فكري ثقافي مهم لابدا تركيز لرجوع إليه.

ثم أيضا كلامه عن الدعوة والحضارة نسبة 36.53% حول الفكر الإسلامي والإصلاح ، وأن هذا في الحقيقة تاريخيا لم ينقطع فدعاوي الإصلاح دائما ما كانت تأتي من العلماء من هنا وهناك كلما ظهر الفساد وسواء في العقيدة او الدين أو القضاء أو تربية إلا كانت دعوات التجديد والإصلاح .

ومن المفكرين نجد مالك بن نبي ومن العلماء ابن باديس في الجزائر وكلاهما أبدع الأول في الفكر والحضارة والثاني في تربية والدين .

الجامعة لها دور مهم من ناحية العلمية فلابد أن تكون وطنية موحدة ذات أبعاد ثابتة وتكون أكثر فاعلية وفي مقال نحو جامعة وطنية كانت نسبة 30.76% الحديث عن الوحدة ووضعيتها الحقيقية ودور المنوط بها وهي دافعة الحقيقية للعلوم وخاصة التجريبية التكنولوجيا والتقنية .

لا شك أن توحيد اللغة واللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم ولا بأس في اللغة مساعدة ولكن العربية هي اللغة الحية والملائمة لكل العلوم كما تحتوي من ليونة وموسوعية كبيرة للمفاهيم والخصائص واللفظ المتنوع ودافع عنها العلامة سعد الله بقوة في المجال العلمي .

والجزائريين حتى في العهد الإستعماري كانت لهم اهتمامات صحية وحياتهم أكثر صحية كما يذكر الأطباء في ذلك الوقت .

وفي التاريخ نجد ان الإصلاح كان متجذرا ومنها فكرة الجامعة الإسلامية الموحدة والتي كثر الحديث عنها وقال سعد الله يجب أن تكون منارة للعلم وحرية العقل والتجديد وإلا فلا يرحب بها وأن تكون هذه المؤسسة لها دور طلائعي حضاري .

وفيما يخص دور جمعية العلماء المسلمين فإن مؤسساتها لعبت دورا محوريا في ميدان التربية والإصلاح .

وأنها استطاعت أن تصل إلى كل فئات الشعب وعن طريق الجانب الروحي وكانت نسبة 35.48% من مقاله حول دور العلماء بها والإصلاح الذي قامت به .

وهكذا نجد أن سعد الله متأثر بالجمعية ومبادئها حتى أن كتاباته تثبت ذلك خاصة وما يتعلق بالجانب التربوي الثقافي لإنها ذات طابع إصلاحي وليس سياسي هذه الجمعية.

الثورة عند سعد الله تعني حب الوطن كما كانت الثورة عظيمة كان الوطن عظيم عند سعد ولكن اليوم نحتاج إلى الوطنية في كل مؤسسات الدولة التربوية والثقافية قريبة شتى على المواطنة .

فعنصر حب الوطن ووحدة الوطن كان نسبته 28.57% أعلى نسبة في مقال علمتنا الثورة ، والعلامة أبو القاسم سعد الله هو نفسه ضحى بكل حياته من أجل تراث هذا الوطن وبالكلمة أيضا.

فلا عجب أن نجد أن المشروع التربوي يكون أحد دعائمه هو الوطن وهذا ليس جديد فالجمعية هي الأخرى دعت إلى حب الوطن وتاريخه .

اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية ، لقد كان الحديث عنها بكثرة في الفترة مابين 1930-1954.وراجع ذلك إلى تقدم اللغة الفرنسية في الجزائر عبر بعض الفئات المحسوبة على المستعمر وانتشار مدارسه فأصبحت العربية مهددة .

فالهوية العربية هي إحدى دعائم التي قامت عليها الثورة فلابد من الاهتمام بها حتى في الجانب الثقافي ودعوة إليها.

العلماء لهم دور كبير سواء على مستوى السلطة ومعاملتهم لسلطان أو قضايا عصرهم وهم العنصر الفعال في المؤسسات ومنه تنطلق الثورة العلمية فكانت بالنسبة 27.27% ولهم الأثر البالغ في وحدة المغرب العربي أيضا عموما نجد أن الثقافة في الجزائر منذ العهد العثماني وهي غير راقية في مفهوم سعد الله لإنها العثمانيون لم يهتموا بذلك والمستعمر حاول القضاء على الثقافة الأصلية بل عرس ثقافة دخيلة أخرى على المجتمع الجزائر .

فأصبح المجتمع الجزائري يقاوم بواسطة نسق جديد يواجه المخططات الإستعمارية بكل طرق وفي عهد الإستقلال بقى صراع حول الهوية ولكن يجب أن يكون الثقافة التي تميز الشعب الجزائري هي الأصلية نابعة من روح التاريخ والمستمدة من ثورة الجزائرية .

الفصـــل التاسع

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثالثة

الفصـــل التاسع :

تحليل ومناقشة جداول الفرضية الثالثة

- عرض وتحليل جداول الفرضية الثالثة
- نتائج الفرضية الثالثة

جدول 47: يظهر أثر الثقافة في تكوين الشخصية الجزائرية

فئة التحليل :تاريخ			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	القيم الاجتماعية	02	%14.28
02	اكتشاف التراث	02	%14.28
03	اللغة الوطنية	03	%21.42
04	الثورة الثقافية	07	%50
المجموع		14	%100

قراءة إحصائية:

من خلال الجدول نجد 04 وحدات، إذ أن نسبة 50% من نص يتحدث عن الثورة الثقافية وذلك في الوحدة رقم 04، ومقابل 21.42% من نص تتحدث عن اللغة الوطنية وذلك في الوحدة رقم 03، ومقابل نسبتان متساويتان ومتعادلتان تقدران بـ 14.28% لكلا من القيم الاجتماعية وذلك في الوحدة رقم 01، ونفس نسبة لاكتشاف التراث وذلك في الوحدة رقم 02.

التحليل السوسيولوجي:

(كتبت بمناسبة 1 نوفمبر سنة 1973 ولم تنتشر في جريدة المجاهد)

ومن الجدول نرى أن العلامة أبو القاسم سعد الله مقتنع ويدافع عن الثورة ويفتخر بها ويعطيها أبعاد أخرى مثل الثورة الثقافية والعلمية ويقول العلامة أبو القاسم سعد الله:

" بعدما يتساءل عن شعار الوطنية والثورية والعلمية التي كان ينادي به الطلبة كل الجزائريين لاحظ ماذا يقول

وتحقق الاستقلال كما أمل الطلبة وكل الجزائريين، فماذا حدث لشعار الوطنية والثورية والعلمية؟ عمليا لم يتحقق شيء منه، فالمنظومة التربوية ابتعدت عنه فكانت ثقافة الجزائر في عهد الاستقلال أبعد ما تكون عن الروح الوطنية، ولم تحافظ على المد الثوري فكانت أبعد ما تكون عن الروح الثورية، ولم تؤسس لفلسفة تعليمية عقلية فكانت أبعد ما تكون عن الروح العلمية، لقد راحت منظومتنا التربوية تبحث في سوق الإيديولوجيات عن فكرة تبني عليها منهجها التربوي فأخرجت لنا مئات الآلاف من التلاميذ والطلبة ولكن القليل فقط من العلماء الوطنيين العقلانيين أكفاء"[1]

وهذا كان في ماي 2007 يعني ما زال يدافع عن ثورة المعرفية وثقافية والعلمية أيضا.

ومنه نجد أن استعمال مصطلح الشخصية الوطنية ليس للانفصال ولكن لاسترداد القيم الوطنية واكتشاف تراثنا الذي يتمثل في طريقة تفكيرنا وتفكير علمائنا من قبل وذوقنا العام قديما وحديثا ومنه نشر الفنون الصالحة واللغة العربية هي مفتاح تذوق القرآن الكريم.

[1] أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف ، مرجع سابق ، ص 110.

وعند مقابلة كلامه نجد دائما انه ينطلق من الأساس من تاريخ من تراث الوطني، حيث نجد الإبداع ينطلق من تذوق تراث نفسه، الاعتزاز به، وهكذا فان العلامة أبو القاسم سعد الله في مشروعه الإصلاحي نجد أن عامل الإبداع و روح التجديد هي صفة الأبرز في ذلك.

وعندما يتكلم عن النهضة الثقافية فهو يستعملها ويحب يشاهدها كثورة ثقافية معرفية علمية تتجلي في كل مجالات الحياة، والثورة الثقافية أول من طرحها هم الصينيون وكانت أوضاعهم السياسية والاجتماعية والإيديولوجية تبرر ذلك وذلك امتدادا لثورتهم خشية من أن تلك الثورة تذبل وتنتهي.

وكانت تهدف إلى ترسيخ الروح الثورة في نفس الوقت ترهيب لمن أراد أن يرجع إلى العهد السابق كما أنها تعني عملية سياسية إيديولوجية في آن واحد، لأنها تشمل كل القطاعات الاجتماعية وتهدف إلى تحولات في العقلية الصينية كلها من أعلى المستويات إلى أدناها فعملية نشر التعليم والتعريب ومحو الأمية سماه ثورة ثقافية مع إنها لا تسمى ذلك.

وهناك من يطلق نفس شيء على ثورة صناعية وثورة زراعية ولكن هناك جانب ثقافي مهم وهي الطبقية وتشابك المصالح والارتباطات الفكرية والانتماء الثقافي لبعض القطاعات الاجتماعية لم يتم الحديث عنه.

ومنه نجد كما لاحظنا ما زال مبكر الحديث عن حركة فكرية واعدة تنهض بها الجزائر وتحولات ذهنية لطاقات المبدعة أو قل غير موجودة ومنه الحديث عن الثورة الثقافية اليوم بعيدا عنها، إذا أن نسق البنائي للمجتمع ما زال بعيد عن تطلعات الثورة الثقافية وبالتالي نهضة حضارية ولعل أهمها معرفتنا للماضي والتراث والاستفادة منه وتذوقه أيضا.

جدول 48: يبين دور الثقافة في تحصين الهوية الوطنية

فئة التحليل : الوطن			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الثقافة والقومية	04	%12.9
02	سيكولوجية التأميم الثقافي	07	%22.58
03	الجزأرة (ثقافة جزائرية)	06	%19.35
04	أهداف التأميم الثقافي	08	%25.80
05	اقتراحات للمعالجة	06	%19.35
المجموع		31	%100

القراءة الإحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ وحدات لتحليل، إذ أن نسبة 25.80% من البحث لأهداف التأميم الثقافي وذلك في الوحدة رقم 04، ومقابل نسبة 22.58% من البحث لسيكولوجية التأميم الثقافي وذلك في الوحدة رقم 02، مقابل نسبة 19.35% من البحث لكل من عامل الجزأرة (ثقافة جزائرية) وفي ذلك في الوحدة رقم 03، وكذلك أيضا لعامل الاقتراحات للمعالجة مشكل التأميم الثقافي وذلك في الوحدة رقم 05، كما أن نلاحظ أقل نسبة هي 12.9 من البحث تتحدث عن علاقة الثقافة بالقومية وذلك في الوحدة رقم 01.

التحليل السوسيولوجي:

(كتب يوم 1967/02/19 ونشر في جريدة المجاهد الأسبوعية عدد 360- 1967/03/19)

من هذا البحث لابد أن نعرف ما معنى التأميم وهو في اللغة ثورية وضع وسائل الإنتاج في يد الشعب ويقصد به هنا فإن التأميم مدرسة أجنبية أو مدرسة ثقافية استعمارية يعني وضع مقاليد ليد التفكير والتوجه والذوق في يد الشعب أيضا.

وأما علاقته بالناحية النفسية فهو يحرر الجماهير والمثقفين من مركب النقص الذي خلفه فيهم الاستعمار ويبعث فيهم الاعتزاز بتراثهم وتقاليدهم.

أما فيما يخص القومية فتلك الفترة التي كان يتكلم فيها العلامة أبو القاسم سعد الله هو انتشار القوميات واعتزازها بلغتها في كامل بقاع العالم لأن العرب عندما استيقظوا أخذوا على عاتقهم إحياء تراثهم القوي، فيتكلم أبو القاسم سعد الله عن دور الجزائر في بعث الثورة الثقافية في الوطن العربي عموما

" ورغم أن مقاومة الجزائر للإحتلال الأجنبي كانت الانبثاقة الأولى ليقظة الضمير القومي في الوطن العربي من الوجهة السياسية، فإن سورية ومصر قد قادتا حركة البعث الثقافي ومع ذلك فإن الجزائريين قد ساهموا في هذا البعث الثقافي سواء عن طريق المهاجرين كحمدان خوجة والأمير عبد القادر أو المصلحين كإبن الموهوب والمجاوي وابن سماية أو العلماء"[1]

وأما معنى تأميم الثقافة الوطنية تعني (جزأرة) تفكيرنا وذوقنا واتجاهنا العام ولا تعني القوقعة الثقافية والانعزال في البلد، إن الجزائر قبل كل شيء هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، وهذا الوطن يؤمن بحضارة مجيدة ساهمت الجزائر نفسها في الدفاع عنها وتدعيمها.

أما أهدافها هو تسليط الضوء على عملاء الاستعمار وتأمرهم على سيادة الثقافية الوطنية كما له عملاء في دعاية وسياسة له عملاء في الثقافة وينشرون لدعاية ويعجبون بذوقه.

1- أبو القاسم سعد الله ،منطلقات فكرية ، مرجع سابق ، ص 157.

وأيضا الوفاء لحلم الأجداد وأمجاد الثورة ومبادئها وكذلك يعني التأميم تأطير سريع لإطارات المنشودة وتحطيم الحواجز التي صنعها المستعمر ومستويات مختلفة لغرض التفرقة وخدمة مصالح ذاتية وعزل الجزائر مع أشقائها العرب.

وكذلك نهاية الثنائية اللغوية وحتى تربويا لا يمكن ذلك يقول العلامة أبو القاسم سعد الله

" إن في التأميم القضاء على الثنائية اللغوية، فقد أثبت علماء التربية والنفس أن الطفل لا يستطيع عقليا وقوميا أن يتعلم لغتين (أي ثقافتين) في نفس الوقت ولا سيما إذا كانتا مختلفتين في شكل الكتابة والذوق ونوع التفكير، كما أثبتت التجارب بأن إيمان المواطن بثقافته سيكون مزعزعا نتيجة للثنائية اللغوية وإنه قد لا ينتج في ثقافته على الإطلاق لأنه لا يمكن أن يكون مخلصا ومخصبا في ثقافتين في نفس الوقت"[1]

وبعد كل هذا يخلص إلا أن لابدا من إعداد جميع الوسائل وتوفير الإمكانيات التي تضمن للوطن واسترجاع مقدراته الثقافية، وإن أي عمل في هذا الاتجاه يكون تابع للانتصارات السياسية والاقتصادية التي حققتها الثورة.

وهكذا يتضح لنا أن ثورة الجزائرية في مفهوم العلامة أبو القاسم سعد الله يجب أن تمتد لباقي المجالات في إطار خطة وتخطيط مسبق من اجل تحقيق مشروع كبير نهضوي ثوري إصلاحي نابع من تراث الجزائري والإسلامي والعربي.

[1]– - أبو القاسم سعد الله منطلقات فكرية ، مرجع سابق ، ص 161.

جدول49 : يمثل أثر الثورة الجزائري الداخلي والخارجي

فئة التحليل : الإصلاح			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الفكر العربي المعاصر	10	%21.79
02	هزيمة فلسطين والفراغ الفكري وسياسي	06	%13.04
03	الثورة الجزائرية	07	%15.21
04	الأدب والثورة الجزائرية	09	%19.56
05	آثر الثورة الجزائرية في المشرق العربي	14	%30.43
المجموع		46	%100

القراءة الإحصائية:

من خلال الجدول نلاحظ 05 وحدات لتحليل، إذ أن نسبة 30.43% من نص ترجع إلى أثر الثورة الجزائرية في المشرق وذلك في الوحدة رقم 05، مقابل نسبة 21.73% من نص تتكلم واقع الفكر العربي المعاصر قبل وأثناء الثورة وذلك في الوحدة رقم 01، ومقابل 19.56% من نص للحديث عن الأدب والثورة الجزائرية وذلك في الوحدة رقم 04، ومقابل نسبة 15.21% من نص تتحدث عن الثورة الجزائرية وتصفها وذلك في الوحدة رقم 03.

كما أن أقل نسبة وهي 13.04% من نص تحدثت عن الفراغ الفكري والسياسي بعد ضياع فلسطين وذلك في الوحدة رقم 02.

التحليل السوسيولوجي :

(كتبت يوم 1989/10/21)

من الجدول نجد أن أثار الثورة الجزائرية كان كبيرا في المشرق والحقيقة أنها لم تكن كذلك في بداياتها ولكن ما إن اشتدت حتى عرفها العالم والعرب.

أما وجودها في الفكر العربي كان قليلا ولم تحظ حتى الآن بدراسة معمقة في الفكر العربي المعاصر أما في الميدان الأدبي نجد خصوصا الشعر أو مثل أطروحة الأستاذ عثمان سعدي ومقالة المرحوم عمر الدسوقي أما في الجامعات العربية فلقد وجهت لهم دعوة لبذل الجهود لمعالجة موضوع الثورة الجزائرية من الوجهة السياسية والتاريخية خصوصا.

أما كتابات الجزائريين مثلا رغم شيوع كتب فرانز فانون في إفريقيا وأوربا إلا أن ليس لها تأثير كبير في الوسط العربي أما كتابات مالك بن نبي يقول عنها أبو القاسم سعد الله

" أما كتابات مالك بن نبي فرغم أنها تلامس اتجاهات الثورة الجزائرية إلا أنها متوجهة لمعالجة الفكر القومي بقدر ما أثرت في توجيه الفكر الإسلامي، رغم أن الرأي العام العربي كان يعتبر الجزائر (الفردوس المفقود الثاني) فإن صلة الجزائر بالوطن العربي ظلت مستمرة."[1]

كانت هناك عائلات بأكملها مهاجرة في الإسكندرية والحجاز ودمشق وبيت المقدس. الخ...، واندمجت ببطئ في تلك المجتمعات ومع ذلك هناك من رجع إلى الوطن مثل أمثال الطيب بن المختار والطيب العقبي والبشير الإبراهيمي وأحمد رضا حوحو وغيرهم.

[1] أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ، ص 76.

وبقدر ما كان عناصر للجالية الجزائرية في المشرق كانت هناك رابطة بيننا أيضا مع المشرق عموما وكان المشرق يشعر بواجبه القوي والحضاري نحو الجزائر ويوجد من العلماء والباحثين والصحافيين العرب الذين زاروا الجزائر في العهد الاستعماري وتبقى زيارة محمد عبده إلى الجزائر راسخة وتعتبر تاريخية نظرا لمكانة صاحبها.

وفي ظل الاحتلال الإسرائيلي عاش العرب فراغا سياسيا وفكريا وحتى في نظام التعليم وتكوين الإنسان وحتى الجامعة العربية ما هي إلا صورة لتلك الأنظمة هي بدورها ضحية الاستغلال الاستعماري وتمتاز الثورة أن ليس لها زعيم عكس ما ألف العرب بل هو ثورة شعبية لم تكن لها فلسفة وكان همها التحرير نابعة من صميم الإنسان المضطهد.

ولقد كان لأدباء المفكرين لغة الأجنبية مثل محمد ديب، كاتب ياسين، مولود معمري، مولود فرعون الأثر الكبير في العرب وإلى الأدباء ثم تعرف العرب على أدباء لسان العربي مثل محمد العيد أل خليفة، مفدي زكريا، عبد الله ركيبي وهكذا عرف الأدباء والكتاب العرب أن الأدب العربي الجزائري ما يزال بخير وأن لسان الجزائر لم يكن فرنسيا كما توهموا من قبل.

فوجد شعراء العرب ضالتهم في الثورة الجزائرية خاصة تدعوهم إلى الفخر والاعتزاز فسكبوا من أجلها أشعار اختلفت درجاتها الفنية نجد مثل أحمد عبد المعطي حجازي، سليمان العيسى، نازك الملائكة وعشرات أخرين.

وهذا نجد أن العالم كله تأثر بها ونقصد المضطهد يقول العلامة أبو القاسم سعد الله:

" لقد كانت ثورة تحريرية احتفل بها العالم المضطهد حيث كان، ومن ثمة وجدت كتابات فرانز فانون عنها صدى لها في إفريقيا وأوربا وأسيا وأمريكا، وقد أعطتها أيضا كتابات مالك بن نبي بعدا إسلاميا شاملا كتجربة رائدة، أما الكتاب العرب والشعراء فقد أعطوها بعد عربيا وقوميا وجعلوها تعيش في قلوب جماهير الشباب عندئذ."[1]

[1]– أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ، ص 85

إذا هكذا نجد أن أبو القاسم سعد الله يعيش الثورة وهو وجيل الذي عاصرها لقد كانت قضية وأمانة لم يتهاونوا عليها وكل أبناء هذا الوطن في تلك الفترة إلا للذي لم يسمع نداء.

وهكذا كان يتمنى أن تبقى عائشة في قلوب الجزائريين هي نعم ضعفت ولكنها لم تمت كما نعتقد، ومازال الجزائريون يأملون في الإصلاح برغم من صعوبات وظروف لأن الجزائر كما ولدت عمالقة في تاريخها غير عاجزة على التجديد، وأخر شي هو الحراك المبارك الذي يدل على قدرة الشعب الجزائري على الإبداع.

جدول 50: يظهر أثر الفكر الثقافي في الوحدة الوطنية

فئة التحليل: الوطن			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	الشعور القبلي	04	%8.51
02	أعداء الوحدة	05	%10.36
03	الماسونية الجديدة	05	%10.36
04	دعاة رمسيس ويوغرطة والفرانكفونية	17	%36.17
05	أهمية الوحدة	16	%34.04
المجموع		47	%100

القراءة الإحصائية:

من خلال الجدول نجد 05 وحدات لتحليل، إذ أن نسبة 36.17% من نص تتحدث عن دعاة رمسيس ويوغرطة والفرانكفونية وذلك في الوحدة رقم 04، مقابل نسبة 34.04% من نص عن أهمية الوحدة وذلك في الوحدة رقم 05، كما ان نسبة 10.63% نجدها في موضوع أعداء الوحدة وذلك في رقم الوحدة 02، كذلك في عامل الماسونية الجديدة وبالنفس النسبة وذلك في

رقم الوحدة 03 وكما نلاحظ أن أقل نسبة هي 8.51% من نص تتحدث عن شعور القبلي وذلك في الوحدة رقم 01.

التحليل السوسيولوجي:

(نشر في المجاهد الأسبوعي بتاريخ 26 جوان 1981)

(لا وجود لتاريخ الكتابة)

من خلال الجدول كما نلاحظ كم أن دعاة التفرقة موجودين في الجزائر بأسماء مختلفة وبعناوين متنوعة وقد يشترك فيها العدو الخارجي وأيضا داخلي، لكن تاريخيا نجد أنه كانت فترة خاصة فترة الثورة من يشكك في العروبة أو الإسلام يعاقب أقصى العقوبة.

يقول أبو القاسم سعد الله

" أتى على الجزائر حين من الدهر كان فيه الشعور بالعروبة والإسلام الفياض لدرجة أن من يبعث به تعدمه الحركة الوطنية أو على الأقل تبعه عن صفوفها، وقع ذلك في حزب الشعب بين الحربين وأثناء الثورة المجيدة وقد استمر هذا الشعور الفياض والأصيل بالعروبة والإسلام عندنا خلال السنوات الأولى من الاستقلال أيضا، وأكبر مصداق عليه ما حدث أثناء زيارة جمال عبد الناصر للجزائر سنة 1963."[1]

ولكن لم يستمر الأمر على هذا النحو وفي جوان 1965 بدأ الشعور في البرودة والفتور وبدأت فكرة الأقلية والقبلية والعروشية وروح الانفصال تدب في حياة مجتمعنا وساعدها على ذلك هزيمة العرب 1967 وزاد من تعميق الشعور القبلي.

أما أعداء الوحدة نجد العدو الخارجي مثل الحركة الصهيونية العالمية وهي تبث روح الانقسام في كل دول العربية والإسلامية، وجاءت أيضا الحركة الفرانكفونية وبدأت تنشط كلما كان

[1] أبو القاسم سعد الله .أفكار جامحة .مرجع سابق ، ص 9

الحديث عن التعريب في الجزائر وحتى مشروع المؤتمرات (التسامح المسيحي- الإسلامي) وجمعية دراسات حضارات البحر المتوسط وأصبح لها نفوذ، وكذلك شعار البربرية.

ومن هؤلاء من شكك في سكان الجزائر بأنهم ليسوا عربا أقحاحا وليسوا أمازيغ أقحاحا، وهناك من مجد يوغرطة واعتبر المجتمع الجزائري مجتمع يوغرطة وهذه المقولة منسوبة إلى الرئيس الفرنسي (هو جيسكار ديستان أثناء زيارته للجزائر سنة 1975) حين قال: إن فرنسا التاريخية تحي الجزائر المستقلة، لكي يؤكدوا أن عمر الجزائر يتجاوز ألفي سنة، وبذلك يحاولون إرجاع الفرعونية لمصر والفينيقية للبنان والأشورية للعراق وهكذا.

إن يوغرطة ليس رمز للجزائريين بل نعتقد أن عقبة بن نافع هو رمز للجزائريين لأن الجزائر لم تكن في عهد يوغرطة ولم يستعمل اسم الجزائر ولا يحارب الرومان باسمها الجغرافي بل حاول فرض قبيلته وهل عاداته وتقاليده هي قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا.

أما عقبة فهو على النقيض من ذلك فهو يمثل العقيدة التي ندين بها واللغة التي تربطنا بالعقيدة والتاريخ الذي يربطنا بإخوتنا في الشمال والجنوب والشرق والغرب في منطقة سماها أجدادنا (المغرب الوسط) والتي نطلق عليها منذ العثمانيين (الجزائر)، ثم إن عقبة رمز للحضارة، بينما يوغرطة رمز للجاهلية وعقبة رمز وحدة وطنية ومغربية وعربية وإسلامية أما يوغرطة فهو رمز انفصال وقبلية ووثنية.

إن تاريخ يشهد أن أوربا لم تستطع أن تبتلع الجزائر إلا عندما انفصل أهلها عن الوحدة العربية الإسلامية وعادت لنا القوة بعد تحالف جديد مع الدولة العثمانية وأصبحنا نخيف أوربا.

ويعترف العلامة أبو القاسم سعد الله أن هناك رؤية أخرى للموضوع فيقول

" لأن هناك عوامل كثيرة تسهل تحقيق هذه الوحدات بالإضافة إلى العقيدة الإسلامية والتاريخ والمصالح المشتركة، ولكني أعرف أن هناك إخوانا قد يختلفون معي في هذا، ويرون أن الوحدة

الإسلامية تأتي قبل بعض الوحدات المذكورة، بل لعلهم يرونها هي الوحدة الوحيدة، والمهم الأن العمل على الوحدة بادئين بالوحدة الوطنية لأن جميع الوحدات الأخرى تمر بها."[1]

وكما نجد أنه يدعو مثقفي الجزائر الواعين والمخلصين أن يعملوا على دعم الوحدة الوطنية من جهة وتحقيق الوحدة المغربية والعربية والإسلامية من جهة أخرى، وأن يعملوا أيضا على أن تكون الجزائر هي رائدة في هذه الفكرة لأن البادئ بها أكرم وأعلى عند الله والناس والتاريخ وبالمقابل لا ننسى حزب نجم شمال إفريقيا ودور ريادي للجزائريين فيه.

ولعله من المفيد أن يكون للعلماء وأهل النخبة وأهل الفكر كطبقة مثقفة دور أساسي في تعميم الفكر الثوري.

جدول 51: يظهر عوامل الوحدة المغاربية

فئة التحليل: الوحدة (المغرب العربي)			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	اتحاد الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي	09	% 29.03
02	وحدة لسان ودين وتاريخ والمصير المشترك	07	% 22.58
03	الوحدة السياسية في	08	% 25.80
04	أهمية الوحدة المغاربية في الوقت الحاضر	07	% 22.58
المجموع		**31**	**% 100**

[1] أبو القاسم سعد الله .أفكار جامحة .مرجع سابق ص21

القراءة الاحصائية :

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك 04 وحدات للتحليل ، اذ أن نسبة 29.03 % من نص تتحدث عن اتحاد الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي وذلك في الوحدة رقم 01

مقابل نسبة 25.80 % من النص عن الوحدة السياسية في التاريخ وكان ذلك في الوحدة رقم 03 .

كما نلاحظ نسبة متساوية بين وحدة رقم 02 وحدة لسان ودين والتاريخ والمصير المشترك بالنسبة 22.58 % من نص وبنفس نسبة لأهمية الوحدة المغاربية في الوقت الحاضر في الوحدة رقم 04 .

التحليل السوسيولوجي :

(كتبت في الجزائر 24 ماي 1989 ، نشرت في مجلة المسار عدد خاص 1989)

من خلال الجدول نستطيع أن نلاحظ أن وحدة المغرب العربي هي أشبه بمطالبة شعبية خاصة في عهد الاحتلال حيث يذكر أبو القاسم سعد الله خاصة في خلال الحركة الوطنية كانت المشاعر واحدة يقول :

" لقد كانت تونس أول قطر غير الجزائر أحل به بحثنا عن منهل للعلم ، ورغم أنني قدمت اليها من بيئة هي أقرب الى البداوة منها الى الحضارة ، فإنني يعلم الله فقد شعرت أنني كنت على حداثة سني بين أهلي وقومي ، وليس هذا دعاء أو نستلجيا الى ماضي الصبا والشباب ولكنه تسجيل لانطباع كان وما يزال يعيش معي ، كنا في حلقات جامع الزيتونة نجلس الركبة حذو الركبة مع أبناء تونس ونلبس عين اللباس ، ونطمح الى نفس المستقبل ونحس بذات التاريخ " [1] .

[1]- – أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ، 176 .

كما أشار أن الارتباط الوثيق بين الحركة الوطنية الجزائرية مع تونسية كاد أن يكون على حد التلاصق .

وبالنسبة الى التوحيد السياسي فكل الدول التي قامت نقصد بالانقسامية كانت بسبب ضعف الحكم المركزي أي الخلافة سواء في اليمن أو المغرب أو الأندلس ، وبسبب تأمر الولاة أصحاب المذاهب المخالفة أو ربما لمجد عائلي أو شخصي .

وبدأ التحالف مع بعضها البعض أو حتى مع العدو ان لزم الأمر وفي هذا الجو عاش بن خلدون وتكلم عن نظريته المشهورة .

يقول العلامة أبو القاسم سعد الله :

" وقد عاش ابن خلدون هذا العصر وصوره لنا أحسن التصوير بل أنه خرج منه بنظريات حول قيام وازدهار ثم انحلال الدول والأسباب والعوامل الى نقود الى ذلك ، وخرج أيضا بنظرية (العصبية) التي تمثل الحافز وراء ذلك كله ، وهي النظرية التي حيرت الكثير من المؤرخين وذهبوا في تفسيرها كل مذهب : هل هي القومية بمفهوم الدين ، أو الدين بالمفهوم القديم أو الرابطة القبلية .. الخ " [1] .

فيذكر العلامة أبو القاسم سعد الله أن الظروف التاريخية والشروط الموضوعية كلها مهيأة لهذه الوحدة وتبقى الارادة الفاعلة ، وهي أيضا لا يمكن اذا لم تحاول أن تمتد الى المشرق وذلك هو بعدها الحضاري والجغرافي الطبيعي ، اذا وكما نجد مما سبق ان علاقة الأخوة وروابط القوية بين تونس والجزائر قوية في الماضي والحاضر ، وكما أن نعلم قرب المسافة بين وادسمون (قمار) وتونس ليست ببعيدة حتى في لهجة ومنه نقول أن الجزائر عموما حباها الله في موقع لها علاقة مع وجوار مع كل بلاد المغرب العربي وسكانها كلهم في تجاوب وعلاقات مع جيرانهم طيبة على العموم ، لاشتراكهم في لغة وتاريخ ودين وحدة المصير ، ومن هنا نجد

[1]- – أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي .مرجع سابق ، 175 .

أن الجزائر بمقدورها أن تلعب دور محوري في توحيد هذا المغرب العربي الكبير وعلى علمائها والنخبة والمثقفين أن يكون لهم دور البارز في هذا الشأن ، وفي الغالب أن توحيد الفكري والثقافي يسبق السياسي .

جدول 52: يبين معالم وحدة قومية عربية

فئة التحليل: الوحدة (القومية العربية)			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	في المنطق التاريخي	16	% 20.51
02	معنى القومية العربية	07	% 8.97
03	الأخطاء و أسبابها	16	% 20.51
04	حمدان خوجة والقومية العربية	20	% 25.64
05	الأمير عبد القادر و القومية العربية	19	% 24.35
المجموع		**78**	**% 100**

القراءة الاحصائية

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك وحدات التحليل ، اذ أن نسبة 25.64 % من البحث تتحدث عن دعوة حمدان خوجة الى القومية العربية وذلك في الوحدة رقم 04 مقابل نسبة 24.35 % من البحث تتكلم عن دعوة الأمير عبد القادر الى القومية العربية وذلك في الوحدة رقم 05 ، كما أننا نلاحظ نفس النسبة 20.51 % من البحث للمنطق التاريخي في الوحدة رقم 01 وكذلك الأخطاء وأسبابها في الوحدة رقم 03 .

كما نلاحظ أقل نسبة هي 8.97 % من البحث تتحدث عن معنى القومية وذلك في الوحدة رقم 02 .

التحليل السوسيولوجي :

(ألقى البحث يوم 25 جوان 1966 ونشر في مجلة الآداب اللبنانية عدد جويلية تموز 1966)

من الملاحظ أن رواية العلامة أبو القاسم سعد الله للقومية العربية أن الجزائر لها دور كبير في ظهورها خاصة من خلال كتابات حمدان خوجة والأمير عبد القادر ثم ظروف سياسية التي عرفتها الجزائر .

ان القومية العربية والجزائرية هناك من يريد أن تتخذ مسارا أخر ولكن رؤية أبو القاسم سعد الله لعلها تخلق وهي أنها راسخة في تاريخ ولحضارة الشرق العربية ولعل الجزائر هي أول من دعا الى القومية العربية يقول العلامة أبو القاسم سعد الله :

" سببان دعواني الى كتابة هذا البحث : الأول هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه مؤرخوا القومية العربية من عرب وأجانب ، حيث تناولوا أسباب ظهور هذه الحركة وزمانها ومكانها ، والثاني هو النزعة الغربية التي تروج الان في الجزائر لإقامة الثورة على اساس أنها ثورة أحفاد يوغرطة ضد أحفاد الرومان وليست ثورة أحفاد الغافقي ضد أحفاد شارل مارتل " [1].

فيذكر من ناحية المنطق التاريخي ويعرض فيما بعد معادلة اذ أولا يقدم هذه المقدمات :

[1]- يوغرطة بطل نوميديا (الجزائر القديمة) الذي حارب الرومان بشجاعة ولكنهم في النهاية أسروه حيث مات في أحد السجون روما ، أما الغافقي فهو بطل معركة توربوانبي (732) ضد الفرنجة بقيادة شارل مارتل .

1- دائما كان الوطن العربي يمثل وحدة متكاملة

2- هذا الوطن كله الى عام 1830 يخضع لنفوذ الروحي للخلافة الاسلامية .

3- انه الى ذلك اليوم لم تظهر اية حركة قومية عربية بالمفهوم الحديث للقومية .

4- ان قومية أية أمة هي اساسا رد فعل ضد خطر أجنبي والنتيجة هي أن مقاومة الشعب العربي في الجزائر منذ 1830 تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمعناها الحديث.

ويضيف العلامة أبو القاسم سعد الله :

" فاستعمال المنطق التالي يمكن التوصل الى هاتين المعادلتين :

المعادلة الأولى :

(أ) كانت الجزائر عام 1830 جزاءا من الوطن العربي

(ب) كل اعتداء على جزء من هذا الوطن يعتبر اعتداء على كله

(ج) اذن فالاعتداء على الجزائر اعتداء على هذا الوطن العربي

المعادلة الثانية :

(أ) المقاومة في الجزائر التي تلت الاحتلال الفرنسي كانت رد فعل ضد الخطر الأجنبي

(ب) كل حركة مقاومة عربية ضد الخطر الأجنبي هي حركة قومية

(ج) اذن فالمقاومة العربية في الجزائر حركة قومية " [1]

ويتضح من كلامه أن مركز ميلاد القومية العربية كان عام 1830 وكان حاسما في التاريخ العربي الحديث لأن المقاومة كانت عنيفة وتتصف بأنها عقائدية وايضا شعبية عقائدية هي صراع بين حضارتين مختلفتين وقوميتين لا يمكن التعايش بينهما أما الشعبية لأنها تمثل دفاع (الوطن ، الشرف ، الملكية ، الكرامة) للنظال .

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق ،ص 110 .

وهكذا يمكن أن نعتبر حمدان خوجة وكفاح الأمير عبد القادر تمثل الاتجاه العقائدي ، بينما تمثل ثورات الفلاحين والأدب الشعبي الاتجاه العاطفي .

ولأن الدين لعب الدور الأساسي فيها وأن قادتها نادوا بتضامن الاسلامي لصد العدوان تعتبر حركة رائدة للجامعة العربية ، وبالنظر الى من قاموا بها كانوا عربا وان هدفها كان تحرير جزء من الوطن العربي ، تعتبر حركة رائدة للقومية العربية ، وبالتالي فأبو القاسم سعد الله يعتقد أن هناك تلاحم كبير بين القوميتان الاسلامية والعربية فيقول :

" والحقيقة أن هذا الدور الثنائي للمقاومة الجزائرية قد استمر الى أن انفصلت القوميتان الاسلامية والعربية بعد الحرب العالمية الأولى بل من الممكن القول بأنه اذا استمر الى يومنا هذا حيث يصعب الان الفصل بين القوميتين في الوثائق الجزائرية حتى تلك التي صدرت بعد الاستقلال " [1] .

ويتكلم عن صفة الخطأ وعرض بعض النماذج :

1/ الثورة الوهابية حركة دينية هدفها التطهير الديني لا وحدة العرب ضد الأجانب

2/ لم تكن مغامرات محمد على سوى خدمة لفرنسا وطموح شخصي لتدعيم أسرته لخدمة القضية العربية

3/ المنظمات السرية التي ظهرت في المشرق في القرن الماضي اما كونتها أو حمتها في أغلب الأحيان الجمعيات التبشيرية .

4/ ثورة الشريف حسن كانت ثورة اقطاعية لا قومية ومن ناحية أخرى تعتبر كسبا للاستعمار والصهيونية لا العرب كما أثبتت ما بعد الحرب .

ومن مظاهر دفاع الأمير عبد القادر عن القومية العربية حسب أبو القاسم سعد الله يرجع الى أولا أنه كان عربيا هاشميا حفاظا على نسبه وبايعه الشعب كسلطان للجزائر وخليفة للمسلمين وشكل حكومة عربية ديمقراطية في الجزائر ونظم جيشا وشعبا واتخذ له جميع مؤهلات السيادة التي اعترفت له بها فرنسا نفسها مدة من الزمن .

[1]- أبو القاسم سعد الله .منطلقات فكرية .مرجع سابق 112 .

والهدف من هذا ربطه بالقومية لأنه دافع عن فكرة الحرية وعن حضارة وهي تراث العربي الاسلامي وعن أرض هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ، كما أعلن الجهاد ضد الأجنبي ونادي بتضامن وكان دائما يتكلم عن الأجنبي بكلمة رومي وهو دخيل بدل العربي ، وكان مفكر ومؤلفا ومن كتبة "ذكرى العاقل" و" وشاح الكاتب " وله الشعر يفتخر بالعروبة وهي سمة القومي الأصيل ولقد قالها في النصف الأول من القرن الماضي

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالمجد القديم علت قريش ومنا فوق ذا طابت فعال .

في جملة كلامه نستطيع وبسهولة أن نعرف ونجد هذه الملاحظتين :

1/ الجزائر أول جزء يقتطعه الأجانب من جسم الأمة العربية وبالتالي فإن مقاومة الشعب العربي هناك تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث

2/ ومن هنا لابد من وضع حركة نضال السياسي لحمدان خوجة والنضال العسكري الأمير عبد القادر في مكانها من تاريخ القومية العربية على أساس أنها حركة رائدة على الصعيدين العقائدي والجماهيري .

وبهذا يثبت العلامة سعد الله أنه لا يؤمن الحواجز المكانية و الزمانية المصطنعة وحتى الحدود المصطنعة التي وضعها الإحتلال واهتمامه بالقضايا العربية هو إجتهاد ومن حق المغاربة مثل إخوانهم المشارقة أن يراجعوا التاريخ ويستفيد و منه.

جدول 53 : يمثل حجج سعد الله في أسبقية الجزائر القومية العربية

فئة التحليل : ابداع			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	التكرار	%
01	اتهامات الأستاذ عبد الجليل	03	% 21.42
02	حجج ابو القاسم سعد الله	10	% 71.42
03	تهجم على العلامة أبو القاسم سعد الله	01	% 7.14
المجموع		**14**	**% 100**

القراءة الإحصائية :

من خلال الجدول نجد أن هناك 03 وحدات التحليل ، إذن أن 71.42 من نص تتحدث عن حجج العلامة أبو القاسم سعد الله وذلك في الوحدة رقم 02، مقابل نسبة 21.42 % من نص تتحدث عن تهجمات على العلامة أبو القاسم سعد الله وذلك في الوحدة رقم 03 .

التحليل السوسيولوجي:

كتب يوم 1965/10/01 ونشر تعليق في مجلة الأدب لبنانية نوفمبر1966

لأهمية الحور والنقاش ودوره في توعية الجماهير حتى إنه اصبح اليوم يستعمل في الإنتخابات الرئاسية ، وهو في نفس الوقت أحد الطرق التعليمة التي يستفيد منها المتعلم ، ونحن هنا لمعرفة مدى عمق أفكار سعد الله حتى أنه بقول في نظرته لهذا نحاول تتبع تلك الحجم ومدى سلامتها .. وعلى كل هي أراء فكرية .

الأستاذ عبد الجليل حسن أبدي ثلاث ملاحظات :

1- لقد نسي يقصد سعد الله الإعتداء الخطير والأجنبي مثل الحملة الفرنسية على مصر والشام

2- لم يذكر أسماء المؤرخين أو عبت إنهم قد اهملوا دور الجزائر في بناء القومية.

وأن ربط حركة القومية العربية بالجزائر فيه نزعة اقليمية ولأهمية المناقشة والحوار بين العلماء وأهمية القومية عند العلامة أبو القاسم سعد الله حاولنا أن نركز على هذه المعادلة التي انطلق منها سعد الله والحوار ثم نستنتج ملاحظات .

فكان رده ملخصا كالتالي :

انه لا يتكلم عن الحدث التاريخي في حد ذاته ولكن رد الفعل القومي وعلاقته و علاقته بالحدث التاريخي ، فلهذا هناك تسلسل في الجمل وهو لم ينتبه الى عنصر رقم 04 وتكلم عن العنصر رقم 05 بالرغم أن هناك تسلسل في الخطر المذكور كان مؤقتا غير مباشر سرعان مازال بينما كان الاحتلال خطرا دائما وفشل الحملة هو فشل لأهدافها ، والحملة جاءت كأساس على الخصومة بين الفرنسيين من جهة والانجليز والعثمانيين من جهة أخرى وليست بين الفرنسيين والعرب ، ولو أن مقاومة الشعب العربي في مصر والشام للحملة كانت جزءا من رد فعل قومي ضد خطر أجنبي شملت مقاومتهم الانجليز والعثمانيين .

أما **النقطة الثانية** : فاعتبر كل المؤرخين ومن المفروض على الأستاذ المعلق هو ان يعطينا مؤرخا واحدا يخالف سعد الله في رأي وهو مستعد لتغيير ومراجعة نظريته و لابد أن التفريق بين الحركة القومية العربية وليس عن الكفاح السياسي .

أما **العنصر الثالث** : هو بقوله أن سعد الله ذو نزعة اقليمية ونحن لانعرف المقصود بالضبط هل لأهل المغرب أو أقليمية أخرى ، وان سبب الكتابة هو أن هناك من له نزعة غربية يريد أن يروج في الجزائر لأقلمة الثورة ، والواضح أن المقال في حد ذاته كان هجوما على الأقليمية التي ماتزال تعيش في عقول بعض الجزائريين .

لكن الملفت أن العلامة أبو القاسم سعد الله بعد نهاية المحاضرة خرج عليه البعض المحسوبين على الاقليميين ينعتونه بالقومية و الشرقية و البعثية وغيرها من العبارات.

ويقول العلامة أبو القاسم سعد الله كعادته أنه اذا اتضح أنه خاطئ بأنه مستعد للرجوع عن خطأه .

وقد كنت أود أن لو أرشدني الأستاذ المعلق الى مؤرخ واحد يخالفني في رأيي بدل ان يطالبني بأن أذكر له هؤلاء المؤرخين ، وأحب أن أؤكد له بأنني مستعد أن أتراجع عن نظريتي اذا ظهر ما ينقصنا تاريخيا وعلميا .

على كل حال راينا دقة العلامة أبو القاسم سعد الله في عرض الأحداث التاريخية وفي متابعته للمفاوضات الشعبية ، وأن ما حدث في الجزائر يعتبر خصوصية ومنه قد يكون كلامه الى حد كبير صحيح فيما يخص أسبقية المغرب العربي الى القومية العربية ، بغض النظر عن مفهوم القومية للبعض .

ومنه فالعلامة أبو القاسم سعد الله دفع ثمن اجتهاداته في هذه القضية عبر التهجم عليه وكذلك لبعض الآراء التي انفرد بها .

وعموما هذا كله ميزة العباقرة والعظماء يتبنون ما أوصلهم البحث اليه .

وهذا هو الابداع الذي يسعى العلامة أبو القاسم سعد الله أن يغرسه في المفكر والعالم والمثقف وأن يكون مجددا دائما ناصحا لأمته

جدول 54: يبين البعد الحضاري الإسلامي في الفن الجزائري

فئة التحليل : التراث			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	المتاحف ذات الصبغة الاسلامية (التراث)	18	31.03 %
02	اللوحات ناصر الدين ديني (ذات صبغة اسلامية وجزائرية)	12	% 20.68
03	النقش والرسم والخطاطة	21	% 36.20
04	مؤلفات في الخط	07	% 12.06
المجموع		**58**	**% 100**

القراءة الاحصائية :

من خلال الجدول نجد أن هناك 04 وحدات للتحيل ، اذ أن نسبة 36.20 % من النص تتحدث عن النقش والرسم الخطاطة وذلك في الوحدة رقم 03 مقابل نسبة 31.03 من النص تتحدث عن المتاحف ذات الصبغة الاسلامية وذلك في الوحدة رقم 01 ، ومقابل نسبة 20.68 % من النص تتحدث عن اللوحات لناصر الذين ديني ذات الصبغة الاسلامية (التراث) وذلك في الوحدة رقم 02 .

وكما نجد ان أقل نسبة هي 12.06 من النص تتحدث عن مؤلفات في الخط وذلك في الوحدة رقم 04 .

التحليل السوسيولوجي :

لأن هذه المتاحف والرسومات تتكلم عن أنها ذات قيمة تراثية وذلك نجدها أيضا في الجدول ، حيث أن هذه المتاحف يشترك فيها الأسلوب والنمط الاسلامي وأيضا بالنسبة لأعمال ناصر الدين دينيه خلدت الوجوه العربية وحياة الصحراء والطقوس الاسلامية ، وهي تظهر تأثره بالطبيعة الجزائرية وتعكس مدرسته المميزة .

ومن لوحات دينيه العرب أثناء الصلاة ، وهي تمثل ثلاثة من رجال في حالة تأهب للتكبير وهو بلباسهم الاسلامي الأبيض ، ولكنه أضفى على الصورة ألوانه الخاصة وجعل حركات أيديهم ولمعان عيونهم كأنها ناطقة .

تعرض العلامة أبو القاسم سعد الله في هذا العنصر فقط الى المتاحف ذات الصلة بالفنون الاسلامية والتراث الوطني ، ففي ديسمبر 1892 أنشأ بقرار وزاري متحف الاثار الجزائرية القديمة وخصصت له بناية تقع في حي مصطفى باشا من جهة عليا.

ومن المتاحف الهامة في هذا المجال نذكر متحف باردوا لما قبل التاريخ ، وكانت لجنة الاحتفال المئوي قد خصصت له احدى فيلات (القصور) العربية والاسلامية ذات الفن والزخرفة الراقية ، وهي فيلا ترجع الى العهد العثماني ، اضافة الى متاحف متفرقة في قستنطينة ووهران وغيرها .

ويتكلم سعد الله عن الرسم وفي ميدان التعليم كيف يعتني به ويظهر ذلك في المدارس القرانية :

" والمعروف أن أولويات الرسم عند الجزائريين تبدأ من المدرسة القرآنية حين يرسم التلميذ على لوحته رسوما مختلفة ويلونها بما أمكنه من ألوان ، وقد يرسم في محيطه من أشجار وعصافير وخطوط ، وهو يلجأ للرسم معين ويتفنن فيه كلما أمكل (ختمة) لحزب من القران

وكثيرا ما يباهي التلميذ بذلك أقرانه ، وقد يكتب سورة الفاتحة ويحيطها باطار ملون جميل فيه أشكال هندسية على قدر عقله ومحيطه " .

وكان من المتوقع أن تزدهر تلك الفنون مع تقدم العلم والفن والاتصال ولكن الذي حدث عكس ذلك ودام ظلام دامس أكثر من سبعين عاما .

وفي أواخر القرن الماضي استأنفت المسيرة الفنية مع أفراد من عائلات كعائلة ابن الحفاف وعائلة ابن سماية وسارمشق وفرفارة ، ومن اثار عائلة الهاشمي سارمشق هو نقش وزخرفة مدخل ضريح سيدهم بومدين (1208 هـ / 1793 م) وعائلة فرفارة قاموا بنقش الخشب الخاص بمنبر جامع سيدي ابراهيم بتلمسان سنة (1248 هـ – 1832 م) .

ونجد من المشهورين أيضا عمر بن سماية اشتهر بالخط والذي يدل على اطلاع العلامة أبو القاسم سعد الله عن الألوان المنسجمة والتي تسمى المتممة الى بعضها البعض وهو يصف بعض اللوحات التي وجدها تتحدث عن الصوفية والطرقية وكذلك المذاهب .

" وهذه اللوحات مهمة كتعبير عما وصل اليه فن الخط والرسم والألوان في أواخر القرن الماضي ، فالخطوط الجزائرية متشابكة ، وهي ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود رسم الطرق الصوفية والتعبير عن الروح الدينية ، كما أن استخدام الألوان والاطار التقليدي للرسم الاسلامي العربي يعبر عن استمرارية هذا الفن والألوان ليست صارخة بل منسجمة رغم تعددها ، وهي تعبر عن الهدوء الديني والحضاري " [1]

وبالفعل هذا ما يميز الفنان المسلم استعمال الالوان الهادئة والتي تمثل الحضارة الاسلامية مثل اللون الأخضر .

في حين معظم الأعمال الفنية للغرب تمتاز بالكآبة أو كما قال صاخبة ويستعملون اللون الأسود أو الأزرق الداكن ، ثم لاحظ استعمال الألوان المنسجمة والتي هي بمعنى الألوان

[1]أبو القاسم سعد الله (ت.ج . ت) . ج 8 ، مرجع سابق ص 425.

المتوافقة والمتقاربة في الدائرة اللونية وتوحي بالهدوء والاطمئنان والصفاء ، وهي ميزات المؤمن الصادق .

فدراية أبو القاسم سعد الله بالجانب الوجداني والجمالي جعله يعطيه أهمية سواء في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ، أو في كتاباته المتنوعة ، والذي يزيد من قيمة ذلك هو طبيعة اهتمامه الأدبية التي كانت تعتمد على التذوق الأدبي والفني وبثقافته الفنية الجمالية أصبح يدرك أهمية المجال والفن في بعده التربوي أو الثقافي أو الحضاري .

وانطلق به الى تاريخ الجزائر الغابر واهتم بالمخطوط وبكل ما يخص التاريخ والتراث وهكذا فالاستفادة من هذا التراث يعتبر عمل وطني حضاري وابداعي يزيد من ثراء وتخيل وفكر الفرد.

جدول 55 : يظهر الإبداع الفني الجمالي عند عائلة راسم

فئة الموضوع : الابداع			
رقم الوحدة	**وحدات التحليل**	**التكرار**	**%**
01	الرسم والمعارض الفنية	05	% 13.88
02	محمد راسم وغن المنمنمات	16	% 44.44
03	ابداعات عمر راسم	11	% 30.55
04	الثقافة الجزائرية عند عمر راسم ومحمد راسم	04	% 11.11
المجموع		**36**	**% 100**

القراءة الاحصائية :

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك 04 وحدات لتحليل اذ أن نسبة 44.44 % من النص تتحدث عن محمد راسم وفن المنمنمات وذلك في الوحدة رقم 02 ، ومقابل نسبة 30.55 % من النص حول ابداعات عمر راسم وذلك في الوحدة رقم 03 ، ومقابل نسبة 13.88 من النص للرسم والمعارض الففلحدة رقم.

أقل نسبة نلاحظها هي 11.11 % من النص تتحدث عن الثقافة الجزائرية عند عمر راسم ومحمد راسم وذلك في الوحدة رقم 04 .

التحليل السوسيولوجي :

لقد لعبت العائلة لكل من محمد راسم وعمر راسم في اظهار ملكاتهم وابداعاتهم واكتشافاتهم ، فمثالا عمر لم يتخرج من مدرسة معينة فنية ولكنه بالموهبة والمثابرة و التتلمذ على يد والده علي بن سعيد راسم ، استطاع عمر أن يشق طريقه وسط المبدعين والنابغين في الفن والزخرفة ، وقد ابتكر أشياء جميلة أدت الى اقبال دور النشر عليه لطلب زخرفة مطبوعاته ، وكان عمر أديبا ذواقا أيضا وكاتبا ناقدا ، وكان من قدماء المحاضرين والمقرئين في محطة الاذاعة ، وكان يلقي حديثه الأسبوعي بنفسه في الاذاعة فن الرسم والتصوير والموسيقى ، ونشرت له مجلة (هنا الجزائر) مقالات المحاضرين والمقرئين في الفنون التي اختارها ، ولعمر راسم اطلاع واسع ومهارة في فن الموسيقى العربية الأندلسية ، ويعتبر من المحافظين غلى تراثها ، وكما أنه له دور في مجال الصحافة العربية .

ان اهتمامنا بعمر راسم كونه متعدد الاختصاصات وله سمعة وطني عالية ولكنه لم يكتسب شهرة أخيه العالمية ، وكان عمر وفيا لتراث الأسرة الجزائرية ولكن في مجال مختلف عن مجال أخيه .

أن الفنان محمد راسم قد التصق اسمه بفن المنمنمات ومعارضه التي أقامها في أوربا وقد أصبح معروفا هناك ومع الفنانين وكذلك الجوائز التي تحصل عليها .

وقد صدر سنة 1936 كتالوغ بلوحات الفنانين والنحاتين الجزائريين ، فكان خط محمد راسم فيه أربع لوحات عظيمة اقتنتها مصلحة الفنون الجميلة منها صفحة من القران الكريم والخليفة مع جنوده وأسطول بربروس والصيد .

وهناك لوحة لمحمد راسم تمثل شراعا حربيا يرجع الى العهد العثماني وفي أعلى اللوحة عن اليمين عبارة : الفوز ثمرة الشجاعة وعن الشمال كتبت الآية الكريمة ان تنصروا الله ينصركم وعن الشمال كتبت عبارة الجنة في (تحت) ضلال السيوف .

اطلع محمد راسم على الفن الفارسي (المنمنمات) من كتاب هنري دالماني فأخذ يقلده ، ثم برع فيه وتأثر بالخصوص بالألوان الذهبية ، وبالرغم من تأثره بالفن الايراني فان موضوعاته كانت مستوحاة من التاريخ الجزائري عموما .

نرجع الى عمر راسم ورأيه في الموسيقى وهو يتكلم عن التجديد و التقليد :

" نشير الى مقالة (التقليد والفن) الذي كتبه سنة 1957 والذي ربما كان أحد أحاديثه الاذاعية أيضا ، في هذا المقال نقد لاذع للتقليد في الفن وهجوم كبير على المقلدين بانهم بالتقليد يفقدون في نظره شخصيتهم ، وفي هذا المقال كلام عام عن الفرق بين المبدع والمقلد والموهوب في نظره هو الذي يتفرغ لفنه لأنه يحبه ويلتزم به ، أما المقلد فهو كالطماع والمحتكر الذي يريد أن ينال الأرباح الطائلة من دون تعب ، ان ناسخ الكتب لا يعد مؤلفا ولا الملحن مؤلفا " [1] .

بالرغم أن الأخوين محمد وعمر راسم قد أسهما في الثقافة الجزائرية وبقيت بصمتهما واضحة في ميدان الرسم والموسيقى ، فبالرغم من أن محمد راسم لم يكمل دراسته الا أن انتاجه الفني أشبع رغباته الابداعية في فن المنمنمات وأكمل مشواره الثقافي بصورة فردية شخصية بعد الاطلاع على تاريخ والحياة الاجتماعية لبلاده ، كما تظهر لوحاته المميزة بالهوية الاسلامية ، في حين أن عمر راسم كان متعدد المواهب ، فاشتغل بالسياسة وأصدر الصحف ، وكان أيضا عمدا لمدرسة في فن التهذيب في الخط وكذلك المنمنمات ، ان تعدد الاختصاصات في حد ذاته هي ملكة وموهبة غير عادية بل قمة الابداع .

[1]- أبو القاسم سعد الله (ت.ج . ت) . ج 8 ، مرجع سابق ص 403 .

نتائج الفرضية الثالثة :

وفيما يخص أبعاد الثقافة أن عنصر تحليل الذي يمثل الثورة الثقافية والشخصية مثل 50% من كلام سعد الله في نصه الشخصية الوطنية في الجزائر وبهذا تظهر بوضوح مدى ترابط الشخصية بالثقافة وانها تمثل القاعدة في بناء الثقافة حقيقية على أساس الهوية الوطنية الحقة من ناحيته وأن العمل ثوري يبقى في كافة المجالات وعلى رأسها الثقافة .

وبالنسبة أيضا كبير تحدث عن التأميم الثقافي بما يعادل 25.80% أي أن حماية الثقافة الجزائرية أو العربية الإسلامية من دخيل الأجنبي أي الاستعماري بالخصوص له الأولية وذلك عبر المؤسسات المسؤولة على غرس الثقافة .

لقد كان تأثير الثورة الجزائرية على الدول العربية كبيرا سواء في فكره أو أدبه وخاصة في المشرق العربي عموما إن الثورة هي أهم الأبعاد التي يسعى مشروع سعد الله تحقيقه في كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية والفكرية .

فيما يخص البعد السياسي كان الحديث عن الوحدة وما قد تتعرض له وخاصة من جانب التيار الفرنكفوني الذي أصبح بعد الإستقلال يمثل شريحة مهمة في المجتمع الجزائري وكانت نسبة 36.17% من مقال حدثونا عن الوحدة تتكلم عنه .

فأثر هذا التيار واضح على توجه الدولة السياسي عموما ما بعد الإستقلال برغم من عمليات التعريب ومحاولة الاستقلال الفكري والثقافي عنه .

أما اليوم فالوحدة مهددة بعد تراجع هذا التيار نسبي وبإسم مكونات وأحزاب جديدة ومرجعيات أكثرها فكري .

إن النسق المؤسسات الإدارية خاصة السياسية والوضع الاقتصادي اليوم يستوجب الحفاظ على المكتسبات وترسيخ الهوية الجزائرية الحقة التي تدعم الوحدة .

وأن الوحدة في بلدان المغرب العربي هي واقعة ثقافيا غير مختلفة ولكن ينقصها توجيه وزيادة الأهمية لها وإعطائها الأولية حيث مثلت نسبة 29.03% من مقال الوحدة المغاربية وتكلم بالخصوص عن الحركة الوطنية انها كانت مترابطة ومنسجمة وبهذا نظرا لإن نفس الأوضاع بتقريب مرت بها الدول المغاربية الدولة العثمانية والاستعمار فكانت تقريبا تبحث علة نفس التوجه الاستقلال قديما وحديثا تنمية وتطور .

القومية العربية هي موجودة في المنطق التاريخي أي أن الوحدة على أساس اللغة والدين موجودة منذ دخول الإسلام فلا عجب عن الحديث عن القومية العربية من جديد وكانت نسبة هذا العنصر لدى الحديث في الأمير عبد القادر نسبة 24.35%.

لقد كان دفاع سعد الله عن القومية العربية في الجزائر وأنها سباقة في العالم العربي جعلته يتعرض للانتقادات كبيرة ، لكن يظهر أن حججه أقوى لكون الجزائر تعرضت للاستعمار قبل البقية إلى حد ما وتوفر شروط دعوة إلى العروبة والدين لطرد المستعمر .

أما في البعد الجمالي فكان حديثه التاريخي الثقافي عن النقش والرسم والخطاطة نسبة 36.20% في عنصر المتاحف والخط وهذا يدل على أن الجزائر حتى في العهد الاستعماري .

لم تهمل الجانب الجمالي وأثره على الفرد والمجتمع وأن الشعب الجزائري بقي ذواقا للفنون ومبدعا فيها مثل الفنان محمد راسم في فن المنمنمات ، وفي عرض حديثه عن عنصر الرسم والمعارض الفنية تكلم عن محمد راسم وفن المنمنمات بإسهاب نسبة 44.46% أي عمق هذا من مرور أكثر من قرن عن الإستعمار إلا أن الفنان الجزائري مازال متمسك بأصالته ويعتز بها .

فالمعارض عموما رسائل قد تكون سياسية وأحيانا رمزية وأخرى ثقافية ترسلها إلى المجتمع والمثقف خاصة فالفنان هو جزء من المثقف وله نفس الرسالة الحضارية .

الاستنتاج العام :

1-ما يجب قوله عن الجانب الروحي :

عندما نلاحظ الشباب والتلاميذ اليوم من اليسير تستطيع ان تعرف عدم توازن روحي والأخلاقي وأن هناك هوة بين المسجد والأسرة عكس ما كان موجود في العهد السابق حتى في وقت الاحتلال الفرنسي .

وحتى أن الفئات الاجتماعية أصبحت أكثر ضعفا وأصبح الاهتمام ذو طابع مادي ، ومنه فإن الجانب الروحي هو موطن ضعف الحضارة الغربية وموطن القوة عند الحضارة الإسلامية وتاريخيا نجد أن الدولة العثمانية إعتمدت على الصوفية كأساس لقيام حضارتها وحتى الحضارة الإسلامية كانت في بدايتها كما يقول مالك بن نبي مرحلة الروحية هي الأولى وثانية عقلية علمية وثالثة غرائزية وهي مرحلة الضعف .

إلا ان العلامة سعد الله فإن التربية الروحية المقصودة عنده هي العملية لا روحانية الإنعزالية

2-في الجانب الاجتماعي واللغوي :

من مميزات تاريخ الجزائر انها لم تكن مستقرة وكانت الحروب بينها وبين الدول المجاورة مستمرة وهذا أثر على الاستقرار وبالتالي التعليم صحيح أقل منه في الدول المجاورة ولكن الجهاد والتصوف (الزوايا) ملاءة الفراغ فالجزائر في وقت الدولة العثمانية إستطاعت أن تسيطر على البحر المتوسط وفي عهد الإستعمار إستطاعت أن تخلد بالجهاد أيضا في ثورة عظيمة أي أن هذا الشعب له روحانية متقدمة في سابق .

حتى أن سعد الله يعتز بهذا أو ذلك ومنه فإن اللغة العربية هي من صلب هذا الدين والإهتمام بها هو الاهتمام بالدين عند سعد الله ولا يمكن الفصل بينهما .

إذ أن أهمية التعليم في المدرسة والكتاتيب هو تكوين شخصية وكذا خصوصية طبيعتها التي تميزها تماما عن العملية التعليمية وهي رواية سوسيولوجية تربوية عميقة في بنائها لو استثمرنا هذا في منظومتنا لتفادينا كثير من الإخفاقات .

ففعالية الفرد اليوم والمؤسسة أقل مما هو يراد منها فالوظيفة الأساسية لمؤسسات من ناحية السلوكية الاجتماعية الناتجة عن مستوى التعليمي ذو طبيعة دينية لم يرقى إلى نمط ثقافي مشهود اليوم وبالتالي هناك خلل في البنية التعليمية في جانب وفي جانب نفسي أيضا لدى الناشئة .

3-في المجال العلمي

تاريخيا لقد كاان الاهتمام التعليمي بالعلوم حسب الحاجة أحيانا مثل الطب وأحيانا أخرى حسب العصر مثل الفلك والمنطق وأحيانا أخرى متأثر بالتصوف فيكون فلسفة .

أما اليوم فتكنولوجيا والعلوم الدقيقة والتقنية هي أساس التقوت والتطور ومن هنا يجب تغيير المسار نحو هذه الحاجات الجديدة وهنا يكون الإصلاح .

فلا مكان اليوم إلى ضعيف سواء علميا أو ثقافيا ، فتعليم هو أساس العلم ،والعلم من العلماء وهكذا فلا يمكن فصل العلم من سياقه التربوي ففصله يعني فصل العلم مهما كان متطور بل إن الذكاء ذاته ينبع دائما عن الحالة النفسية لصاحبه فبتوتر وعدم الاستقرار لا وجود للاكتشافات والإبداعات في منظور العلامة أبو القاسم سعد الله .

4-في الجانب الوجداني

إن ربط الطلبة بالجذور التاريخية وربطه بما فيه ، هذا يساعده على فهم حاضره ومعالم مستقبله ، ومن هنا يأتي نمط الثقافي وللمجتمع الذي يعيش فيه ، بحيث أن الثقافات التي تقدم الذوق الجمالي وتجعله في أعلى المراتب هو مع المبدأ الأخلاقي تجعلهم يعيشون وينتمون إلى مجتمعهم ويعبرون بجو من الحساسية الجمالية الوجدانية مثل الأناشيد والغناء الهادف ، هكذا

يعتقد العلامة سعد الله في غرس الجمالية لتلاميذ والحس رفيع في كل نواحي الحياة ،وصقل تلك المواهب وتوفير المناخ للإبداع الجمالي وذوق الراقي والأحاسيس المرهفة الفعالة المنتجة ، حتى تمتد تلك المبادئ إلى أعماق الناشئة .

وبخصوص المنهاج وأساليب التربية على الاستعانة بالخبراء ، فالفرد الصالح المتكامل والمنسجم مع نفسه ومع غيره هو المرجو من تربية ذات جذور عربية إسلامية لا غربية .

وهذا كله يسير في نسق متكامل بحيث لا يكون فيه خلل يؤدي إلى عواقب وخيمة خاصة وما يتعلق بالوطن والدين واللغة والتاريخ هذا يؤدي إلى الوحدة .

5-فيما يخص الثقافة

فالثقافة تاريخيا في الجزائر كانت تحمل تجاذبات أولا مع الدولة العثمانية التي حاولت جلب مذهبها ولغتها إلى المنطقة ولكن بدون قصد ومع ضعف التعليم كان الخلل بارز في الثقافة في العهد العثماني ولكن في العهد الاستعماري وتأثير الحضارة الغربية وثقافتها على الجزائر أصبح بارزا وأكثر عمقا.

فالثقافة في مشروع سعد الله يعني رجوع إلا الأصل إلى التاريخ وإلى الوطن والدين وما عداه فهو ضد الثقافة فهي إن دخلت في بناء المحيط المعرفي للمجتمع ستكون هدامة لشخصية وتراث وهي نابعة من العدو الحقيقي لهذا الشعب .

ومن هنا يجب أن يكون دور العلماء والمؤسسات تصفية العادات والتقاليد من تلك الرواسب الإستعمارية ونظرا إلى التاريخ بنظرة أكاديمية علمية لا كما ينشره العدو ويقدمه على أنه تاريخ .

فالتاريخ دائما ما تكونن هناك منعطفات يجب علينا إستغلالها لصالح ثقافتنا وديننا ولغتنا الأصلية وهذا في حد ذاته هو تجديد وإصلاح ، ولابد للعالم والمثقف دور ريادي يلعبه

فالمجتمع الجزائري تعرض لخلل في نسقه العام وخاصة ثقافي لعدة أسباب أهمها المستعمر اليوم يجب الرجوع إلى الأصل والثوابت والشخصية الوطنية .

6-في البعد الثوري

إن معالم مشروع العلامة أبو القاسم سعد الله هي ثورة والثورة في عدة مجالات فهي بذلك لا تختلف كثيرا من ناحية الإتقان والعمل والابتكار عن ثورة الصينية (أو نموذج الصين) معا المحافظة على البعد الجزائري.

في مجال العمل والإنتاج وفي الصناعة والزراعة وفي الفكر فالعمل مهم في الحضارة وهو رأس مال الفرد والمجتمع ، مع محاربة أثار المستعمر المتمثلة في اللغة الفرنسية وتكون مبنية على أساس متين وهو مبادئ جمعية علماء المسلمين دين الوطن (تاريخ) اللغة الوحدة

7-في البعد السياسي

العمل على الوحدة سواء فب الداخل الخارج ، فما يجمع الجزائريين يوجد أكثر مما يقسمهم ونفس القول لدول المغاربة.

نحن اليوم نجد أن العالم يقترب مع بعضه البعض على شكل مجموعات الدول الأوروبية من جانب مجموعة شنغهاي مجموعة الدول الكبرى الدول الرأسمالية .في حين أن تكتلات الدول الإسلامية أصبحت شكلية فقط.

ومن هنا يريد العلامة سعد الله أو يوضح مدى أهمية الوحدة وخاصة في ظرف عرف بوحدة القوميات العالمية والقومية الأكثر تأثر والتي يخطط لها في العالم الإسلامي لا شك هي الدول العربية يراد منها الانقسام والتفكك فالعلماء في ذلك الوقت انتبهوا إلى هذا فتمسكوا بالقومية العربية حسب الظروف والمتطلبات ، نجحت لم تنجح شيء أخر عموما حافظوا على تلك الكيانات على أجل ما وبقت الوحدة أمل بين الشعوب .

8-البعد الجمالي الحضاري

لقد كانت لمسته الفنية الجزائرية على المستوى العالمي واضحة في أعمال محمد راسم والتي تمتد إلى تراث هذا الشعب .وكثرة المعارض أدت إلى روح المقاومة من جديد وإن كان بالطابع فني كما أنها تدل على تذوق الشعب الجزائري عموما للفنون ، هذا في جانب ولها جانب إبداعي أيضا لا نهمله لدى الفنانين الجزائريين فمحمد راسم ترك لنا تلاميذ نهجوا نفس النهج الذي خلقه، والإبداع عند الجزائريين لمم ينتهي ونحن نتكلم عن بصمة عالمية وليست محلية .

لقد بدأت بعد وفاة سعد الله بعض المشاكل التربوية أخرى في ظهور مثل العنف والإجرام ولكن يمكن للمختصون أن يكون لهم دور في حلها فهو يعطي هامش كبير لمثل هذه النخبة.

التوصيات والاقتراحات :

التربية لها بعدان حسب المنظرين البعد الروحي لإن المجتمعات الغربية دخلت في مشاكل متنوعة بسبب غياب وإهمال الجانب الروحاني ومن المنظرين من يهتمون بالثقافة والمجتمع والتضامن وإعلاء من أهمية الخبرة والديمقراطية والحرية من أجل الإبداع وتحرر الفكري والثقافي مثل المجتمع الأمريكي الذي يمثل وجه الحضارة الغربية في أعلى قيمها وقوتها.

العلامة أبو القاسم سعد الله يعطي نموذجا يهتم بكل هذه الجوانب بدون إقصاء للجانب الروحاني أو الحد من الفعالية للفرد حتى تنتشر البدع والخرافات و الجمود مرة أخرى كما أنه دافع عن طرق التعليم الحديثة التي بها تطور غيرنا وانتصر علينا وبذلك جمه بين الأصالة والمعاصرة وبهذا نجد أن موقف سعد الله هو موقف وسطي وعملي بدوق تطرف وهو الأكاديمي والعارف بأمور التعليم خاصة الجامعي في الجزائر والدول العربية والغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

الاهتمام أكثر بالكتاتيب والزوايا لما لها علاقة بالتربية الروحية والتضامن المجتمع والتسامح خاصة في الوقت الحالي .

وفي الميدان الثقافي ركز على المثقفين والجزائر والعلماء وأن يكونوا ركيزة المشروع التربوي الثقافي الحقيقي منطلقين من دولة المؤسسات التي تعمل بوظيفة ودور فعال وتعمل دائما على زيادة الفاعلية في الميدان الفكري وبذلك تبقى روح تجديد دائما تسري في المؤسسات الثقافية والمؤسسات العلمية سواء في الطب او التكنولوجية حتى الكلمة واللغة هي مهمة لرفع التحدي لإن العلوم والعلماء لهم شخصية وثقافة تخصهم يدافع عنها لا تصادم ولكن بالحوار والأدلة والحجج في خضم الصراعات الثقافية المستجدة سواء باسم العولمة أو غيرها وتاريخ الجزائري حافل بالإبداعات والعلماء المجددين من حق الشعب الجزائري أن يفتخر بذلك .

إن الحضارة عند سعد الله إذا قامت في الجزائر لا بد أن تكون ذات مرجعية ثورية لإنها أقرب لوحدة الشعب وثورة هنا في كل المجالات ثورة 1 نوفمبر لا بدا ان تحافظ على مبادئها التي سقط من أجلها الكثير والعدو هو العدو مازال يخطط لرجوع والعمل الثوري هو الوحيد الذي يمنع الإستعمار الأجنبي .

فمعالم الحضارة الجزائرية المقبلة كما حكم بها الأمير عبد القادر وابن باديس ومالك ابن نبي في مشاريعهم سرية كما يقول سعد الله هي مبنية على الوحدة والقومية .

القومية بمفهوم رافعة الحقيقة للإسلام هي اللغة العربية وبالتالي هم العرب هذا ما ذكره أيضا العلامة محمد سعيد رمضان البوطي.

فلا نفهم القومية بمفهوم التعصب للعرق العربي ولا بصورة سلبية بأن القومية العربية تعني الجنس العربي فقط بل بصورة أشمل ولا تعني إقصاء الأخر والثقافات الفرعية .

هذا مفهوم مهم لإن القومية العربية حرفت عن المغزى الحقيقي الذي دافع عليه أصحاب النظرية القومية ومنهم العلامة أبو القاسم سعد الله وإلا لوقع في فخ التناقض فمبادئ الإسلام تعني التضامن والعدالة والمساوات ورفع من قيمة الإنسان .

الجزائر لديها نموذجا لدولة حداثية ذات مبادئ إسلامية وهي التي قامت عليها وهي دولة الأمير عبد القادر بعد عالميا مشهود سواء فكريا بأنه مقاوما أو سياسيا أنه رئيس دولة أسس قواعد المساوات والعدالة والحرية عبر أراضيه وهذا الأمير ليس بعيد تاريخي يمكن إعادة النموذج (قدوة).

فيما يخص الحضارة نجد أنها لا تختلف ما عرضه مالك بن نبي على أسس الحضارة من عمل وتربية وجمالية (أفكار+ تراب + إنسان) فالثقافة هي الأفكار أي الفكر الراقي عند سعد الله والتراب هي الصناعة والعمل والعلم التكنولوجي والتراب هو استغلال الثروات ولا يكون ذلك

إلا بالعلم والعمل وأما الصورة الجمالية للحضارة أيضا تكلم عنها مالك ابن نبي فجمالية الأشياء والمنتوجات ترجع إلى طبيعة الحضارة وتذوقها .

وهذا أيضا يؤكده سعد الله في دور الجانب الفني والجمالي تاريخيا في الجزائر وأنها أمة مبدعة موهوبة .

وفي الأخير نقول أن المشروع التربوي الثقافي للعلامة أبو القاسم سعد الله لا يختلف كثيرا عما نادى به جمعية العلماء المسلمين أو المفكر الجزائري مالك ابن نبي إلا أن سعد الله أعطى لتاريخ أهمية كبيرة تشكل خبرة إنسانية حق للجزائريين الاستفادة منها مثل دولة الأمير عبد القادر ، وإعطاء صورة مشرفة للجزائر بشكل حضارة مبدعة تنطلق من تربية روحية واجتماعية وعلمية ووجدانية وتاريخية منذ صغر .

الخاتمة

الخاتمة النهائية:

ونحن لا ندعي أننا أحطنا كل جوانب المختلفة في الميدان التربوي عند العلامة أبو القاسم سعد الله ، إلا أننا حاولنا تحديد بعض معالم هذا المشروع الذي علم به سعد الله ومالك بن نبي وقبلهم جمعية علماء الجزائريين ، أو كثير من مفكري الإصلاح من أيام جمال الدين الأفغاني وغيرهم .

فمؤلفات سعد الله أكثر من أن تحصى ، حاولنا التركيز على خصوصية الجزائر التاريخية والثقافية من أجل تنمية حضارية إبداعية فريدة ، فهي محاولة لقراءة التربية عند سعد الله ومراميها البعيدة .

ويبقى الموضوع يحتاج إلى إضافات وبحوث أخرى تسلط الضوء على جوانب أخرى من البحث ،إن الخلل الوظيفي لمشروع تنمية في الجزائر هو الإنسان نفسه الهادم للقيم الذي استحكمت فيه عوامل الهدم على مستوى القاعدة وفئات المجتمع الأخر وما الفساد الذي نتكلم عنه إلا صورة مبسطة لذلك فالإنسان الجزائري مازال بعيد في استعداداته لتحمل مشروع تربوي كبير لإنه ورث أنساقا ثابتة أصبحت حاكمة على مزاجه وفكره ومنهجه في الحياة فإن العمل على تحصين الثورة والعمل على الاستقلال التام والتخطيط لمزيد من التطور مازال لم يتحقق.

في الجزائر لا تملك مشروعا كبيرا ، بناء يطلق من تاريخ وهوية هذا الشعب ، فالمشروع الذي يطمح إليه سعد الله فهو متعلقا بتلك المؤسسات ويهتم بالمجموع وبالجزء وبالفرد والمجتمع عبر فئاته ومن عميق تأثره بهذا الشعب الذي ضحى بكل ما يملك من اجل الاستقلال فيجد نفسه في استعمار فكري جديد (ثقافي).

برغم هذه الوثبات وتوقفات للعطاء الحضاري العربي الإسلامي .فاليوم تظهر بوادر نظام عالمي جديد قد يكوم للعالم العربي والإسلامي كلمة في تبلوره.

يسمح لهم برجوع إلى مشاريع حقيقية توحد صفوفهم و استغلال إمكانياتها المادية والفكرية ووضع مشاريع ونظم قادرة على نهوض والمواجهة مع الأخر تتميز بعمق التصور ومشروع متكامل ومنجم مع أفراده وطبقات الاجتماعية المختلفة وله صورة واضحة بين الكون والإنسان والحياة وتمتاز بالمرونة والثبات على حد سواء وذلك بما يتوافق مع متطلبات العصر .

ومهما كتبنا عن العلامة أبو القاسم سعد الله شيخ المؤرخين فإننا لا يمكن ان نوفيه حقه فيكفيه فخرا ما قدمه للجزائر الحبيبة من إنتاج فكري وتاريخي رائعين وأيضا موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي لعشرة مجلدات ، وكان يحلم أن يتوج مشروع جمعية علماء المسلمين بنجاح وأن ترتقي الجزائر بشبابها وهيئاتها إلى أعلى المقامات ، ولمالا ولإن الجزائر حققت نجاحات مختلفة وأنجبت مفكرين مثل مالك بن نبي ومسار تربوي رائد في المنطقة بفضل الجمعية ومن نتائجها ثورة عظيمة يشهد عنها العدو قبل الصديق .

ويمكن القول أن سعد الله من المؤرخين الذين حملوا هموم الجزائر وهموم الحضارة والأمة العربية الإسلامية ، وتألم لتفرق شعوبها فمن خلال كتاباته بين طريق الواضح في تربية وثقافة والحضارة ، وبارتباط وثيق بالجزائر والدين واللغة ، تصدى مع فئة من المثقفين الجزائريين لأكبر هجمة لمسخ الثقافي استعماري فعلي الجزائريين خصوصا والعرب والمسلمين عامة أن يعتزوا بتاريخهم وتراثهم الحضاري شريطة أن يحفظوا دروس الماضي ويتوجهوا إلى المستقبل ، ويواكبوا العصر ومستلزماته وأن يكون في إطار وحدة مغاربية وعربية لإن ما يجمع الأمة أكثر ما يفرقها ،والنخبة بأنواعها مسؤولة عن هذا التحول ومنها المربون والمثقفون خاصة .

قائمـــة

الـجداول

قائمة الجداول

جدول رقم01 : يبين معامل ثبات التحليل عبر الزمن

جدول رقم02 : يبين معامل ثبات التحليل عبر الأفراد

جدول 03: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي (المرحلة الأولى 1500-1830) جزءان

جدول04: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي(المرحلة الثانية 1830 – 1954) (من الجزء 03 الى الجزء 05

جدول05: فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي(المرحلة الثانية 1830 – 1954) (من الجزء 06 الى الجزء 08)

جدول 06 : فصول الكتاب التاريخ الجزائر الثقافي
(المرحلة الثالثة – الجزء التاسع 1954 – 1962)
جدول 07 حول سلسلة (أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر أربع أجزاء)

جدول08: حول كتاب بحوث في التاريخ العربي الاسلامي

جدول09 :يمثل مواضيع في كتاب في الجدل الثقافي

جدول10 : يبن مواضيع كتاب أفكار جامحة

جدول 11 : الكتاب منطلقات فكرية

جدول12 : جدول للكتاب حصاد الخريف

جداول 13: جدول لكتاب خارج السرب

جدول رقم 14– يمثل علاقة التصوف بقضايا العصر في العهد العثماني

جدول15 : يبين إنحراف التصوف ودعاوي التجديد

جدول 16:يظهردور الطرق الصوفية والزوايا في التربية والجهاد في العهد الإستعماري

جدول 17: يمثل علاقة العربية في التعليم الديني والتواصل الإسلامي

جدول 18 : يظهر علاقة الكتاتيب في ترسيخ القيم الاجتماعية

جدول 19: يبين علاقة المدارس القرآنية بالمحافظة على الدين

جدول 20: يمثل علاقة اللغة وعلومها بالمحافظة على التراث

جدول 21: يمثل علاقة أنواع الأدب العربي بالثورة

جدول 22 : يمثل أثر القصة في ترسيخ الوطنية

جدول23 :يبين علاقة اللغة بالإبداع

جدول 24: يبين أثر اللغة في العلم

جدول 25: يبين علاقة الدين بأنواع العلوم

جدول رقم 26: يمثل علاقة العلوم بالعقيدة الإسلامية

جدول 27 : يظهر بعض الممارسات العلمية في عهد التخلف

جدول 28: يظهر فن الموسيقى والإنشاد في العهد العثماني

جدول 29: يبين علاقة الفن التشكيلي بالإبداع

جدول 30: يمثل فن السينما وعلاقته بالثورة

جدول 31: يبين دور الفكر التقدمي لبعض الجزائريين

جدول 32: يظهر دور المؤسسات التربوية في الجزائر

جدول 33:يظهر بعض الدراسات الفكرية الإصلاحية في الجزائر

جدول34 : يمثل الإبداعات الفكرية لمالك بن نبي

جدول 35: يوضح علاقة التجديد في الجامعة الجزائرية

جدول 36 : يظهر أثر اللغة العربية في التقدم التكنولوجي

جدول37 : يمثل مسار الطب الجزائري تاريخيا

جدول 38: يظهر علاقة الطب بالكفاح المسلح

جدول 39:يوضح علاقة البحث العلمي بالعلماء والباحثين

جدول 40: يظهر دور جمعية العلماء في إصلاح المجتمع

جدول 41: يظهر أثر الوطنية في دعم الثورة

جدول 42: يبين علاقة اللغة العربية بالحركة الوطنية التاريخية

جدول 43: يظهر مشاكل الثقافة في الجزائر المستقلة

جدول44: يبن التقليد والتجديد في العهد العثماني

جدول 45: يظهر أثر العلم والعلماء

جدول 46 : يوضح دور المثقف في تقوية الروابط الاجتماعية

جدول 47: يظهر أثر الثقافة في تكوين الشخصية الجزائرية

جدول 48: يبين دور الثقافة في تحصين الهوية الوطنية

جدول49 : يمثل أثر الثورة الجزائري الداخلي والخارجي

جدول 50: يظهر أثر الفكر الثقافي في الوحدة الوطنية

جدول 51: يظهر عوامل الوحدة المغاربية

جدول 52: يبين معالم وحدة قومية عربية

جدول 53 : يمثل حجج سعد الله في أسبقية الجزائر القومية العربية

جدول 54: يبين البعد الحضاري الإسلامي في الفن الجزائري

جدول 55 : يظهر الإبداع الفني الجمالي عند عائلة راسم

قائمة

المراجع

المراجع :

- أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.
- تاج العروس م3 ،عن محمد عارف . الثقافة . الحضارة.المدنية دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي .الكتبة الوطنية ،ط 3 ،1993،.
- أبو القاسم سعد الله .أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2016
- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج1. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.
- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج6. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.
- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج8. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.
- أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج9. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.
- أبو القاسم سعد الله .خارج السرب . (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.
- أبو القاسم سعد الله .مجادلة الآخر. (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.
- أبو القاسم سعد الله ، حوارات ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.
- أبو القاسم سعد الله ، رحلة إبن حمادوش ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.
- أبو القاسم سعد الله ، سعفة الخضراء ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.
- أبو القاسم سعد الله ، شعوب وقوميات، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2008.
- أبو القاسم سعد الله ، مسار قلم (3) ،(م،أ، س)عالم المعرفة ط 1 الجزائر2009
- أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015
- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 1، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015.

- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، سلسلة 1، ج 2، عالم المعرفة .ط.1 الجزائر.2015.
- أبو القاسم سعد الله. بحوث في التاريخ العربي الإسلامي .عالم المعرفة .ط.خ الجزائر.2015 .
- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015
- أبو القاسم سعد الله، تجارب الأدب والرحلة، عالم المعرفة ط 1الجزائر 2010.
- أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، ، عالم المعرفة،ط1 ، الجزائر، 2011، ص 227.
- أبو القاسم سعد الله، حياتي ط خ، عالم المعرفة، 2015، الجزائر .
- الديمقراطية والتربية ، جون ديوي ، تعريب د.متى عقراوي، د.زكريا ميخائيل ،مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، ب ط القاهرة ،1946.
- بسام جرار ، الفكر الإسلامي ، ، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية ، ط 2 البيرة ، فلسطين ، 2006
- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط1 ،الجزائر 1981.
- رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته وممارسته العلمية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ب ط ، 2000،.
- زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي تطوراته و مساراته المعاصرة ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ،، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2001 .
– زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي تطوراته و مساراته المعاصرة ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ، ، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2001 .
- زكي الميلاد ، مالك بني نبي ومشكلات الحضارة .دار الفكر المعاصر بيوت ط1 لبنان 1998.

– سلطان بلغيث، دليل المربين في التعامل مع الناشئين، دار قرطبة، المحمدية ط1، الجزائر 2007

– عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر ط1، بيروت ، 1991

– عبد العزيز الشهيبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ب ط، وهران، 2007

- عبد اللطيف محمد خليفة ، ارتقاء القيم ،: المركز الوطني لتعليم الفنون الأدبية الكويت 1992.

- عبد المجيد بن مسعود ، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر ، كتاب الأمة ، الصادر عن مركز البحوث والدراسات بوزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر ،السنة 18، العدد67 ،1998،

– محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الإسلامي ، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ،بيروت ، لبنان ، 2006.

- محمد بوعلاق -النظريات التربوية المعاصرة .قصر الكتاب البليدة ب ط .الجزائر 2001.

- محمد عبد الله عبد الرحيم، السلوك الإنساني في المنظمات، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ب ط القاهرة: 1994

- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله، بني مسوس، منشورات الحبر، ب ط الجزائر، 2008.

- مورس إنجرس، ت بوزيدي صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2004،.

- نبيل السمالوطي، التنظيم المدرسي والتحديث التربوي ، دراسة في اجتماعيات التربية الاسلامية ، ط 1 ، المملكة العربية السعودية ، دار الشروق ، 1980 ،

- نخلة وهبة ، رعب السؤال ، أزمة الفكر التربوي " أنا أسأل..إذا .. أنا أفكر ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2001 .

-. محمد بغداد باي ، التربية و الحضارة - بحث في مفهوم التربية و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي . عالم الأفكار، ط 1 الجزائر ، 2006 .

أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي .ج3 . ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.

أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج2. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.

أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي ج4. ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة . ط خ الجزائر 2017.

-أبو القاسم سعد الله .حبر على ورق ،(م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2011.ص201

-أبو القاسم سعد الله .حصاد الخريف .عالم المعرفة ط1،الجزائر.2011..

-أبو القاسم سعد الله .في الجدل الثقافي (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.

البرت شفيتزر،فلسفة الحضارة . ترجمة عبد الرحمان بدوي مطبعة مصر القاهرة ب ط مصر ب ت .

توينبي ،ارنولد ،الحضارة في الميزان ، ترجمة : امين محمود الشريف ، دار احياء الكتب العربية ، ب ط القاهرة ،1948م .

الطيب برغوث ، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد عند مالك بن نبي .

-عمر محمد التومي الشيباني .تطور النظريات والأفكار التربوية .تونس دار العربية للكتاب طبعة ثالثة 1982.

-مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،2000.

-مالك بن نبي، شروط النهضة ، ترجمة كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق ط 4 ، ، سوريا ، 2000 ،.

-محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء تحقيق أبو القاسم سعد الله، (م،أ،أ،س)عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015.

محمد عارف ، المشروع الحضارة ، دار السالم ط 1 ، مصر ، 2008

مراد وزناجي، مفهوم التاريخ عن سعد الله، عالم المعرفة ط خ الجزائر 2015

نصر محمد عارف –الحضارة ،الثقافة ،المدنية ، - المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ب ط ،فرجينيا -1995م

-وجدي محمد فريد،دائرة معرف القرن العشرين ، بيروت دار المعارف ، ط3، المجلد الثامن ، لبنان .

المعاجم

– أحمد أوزي (معجم التربية والتكوين.1994). الدار البيضاء .ط1.الجزائر.

– أحمد أوزي.المعجم الموسوعي لعلوم التربية .دار البيضاء .ط1 الجزائر..2006.

المعجم الوسيط... مجمع اللغة العربية ،.عن :محمد عارف ، الثقافة . الحضارة المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، المكتبة الوطنية ط 3، 1993. مصطفى سويف، " الدور"، في إبراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ب ط القاهرة:1975

القواميس والمصادر

- ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ب ت ، ج13

– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، ج 11 ، دار صادر لطباعة ب ط بيروت، ، 1956

- ريمون بودون وبورويكو، فرانسوا،المعجم النقدي في علم الاجتماع . ترجمة :سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية ط1،الجزائر 1986

- همام طلعت ، قاموس العلوم النفسية والاجتماعية ، بيروت : مؤسسة الدمام ، ط 01 ،لبنان 1984 .

-ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، الدار التونسية للنشر، (ب ط) تونس 1984.

الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ج 2، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة .بيروت ط1.لبنان 1986

لمجد الدين الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،ج2 ، عن .محمد عارف الثقافة .الحضارة.المدنية دراسة لسيرة المصلح و دلالة المفهوم .المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، المكتبة الوطنية ، ط1993،3

المجلات وبحوث

- أبو دف محمود خليل ، " معالم الفكر التربوي عند السيد قطب من خلال تفسيره في ضلال القرآن " مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ، مجلة محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، يونيو ، 2003 .

ـ حسين يوسف ، "واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم في فكر مالك بن نبي " ، مجلة موافقات ، الصادرة بالجزائر عن المعهد الوطني لأصول الدين .

- خالد الصمدي، "إصلاح التعليم الديني"، محاضرة ألقيت في المركز اللبناني للأبحاث والدراسات حضارية، 25 من مارس 2006.

- علوي طه الصافي ، تعريف الثقافة ومفهومها، مجلة الفيصل ، العدد143 ،ديسمبر 1988،يناير 1989.

احمد محمد سالم البربري : "نحو مفهوم جديد للحضارة عبد مالك بن نبي " ،مجلة الفكر العربي ، العدد السادس والسبعون ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، السنة الخامسة عشر (2)، ربيع 1994م

-جون فريمون ، تلاقي الثقافات و العلاقات الدولية ، بيروت : مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 29 ، 1983

عبد الجليل الطاهر مسيرة المجتمع .بحث في نظرية التقدم الاجتماعي .بيروت ط1 لبنان،1966

عبد الحليم عويس ،"الوظيفة الحضارية لافكار مالك بن نبي " . مجلة الفيصل ، العدد 96، دار الفيصل الثقافية ، الرياض شوال 1413هـ-ابريل (نيسان)1993مـ .

المذكرات

- حفيظة الزين رسالة دكتوراه (النقد الأدبي في أثار أبو القاسم سعد الله) قسم الأداب واللغة جامعة قسنطينة 2014/2015.

– العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2014/2013

- عصام مصطفى شريفي ،" تقويم قواعد تنظيم السلوك والمواظبة في ضوء قيم التربية الإسلامية "رسالة ماجستير -غير منشورة – قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2007.

- محمد جمال خياط ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية ،ب ط السعودية 2004.

- Benoît, Gauthier, Recherche Sociale: De La Problématique A La Collista Des Données, Sainte-Foy, Québec, Canada :Presses De L'université In Quebec, 1984,

الملاحق

الملحق رقم (01)

إطار تحليل المحتوى

جامعة زيان عاشور كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

السيد(ة) الدكتور:.....

تحية طيبة وبعد،

سيقوم الباحث بدراسة اجتماعية بعنوان المشروع التربوي عند العلامة سعد الله (دراسة سوسيولوجية عن طريق تحليل محتوى التراث المعرفي للعلامة أبو القاسم سعد الله)، وذلك استكمالا لمتطلبات نيل درجة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي.ولكي نحيط بكل ماله علاقة باستظهارعلاقة الإرث الثقافي عند العلامة أبو القاسم سعد الله وعلاقته بمبادئ جمعية علماء المسلمين والتجديد والإبداع وفق الفرضيات (مجالات التربية ودور مؤسسات الثقافية وأبعاد المشروع التربوي) ،أرت أن أضع بين أيديكم هذا الإطار،راجيا من حضرتكم التكرم بالاطلاع على فقراته ،

مع تقديري لكم وشكري لتعاونكم

الباحث الأستاذ التعليم العالي

شبيرة مسعود سحوان عطا الله

استبانه إطار تحليل المحتوى

المحور الأول: بيانات كتب موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي

-عنوان الموسوعة : تاريخ الجزائر الثقافي

-المؤلف: أبو القاسم سعد الله

-دار النشر وتاريخ النشر: عالم المعرفة ، الجزائر،2017. مجموعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله

-حجم الكتب: الكتب من الحجم المتوسط

عدد الأجزاء :10

-عدد صفحات الكتب: ج 1 **529** ج2 **450** ج3 **452** ج4 **540** ج5 **618** ج6 **455** ج7 **480** ج8 **477** ج9 **678** ج10 **436**

-طباعة الكتب: طباعة غير ملونة

-لغة الكتب: اللغة العربية

-الموضوع العام للكتب: التراث الثقافي الفكري منذ العهد العثماني إلى الثورة الجزائرية

-أبرز المفاهيم الواردة في الكتب:

1/العلوم الدينية : الفقه ، تفسير ، الحديث

2/العلوم الاجتماعية :التصوف ، علم المنطق ، علم الكلام .

3/العلوم التجريبية :الطب ، الفلك ، الحساب .

مواضيع الأجزاء :ج1 : تراث القرن . ج2: العلوم الشرعية ،علم الكلام والتصوف ،

ج3: التعليم في المدارس وزوايا والمدارس الفرنسية .ج4:الطرق الصوفية ، سلك القضائي. ج5: المعالم الإسلامية والأوقاف .ج6: الاستشراق و التنصير .ج7: العلوم الاجتماعية

والتجريبية .ج8: اللغة والنثر الأدبي ،الفنون .ج9: الثورة ، الثقافة في نصوص الثورة ، الإعلام ، الفنون .ج10: معجم المصطلحات وفهرس الأشخاص والأماكن .

إطار تحليل المحتوى

الرقم	الفئة	وحدات التحليل	مناسبة	غير مناسبة	منتمية	غير منتمية
1	الدين القرأن الكريم	- انتشار الإسلام والاهتمام بالقرآن الكريم وحفظه				
		- القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية				
		- علوم اللسان لفهم الشريعة وأحكام القران				
		- الجالية الإسلامية والقرآن الكريم				
		- الكتاتيب والزوايا والاعتناء بالقرآن الكريم				
2	التعليم القرآني الكتاتيب	-الأسرة والتعليم القرآني				
		- تضامن الأسر مع المؤدبين وعلاقتهم بحفاظ كتاب الله				
		- تعليم المرأة				
		- الاحترام والنظام ودراسة الجماعية تعاونية داخل الكتاتيب				
		- طرق التدريس البيداغوجية				

ملاحظة:

تلاحظ تكرار في فئة الموضوع والقصد من ذلك مواضيع الكتب التي تصب في قالب كل فرضية من فرضيات الدراسة ،قد تنفرد بعض الفرضيات بمواضيع ما وقد تشترك فرضيتين أو أكثر في موضوع أو عدّة مواضيع وذلك حسب اتجاه كل فرضية.

ملحق (02)

ملحق رقم 2 يبين قائمة السادة المحكمين

اسم ولقب المحكم	التخصص	الجامعة
أستاذ التعليم العالي سحوان عطا الله	علم الاجتماع	جامعة زيان عاشور بالجلفة
أستاذ التعليم العالي جلود رشيد	علم الاجتماع	جامعة زيان عاشور بالجلفة
د.بن سالم عبد الله	علم الاجتماع	جامعة زيان عاشور بالجلفة

الفرضية الأولى

المتغير المشروع التربوي الثقافي

الابعاد **مؤشرات**

الفرضية الثانية

ابعاد **مؤشرات**

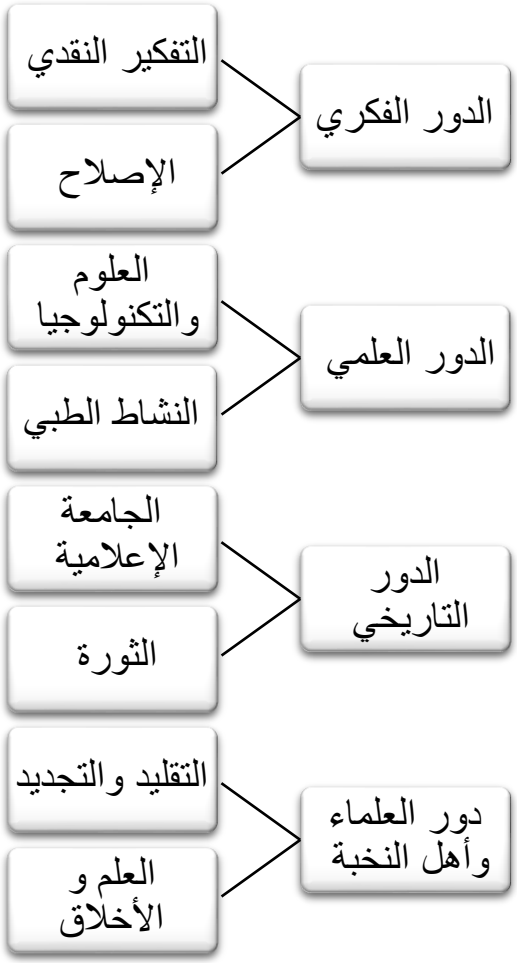

الفرضية الثالثة

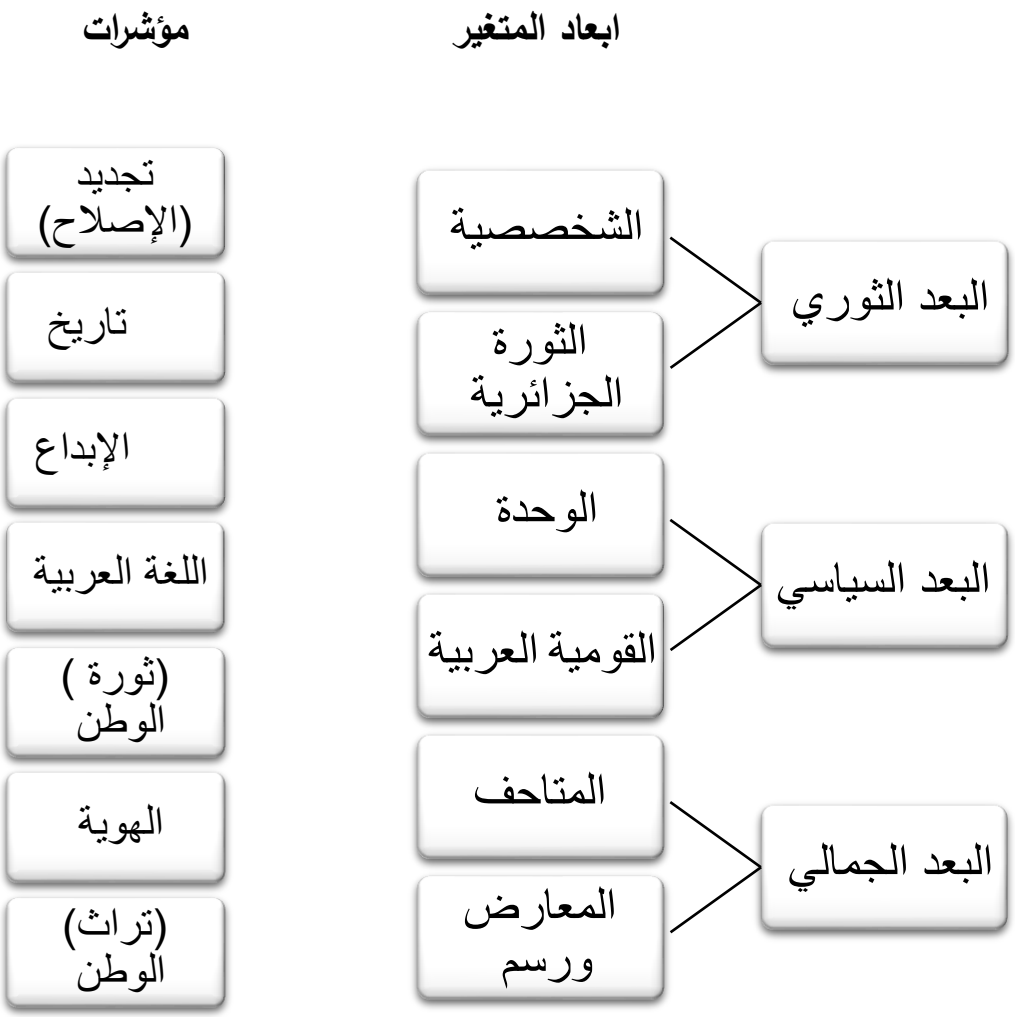

قال عبد الرحمن الثعالبي -رحمه الله- :

إنّ الجزائر في أحوالها عجب

والبؤس بها للناس مكروه

ما حلّ عُسر بها أو ضاق مُتّسع

إلا ويُسر من الرحمن يتلوه

أقوال خالدة لأبو القاسم سعد الله

<< إن الشباب الذي كان حقيقة قد أصبح حلما، والثورة التي كانت حلما قد أصبحت حقيقة>>

حوارات ص 48.

<< والثقافة بمعناها الإنساني العميق والواسع هي ضالتي>>

من كتاب حوارات ص 82.

<< الثقافة هي نتاج الإنسان وصورته>>

حوارات ص 55.

<< وعندي أن توحيد اللغة في هذا المجال يعني وحدة الفكر التي تعني وحدة القيادة السياسية والحافظة على الوجهة الحضارية للشعب>>

التاريخ 4 جوان 1983، أفكار جامحة ص 169.

<< ذلك أنه إذا ضعف اللسان الواحد ضعف الفكر الواحد أيضا، وإذا ضعف هذا حل الانقسام والتمزيق>>

حوارات ص 104.

<< إن تاريخنا تاريخ عملاق، فعلى الأشخاص الذين يكتبونه أن يكونوا كذلك>>

حوارات ص 59.

<< كان الوعي بالتاريخ هو الوطنية ذاتها، وكانت الوطنية تعني الاعتزاز بالهوية، وكانت الهوية تعني الانتماء الحضاري للعروبة والإسلام>>

من كتاب مجادلة الأخر ص 24.

<< فالكتابة عندي هي دوائي وهي دائي، فإذا كتبت رضيت عن نفسي، وإذا لم أكتب سخطت عنها ومر اليوم كأنه سرق من عمري>>

حبر على الورق ص 5.

<< ورغم الفارق الكبير بيني وبين ابن باديس فإني أستطيع أن أكرر قولته وهي أنني أيضا أعيش للإسلام والعربية والجزائر>>

حوارات ص 140.

<< وما أنا إلا ذرة من تراب الجزائر، وتكبيرة من تكبيرات الإسلام وحرف من لغة القرآن>>

من كتاب حوارات ص 135.

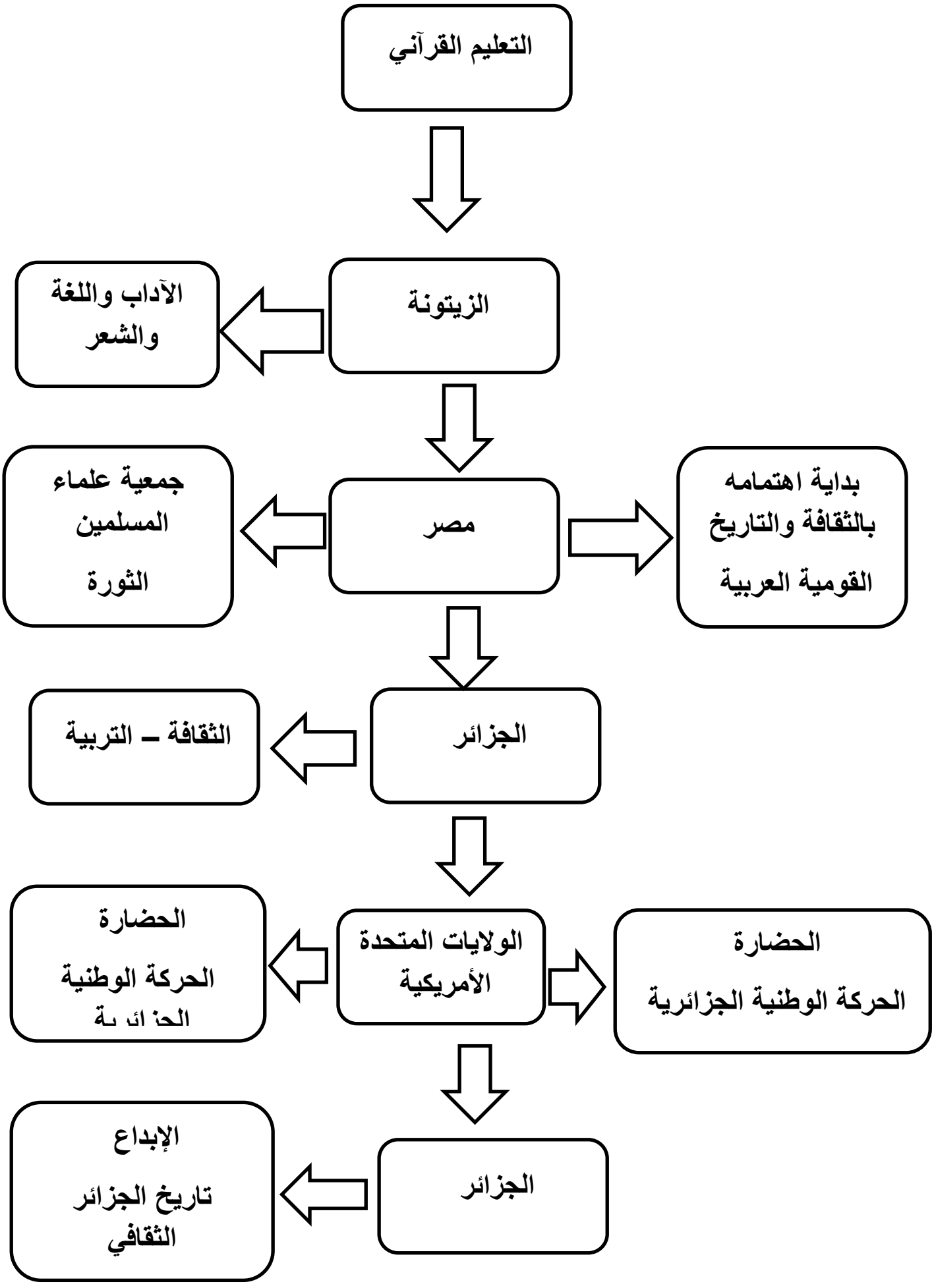
التعليم القرآني
الزيتونة
الآداب واللغة والشعر
مصر
جمعية علماء المسلمين الثورة
بداية اهتمامه بالثقافة والتاريخ القومية العربية
الجزائر
الثقافة – التربية
الولايات المتحدة الأمريكية
الحضارة الحركة الوطنية
الحضارة الحركة الوطنية الجزائرية
الجزائر
الإبداع تاريخ الجزائر الثقافي

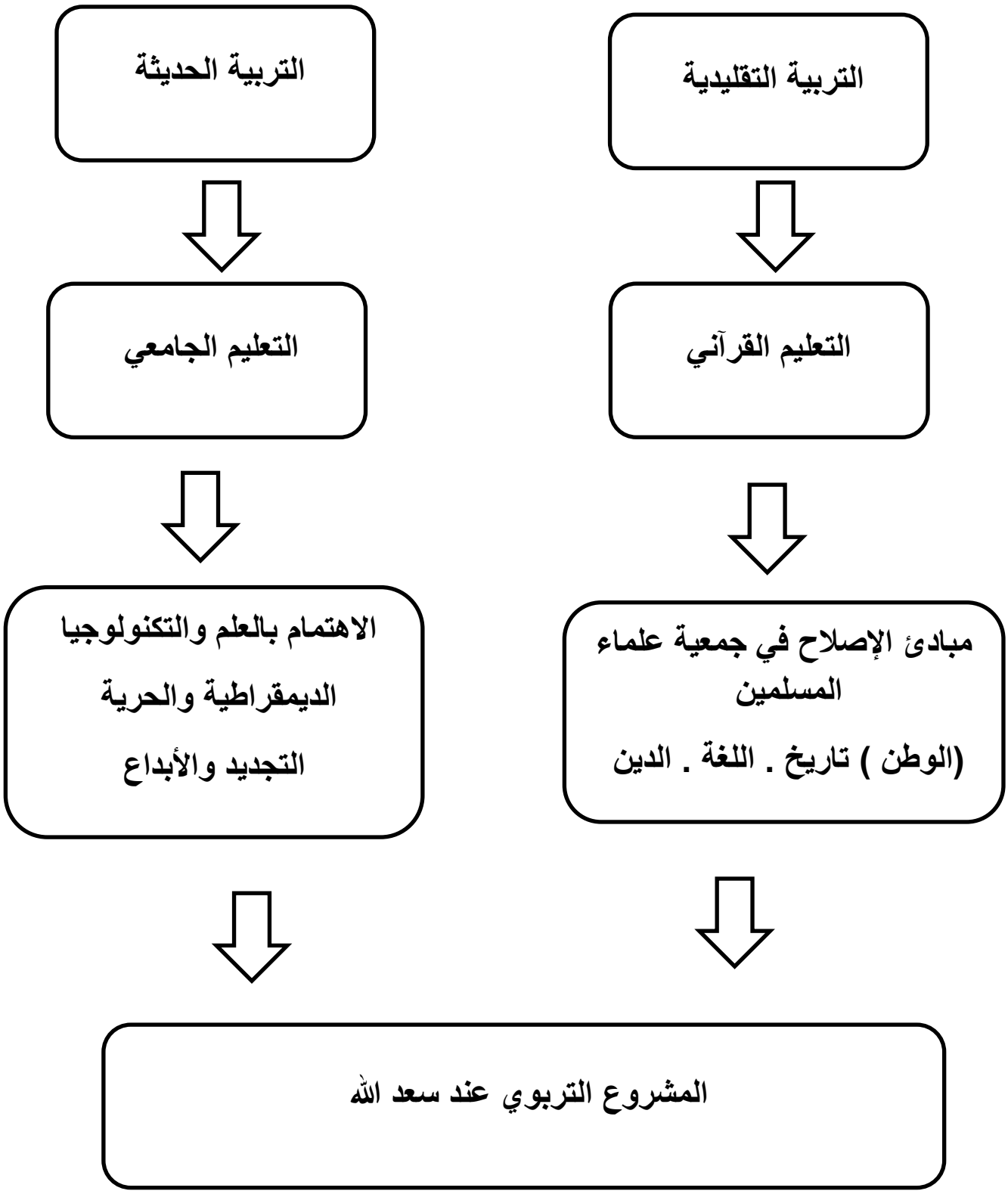
التربية التقليدية
التربية الحديثة
التعليم القرآني
التعليم الجامعي
مبادئ الإصلاح في جمعية علماء المسلمين
(الوطن) تاريخ . اللغة . الدين
الاهتمام بالعلم والتكنولوجيا
الديمقراطية والحرية
التجديد والأبداع
المشروع التربوي عند سعد الله

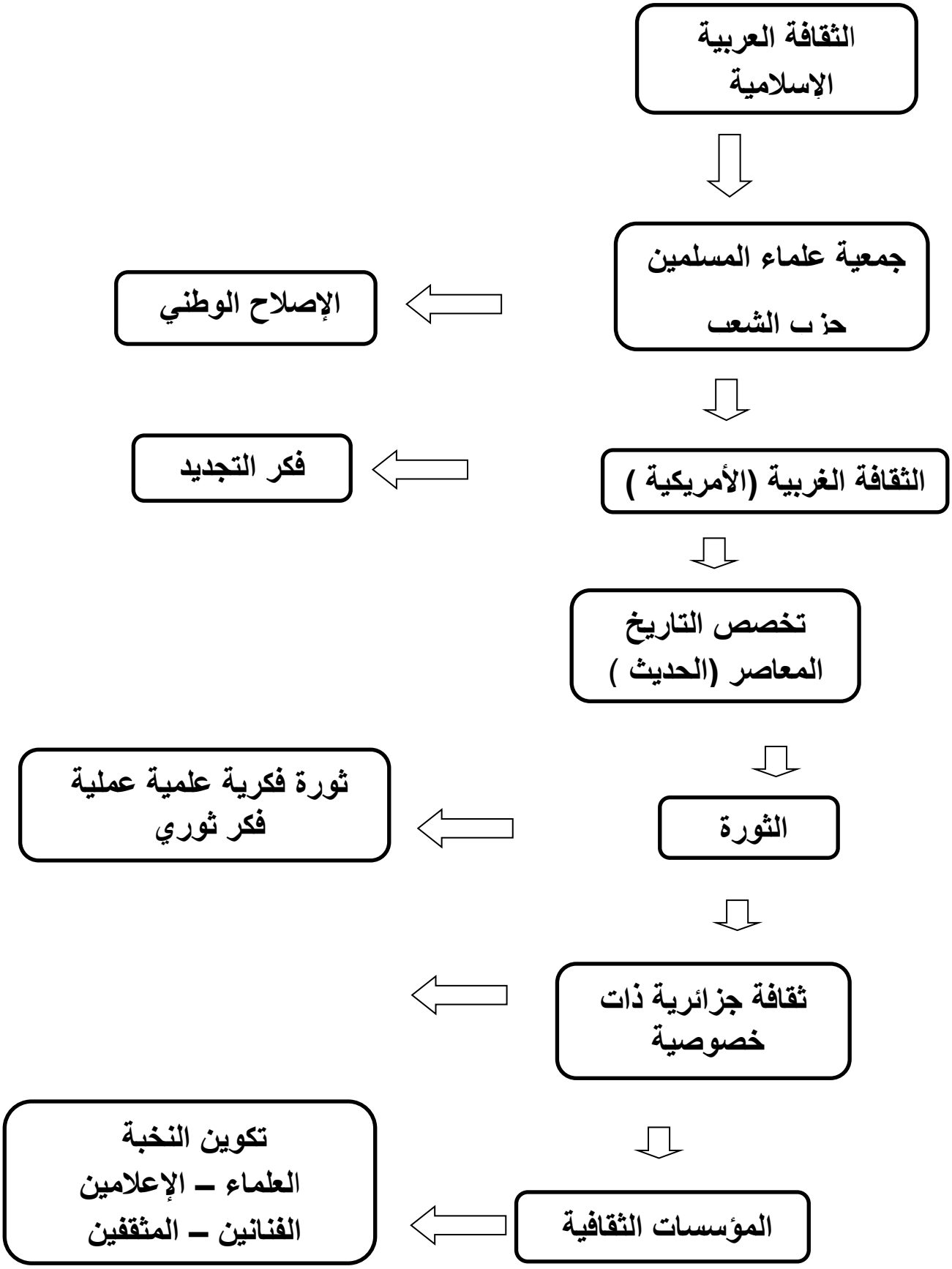
الثقافة العربية الإسلامية
جمعية علماء المسلمين
حزب الشعب
الإصلاح الوطني
الثقافة الغربية (الأمريكية)
فكر التجديد
تخصص التاريخ المعاصر (الحديث)
الثورة
ثورة فكرية علمية عملية
فكر ثوري
ثقافة جزائرية ذات خصوصية
المؤسسات الثقافية
تكوين النخبة
العلماء – الإعلاميين
الفنانين – المثقفين

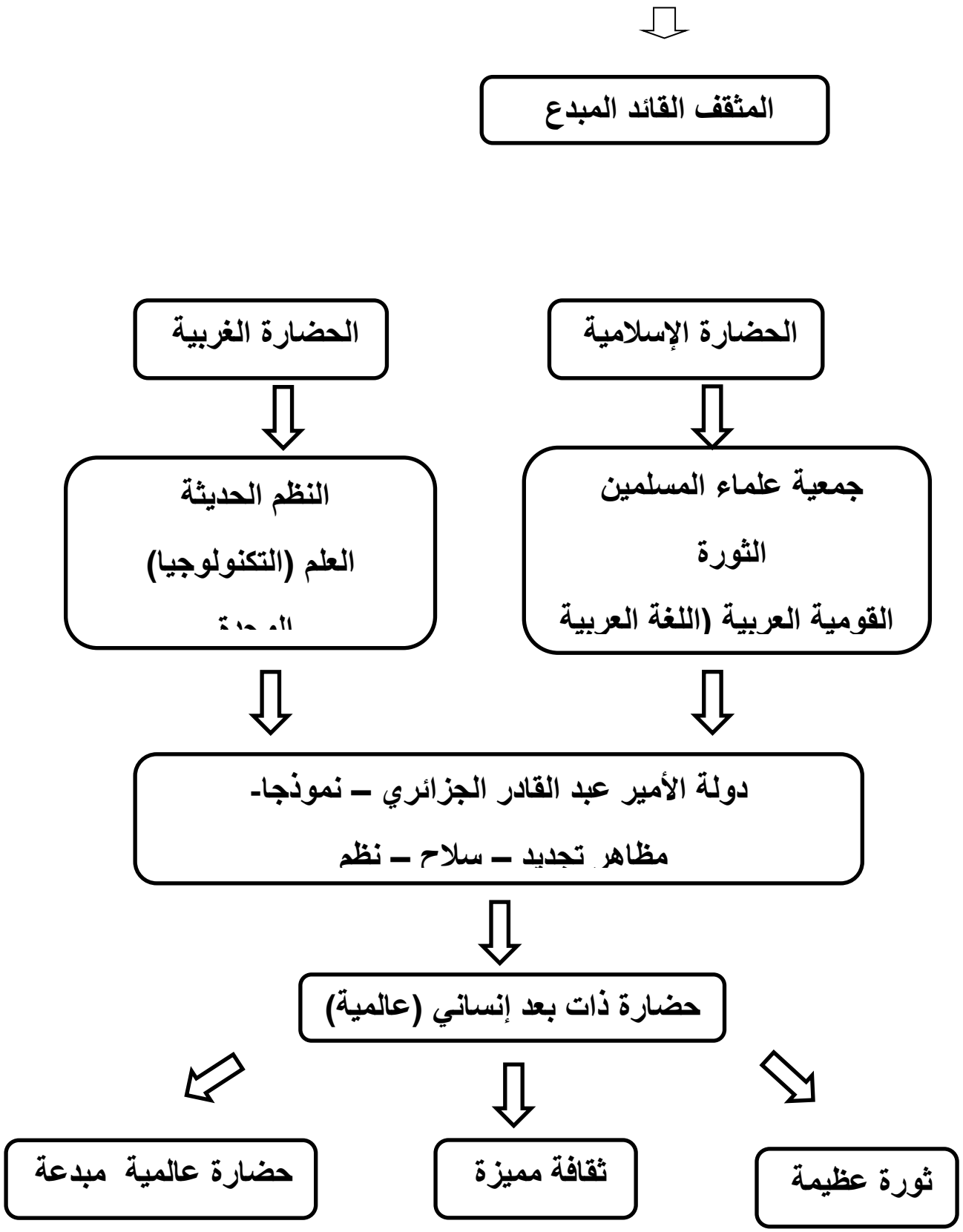
المثقف القائد المبدع
الحضارة الإسلامية
الحضارة الغربية
جمعية علماء المسلمين
الثورة
القومية العربية (اللغة العربية
النظم الحديثة
العلم (التكنولوجيا)
دولة الأمير عبد القادر الجزائري – نموذجا-
مظاهر تجديد – سلاح – نظم
حضارة ذات بعد إنساني (عالمية)
ثورة عظيمة
ثقافة مميزة
حضارة عالمية مبدعة

صورة ابو القاسم سعد الله في احدى البرامج التلفزيونية

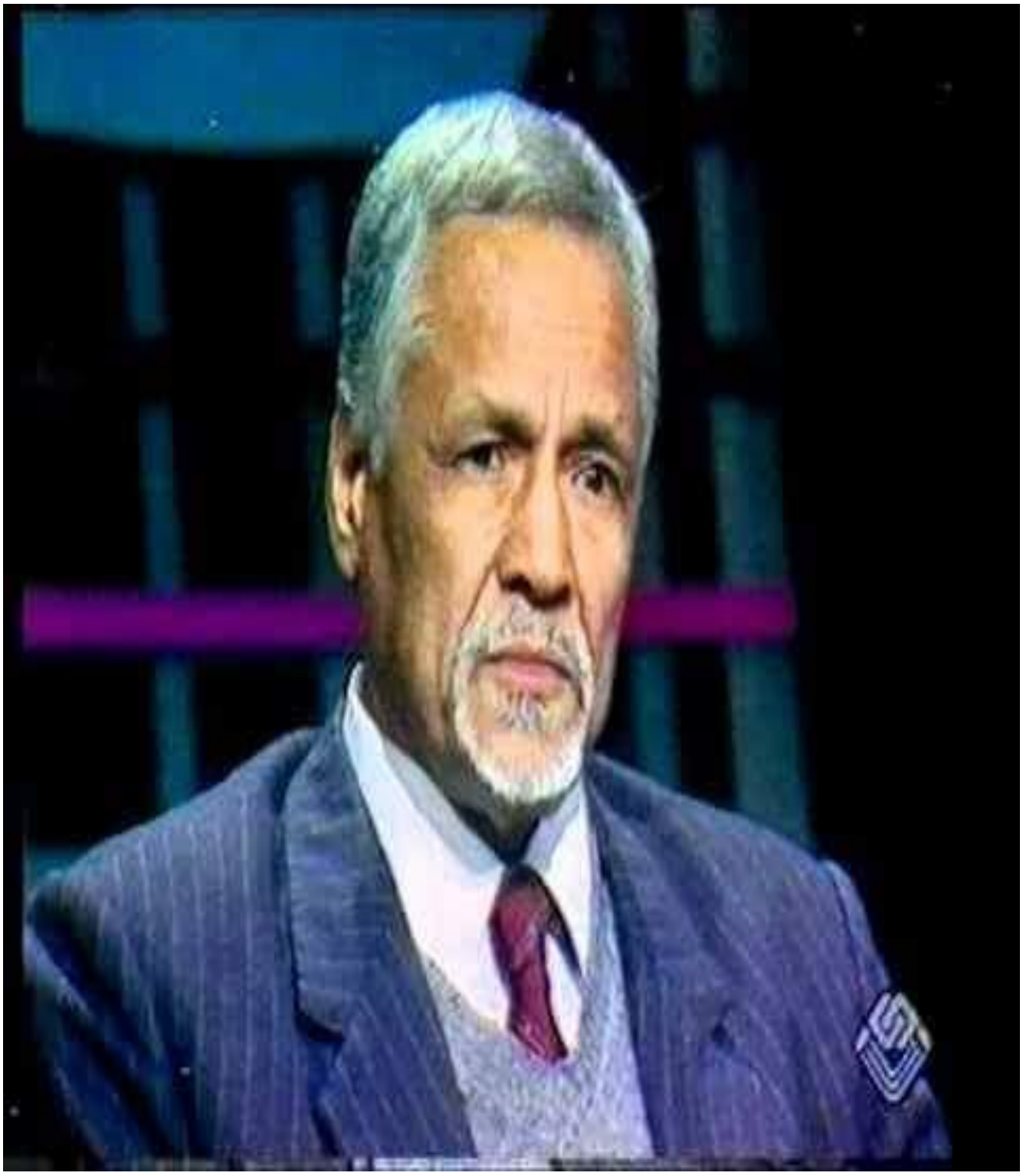

.....أنا رجل تربية وتوعية .....

الملخص :

في ميدان علم الاجتماع التربوي يصعب على الباحث تكلم عن مشاريع العلماء والمثقفين، ومنهم العلماء والمثقفين ، ومنهم العلامة أبو القاسم سعد الله والذي تكلم في كل المجالات المعروفة من قبل المختصين من التربية والثقافة واللغة والتاريخ والحضارة.

وبذلك تجاور كثير من المقاربات التي عرفت في هذه الميادين وكان همه البحث عن التجديد والإبداع ، وقد بدأ العلامة أبو القاسم سعد الله فكره وتحليله من خلال رؤيته للعالم الإسلامي ككل ثم العالم العربي وأخيرا الجزائر .

وفي الجزائر كان شاهدا على أحداثها وخاصة في المرحلة الاستعمارية ونشأة جمعية العلماء المسلمين ثم الاهتمام بالحركة الوطنية بالجزائرية وأخيرا الثورة الجزائرية وبجانب ذلك كان يمارس ميدان التربية والتعليم في مدارس الجمعية أولا ثم الجامعة والتي بقي فيها إلى أخر عمره ، وفي هذه الأطروحة حاولنا الكشف عن أهم القضايا التربوية التي حاول من خلالها أن يصلح بها الفرد والمجتمع الجزائري منطلقا من الثقافة هي المحور الأساسي لبناء مشروع حضاري جزائري منشود وكان تساؤل الدراسة هو كيف يتهيكل مشروع التربوي الثقافي أبو القاسم سعد الله ؟ والمبادئ الأساسية التي اعتمد عليها سعد الله في بناء هذا المشروع هي مبادئ الجمعية (الدين، اللغة ، الوطن) أي(الإسلام ، العربية، الجزائر)ومع التجديد والإبداع وبذلك نجد أن مؤلفات سعد الله في معظمها لم تخرج على هذا النطاق وبهذا وجدنا المحاور الكبرى التي اعتمد عليها في مشروع هي تربية دينية وما تمثله من تربية روحية وإيمانية وكذلك اللغة العربية وما تحمل من معنى تاريخي وبعد حضاري وإرث ثقافي وكذلك المجال العلمي والجانب الفني والجمالي .

كما تكلم على معظم مشاكل التربية والتعليم في الجزائر خصوصا وكذلك الثقافية والمشاكل الحضارية عموما وقدم العلاج والحلول التي ترتبط الإنسان بالجانب التنموي .

مرور بالتربية الأخلاقية والتربية العلمية التي شكلت هي الأخرى محور التربية وقاعدة الحضاري واعتمدنا على المنهج الوصفي والتاريخي ، ثم تحليل وفق النسق التالي الإنسان

والتربية ثم اللغة والثقافة مع تركيز على واقع الجزائر قم الحضارة ودور الدين فيها عند سعد الله وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج وهي أن مفهوم التربية عند العلامة أبو القاسم سعد الله هي أقرب إلى معنى التثقيف .وهي عملية مستمرة ومتواصلة عبر المؤسسات والإعلام ،

تعتبر مقاربة العلامة أبو القاسم سعد الله هي الأقرب إلى النموذج الجزائري لما تمتاز به من خصوصية وفهم واقع الجزائر تاريخيا ولغويا وثقافيا وحتى مغاربيا .

توكيد على روح التربية التي أسستها جمعية علماء المسلمين وهو امتداد لها.

لم يختلف كثير عن رؤى سعد الله في ثقافة والحضارة

يمتاز مشروع سعد الله بخطوات ممنهجة دقيقة وصارمة عبر مراحل من أجل بناء مشروع حضاري مبدع .

Abstract

In the field of educational sociology, it is difficult for the researcher to talk about the projects of scientists and intellectuals, including scholars and intellectuals, and among them is the scholar Abu al-Qasim Saad Allah, who spoke in all fields known by specialists from education, culture, language, history and civilization.

Thus, many approaches that were known in these fields were juxtaposed, and his main concern was the search for innovation and creativity. The scholar Abu al-Qasim Saadallah began his thought and analysis through his vision of the Islamic world as a whole, then the Arab world and finally Algeria.

In Algeria, he was a witness to its events, especially in the colonial phase and the emergence of the Association of Muslim Scholars, then the interest in the national movement in Algeria and finally the Algerian revolution. Besides that, he practiced the field of education in the association's schools first and then the university, in which he remained until the end of his life, and in this thesis we tried to reveal the most important issues The educational system through which he tried to reform the Algerian individual and society, based on culture, is the main axis for building a desired Algerian civilized project. And the basic principles on which Saad Allah relied in building this project are the principles of the association (religion, language, homeland) i.e. (Islam, Arabic, Algeria) and with innovation and creativity. Thus, we find that Saadallah's writings in most of them did not go beyond this scope. He relied on it in a project that is religious education and what it represents in terms of spiritual and faith education, as well as the Arabic language and its historical meaning, civilizational dimension and cultural heritage, as well as the scientific field and the artistic and aesthetic aspect.

He also spoke about most of the problems of education in Algeria in particular, as well as the cultural and civilized problems in general, and presented treatment and solutions that relate to the human aspect of development.

Passing through moral education and scientific education, which also formed the axis of education and the base of civilization, and we relied on the descriptive and historical approach, then analyzed according to the following format: human and education, then language and culture, with a focus on the reality of Algeria, Qom, civilization and the role of religion in it according to Saad Allah. The concept of education according to the scholar Abu al-Qasim Saad Allah is closer to the meaning of education. It is a continuous and continuous process through institutions and the media.

The approach of the scholar Abu al-Qasim Saadallah is considered to be the closest to the Algerian model because of its specificity and understanding of the reality of Algeria historically, linguistically, culturally and even Maghreb.

Emphasis on the spirit of education established by the Association of Muslim Scholars, which is an extension of it.

Not much differed from Saadallah's visions of culture and civilization

The Saadallah project is characterized by systematic, precise and strict steps through stages in order to build a creative civilized project

View publication stats